تقديم وتحقيق وتعليق
دكتور بكر زكي عوض

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة

للقرافي

المتوفى سنة ٦٨٤ هجرية

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

القرافي ، احمد ابن إدريس بن عبد الرحمن ، .. - ١٢٨٥٠ .
الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة / للقرافي ،
تقديم وتحقيق وتعليق بكر زكي إبراهيم عوض .- ط١٠ - القاهرة
: جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ، ٢٠٠٦ .
٤١٦ ص ، ٢٤ سم .
١ - الديانات المقارنة أ - عوض ، بكر زكي إبراهيم (مقدم ومحقق ومعلق)
ب - العنوان

الطبعـة الثانية
مزيدةومنقحة

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

صدق الله العظيم

[البقرة : ١٣٥]

الإهداء

إلى كل نفس تواقة إلى المعرفة. محبة للحق. راغبة فى ظهوره وعلو شأنه. إلى أهل اللجاجة والمكابرة الذين حكموا العاطفة دون العقل، وغلّبوا الهوى على الحق، وورثوا عن أسلافهم سوء الفكر وظلام العقل، إلى كل مسلم ليستبشر ويدرك نعمة ربه عليه، وإلى كل ضال أو معرض ليدرك نفسه وأهله قبل انقضاء الأجل. بعد أن تتكشف له حقيقة المعتقد وفساد التركة التى ورثها. أهدى هذا العمل.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

شاءت إرادة الله أن تنفد الطبعة الأولى من هذا الكتاب على عجل، ومضى عليها عشرة أعوام لم أستطع خلالها تكرار الطبع رغم الطلب الملح من المرحوم الحاج وهبة -رحمه الله- والآن أذن الله بالاستجابة لهذا الطلب من نجله الأستاذ حسين وهبه سائلا الله أن يكتب له التوفيق والسداد.

وأقول في الباعث على الموافقة: ليست الليلة أشبه بالبارحة بل إنها ليلة حالكة السواد، كثرت فيها الغيوم وأدلهم فيها الخطب وفشت الذئاب تعيس الفساد في البلاد والعباد، والمسلمون كالغنم الشريدة في الليلة المطيرة، لا قائد يسود ولا راعي يذود، وتداعت الأمم على المسلمين كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، حقا: إنها ليلة ليلاء، توقفت معها مسيرة الزمن، كما ذكر ذلك امرؤ القيس في معلقته.

في ليلة البارحة بزغت نجوم في كبد السماء، ففتقت حجب الظلمة ثم ظهرت أقمار فإنارت السبيل، وانقضى الليل على عجل وبزغت الشمس في غير وجل، إنها شمس العلوم والمعارف.

أصبحت الحاجة ملحة إلى صدور الكتاب هذه الأيام بعد نفاد طبعته الأولى منذ عشرين سنة لأن التاريخ يعيد نفسه .. فلقد تصدى الإمام القرافي للرد على الأسئلة الفاجرة التي تستهدف النيل من المسلمين وأبنائهم... وهذه هي الطبعة الثانية بعد أن أمعنا النظر فيها ومقابلتها مع نسخة لم نقف عليها من قبل.

إنهم العلماء الأجلاء، الذين تصدّوا العادية النصرانية، ولم تكن سطوة أقلامهم بأقل حدة من سيف إخوانهم، جمعوا الشبهات وبددوها، وطرحوا ضلالات القوم وفضحوها لم يداهنوا ولم يهادنوا، بل جهروا بالحق، فما لانت قناتهم ولا ضعفت عزيمتهم ولا هانت قوتهم، نالهم ما نالهم، فما وهنوا لما في سبيل الله أصابهم.

تحزب أهل الباطل فى طرح الشبهات ضد الإسلام، واجتمع جنوده على إعمال السيف فى أولى وغير أولى الأحلام، فقيض الله للفريق الأول علماء أعلام، قرعوا الحجة بالحجة، وألجموا أهل الباطل سيف المحجة، وأكثروا من الهجوم باعتباره خير وسيلة للدفاع وبخاصة أن الحق معهم، ومن ينصر الله ينصره الله.

وأما الأعداء من أهل الصليب بالسيف على بلاد المسلمين، فقد بعث الله لهم من قواد المسلمين من سقاهم كأس المهانة، وذل الهزيمة وردهم على أعقابهم خاسرين على يد صلاح الدين.

وأيامنا هذه لا يوجد فيها من يقارع الحجة بالحجة ولا الفرية بالصدق وأنّى لمن أكل وشرب ونام وسافر وصادق وأشاد بالصحبة على حساب الآخر أن يناقش أو يرد على هؤلاء.

ومع هذا لم يستح الآخرون فى بلاد الإسلام من طرح الشبهات وإثارة الشكوك وبث الطعون وتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات وإرسال المبشرين للتشكيك فى دين المسلمين، هذا ما ذكرته الصحف ونشرته المجلات فى شمال إفريقية والعراق وجنوب السودان ووسط إفريقية فضلا عن الصور المسيئة لنبى الإسلام.

لقد فرضت الضرورة الشرعية نفسها علىّ، أن أعيد النظر فى هذا الكتاب، وبخاصة أنه بعد سفرى إلى قطر، وقفت على نسخة من الكتاب تخالف بعض ما رجعت إليه من مخطوطات، فطابقتها فصوبت قليلا من العبارات والتراكيب، ويسرت فهم قليل مما كان غامضا فيما سبق.

كما تمت إعادة النظر فى بعض هوامش الكتاب بناءً على التقدم فى القراءة سنين عدداً، حتى تكون الهوامش ألصق بالنص من ذى قبل وأتمنى أن تخرج هذه الطبعة خالية من الأخطاء المطبعية لأنها كانت موجودة فى الطبعة الأولى.

وإننى إذ أقدم هذا الكتاب إلى جمهور المسلمين عن طريق مكتبة « **وهبة** » فإنما أقدم الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة.

والله من وراء القصد وهو حسبى ونعم الوكيل.

الثلاثاء ٢٩ رمضان ١٤٢٦ هـ
الموافق ١١ نوفمبر ٢٠٠٥م

الأستاذ الدكتور
بكر زكى إبراهيم عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله رب العالمين. اللهم يا ميسر الأسباب ومذلل الصعاب ومجرى السحاب، وهادى من تشاء إلى الحق والصواب، اهدنى لما اختلف فيه من الحق، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، الذى بعثه ربه مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وجعله حرزا للمتبعين له، العاملين بدعوته من النار. بدعوته هدأت القلوب واستنارت العقول وكشفت الغيوم وزالت الشبهات وحُلَّت المعضلات. جادل أهل الزيغ فأفحمهم وناقش أهل الكتاب فألزمهم، فدان منهم من هداه الله بالإسلام وأعرض عن ذلك الأخسرون أعمالا ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: ١٠٤] فقاوموا دعوته وحاربوا أمته وبذلوا كل جهد فى القضاء عليها. ولكن الله قيض لهذه الدعوة من يقوم بأمرها يدرأ عنها بالسيف أو بالقلم أو يجمع بينهما. حتى أصبح تاريخ الإسلام زاخرا بجهود العلماء الأجلاء الذين استسهلوا الصعاب واستعذبوا العذاب فبذلوا النفس والنفيس والغالى والرخيص فى سبيل الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه، فما ضعفت عزيمتهم وما لانت قناتهم وماذلت رقابهم ولا خضعت لغير الله، وإنما الإلزام الدائم للخصم ساعدهم على ذلك ما يلى:

١- سلامة القرآن من التحريف وخصوصية هذه الأمة بشرف الإسناد.

٢- مطابقة نتائج التجريبيات لبعض ما ورد فى القرآن من الآيات الكونية وكذلك سلامته من التعارض أو التناقض مما لم يتوافر لغير المسلمين فى كتبهم.

٣- عدم إمكانية الآخرين إقامة الدليل القطعى على صدق دعواهم لفقدان السند واضطراب النص، والتناقض البين بين النصوص مع بعضها بل بين النص الواحد إذا ورد ذكره فى أكثر من إنجيل كان يتضمن زيادة أو نقصانا.

٤- اتفاق الإسلام مع العقل والفطرة، فكان إلى الاستجابة أقرب مع غيبة العامل المادى الذى يلعب مجراه فى التأثير على النفس (المعجزات الحسية عند الأنبياء السابقين)

٥- الثروة المباركة التى تركها الرسول ﷺ والمميزة عن القرآن. والتى نقحها المخلصون ونقوها مما أضيف إليها وغيرنا لا يستطيع أن يميز بين قول ربه ونبيه ورجل الدين عنده إلا نادراً.

ومن هؤلاء العلماء: **الإمام شهاب الدين القرافى** الذى عاش فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى وهو من أشد القرون فى حياة المسلمين سوءاً حيث إن نصارى الغرب قد بذلوا كل جهد ممكن فى تقويض دعائم الشرق الإسلامى والاستيلاء عليه سالكين سبيلين:

السبيل الأول: سبيل السيف الذى بدأ بالحروب الصليبية مع نهاية القرن الحادى عشر الميلادى وانتهى مع مطلع القرن الخامس عشر.

السبيل الثانى: سبيل الكلمة وذلك بطرح الأسئلة بغية التشكيك فى أمر الإسلام وإظهار فضل النصرانية.

ولكن الله قيض لكلا الاتجاهين من يقضى عليهما.

ففى المجال العسكرى كانت انتصارات الملك العادل صلاح الدين والملك الكامل وبعض ملوك السلاجقة ترد عادية النصرانية وتزعزع أركانهم.

وفى المجال الفكرى كانت الكتابات المتعددة فى الدفاع مما نشير إليه بعد - إن شاء الله - **ومن هذه الكتابات كتابان للإمام القرافى**:

الأول بعنوان: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة.

الثانى بعنوان: أدلة الوحدانية فى الرد على النصرانية.

وقد يسر الله لى أسباب تحقيق الكتاب الأول، وأسأله تيسيرا لتحقيق الكتاب الثانى. وقد صدرت هذا الكتاب بمقدمة تضمنت بعض مظاهر الصراع بين النصارى والمسلمين منذ دعوة الرسول ﷺ حتى نهاية القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى - حيث لاقى القرافى ربه (٦٨٤هـ - ١٢٨٥م) وفى هذه المقدمة بيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فما زلنا ننشد حل قضايانا من الغرب ونطالب بدور أوروبى فعال لحل مشكلاتنا كما طلب ذلك حكام الشام المسلمون وحكام الأندلس ضد أشقائهم. وما زلنا نتخذهم حلفاء ضد أشقائنا كما اتخذ أمراء الولايات الأندلسية حكام أوروبا وكذلك بعض خلفاء بنى العباس فى الشرق ضد الأمويين فى الأندلس.. الخ مما كان سببا فى القضاء على الجميع وحُقّ على كل منهم أن يقول «أكلت يوم أكل الثور الأبيض».

كما أننى ضمنت المقدمة تعريفا موجزا بالإمام القرافى.

أصول هذا الكتاب

اعتمدت على مخطوطتين ونسخة مطبوعة[1].

النسخة الأولى: الراجح أنها كتبت بغير خط المؤلف لأن كاتبها قد ابتدأها بقوله بعد البسملة. قال الشيخ العالم العلامة جامع أشتات الفضائل شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى..

ورقم هذه النسخة بدار الكتب (١٧٩) عقائد تيمورية. وقد ختمت الصفحة الأولى بخاتم مكتوب فيه (وقف أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور بمصر ١٣٢٠ هـ - ١٩٤٣م) وعدد صفحات هذه النسخة (٢٠٥) وعدد سطور كل صفحة واحد وعشرون سطرا وكلمات الأسطر متفاوته بين ثمانى كلمات

---

(١) تم مراجعة نسخة جديدة مطبوعة قبل الطبعة الثالثة - هذه- وقد صوبت بعض العبارات فى ضوئها وإن كانت نادرة للغاية.

واثنتى عشرة كلمة. وهى بخط واضح وإن كان النقط ساقطا فى بعض الأحيان. والدراية بالكتاب المقدس والقرآن الكريم تيسر القراءة لكثير من النصوص. وفيها سقط لصحيفة واحدة فى النهاية. وقد أشرت إليها بكلمة (تيمورية) وقد أضافت كثيرا وقومت اعوجاجا وصوبت تصحيفا.

النسخة الثانية: مصورة وموجودة بدار الكتب تحت رقم (٣٥٤٣٦) دار. ومجموع صفحاتها (١٧٦) صحيفة وهى بخط واضح أيضا ولم يشر إلى مصدر التصوير. كما أنها متفقة مع النسخة المطبوعة من حيث النظم ولم تضف كثيرا وإنما ساعدت فى التعرف على بعض الكلمات المطموسة.

النسخة الثالثة: نسخة مطبوعة على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق. وهو من تأليف / عبد الرحمن بك أفندى الشهير بـ (جه. به. زاده) حيث طرز هذا الكتاب حين طبعه بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣٢٢هـ. بكتابين جليلين:

الأول: كتاب الأجوبة الفاخرة للقرافى. وقد وجدت بالطبعة بعض الأخطاء اللغوية وبعض التصحيفات فى النصوص المأخوذه عن القرآن والتوراة والإنجيل فتم تداركها.

الثانى: هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم.

وقد أخذ الكتاب الأول من الهامش حتى منتصف الصحيفة رقم (٢٦٥).

وقد قمت بمطابقة النسخ ونسبة نصوص القرآن إلى سورها والأحاديث النبوية والتعريف ببعض المصطلحات الإسلامية وكذا المصطلحات الخاصة بالآخرين. وراعيت ظروف الزمان والمكان والعقول حين التعليق على الكتاب.

وهذا الكتاب يدل على عمق إبحار القرافى فيما عند القوم من مصادر دينية. كما أن الاشتغال بعلم أصول الفقه الإسلامى قد ساعد القرافى على الاستنباط والتفريع فى كثير من المواطن. وطرح على القوم كثيرا من الأسئلة التى

لم أقف عليها عند على بن ربن الطبرى أو صالح بن حسين الجعفرى . أو ابن حزم أو الغزالى أو القرطبى أو أبى عبيدة الخزرجى . فله فضل السبق فى كثير من المواطن التى رد فيها على أسئلتهم أو الأسئلة التى طرحها عليهم .

وقد خرجت كل نص ذكره من كتب الآخرين أو أشار إليه كما أننى أضفتها إلى إجابته حين الاضطرار فى الهامش ليقف القارىء على النصوص دون الرجوع إلى ذات الكتب درءا للمشقة . وليكون القول مقرونا بالدليل . وكان القرافى – رحمه الله – يشير إلى كثير من الأحكام بالمعنى . وكذلك الحوادث والمعجزات عند الآخرين مما حملنى جهداً بالغا فى تأييد قوله بالنص .

وقد وجدت بعض البشارات التى تضمنت اسم (محمد – أحمد) – عليه الصلاة والسلام – وإن كانت قلة فلم أتمكن من تخريجها وهى لا تتجاوز خمسة نصوص تقريبا ، لأن الاسم الشريف لا وجود له بهذا التعبير فى النسخة البابلية المطبوعة الآن وكذلك النسخة السامرية (الخاصة بالتوراة) . مع أن القرآن قد صرح بذلك قال تعالى ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ** ﴾ [الفتح : ٢٩] . .

كما صرح بأن المسيح عليه السلام ذكر لأتباعه اسم (أحمد) مع أنه غير موجود الآن في العهد الجديد . قال تعالى فى كتابه الكريم ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾
[الصف : ٦]

وفى ذلك دلالة على التحريف المتعمد إلا أن بصائرهم قد عميت فتركت نصوصا تدل على محمد ﷺ من حيث صفاته أو صفات دعوته أو صفة أمته أو سيرته . . الخ .

والله شهيد على أننى قد بذلت كل جهد ممكن فى محاولة إخراج الكتاب على خير وجه. واستعنت بشقيقى الأستاذ (عمر) فى المراجعة والمطابقة بين المخطوطات.

فإن كنت أصبت فمن الله وإن كانت الأخرى فما لهذا أردت ولا قصدت وحسبى أننى اجتهدت. وأرجو من القارىء الكريم أن يتذكر الحسنات ويعفو عن السيئات وأن يرسل لى بالنصيحة على جهة العمل. فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنّى وجدها. والله من وراء القصد وهو حسبى ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين.

حدائق القبة القاهرة فى: ١٠ / ٤ / ١٩٨٥

دكتور
بكر زكى عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد القائل فى الحديث الشريف : «الأنبياء إخوة لعلآت أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[١] .

– وبعــد –

فإن من رحمة الله بخلقه بعث الأنبياء عليهم السلام ليبينوا لهم كيفية التعبد على الوجه الذى أراده الله . حيث إن الله سبحانه قد فطر الخلق على الإيمان بخالق لهذا الكون . قال تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: ٣٠]

وبهذا دعا جميع الأنبياء قبل محمد – عليه السلام – أقوامهم . قال تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : ٥] .

ومع دعوة الأنبياء كانت وسوسة الشيطان وتنفيذه لما توعد به في القدم ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [ص : ٨٢ – ٨٥] .

وفى الحديث القدسى (وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم)[٢] . ومع الميل

---

(١) البخارى ك الايمان (٤٨) .

(٢) صحيح مسلم ك جنة ٦٣ .

عن الحق. وغيبة الرسالة لملاقاة نبي من الأنبياء السابقين لربه. كانت رحمة الله ببعث نبي آخر أو رسول ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]

وهذا البعث لكي تنتفي المعاذير حين الوقوف بين يدي الله سبحانه ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [النساء: ١٦٥].

وأصل دعوة الأنبياء واحد. والأمور العقدية قاسم مشترك بين جميع رسالات السماء. قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

فكل ما تعبدنا الله به تعبد به غيرنا، وكل ما كُلِّف به السابقون كلف به اللاحقون. وما بدا من تغاير أو حلٍّ أو حرمة في بعض الشرائع، فإنما هو ضرب من العقاب على بعض الأمم دون الأخرى، أو رحمة ببعض الأمم بسبب طاعتها دون غيرها. قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

أقوام الأنبياء والمرسلين بين الاتباع والابتداع:

لقد بلغ المرسلون عن ربهم كل ما كلفوا بتبليغه. آمرين قومهم بالاتباع دون الابتداع في الدين، وبملاقاة النبي ربه على أي وجه ما، أو بمحاولة تحميل النفس مالا تطيق حمله كضرب من ضروب الغُلُوِّ في العبادة في ظل حياة نبي من الأنبياء أو بعد مماته، يبدأ بعض الأتباع في لَيِّ النصوص أو تحريفها بالزيادة

أو النقصان – وقد حفظ الله القرآن من ذلك – وقد يكون القائمون على هذا الأمر أهل العلم بدعوة نبيهم – من الأمم السابقة – فيكتبون لأقوامهم كتبا مدعين أنها وحي أو علم استأثروا به دون غيرهم. معلنين أنه من عند الله قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقد أصاب هذا التحريف هوى فى نفوس البعض كرفعة شأن النبى إلى مرتبة الألوهية، أو جعلوه مصدرا للكسب المادى، أو رغبة فى صرف الناس عن عقيدتهم الحقة (كأثر بولس على المسيحية) مع جهل العامة بأصول الرسالة.

وبطول الزمن تصبح الأمور المحرفة عقيدة راسخة لدى كثير من التابعين بل إن الأمر ليصل إلى حد العجب، حيث ينهض كثيرون للدعوة إلى العقائد المزيفة ويبذلون كل جهد فى إثباتها معتمدين فى ذلك على الصراع الفكرى أو العضلى أو هما معا، ظانين أنهم على الحق أو متمسكين بعادات الآباء وتقاليدهم أو جاحدين للحق بعد يقينهم بأحقيته.

وقد ذكرت كتب العقائد وكتب التاريخ كثيرا من صور هذا الصراع، سواء أكان بالسيف أو الجدل حتى استشهد فى سبيل ذلك كثير من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم ممن تمسك بالحق.

● **الدعوة الاسلامية على يد محمد بن عبد الله ﷺ:**

ومن يقف على تاريخ الدعوة الإسلامية يجد صراعا قد دب بين المشركين والدعوة الجديدة ولم يتوقف القرشيون عند حد الإيذاء بالكلمة أو الصد أو الجحود أو المقاطعة أو التعذيب أو التحدى للرسول ﷺ بقولهم ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ

فتُفَجّرَ الأَنْهارَ خلالَها تفْجيراً * أَوْ تُسْقطَ السَّماءَ كَما زعمْتَ علَيْنا كسفًا أَوْ تَأْتيَ باللَّه والْمَلائكَة قَبيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مّن زُخْرُف أَوْ تَرْقَىٰ في السَّماءِ ولَن نُّؤْمنَ لرُقيّكَ حَتَّىٰ تُنَزّلَ عَلَيْنا كتابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبّي هَلْ كُنتُ إلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴾ [الإسراء: ٩٠ – ٩٣]. بل إنهم طلبوا من اليهود أسئلة يتحدون بها الرسول ﷺ فأوعز إليهم اليهود أن يسألوه عن فتية مضوا فى الزمن الأول. وعن الرجل الذى جاب المشرق والمغرب. وعن الروح. فكانت الإجابة بعد فترة من الزمن فرح بها المشركون قائلين: إن شيطان محمد قد تخلى عن محمد[١].

كما أنهم أوعزوا إليهم أن يسألوا الرسول ﷺ عن أول زاد لأهل الجنة وإلى أى شىء ينزع الولد . . . الخ.

وبهجرة الرسول ﷺ. بدأ اليهود والنصارى فى مواجهة الدعوة الإسلامية بالأسلوب الظاهر (صراع السيف) أو الخفى (حركة النفاق).

والأسلوب الأول تجلى واضحا فى نقض القبائل الثلاث (بنى قينقاع – بنى النضير – بنى قريظة) العهد الذى وقعوه مع الرسول ﷺ فى أشد الأوقات حرجا فكانت عاقبتهم الإخراج من المدينة أو القتل عندما ارتضوا حكما غير رسول الله ﷺ[٢].

ومن اليهود من أعلن إسلامه وأبطن الكفر حتى إذا يسرت أسباب المكيدة كان الإفصاح عما تكنه النفس. كرجوع عبد الله بن أبىّ بثلث الجيش فى غزوة أحد[٣] والتشكيك فى نصر الله للمسلمين فى غزوة الأحزاب[٤] ومحاولة إيقاد

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص٢٢٠، أسباب النزول للسيوطى ١/ ١١٢ – ١١٥، تفسير ابن كثير ٣ / ٦٠ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤ / ١٩٩ ط المعرفة بيروت.

(٢) ابن هشام ٢ / ١٤٠ – ١٥٠ الكامل فى التاريخ ٢ / ١٧٣ – ١٨٥ تاريخ الطبرى ٢ / ٥٨١.

(٣) ابن هشام ٣ / ١٧ طبعة عبد السلام محمد.

(٤) ابن هشام ٣ / ١٢٩ – تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٣.

نار الفتنة بين الأوس والخزرج كما صرحت كتب التفسير[1] ومحاولة فتنة المسلمين فى غزوة بنى المصطلق[2]. وتخلف كثير عن المعركة فى غزوة تبوك[3].

ولم يتوقف الصراع عند حد المشركين واليهود. بل كان لمدعى أتباع المسيح عليه السلام دور واضح فى ذلك. وإن تأخر صراع السيف عن الجدل مدة من الزمان.

فلقد أرسل الرسول ﷺ إلى قيصر إمبراطور الروم. وإلى المقوقس حاكم مصر. وإلى النجاشى ملك الحبشة. وإلى بعض بلدان جنوب الجزيرة العربية ممن يدين بالنصرانية يدعوهم إلى الإسلام، وقد لاقت بعض الكتب مع رسلها قبولا وترحيبا، والبعض توقف والبعض أعرض، كما أن بعض البلدان التى كانت تدين بالنصرانية أرسلت وفودا منها إلى رسول الله ﷺ كوفد الأحباش ووفد نجران وغيرهم[4].

وكان الحوار يتم والجدل يشتد. وتقع معارضات. وفى كل يجيب الرسول ﷺ أو يأتى الوحى بالإجابة. كما كانت آيات القرآن تناقش هؤلاء فى معتقدهم كالقول بالأبوة [5] والبنوة[6] والتثليث[7] والصلب[8] وغير ذلك ثم تقيم الدليل على بطلان ماذهب إليه القوم. فمنهم من آمن ومنهم من كفر فى غير إلجاء أو إلزام.

---

(1) ابن كثير ١ /٣٨٨ والألوسى ٢ /١٩.
(2) سيرة ابن هشام ٣ /١٨٣.
(3) سيرة ابن هشام ٤ /١٤٣.
(4) قام الأستاذ الدكتور على يوسف السبكى بجمع رسائل النبى ﷺ إلى الملوك والأمراء وقد شرحها وعلق عليها. وكذلك السيد الحسينعلى فى كتابه مكاتيب الرسول.
(5) التوبة آية ٣٠.
(6) مريم ٨٨ – الزمر ٤.
(7) المائدة ٧٣ والنساء آية ١٧١.
(8) النساء آية ١٥٧.

● **مساندة الصراع الفكرى بالسيف :**

بذيوع الإسلام وانتشاره فى معظم شبه الجزيرة العربية وبلاد الحبشة وغير ذلك. تخوف هرقل من تقلص النصرانية وضياع الامبراطورية. ولذلك فإنه فى السنة الثامنة لهجرة الرسول ﷺ سار فى جيش قوامه مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام وبلقين[١] فأرسل إليهم الرسول ﷺ جيشا قوامه ثلاثة آلاف بقيادة زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب فعبد الله بن رواحة مشترطا عليهم الترتيب عند الوفاة ولم يكن الحظ حليف المسلمين. فعاد خالد ابن الوليد بالجيش بعد مقتل القواد الثلاثة. وفى السنة التاسعة أعد هرقل نفسه مرة ثانية لملاقاة المسلمين. فخرج إليه الرسول مع جيشه وصالح الرسول ﷺ كثيرا من القبائل المتنصرة مقابل الجزية. ولما بلغ ﷺ تبوك علم أن هرقل قد فَرَّق جموعه ولم يُقْدِم. فعاد الرسول ﷺ بالجيش[٢].

وفى الشهر الأول من السنة الحادية عشرة بعد عودته ﷺ من الحج ضرب على الناس بعثا وأمّر عليهم أسامة بن زيد. وأمره أن يتجه إلى مشارف الشام من جهة الأردن وفلسطين[٣] وقد أصاب الرسول مرضُ الموت. فانتظر الجيش ما الله قاض به. ولكن الرسول أمر بسير الجيش. وقد نُفّذ الأمرُ بعد الوفاة والدفن وكتب الله للجيش النصر.

وفى العام الثانى عشر للهجرة كان خالد بن الوليد يحارب الفرس.

وفى معركة (الولجة) مع الفرس بقيادة (الأندرزغرا) اتجه نصارى بكر لمحالفة الفرس ولكن النصر حالف المسلمين. فاجتمع بقية النصارى من بكر بن وائل وكاتبوا الفرس وحضر (بهمن جاذويه) على نصارى العرب (باليس) ثم أمّر عليهم (جابان) واجتمع معه نصارى (عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب

---

(١) ابن هشام ٤ / ١١ : ٢٢ الكامل ٢ / ٢٣٤ : ٢٣٦.
(٢) الكامل ٢ / ٢٨٠ ابن هشام ٤ / ٢٢٥ : ٢٢٦.
(٣) الكامل ٢ / ٣١٧.

الضاحية) من أهل الحيرة. وانتهى الأمر بنصر الله للمسلمين فى وقعة (أُلَيّس) على الفرات[١].

ولم يلبث النصارى بعدها أن اجتمعوا وجمعوا معهم تغلب وإياد والنمر، وساروا إلى خالد بن الوليد، فلما بلغوا الفرات قالوا له : إما أن تعبر إلينا وإما أن نعبر إليكم، قال خالد : بل اعبروا إلينا. وقد بلغ العدد من الكثرة أن قتل خالد منهم مائة ألف وكتب له النصر فى وقعة (الفراض)[٢].

وفى السنة الثالثة عشرة أرسل أبو بكر – رضى الله عنه – خالد بن سعيد بن العاص على تيماء وأمره أن يدعو من قبله وأن لا يقاتل إلا من قاتله فسمع وأطاع، ثم بلغ خالد بن سعيد أن الروم قد جمعوا له الجموع فاتصل بأبى بكر فأمره بالإقدام فسار إلى الروم وعلى رأسهم بطريق اسمه (باهان) فهزموا خالد بن سعيد. فاستنفر أبا بكر فأمده وأذن له بالقتال تجاه هؤلاء الذين لم يتخلوا عن محاربة المسلمين[٣].

وقد وجه أبو بكر رضى الله عنه عدة حملات لتأمين حدود الدولة الإسلامية من جهة الشمال فبلغ ذلك الروم، فكتبوا إلى هرقل وكان بالقدس فقال : أرى أن نصالحهم – أى المسلمين – فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل عليه من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم. فتفرقوا عنه وعصوه وسار بهم إلى حمص وقسمهم فرقا ليشغل بهم المسلمين مستغلا عدد جنده الكثيف.

وقد أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يتجه إلى هناك فى الوقت الذى حضر فيه (باهان) على الروم ومعه الشمامسة والقسيسون والرهبان يحرضون الروم على القتال. والتقى الفريقان عند (اليرموك). وكان عدد المسلمين بين الثلاثين

---

(١) تاريخ الطبرى ٣ / ٣٥٥ : ٣٥٨ ، الكامل فى التاريخ ٢ / ٣٨٨– ٣٨٩.
(٢)تاريخ الطبرى ٣ / ٣٨٣ – ٣٨٤، الكامل ٢ / ٣٩٨ – ٣٩٩.
(٣) تاريخ الطبرى ٣ / ٣٨٣ – ٣٨٤، الكامل ٢ / ٤٠٢ – ٤٠٣.

والأربعين ألف. وعدد النصارى مائتى ألف وأربعين. وظل القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهرا إلى أن التقى الفريقان عند اليرموك. فكانت الغلبة للروم أولا. ثم نصر الله المسلمين(١).

● فى زمن عمر بن الخطاب:

عندما انهزم الروم فى اليرموك اجتمعوا (بفحل) وأتاهم عدد من (حمص) فاستمد أبو عبيدة عمر فأمده وأمره أن يبدأ بدمشق فسمع وسار معه خالد بن الوليد وحاصر الروم فى دمشق سبعين يوما وانتهى الأمر بعقد صلح على المقاسمة(٢).

ثم اتجه المسلمون بعد ذلك إلى (فحل) حيث تجمع الروم وبينهم وبين المسلمين مياه وأوحال. واغتر الروم وخرجوا وعليهم (سقلاد بن مخراق) فأتوا المسلمين وهم حذرون. وكان عدد الروم – ثمانين ألفا – وهجموا على المسلمين وانتهى الأمر بنصر الله للمسلمين وتسمى هذه الموقعة بذات الردغة وبيسان وفحل(٣).

وعندما سار المسلمون بعد ذلك إلى حمص. أرسل هرقل إليهم جيشين علىٰ رأس الأول (توذر) البطريق وعلى رأس الثانى (شنش) والتقى بهم أبو عبيدة وخالد فى الطريق وكتب الله النصر للمسلمين فى معركة (مرج الروم)(٤) واستمر المسلمون فى طريقهم إلى حمص فحاصروا بعلبك وأعطوا الأمان لأهلها. ووصل المسلمون حمص فوجدوا أهلها ممتنعين. وأرسل هرقل إلى أهلها يعدهم بالمدد. وأمر أهل الجزيرة كلها بالتجهيز إلى حمص. فساروا ليمنعوا حمص عن المسلمين... والتقى الفريقان وانتهى الأمر بالصلح مقابل الجزية(٥).

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٤، الكامل ١/ ٤١٠ – ٤٤٤.
(٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٣٤ – ٤٤٣، الكامل ٢/ ٤٢٧ – ٤٢٩.
(٣) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٤٣ – ٤٤٤، الكامل ٢/ ٤٢٩– ٤٣٠.
(٤) تاريخ الطبرى ٣/ ٥٩٨ – ٥٩٩، الكامل ٢– ٤٩٠.
(٥) تاريخ الطبرى ٣/ ٥٩٩– ٦٠١، الكامل ٢– ٤١٢.

وفى السنة الخامسة عشرة للهجرة خرج الأرطبون لملاقاة المسلمين. وجعل الأرطبون (بالرمة) جندا عظيما (وبإيلياء) جندا عظيما أيضا كى يباغتوا المسلمين وسار المسلمون بقيادة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة إلى (أجنادين) والتقى الفريقان وكان نصر الله للمسلمين. وتم توقيع صلح بين عمر ابن الخطاب والعوام البطريق لأن الأرطبون فر إلى مصر[1].

● **فى عهد عثمان بن عفان -رضى الله عنه- :**

كان معاوية بن أبى سفيان على سوريا فى نهاية عهد عمر بن الخطاب. وفى عهد سيدنا عثمان أغار معاوية على آسيا الصغرى وجعل يستعد ببناء أسطول ليتم له الاستعداد لغزو دولة الروم برا وبحرا فى الوقت الذى تقدمت فيه الجيوش الإسلامية من مصر إلى برقة فلم يصعب عليهم أن يهزموا الروم هناك ويستولوا على ذلك القطر سنة (٦٣٤م) [2].

● **فى زمن خلافة بنى أمية :**

دب صراع بين الروم والأمويين انتهى بتتويج الإسلام لشمال القارة الإفريقية. ومجاوزة البحر الأبيض إلى ما وراءه من جهة الشمال بقيادة موسى ابن نصير وطارق بن زياد حيث هزم القوط. وحوصرت القسطنطينية. إلا أنها لم تفتح. وقد لعبت مهارة (ليو الثالث - ٧١٧ - ٧٤١م) دورا بالغا فى الحيلولة دون فتحها. كما هزم المسلمين حين حاولوا غزو آسيا الصغرى سنة (٧٤١م)[3] ومع انتصار طارق بن زياد على القوط. فإن الجيوش العربية فى هذه الأمكنه قد انقسمت إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم منها هبط الأندلس الجنوبية ذات السهول الفسيحة.

٢- قسم منها سار إلى قرطبة فى الشمال الغربى من المضيق.

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٠٧ - ٦١٣، الكامل ٢/ ٤٩٨ - ٥٠٢.

(٢) أوروبا العصور الوسطى د. سعيد عاشور ١/ ١٧٩.

(٣) أوروبا العصور الوسطى ١/ ١١٤ - ١١٥ بتصرف.

٣- قسم أوغل فى الجبال الشمالية وفتح العاصمة الكبرى طليطلة.

واستمر المسلمون فى جهادهم حتى فتحت أسبانيا. إلا أن بعض الجهات العالية على الجبال فى الشمال قد رضى العرب منها بالخضوع.

ومع سعة الفتح وذيوع الدعوة وانتشارها فى الشرق والغرب. إلا أن دولا ثلاثة قد بقيت فى أوروبا هى التى شنت الحروب الصليبية فيما بعد وهذه الدول هى:

١- دولة الرومان وقد أجهدها المسلمون وفتحوا منها الكثير. وما بقى فيها إلا مركزها الرئيسى. وقد حاول حاكمها (ليو الثالث) أن يقوم بحركة إصلاح دينى فكسر الأصنام وهدم بعض المعابد. فغضب عليه البابا فى الغرب.

٢- دولة المبردين فى ايطاليا استولوا عليها بعد سقوط دولة القوط الشرقيين وكانت دولتهم غير موحدة لتنازع الحكام إلى أن وحد أمرها (ليوتيبراند) الذى اصطدم بالبابا.

٣- دولة الفرنج أسسها (كلوفس) وتوفى عنها عام (٥٢١م) ورثها أبناؤه. واتسعت فى عهدهم حتى شملت من نهر الراين شرقا إلى جبال البرانس جنوبا إلا أنها قسمت بعد توحيدها على يد غيرهم[١].

● قيام الدولة العباسية والأدوار التى مرت بها وصلتها بالحروب الصليبية:

فى منتصف القرن الثامن الميلادى: اجتمع العباسيون بخراسان يساندهم الفرس مطالبين بالحكم لآل عم الرسول ﷺ. ونشطت الحركة وساعدها المسلمون الذين تمنوا زوال الأمويين لفساد الحكام بعد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) وكذلك انقسام القبائل اليمنية والمضرية على بعضها. وتفكك الأسرة المالكة. وأشد من ذلك كله خطرا انقسام الدولة إلى عرب وموالى. فأصبح الموالى بذلك

(١) تاريخ العصور الوسطى ١١١.

فى مستوى دون مستوى الآدميين فى المعاملة ولذلك اعتمد العباسيون عليهم فى تولى الحكم(١).

ففى سنة (٧٥٠م – ١٣٢هـ) هزم العباسيون الأمويين عند نهر (الزاب) وفر مروان الثانى وقتل عند الفيوم. ودانت الأقطار الإسلامية للعباسيين. وقد خضعت حكومتهم لسيادة بعض القبائل وانقسم الحكم إلى أربعة عهود هى على التوالى:

١- عهد سيادة الفرس: ومدته من أواسط القرن الثامن الميلادى إلى أواسط القرن التاسع. وقد قام على أمر الدولة فى هذا الدور (أبو العباس السفاح – أبو جعفر المنصور – المهدى – الهادى – الرشيد – ابنا الرشيد (الأمين – المأمون) – المعتصم) وفى هذا الدور كانت الحروب بين الدولة الإسلامية والدولة الرومانية على الأطراف عند آسيا الصغرى. وقد أغار المعتصم على آسيا الصغرى ووصل إلى عمورية لاعتداء الرومان على امرأة مسلمة هناك.

وفى هذه الفترة من الزمن قامت الدولة الأندلسية وازدهرت حتى خافها حكام بنى العباس. فصادق الرشيد (شارلمان) – أحد ملوك الفرنج – ليشغل الأندلسيين به عن العباسيين فى الوقت الذى صادق الأندلسيون فيه الروم الشرقيين وساعدوهم على حرب العباسيين(٢).

٢- عهد سيادة الجنود: الأتراك من أواسط القرن التاسع إلى أواسط القرن العاشر وقد بدأ مع حكم الواثق واستولى الأتراك على الحكم. وكان الحكام فى الدرجة الثانية لدرجة أن الأتراك قتلوا منهم (المتوكل على الله) ومن هذا الوقت بدأ عصر الاضمحلال حيث انقسمت الدولة إلى ما يلى:

(أ) فى شمال إفريقية تكونت دول مستقلة أكبرها دولة الفاطميين ثم استقلت مصر استقلالا تاما لم تعد بعده إلى العباسيين.

---

(١) التاريخ الإسلامى العام ٢٣١: ٢٣٢ مختصرا.
(٢) تاريخ العصور الوسطى ١٢٠: ١٢١.

(ب) قامت فى بلاد الشرق عدة دول أكبرها دولة بنى بويه.

(جـ) بقيت قلة قليلة فى مقر الخلافة بالعراق وما جاورها ثم غزاها (مقر الدولة بن بويه) من الأمراء الذين تمت قوتهم فى بلاد فارس وتسلط عليها.

وفى هذه الفترة اعتدى النصارى على كثير من المسلمين وقتلوهم صبرا وظلما. ففى عام ثمان وثلاثين ومائتين للهجرة أغار الروم على مدينة دمياط فى يوم عيد وكان الجند فى راحة فنهبوا وأحرقوا جامعها وأخذوا ما بها من سلاح ومتاع وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة[١].

وفى إحدى وأربعين ومائتين تم فداء أسرى المسلمين من يد (تدورة) ملكة الروم. بعد أن قتلت منهم اثنى عشر ألفا. فإنها عرضت النصرانية على الأسرى فمن تنصر جعلته أسوة من قبله من المتنصرة ومن أبى قتلته وأرسلت تطلب المفاداة لمن بقى منهم...[٢].

وفى سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرجت سرية من طرطوس إلى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا. فاستظهر الروم وأسروا من المسلمين أربعمائة رجل فقتلوا صبرا[٣].

٣- دور سيادة الديالمة: بدأ من منتصف القرن العاشر إلى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى ويسمى بعصر الديالمة لأن بنى بويه يسمون بذلك، وفى هذه الفترة اضطرب أمر الدولة وزاد ظهور الشيعة وتمكن الفاطميون من تملك شمال إفريقية وبسط سلطانها على الشام. وفى هذه الفترة سنة (٣٥١هـ- ٩٦٢م) خرج الروم بقيادة الدمستق إلى مدينة حلب. وقد مروا فى طريقهم بعين زربة فحاصروها، وأمروا أهلها بدخول المسجد الجامع، ومن وجد فى بيته قتل وبتفتيشها قتل كثير من النساء والصبيان ممن وجد فى بيته، ثم أمر الدمستق

---

(١) الكامل ٧/ ٦٨ - ٦٩.
(٢) الكامل ٧/ ٧٦ - ٧٧.
(٣) الكامل ٨/ ١٧٧.

المجتمعين فى المسجد بالخروج فمن أمسى قتل فخرجوا هائمين لا يدرون إلى أين. وقتل الروم كل من وجدوه بالمدينة آخر النهار وأخذوا كل ما خلفه الناس من أموالهم وأمتعتهم وهدموا سورى المدينة ثم وصل الروم حلب وبعد حصار ومحاربة نزل الروم ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف إلى أن تعبوا وضجروا وكان فى حلب ألف وأربعمائة من الأسارى فتخلصوا وأخذوا السلاح وقتلوا الناس وسبى من البلد بضعة عشر ألف صبى وصبية وغنموا ما لا يوصف كثرة. فلما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة أمر الدمستق بإحراق الباقى وأحرق المساجد[1].

وفى سنة إحدى وستين وثلاثمائة للهجرة (٩٧٢م) أغار الروم على مدينة (الرها) ونواحيها وساروا فى ديار الجزيرة حتى بلغوا (نصيبين) فغنموا وسبوا وأحرقوا وخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر. ثم عادت تلك البلدان إلى المسلمين ثانية[2].

وفى سنة (٤٢٢هـ - ١٠٣١م) دخلها الروم ثانية فقتلوا كثيرا من أهلها وخربوا المساجد[3].

وفى سنة (٤٢٢هـ) فى عهد القائم بأمر الله دخل حسان بن المفرج الطائى إلى بلد الروم ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار إلى أفامية فكسبها وغنم وسبى أهلها وأسرهم[4].

٤- **دور سيادة السلاجقة**: من أواسط القرن الحادى عشر إلى أواسط القرن الثالث عشر حيث سقطت بعد فى يد التتار سنة ١٢٥٨م وفى هذا العهد ازدهرت الدولة وتمكن السلاجقة من السيطرة على جزء كبير من حدود الهند

---

(١) الكامل ٨/٥٣٨ - ٥٤٢.
(٢) الكامل ٨/ ٦١٨ - ٦١٩.
(٣) الكامل ٩/ ٤١٣.
(٤) الكامل ٩/ ٤٢٠.

والصين ومصر وأخذت الشام من الدولة الفاطمية ثم فتحت جيوش السلاجقة كثيرا من آسيا الصغرى حتى صارت قرب بحر مرمرة وهددت القسطنطينية مرة ثانية، وكان هذا الانتعاش على يد طغرل بك - ألب أرسلان - ملك شاه - الذين حكموا (١٠٥٥ - ١٠٩٢م) وأخذوا بيت المقدس سنة (١٠٧١م) كما هزموا الرومانيين فى موقعة مانزكرد (١٠٧٢م) وكان لهذا النصر أثره البالغ على الدولة الرومانية التى خشيت أن يمتد الفتح إلى القسطنطينية. كما أن أخذ بيت المقدس كان له أثره البالغ على نفوس المسيحيين فكانت بداية الحروب الصليبية(١).

وقد لعب الصراع على السلطة والخلاف بين أمراء المسلمين دورا بالغ المدى فى تمزيق وحدة المسلمين وذهاب قوتهم، وخاصة فى بلاد الأندلس حيث تعددت الولايات ودان بعضها بالولاء لملوك النصارى ووقع بعضهم حلفا للنجدة والنصرة مما كان سببا فى ضياع الأندلس على يد ملوك النصرانية فلقد اتجه (ابن عباد) بجيشه إلى غرناطة ليخضع صاحبها (ابن باديس) فأدرك (ألفونس السادس) ملك قشتالة ذلك الأمر فاتجه لغزو طليطلة بحجة إخماد الثورة الواقعة فيها ضد الأمير (عبد القادر بن ذى نون) لإكثاره فى فرض الضرائب. ووصل إليها بحجة نصرة حليفه فعاث فى ولايتها مخربا القرى والحصون. ثم ارتد عنها عندما علم أن المنصور أمير (بطليوس) خف لنجدتها ثم عاد (ألفونس) فى العام التالى ينشر الفساد فى بسائطها ويستولى على زروعها ويدق قلاعها ومازال يوالى غاراته كل عام حتى أضعفها وأنهك قواها وضيق عليها حتى أصيبت بالضيق والفاقة. ثم سار إليها فى السنة السادسة متوجها إلى العاصمة نفسها فحاصرها ومنع عنها كل صلة أو مدد فاستغاثت المدينة بأمير (بطليوس) فأمدها بجيش على رأسه ولده المفضل ولكنه لم يصمد أمام قوات ألفونس الساحقة فانهزم مدحورا. ولم يبق للقادر أمل فى النجاة وكان الجوع يهدد المدينة... فبعث إلى

---

(١) أوروبا العصور الوسطى ١ / ٤٢٤ ط٦ الحرب الصليبية الأولي ١٩ - ٣٠ ط٢.

ألفونس يطلب الصلح على أن يؤدى الجزية ويكون تابعا له فرفض ألفونس، وطالبه بفتح أبواب المدينة وتسليمها واعدا بأن يحافظ على أرواح المسلمين ومقتنياتهم وأن يترك لهم المسجد الجامع يصلون فيه وأن لا يعارضهم فى دينهم وشرائعهم، وخيرَّهم بين البقاء أو الهجرة فمن أحب البقاء يؤدى الجزية كما يؤديها المسيحيون فى بلاد الإسلام ومن آثر الهجرة يسمح له بأن يحمل أمواله حيث يشاء...

وفى الخامس والعشرين من مايو ١٠٨٥م (أول صفر ٤٧٨هـ) دخل (ألفونس السادس) ملك قشتالة «لاون» و«جليقة» و«طليطلة» عاصمة «القوط» القديمة تتقدمه مواكب النصر، وبذلك انتزع من المسلمين إحدى قواعد الأندلس الكبرى التى تتحكم فى استراتيجيتها إذ كان موقعها على نهر «التاجة» يعد من أقوى المواقع دفاعا. فكانت بذلك حصن الأندلس الشمالى والسد المنيع الذى يرد عادية النصرانية... ومن ذلك الحين تدخل سياسة الاسترداد الأسبانية فى طور جديد قوى. وتتقاطر الجيوش القشتالية لأول مرة منذ الفتح الإسلامى عبر نهر «التاجة» إلى أراضى الأندلس. تحمل إليها أعلام الدمار والموت. وتقطع أشلاءها تباعا فى سلسلة لا تنقطع من الغزوات والحروب[١].

وفى صقلية كان «روبرت جوسكارد» وأخوه «روجر» يعملان لانتزاع الجزيرة من أيدى المسلمين أما «جنوا» و«بيزا» – جزيرتان من جزر إيطاليا – فقد دأبت أساطيلهما على مهاجمة المسلمين فى كورسيكا وسردينيا فضلا عن الموانى الإسلامية فى شمال إفريقية[٢].

● بداية الحروب الصليبية:

لم يتوقف الأمر عند حد الاستيلاء على بعض المدن الإسلامية فى بلاد

(١) مختصر من مقدمة كتاب بين الإسلام والمسيحية من ص ٢٩ – ٣٠.
(٢) الكامل فى التاريخ ١٠/ ١٤٢ أوروبا العصور الوسطى ٢/ ٤٢٦.

الأندلس بل إن العصبية الدينية قد لعبت دورا بالغ المدى حيث خرج النصارى من بلاد أوروبا فى حملات متتابعة يبتغون القضاء على الشرق الإسلامى. والذى يدل دلالة قطعية على العصبية أن النساء قد خرجن وكذا الأطفال يحملن الصلبان ويرغبون فى الاستشهاد حبا فى المسيح.

لقد كان انتصار المسلمين فى موقعة (مانزكرد) سببا من الأسباب التى جعلت البابا «جريجورى السابع» يوجه الدعوة فعلا إلى حكام الغرب لإرسال حملة صليبية جهة المشرق للأسباب الآتية:

١- تثبيت أركان الدولة البيزنطية لأنها حامية الروم من جهة الشرق.

٢- الرغبة فى توحيد الكنيستين الشرقية والغربية وإدخال الأولي فى حظيرة الثانية ليكون زعيمها البابا.

٣- تأمين طريق الحجاج إلى بيت المقدس - كما يزعمون - من الأتراك السلاجقة. إلا أن الظروف لم تساعد «جريجورى السابع» فقام بعده البابا «أوربان الثانى» (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) الذى رغب فى إتمام ما بدأه سلفه إلا أنه قصره على هدف واحد هو سيطرة البابوية على الدولة ومحاولة جعل الزعامة بالدرجة الأولي فى يدها، ولذلك فان الكيسيوس كومنين (١٠٨١ - ١١١٨م) - كان على بيزنطة - وعندما استنجد البابا لبى نداءه على الفور وأعلن الحرب الدينية ضد المسلمين فى مجمع كليرمونت (١٠٩٥م) فوجدت دعوته نجاحا[١].

ومع نهاية هذا القرن كانت الحملة الصليبية الأولى التى انقسمت إلى قسمين:

القسم الأول:

حملة العامة وكان جنودها الهمج والجهلة والفقراء وقد عاثوا فى الأرض فسادا وقد مروا ببيزنطة فى طريقهم فأتوا فيها كثيرا من الفساد حتى إنهم لم

---

(١) أوروبا العصور الوسطى ١/ ٤٢٦ - ٤٢٧ تاريخ العصور الوسطى ١٩٩ - ٢٠١، الحرب الصليبية الأولى ٥١ - ٥٣.

يتورعوا عن سرقة الكنائس التى صادفوها فارتاع الإمبراطور منهم وسهل لهم الطريق إلى آسيا الصغرى فوقعوا فريسة فى يد السلاجقة فقضوا عليهم.

القسم الثانى:

حملة الأمراء وعلى رأسها من القادة ما يلى:

(أ) فرسان اللورين وقائدهم «جود فرى بوايون» وأخوه «بلدوين».

(ب) فرسان إقليم «بروفنال» تحت زعامة «ريموند» أمير (تولوز) بصحبة «أدهمار» مندوب البابا.

(جـ) النورمان وعلى رأسهم «بوهيمند» وابن أخيه «تنكرد».

والتقت الفرق الثلاثة فى القسطنطينية وكان عددها بين الستين والمائة ألف. وقد ساعدهم على القدوم: الرغبة فى تأسيس إمارات لهم فى الشرق وتحقيق مكاسب اقتصادية وتفكك الدولة السلجوقية بعد وفاة «ملك شاه». وقد عبرت الجيوش إلى آسيا الصغرى فاستولت عليها ثم اتجهت إلى بلاد الشام. وأخذ كل جانب من الجيش الصليبى يحل فى إقليم ويستقل به أميره وفرسانه فكانت أول إمارة تأسست هى «أذاسا» أو «الرها» فى حوض الفرات الأعلى وقد استقل بها بلدوين سنة (١٠٩٨م) ثم فتح سائر إقليم الشام سنة (١٠٩٩م) وتكونت إمارتا أنطاكيا وبيت المقدس. وانتخب (جود فرى) ملكا على بيت المقدس يخضع له الأمراء الآخرون وبعد مدة أخرى استولوا على بلاد الساحل. وكان الباعث تأمين الساحل لتيسير الاتصال بأوروبا. وأعانتهم إيطاليا على ذلك نظير إعطائها ثلث الغنائم وتكونت بذلك إمارات صليبية أربع[1].

● جرائم الصليبيين فى هذه البلاد

تذكر كتب التاريخ أن الصليبيين أحاطوا بمدينة القدس وضغطوا على

---

(١) أوروبا العصور الوسطى ١/٤٣٦ - ٤٣٨ - تاريخ العصور الوسطى ٢٠٢ - ٢٠٤ الحرب الصليبية الأولى ٥١ - ٥٣.

أسوارها وصنعوا الآلات الحربية التى تساعدهم على فتحها. وفى الرابع عشر من يوليو سنة ١٠٩٩م تم فتح المدينة عنوة ودخل الصليبيون كالسيل الجارف فلم يجد المسلمون ملاذا يعتصمون به سوى الحرم الشريف وانثالت جموعهم إليه فتعقبهم الصليبيون بقيادة « تنكريد » وانضمت إليه قوات « ريموند الصنجلى » وأعملوا السيوف فى اللائذين بالحرم وسالت الدماء حتى خاضوا فيها إلى ركبهم وتحول المسجد الأقصى إلى بركة من الدماء كان منظرها مثيرا للمغيرين ونكثوا العهود. ومنها عهد قطعه « تنكريد » على نفسه لجماعة من العرب أمنهم على حياتهم ثم نقضه... وكانت الإباحة إلى حد عبر عنه المؤرخ الصليبى (وليم الصورى) بقوله: إنهم لم يرحموا شيخا لهرمه ولا عالما لفضله ولا طفلا لضعفه ولا امرأة لعجزها ووقع على اليهود الذين اعتصموا بكنيستهم وأديرتهم ما وقع على المسلمين(١).

يقول ابن الأثير (قتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاوز ذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخر نيفا وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء(٢).

● المصريون يحاولون نجدة بيت المقدس وأهله.

فى أغسطس سنة ١٠٩٩م وفى رمضان سنة ٤٩٢هـ وصل خبر خروج المصريين لنجدة بيت المقدس من أيدى الصليبيين فأرسل (جود فرى) إلى أمراء الصليبيين فى الشام لنصرته فاجتمعوا وهزم « الأفضل » فدخل عسقلان ومضى

---

(١) الحرب الصليبية الأولى ١٧٩ - ١٨١ بتصرف.
(٢) الكامل ١٠/ ٢٧٣ - ٢٨٤.

جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز فأحرق الفرنج الشجر حتى هلك من فيه ومن خرج قتل[١].

● **القرن الثانى عشر الميلادى (نهاية الخامس الهجرى ومطلع السادس الهجرى).**

حاصر الصليبيون طرابلس من سنة ٤٩٨هـ الموافق ١١٠٥م حتى سنة ٥٠٣هـ حتى أتت جيوش من الفرنجة متجهة إليها واتحدت الجهود لضرب هذه البلدة فتم فتحها فى شهر ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ، ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والأطفال وغنموا من أهلها الأموال والأمتعة ومن كتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى، لأن أهلها كانوا من أكثر البلاد تجارة وأموالا وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم[٢].

وفى سنة ٥٠٤هـ (١١٠١م) ملك الفرنج مدينة «صيدا» حيث وقع أهلها صلحا مع الفرنج مقابل عشرين ألف دينار فأفقرهم واستغرق أموالهم[٣].

وفى سنة ٥٠٦هـ - ١١١٣م تابع «بلدوين» الغارات على دمشق ونهبها وخربها وانقطعت المواد عنها فغلت الأسعار فيها وقلت الأقوات[٤].

وفى سنة ٥١٣هـ - ١١٢٠م سار الفرنج إلى حلب فملكوا (بذاعه) وغيرها وخربوا بلدة «حلب» ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها إلا شهرا واحدا إلا أنهم - أى الفرنج - هزموا بعد ذلك.

وفى هذا العام خرج «جوسلين» على رأس جمع من الفرنج نحو مائتى فارس من طبرية فكبس طائفة من «طى» يعرفون ببنى خالد فأخذهم وأخذ غنائمهم وأراد القضاء على بقية قومهم بوادى السلالة - بين دمشق وطبرية - إلا أنهم هزموا هناك[٥].

---

(١) الكامل ١٠/ ٢٨٦ - الحرب الصليبية الأولى ١٩٣.
(٢) الكامل ١٠/ ٤٧٦.
(٣) الكامل ١٠/ ٤٨٠.
(٤) الكامل ١٠/ ٤٩٥.
(٥) الكامل ١٠/ ٥٥٢ : ٥٥٦.

وفى سنة (٥١٧هـ - ١١٢٤م) تملك الفرنج حصن الأثارب من أعمال حلب وسبب ذلك أن الفرنج أكثروا من قصد حلب بالإغارة والتخريب والتحريق وكان على حلب «بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق» الذى صالح الفرنج لضعفه على أن يعطيهم هذا الحصن. وفى نفس العام سار بعضهم إلى جزيرة «قوصره» ففتحوها وقتلوا من بها وسبوا وغنموا وساروا عنها إلى إفريقية(١).

وفى عام (٥٣١هـ - ١١٣٧م) خرج حاكم القسطنطينية راكبا لنصرة الصليبيين فى الشام، إلا أنه عدل المسيرة فاتجه إلى أنطاكية وهى له على ساحل البحر، منتظرا بقية سفنه من أطراف الدولة حتى وصلت فسار إلى نيقية وحاصرها وبعد أن تعذر عليه فتحها قام القساوسة ينادون الجيش قائلين «أنتم يا من نذرتم أنفسكم لله وخلفتم وراءكم وتركتم كل شىء فى سبيل حب الله ستكون الحياة الأبدية من نصيب من يستشهدون فى هذه المعركة فاهجموا بدون تردد على أعداء الله الحى، وسيكون النصر حليفكم بعون الله» ولكى يزرع القواد الخوف فى نفوس الأتراك المحاصرين فى المدينة عمد «ريموندسان» إلى قطع رؤوس الأسرى المسلمين الذين وقعوا بين يديه وأمر بإلقائها بواسطة المقاليع وسط «نيقية» وأخيراً صالحه أهلها على مال يؤدونه إليه، ثم استولى على مدينة «أدنة» ومدينة «المصيصة»(٢).

وفى سنة (٥٣٢هـ - ١١٣٨م) صار نفس القائد إلى الشام حتى قصد «بزاعة» - مدينة تبعد عن حلب ستة فراسخ - فقاتل أهلها وملكها بالأمان فى الخامس والعشرين من رجب، ثم غدر بأهلها فقتل منهم وأسر وسبى وحملوا كثيرين على التنصر حتى بلغ عددهم أربعمائة نفس، وأقام الروم بعد ملكها يطلبون من اختفى فقيل لهم إن جمعا كثيرا من أهل هذه الناحية قد نزلوا إلى المغارات فدخلوا عليهم وأهلكوهم فى المغارات(٣).

---

(١) الكامل ١٠/ ٦٠٩: ٦١٢.
(٢) الحروب الصليبية فى الشرق ص ١٠٧.
(٣) الكامل ١١/ ٥٥: ٥٦.

وفى سنة (٥٣٧هـ - ١١٤٣م) خرج الفرنج من صقلية إلى المغرب فوصلوا إلى « جيجل » فلما رآهم أهل البلد هربوا منها إلى البرارى والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموا وأحرقوا كل ما أمكنهم[١].

وفى سنة (٥٤١هـ - ١١٤٦م) استولى الفرنج فيها على طرابلس الغرب عنوة بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم وأموالهم وهرب من قدر على الهرب[٢].

وفى سنة (٥٤٨هـ - ١١٥٢م) سار أسطول « رجار » ملك الفرنج بصقلية إلى مدينة بونة وكان عليه فتاه « فيليب المهدوى » فأخذ المدينة وسبى أهلها وملك ما فيها وتغاضى عن العلماء من المسلمين وعن أولادهم معهم، ثم عاد إلى صقلية فقبض « رجار » عليه لما اعتمده من الرفق بالمسلمين فى « بونة »، ثم جمع الأساقفة والقسوس والفرسان فحكموا عليه بالحرق فأحرق فى رمضان. وفى نفس السنة تم الاستيلاء على عسقلان وسلبت ونهبت[٣].

وفى سنة (٥٥١هـ - ١١٥٦م) كان « رجار » قد فتح بعض المدن فى شمال أفريقية ومنها « سفاقس » وولى عليها « عمر بن أبى الحسن الفريانى » وأخذ والده « أبا الحسن الفريانى » عنده رهينة بصقلية ثم تولى « غليام » ولد « رجار » واشتغل عمر بالدفاع عن المسلمين فأرسل « غليام » يهدده فأبى التهديد وانتهى الأمر بقتل « أبى الحسن الفريانى » صبرا على الصليب[٤].

وقد يسر الله أسباب النصر للمسلمين فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى، حيث انتصر المسلمون على الفرنج فى دمياط سنة (٥٦٥هـ - ١١٧٠م) وكذلك أغار صلاح الدين على عسقلان والرملة وربض

---

(١) الكامل ١١ / ٩٢.
(٢) الكامل ١١ / ١٠٨.
(٣) الكامل ١١ / ١٨٧.
(٤) الكامل ١١ / ٢٠٣ - ٢٠٤.

غـزة وهزم ملك الفـرنج هناك سنة (٥٦٦هـ - ١١٧٠م) وانتـصـر أهل مـدينة (حماة) على الفرنج سنة (٥٧٤هـ - ١١٧٨م) وانتصر الملك العادل على جيش جيوش «البرنس» صاحب الكرك سنة (٥٧٨هـ - ١١٩٢م) وفتحت طبرية على يد صـلاح الدين سنة (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) ثم اتجـه صـلاح الدين إلى عكا فحاصرها وأخرج أهلها بالأمان، على أن لهم ما يشاءون حمله، ثم حاصر عسقلان وفتحها صلحا فى النهاية وفتح ما يجاورها من الرملة وغزة ومشهد إبراهيم الخليل ويبنى وبيت لحم.. الخ[١].

● **فتح بيت المقدس.**

على أثر الانتصارات السابقة فر الصليبيون إلى بيت المقدس فاتجه إليه صلاح الدين برا وكان أسطوله يسير فى البحر حتى وصل القدس، وكل يحرص على الموت فى سبيل التمكين، حتى انتهى الأمر بنصر الله لصلاح الدين وأعطى الأمان للصليبيين بإتاحة الخروج شريطة أن يدفع الرجل عشرة دنانير غنيا كان أم فقيرا والطفل من الذكور والإناث دينارين والمرأة خمسة دنانير.. إلا أن الفرنج خانوا أثناء خروجهم فتنكر بعضهم فى زى المسلمين وبعضهم طلب الأمان لنفسه وأولاده مع العفو، وأطلق (باليان بن بيرزان) ثمانية عشر ألف رجل مقابل ثلاثين ألف دينار وخرجت نسوة بعض الملوك ممن ترهبن يحملن كل ما ملكت أيديهن دون مقابل..[٢].

وقد حاول الصليبيون استعادة بيت المقدس سنة (٥٩٣هـ-١١٩٧م) بأمر من (هنرى السادس) ولكن الحملة لم توفق.

● **القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى وما فعله الصليبيون ببلاد المسلمين.**

فيه اجتمع ما يقرب من ثلاثين ألف طفل من أطفال فرنسا وألمانيا وغيرها

---

(١) راجع الكامل ١١/ ٣٥١ - ٥٤٦.

(٢) تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب ٢١٣ / ٢١٤، أوروبا العصور الوسطى ١/ ٤٤١، الكامل ١١/ ٥٤٦: ٥٥٢.

سنة (١٢١٢م) وطلبوا الذهاب إلى الأراضى المقدسة لحرب المسلمين بعد أن ادعى طفل تلقيه رسالة من المسيح يأمره فيها بالخروج لحرب المسلمين وأيدهم رجال الدين ظانين أن هؤلاء قد يفعلون ما لا يفعله البالغون إلا أن الحملة باءت بالفشل وأسر الأطفال فى البندقية وتم بيعهم فى أسواق تونس والشرق[١].

وقد حث البابا « أنسونت الثالث » ثم البابا « هنريوس الثالث » (١٢١٦ - ١٢٢٧م) على خروج حملة اتجهت إلى مصر واستولت على دمياط سنة (١٢١٩م) ولكن الله نصر الملك الكامل عليهم للخلاف الذى دب بين صفوف الفرنج. فخرجوا بعد الهزيمة وعقد معهم هدنة مدتها ثمانى سنوات[٢].

وقد كان لهذه الهزيمة أثرها على البابوية فرغبت فى عمل حاسم للقضاء على المسلمين. حيث حث فى الغرب (فردريك الثانى) بن (هنرى السادس) ملك الدولة الرومانية المقدسة على القيام بحملة صليبية مقدسة، كما سهل له الزواج من وريثة مملكة بيت المقدس ليجعل له مصلحة خاصة فى الذهاب إلى الشرق، فخرج الإمبراطور سنة (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) وما أن وصل الساحل الفلسطينى حتى سمح له الملك الكامل بالاستيلاء على بيت المقدس دون حرب لأن الكامل كان يخاف حكام المسلمين فى بلاد الشام. فتنازل عن بيت لحم وشريطا ساحليا ضيقا على أن يحتفظ المسلمون بالمسجد الأقصى ويسمح لهم بالتردد عليه[٣]. إلا أن الله يسر الأسباب للملك الصالح - مستعينا بالأتراك والخوارزميين - فى الاستيلاء على بيت المقدس للمرة الأخيرة سنة (١٢٤٤م) وبذلك لم تعد هذه المدينة للصليبيين مرة أخرى[٤].

ومع شدة الخلاف فى أوروبا وعظم الاضطرابات فيها إلا أن ذلك لم يمنع

---

(١) الحركة الصليبية ٢/ ٩٥٤ : ٩٥٦.
(٢) تاريخ العصور الوسطى ٢٢٤ - أوروبا العصور الوسطى ١/ ٤٤٦.
(٣) تاريخ العصور الوسطى ٢٢٥ أوروبا العصور الوسطى ١/ ٤٤٧.
(٤) أوروبا العصور الوسطى ١/ ٤٤٧.

ملك فرنسا لويس التاسع (١٢٢٦م - ١٢٧٠م) من القيام بحملة صليبية ضد مصر سنة (١٢٤٩م) دون اعتبار بما وقع لأسلافهم إلا أن الحملة باءت بالفشل وانتهت بهزيمتهم عند المنصورة وأسر لويس التاسع ثم أفرج عنه بمقابل مادى سنة (١٢٥٠م).

وبعد عودة (لويس التاسع) إلى بلاده قصد أن يأتى ثانية إلى مصر من جهة الغرب عن طريق تونس فالصحراء ولكن المرض فتك بهذا الجيش ومات لويس قبل أن يبدأ السير نحو مصر سنة (١٢٧٢م) ولم يبق للصليبيين بالشام إلا عَكاً على الساحل وقد حرص المماليك على إزالة آثار الصليبية فى الشام. فقام بيبرس بتطهير هذه الأماكن حتى سقط آخر معقل للمسيحيين (عكا) فى أواخر القرن الثالث عشر على يد الملك الأشرف خليل بن قلاوون سنة (١٢٩٢م).

● ما أصاب المسلمين فى بلاد الأندلس فى هذا القرن (السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى).

بانتصار أسبانيا الصليبية على دولة الموحدين فى موقعة العقاب سنة (٦٠٩هـ) بدأوا متتابعين فى غزو بلاد الإسلام فى الأندلس. وتتابع سقوط القواعد الإسلامية فسقطت جزيرة «ميورقة» سنة (٦٢٧ هـ - ١٢٢٩م) «وأبدة» سنة (٦٣١هـ - ١٢٣٣م) و«قرطبة» سنة (٦٣٣ هـ - ١٢٣٦م) و«بياسة» و«أستجة» و«المدور» سنة (٦٣٤هـ - ١٢٣٧م) و«لقنت» (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) و«شاطبة» و«دانيه» (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) و«لقنت» و«أريوله» و«قرطاجنه» سنة (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) و«مرسيلة» (٦٤١هـ - ١٢٤٣م)، جيان (٦٤٤هـ - ١٢٤٦م) و«أشبيلية» (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) واجتاحت غرب الأندلس فى الوقت نفسه موجة مماثلة من الغزو النصرانى فسقطت «بطليوس» سنة (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨م) و«مـــــادة» (٦٢٨هـ - ١٢٣٠م) و«شلب» (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) وشنتمورية الغرب (٦٤٧هـ - ١٢٤٩م) و«ولبه» سنة (٦٥٥هـ - ١٢٥٧م) ثم سقطت قادس سنة (٦٦٠ هـ - ١٢٦٢م) وتلتها شريش سنة (٦٦٢ هـ - ١٢٦٤م).

وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها قد سقطت فى يد أسبانيا النصرانية ولم يبق من تراث الدولة الإسلامية بالأندلس سوى بعض ولايات صغيرة فى طرف أسبانيا الجنوبى[1] .

● صراع الفكر فى الفترة السابقة والتراث الذى وصل إلينا .

أشرت إلى صراع الفكر منذ بدء الدعوة الإسلامية . وكيف كانت الوفود النصرانية تجادل وتكابر دون أن تصل إلى ما تريد . ولم يتوقف الأمر على فترة وجود النبى ﷺ بمكة والمدينة بل إن الأمر ظل قائما وقد قام كثير من علماء المسلمين بتأليف كتب فى نقد عقائد أهل الكتاب أو فى الرد عليها . ومن هؤلاء العلماء :

١- الإمام الجوينى إمام الحرمين فى كتابه شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل .

٢- أحمد بن عبد الله بن سلام الذى ترجم لهارون الرشيد التوراة والإنجيل .

٣- اليعقوبى توفى سنة ٢٩٢هـ فى الجزء الأول من تاريخه .

٤- الطبرى توفى سنة ٣١٠هـ تناول شيئا من دعوة المسيح فى الجزء الثانى من تاريخه .

٥- الأشعرى توفى سنة ٣٢٤هـ فى كتابه مقالات الإسلاميين .

٦- المسعودى توفى سنة ٣٤٦هـ ذكر لمعاً عن أخبار ملوك المتنصرة (مروج الذهب ١ / ١٥٢) والمقالات فى أصول الديانات (مفقود) .

٧- البيرونى (الآثار الباقية عن القرون الخالية) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة .

---

(١) من مقدمة كتاب بين الإسلام والمسيحية للأستاذ الدكتور محمد شامة ص ٣٧ ط٢ مكتبة وهبة .

٨- الشهرستانى سنة ٥٤٨هـ فى كتابه (الملل والنحل) حيث ذكر الفرق والخلاف بينها وأصل نشأتها بالنسبة للمسلمين ولغير المسلمين.

٩- ابن حزم فى كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) وهو من أقوى الكتب وأطيبها وقد اعتمد عليه كثير من الباحثين فى الأديان بعده إلى وقتنا هذا.

١٠- الإمام الغزالى فى كتابه (الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الانجيل).

١١- أبو القاسم القيس فى كتابه (الرد على النصارى).

١٢- أبو عبيدة الخزرى فى كتابه (الفاصل بين الحق والباطل). أو الرد على النصارى. وهو الكتاب الذى تم تحقيقه على يد الأستاذ الدكتور محمد شامه، وقد اختار له عنوان (بين الإسلام والمسيحية) لأبى عبيدة الخزرجى.

١٣ - أبو الفضل المالكى المسعودى فى كتابه (تخجيل من حرف الإنجيل).

١٤ - القرطبى فى كتابه (الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام).

١٥- القرافى فى (الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة) ويمكن الرجوع إلى مقدمة كتاب «الرد الجميل للغزالى» طبع مجمع البحوث الإسلامية للمزيد من هذه المؤلفات وكذلك كتاب «الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى» د. عبد المجيد الشرفى.

* * *

ترجمة مختصرة

لحياة الإمام القرافي



القرافـــى

اسمه : أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس . الملقب بشهاب الدين .

ألقابه :

(أ) الصنهاجى نسبة إلى صنهاجة إحدى القبائل البربرية من المغرب العربى وقد نزح من أبنائها الكثير إلى مصر .

(ب) البهنسى . نسبة إلى مدينة بهنسا إحدى قرى الصعيد تقع غرب النيل .

(جـ) القرافى . إما نسبة إلى قبيلة أصلها مغربى سكنت مصر وعرفت المنطقة باسمها .

أو نسبة إلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعى الآن بالقاهرة) حيث كان شهاب الدين يمر بها أثناء خروجه لطلب العلم . وقد تأخر مرة ولم يتذكر كاتب الأسماء اسمه فكتبه القرافى نسبة إلى جهة الحضور فصارت لقبا له .

تاريخ ميلاده : غير وارد فى كافة كتب التراجم التى تناولت اسمه بالبيان .

أساتذته :

رغم ما أصاب الديار المصرية فى هذا القرن من عداء سافر لأهلها . ومع تكرار الحملات الصليبية على بلدان الإسلام إلا أن الحركة العلمية كانت غاية فى الازدهار فى مصر، حيث لجأ كثير من علماء الشام والأندلس إلى مصر . وعقدت الندوات وألقيت المحاضرات فى المساجد لكبار الدعاة إلى الله وأساطين العلم وقد نال القرافى العلم على يد كل من :

١- العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء . وقد لازمه من سنة ٦٣٩هـ حتى سنة ٦٦٠هـ والتى توفى فيها العز بن عبدالسلام .

٢- الشيخ الشريف الكركى.

٣- أبى عمر بن الحاجب.

٤- القاضى شمس الدين بن عبد الواحد.

٥- زكى الدين بن عبد العظيم المنذرى.

٦- شمس الدين الخسرو شاهى.

٧- شرف الدين الفاكهانى.

٨- أبى عبد الله الباقورى.

وقد تناول هؤلاء العلماء بالترجمة وبيان المنزلة العلمية لهم الدكتور عبد الله ابراهيم صلاح فى رسالته للدكتوراة بعنوان (الإمام شهاب الدين القرافى وأثره فى أصول الفقه).

كما تناول ترجمته كثير من الباحثين الذين حصلوا على رسائل ماجستير ودكتوراه فى تحقيق مؤلفاته فى كلية الشريعة والقانون بالقاهرة.

زملاء القرافى:

وقد نبغ فى هذه الفترة الزمانية بعض المشهود لهم بالقيمة العلمية والمعدودين من العلماء. وعلى رأس هؤلاء: تقى الدين بن دقيق العيد، صدر الدين سليمان بن أبى العز، أحمد بن المنير السكندرى، عبد الوهاب وجيه الدين البهنسى، شهاب الدين الأصفهانى. وغير هؤلاء.

أشهر التلاميذ:

تقى الدين بن بنت الأعز، محمد أبو عبد الله الباقورى، أبو العباس أحمد المقدس، إبراهيم بن يخلف التونسى، تاج الدين الفاكهانى، محمد بن راشد التونسى.

مؤلفاته:

كثيرة ومتنوعة منها المخطوط ومنها المطبوع وقد جمعها بعض المحققين وورد ذكر بعضها فى التراجم وجمعها وصنفها البعض الآخر وهى على حسب تصنيفها كما يلى:

أولا : مؤلفات فى الديانات المقارنة :

١- الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة .

٢- أدلة الوحدانية فى الرد على النصرانية .

ثانيا : فى العقائد :

٣- الانتقاد فى الاعتقاد .

٤- شرح الأربعين فى أصول الدين للفخر الرازى .

ثالثا : كتب الفقه :

٥- الاستغناء فى أحكام الاستثناء .

٦- الأمنية فى إدراك النية .

٧- البيان فى تعليق الأيمان .

٨- شرح التهذيب للبرازعى .

٩- شرح الجلاب .

١٠- الذخيرة فى الفقه المالكى .

١١- اليواقيت فى أحكام المواقيت .

رابعا : كتب أصول الفقه :

١٢- الأحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضى والإمام (طبع) .

١٣- تنقيح الفصول فى علم الأصول وهو مقدمة الذخيرة .

١٤- شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول - طبع .

١٥- العقد المنظوم فى الخصوص والعموم فى الأصول .

١٦- الفروق ويعرف بالقواعد أيضا واسمه العلمى (أنوار البروق فى أنواء الفروق) .

١٧- نفائس الأصول فى شرح المحصول .

١٨- الاحتمالات المرجوحة.

خامسا: كتب الدراسات العقلية:

١٩ - الاستبصار فى مدارك الأبصار. ومن عناوينه: الاستبصار فيما يدرك بالأبصار. الأبصار فى مدركات الأبصار.

٢٠- المناظر فى الرياضيات.

سادسا: منوعات:

٢١- الأجوبة على الأسئلة الواردة على خطب ابن نباتة.

٢٢- البارز للكفاح فى الميدان.

٢٣- المنجيات والموبقات، فى الأدعية وما يجوز منها وما يحرم وما يكره.

٢٤- التعليقات على المنتخب.

٢٥- الخصائص فى قواعد العربية.

أراء العلماء فيه

يقول ابن فرحون فيه:

إنه الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره أحد الأعلام المشهودين. انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك - رحمه الله تعالى - وجدّ فى طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى. فهو الإمام الحافظ والبحر اللافظ.... دلت مصنفاته على غزارة فوائدة، وأعربت عن حسن مقاصده، جمع فأوعى وفاق أترابه جنسا ونوعا.

كان إماما بارعا فى الفقه والأصول والعلوم العقلية وله معرفة بالتفسير كان أحسن من ألقى الدروس. وحلى من بديع كلامه نحور الطروس... سارت مصنفاته مسير الشمس... كم حرر مناط الأشكال. وفاق أضرابه النظراء والأشكال وألف كتبا مفيدة انعقد على كمالها لسان الإجماع. وتشنفت بسماعها الأسماع...

قال الشيخ : شمس الدين بن عدلان الشافعى . أخبرنى خالى الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافى حرر أحد عشر علما فى ثمانية أشهر أو قال ثمانية علوم فى أحد عشر شهرا .

وذكر عن قاضى القضاة تقى الدين بن شكر قال : أجمع الشافعية والمالكية على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة : القرافى بمصر القديمة . والشيخ ناصر الدين بن منير بالإسكندرية . والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد بالقاهرة المعزية وكلهم مالكية خلا الشيخ تقى الدين فإنه جمع بين المذهبين.

وكان القرافى رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين :

وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت　　فى جـو باطنك العلوم الشـرد
فاحذر مناظرة الحسود فإنما　　تغتاظ أنت ويستفيد ويحرد

وكان كثيرا ما يتمثل بقول محى الدين. المعروف بحافى الرأس.

عتبت على الدنيا لتقديم جاهل　　وتأخير ذى علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى وكل فضيلة　　فأبناؤها أبناء ضرتى الأخرى[1]

وفاتـــــه :

بعد حياة عامرة بالجد والإخلاص . وبذل كل جهد ممكن فى تبليغ الدعوة ودرأ الشبهات شاءت إرادة الله أن يلقى هذا العالم ربه فى جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وستمائة ودفن بالقرافة[2] .

---

(١) الديباج المذهب مختصراً ١/ ٢٣٦- ٢٣٩، وحسن المحاضرة ١/ ٣١٦ وشجرة النور الزكية ١/ ١٨٨ .

(٢) الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٢٣٩ وحسن المحاضرة ١/ ٣١٦ تاريخ الإسلام للذهبى ١/ ٩٨ وروضات الجنات ١/ ٣٣٦ - الأعلام ١/ ٩٤ كشف الظنون ١/ ٨٢٥.

بسم الله الرحمن الرحيم. قال الشيخ الإمام العالم العلامة جامع أشتات الفضائل شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافى المالكى: [١].

الحمد لله العظيم من غير عدد[٢]. الباقى من غير مدد. الكبير من غير جسد[٣]. المنزه عن الصاحبة والولد[٤]. المتعالى فى ذاته وصفاته عما يقوله من عاند وجحد[٥]. الواحد الصمد الذى لم يلد. ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد[٦]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يسعد قائلها إلى الأبد[٧]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بالتفصيل على جميع الملائكة

---

(١) البدأ بالبسملة حتى كلمة المالكى مأخوذ عن النسخة التيمورية. والراجح أن كاتب النسخة هو الذى ابتدأ بهذا الافتتاح. حيث إنه لا يعقل أن يتحدث القرافى عن نفسه بقوله (قال العالم العلامة... الخ. وقد أثبتها للتبرك بالبسملة كما ورد فى الحديث الشريف (كل عمل لا يبدأ باسم الله فهو أقطع).

(٢) المراد بالعدد هنا التركيب من أجزاء.

(٣) هكذا يعتقد المسلمون بأن الله ليس كمثله شىء، وأنه لا يعلم ذات الله إلا الله. ومن هذا المنطلق دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى الانصراف عن التفكير فى كنه الذات وأمرهم بالتفكر فى خلقه وفى الحديث (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله).. (تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق) راجع فيض القدير. وقد ذكر العلامة المناوى أن هذه الأحاديث فيها ضعف ويقوى بعضها بعضا لتعدد طرقها.

(٤) اقتباساً من قول الله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الانعام: ١٠١].

(٥) غلبة المراد أنهم اليهود والنصارى الذين أشركوا معه غيره. أو قالوا بحلوله واتحاده. أو تكون من ثلاثة أشخاص.. الخ.

(٦) اقتباساً من قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

(٧) وفى الحديث (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) شريطة العمل بلازمها دون القول باللسان فقط. والحديث فى صحيح مسلم ك الإيمان ب ١٠ رقم ٢٢.

والبشر انفرد(١). صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أعز الله بهم التوحيد وشيد. ووفقهم لنفائس العلوم الربانية وأيد. شهادة أنجو بها فى الدارين(٢) وأسعد.

أما بعد. فإن بعض النصارى(٣) قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيرا أن غيره هو القائل. وأنه هو السائل. مشتملة على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية فوجدته قد التبس عليه المنقول. وأظلمت لديه قضايا العقول. فإن كتابنا العزيز(٤) وكتبهم(٥) دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم. وأنا أبين ذلك إن شاء الله تعالى فى أربعة أبواب:

الباب الأول.

فى بيان ما التبس عليه من القرآن الكريم متتبعا فيه رسالته حرفا حرفا إلى آخرها.

---

(١) هذا هو رأى الجمهور. وفى الحديث (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) المستدرك ٢/ ٦٠٤.

(٢) أى دار الدنيا والآخرة وتسمية الأولى دارا من باب التغليب للآخرة على الأولى. وتسمية الآخرة دارا صرح به القرآن الكريم في أكثر من موطن قال تعالى ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣].

(٣) التسمية بنصارى ونصرانى مردها إلى أمور منها:

(أ) نصرتهم للسيد المسيح كما ورد في القرآن ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ [الصف: ١٤].

(ب) قرية الناصرة. كما سمى المسيح عليه السلام فى الإنجيل بيسوع الناصرى.

(جـ) نصرة بعضهم لبعض بعد وفاة المسيح خاصة.

والأرجح أن النسبة راجعة إلى نصرتهم للسيد المسيح ثم صارت علما على أتباعه بعد وفاته. الكشاف ١/ ٢٨٥ – القرطبى ١/ ٤٣٤ – البحر المحيط ١/ ٢٤١.

(٤) بهذا وصف القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢].

(٥) الجمع راجع إلى المحتوى حيث إن النصارى يرون مرجعهم الأول فى الكتاب المقدس وهو يحتوى على عهدين – قديم – جديد – وكل عهد يحتوى على مجموعة كتب فى حصرها خلاف بين علماء اللاهوت. نظرا للتسليم ببعضها ورفض البعض الآخر.

الباب الثانى :

فى أسئلة لأهل الكتاب[1]– النصارى واليهود[2] عادتهم يتولعون

(١) هكذا سمى أتباع موسى وعيسى – عليهما السلام – بأهل الكتاب. وأمر الرسول ﷺ أن يخاطبهم بهذا. قال تعالى: ﴿ **قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ [آل عمران: ٩٩].

(٢) هذه التسمية ورد عنها فى كتب اللغة وكتب التفسير ما يلى. قال مؤلف لسان العرب. الهود التوبة. يقال هاد يهود هودا. تاب ورجع إلى الحق فهو هائد. وفى التنزيل ﴿ **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك** ﴾ [الأعراف: ١٥٦] – وقال تعالى: ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر** ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. معناه دخلوا فى اليهودية. وهَوَّد الرجل حوله إلى اليهودية. وهاد يهود إذا صار يهوديا. قال سيبويه وفى الحديث «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه» (خ٢ / ١١٨ – مسلم – القدر ب ٦ رقم ٢٢).

والحديث معناه إنهم يعلمانه دين اليهود أو النصرانية ويدخلانه فيه – لسان العرب. مادة هود. ١٥ / ٤٣٩.

وفى تاج العروس (اليهود) اسم قبيلة. وإنما اسمها يهوذا فعربت بقلب الذال دالا. وقالوا اليهود فأدخلوا الالف واللام على إرادة النسب. قال تعالى: ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى** ﴾ [البقرة: ١١١] وجمع اليهودى يهود. كما يقال فى المجوسى مجوس.. تاج العروس. مادة هَوَدَ ٩ / ٣٥٣.

قال الطبرى. إنما سمى اليهود يهودا من أجل قولهم «إنا هدنا إليك..»

وقال الفخر الرازى: (هادوا) اختلف فى اشتقاقه على وجوه منها:.

(أ) إنما سموا به حين تابوا من عبادة العجل وقالوا: إنا هدنا إليك أى تبنا ورجعنا.

(ب) سموا به نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب. وإنما قالت العرب بالدال فإن العرب إذا نقلوا أسماء من العجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها.

(جـ) قال أبو عمرو بن العلاء: سموا بذلك لأنهم يتهودون أى يتحركون عند قراءة التوراة. مفاتيح الغيب ٣ / ١٠٥ ط ٢ دار الكتب العلمية. طهران.

قال الألوسى: هادوا أى تهودوا. يقال هاد وتهود إذا دخل فى اليهوية. ويهود إما معربة من هاد إذا تاب. سموا بذلك لأنهم تابوا من عبادتهم العجل ووجه التخصيص كون توبتهم أشق الأعمال كما مر. وإما معرب (يهوذا) كأنهم سموا بأكبر أولاد يعقوب – عليه السلام – الألوسى ١ / ٢٧٨.

وقد سمى الله أتباع كل رسالة بما تسموا به. قال تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقد صارت التسمية علما بالغلبة. وعند إطلاقها تنصرف إلى أهلها. وفى تحديدهم خلاف يمكن الرجوع إليه فى الكتب المعنية بذلك.

بإيرادها غير أسئلة الرسالة المذكورة. والجواب عنها. ليكون الواقف على هذا الكتاب قد أحاط بجميع ما يسأل عنه أهل الكتاب وأجوبته الحقيقية اليقينية.

الباب الثالث:

فى معارضة أسئلتهم بمائة سؤال أوردتها على الفريقين يتعذر عليهم الجواب عنها [1].

الباب الرابع:

فى إبداء ما فى كتبهم مما يدل على صحة ديننا وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة [2] والسلام. ليكون استدلالهم الباطل معارضا [3] باستدلالنا الصحيح على ما تقف عليه – إن شاء الله تعالى – فتكمل الأجوبة بالمعارضة والنصوص المستخرجة من كتبهم.

وسميت الكتاب (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) [4] مستعينا بالله تعالى فى الأمر كله. وهو حسبى ونعم الوكيل [5].

* * *

(١) مراده بالجواب. أى المقنع الشافى الذى لا يعترض عليه بعد ذلك. وإلا فالإجابة على الأجوبة ممكنة وخاصة فى باب الجدل الدينى.

(٢) كلمة (الصلاة) مأخوذة عن النسخة التيمورية.

(٣) المعارضة هى: إقامة الدليل على خلاف ما أقام عليه الخصم. فإن اتحد دليلاهما فمعارضة بالقلب ومعارضة بالمثل. وإلا فمعارضة بالغير.

راجع الرسالة الرشيدية على الرسالة الشريفة فى آداب البحث والمناظرة للسيد الشريف على الجرجانى. ص٤، ٥.

(٤) هكذا وردت التسمية فى كشف الظنون صفحة ١/١١ – وكذلك معجم سركيس ١/١٥٠٢ مادة (القرافى) والديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٢٣٧ الأعلام ١/ ٩٠ هدية العارفين ١/٩٩.

(٥) من أدب الإسلام حيال كل أمر له رهبة ويرجى الغلبة للحق فيه أن يعتصم الإنسان بهذا القول وهو تأسى بقول الحق فى شأن الصحابة ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

الباب الأول

شبهات النصارى على المسلمين

فى الجواب عن الأسئلة على وجه الاختصار[١]. دون الإكثار[٢] فى الانتصار. فإن النصارى أمة أُمِّية[٣] وطائفة جهلاء. قد غلب عليهم التقليد. وتجنبوا محجة النظر السديد. حتى لا يبحثوا عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم[٤] ولا يتأملون ما يعتمده فى دينهم أكابرهم وطغاتهم[٥] ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية[٦] وجود لظهور فساده. وناهيك من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمه. وأن أمه قد ولدت خالقها[٧].

---

(١) فى هذا التعبير تواضع وهو يتضمن إيحاء بما وصل إليه علم الإمام القرافى حيال هذا الفن وإلا فالإجابة فى ذاتها فيها بسطة وسعة وقد عولجت فى غير هذا الكتاب بإيجاز بالغ لبعض العلماء المشتغلين بهذا الفن.

(٢) هذا من أدب المجادلة فكما أن الإيجاز الشديد مخل. فكذلك البسط ممل. ومن الآداب التى ذكرها العلماء عند إرادة المناظرة قولهم: أن يحترز عن التطويل لئلا يؤدى إلى الإملال. الرسالة الرشيدية ص١٠١.

(٣) ورد فى التيمورية. أمة عميا. والأرجح الوصف بالأمية لأن القرآن قد وصفهم بذلك قال تعالى فى حق أهل الكتاب ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** ﴾ [البقرة: ٧٨]

(٤) مرتبة من مراتب رجال الدين عندهم. وهى على الترتيب الآتى. شماس. قسيس. أسقف. مطران. بطريرك. بابا. وبعض الفرق لا تعتبر هذا الترتيب (راجع تاريخ الأقباط. زكى شنوده».

(٥) قضية الحل والحرمة من رجال الدين - اليهود والنصارى - صرح بها القرآن الكريم. قال تعالى فى شأن أهل الكتاب ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣١].
وقد أنكر النصارى هذه الآية فى زمن النزول وأتوا إلى الرسول ﷺ منكرين. فقال لهم الرسول.. أليسوا يحلون لكم ويحرمون عليكم.. ؟ قالوا: بلى قال فذلك ربوبيتكم إياهم ومازالت المجامع تلعب دورا كبيرا فى تقرير العقائد والإلزام بها. ومنها: اتخاذ القرار بألوهية عيسى والروح القدس وقدسية العذراء... الخ.

(٦) الدين هنا مراد به التسمية اللغوية دون اصطلاح علماء المسلمين.

(٧) بدأ يوحنا إنجيله بهذا المقطع. فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله. كل شىء به كان. وبغيره لم يكن شىء مما كان - (يوحنا صح١: ١- ٣).

من تلك الغفلات[١] ما قد حكى المسيحى فى تاريخه وغيره. أن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما يعتقدونه فى دينهم عشر مرات بالقسطنطينية والأسكندرية. ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مدة. وكفروا من يعتقده وأثبتوا غيره. فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفهتم لا لرسالات ربهم[٢].

ومنها أنهم فى بلاد الروم بأسرها. كبرشلونة[٣] وبركونة[٤]. ومرسيلية[٥].

---

(١) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٢) لم يكتب الإنجيل النازل على عيسى -عليه السلام- بين يديه. ولم تجتمع هيئة علمية لتكتب ما نزل. مطابقة بين المحفوظ فى الصدور والسطور. لان المسيح - عليه السلام - لم يامرهم بكتابة الإنجيل ولم يوصهم بحفظه. وبرفع المسيح - عليه السلام- بدأ الخلاف بين الحواريين حول قيامته ورؤية ذلك وعودته، كما دار الخلاف حول طبيعة السيد المسيح ومنزلته عندهم. واشتد الخلاف واحتدم. زاد من لهيبه غيبة النص المعصوم الذى يحفظ الأمة من الزلل. وإن زلت فإن الصفوة منها يرجعون إلى الميزان لقياس صحة الرأى وعدمه وأبرز الأمور التى دار حولها خلاف، وعقد من أجلها أول مؤتمر مسيحى (طبيعة السيد المسيح عليه السلام) وهل هو إله أو ابن له أو نور منه. هل هو قديم قدم الخالق أم حادث.. الخ.

ومن أبرز الآراء التى ظهرت مع مطلع القرن الرابع الميلادى. رأى آريوس الأسكندرى الذى أعلن توحيد الله. ونادى به وقرر أن المسيح مخلوق ليس أزليا. وقد نمت دعوته وراجت وكثر أتباعها. وعند ذلك جوبهت من كثيرين بالصدود. وعقد من أجل ذلك أول مجمع مسكونى بأمر الملك قسطنطين الكبير سنة ٣٢٥م فى مدينة نيقية (عاصمة بثينية بآسيا الصغرى) وقد حضره الملك بنفسه وافتتحه بخطاب دعا فيه إلى استخدام الحكمة فى فض المنازعة. ويمكن الوقوف على الحوار بين آريوس ومناظريه فى كتاب (تاريخ الكنيسة - الجزء الأول. ليوسابيوس القيصرى) وقد قرر المؤتمر قرارات عدة أهمها الإيمان بالوهية المسيح ومساواته للإله فى كافة الصفات. وإبطال رأى آريوس الأسكندرى القائل بالتوحيد. وإعلان النصف الأول من الأمانة المعتمدة عندهم الآن.

(٣) وردت هذه المادة. مرتين فى معجم البلدان. الأولى. برشانه - من قرب أشبيلية بالأندلس. الثانية برشليانه بلدة بالأندلس من أقاليم لبله وقيل إنها مقاطعة فى الجزء الشمالى الشرقى من أسبانيا. تقع على البحر الأبيض المتوسط مساحتها نحو (٧,٧٣٣ كم).

(٤) وردت فى موسوعة المورد. تاركونيا - بلدة فى أواسط إيطاليا. تقع على بعد أربعة أميال عن البحر التيرانى ترتقى أعتق معالمها الأثرية إلى القرن التاسع ق. م.

(٥) مرسيليا ميناء فرنسا الرئيسى. وكبرى مدنها بعد العاصمة باريس. تقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط. أسست حوالى عام ٦٠٠. ق. م أسمها ماسيليا.

وفرنسة[١]. وسائر مدن الفرنج لهم ثلاثة أيام فى السنة معلومة. يقول فيها الأساقفة للعامة سرقت اليهود دينكم واليهود ساكنون معهم فى البلاد فتنطلق العامة وأهل البلد بجملتهم يطلبون اليهود. فمن وجدوه قتلوه. وأى دار قدروا عليها نهبوها. واليهود تعلم تلك الأيام فتتحصن وتستعد لها فإذا فرغت تلك الأيام خرج الأسقف الكبير إلى ظاهر المدينة. فدخل إلى سرداب هناك. فقعد ساعة ثم خرج بحق عظيم محاط بالحلى والطيب. يزعم أن الدين فيه ويقول لهم: حلوا عن اليهود[٢]. فقد وجدت دينكم. فيتركون اليهود ويعاشرونهم بالمعروف إلى تلك الأيام بعينها. عاد الحال بحاله. وهذا مما أطبق عليه الفرنج [٣]. لا ينكرونه أبدا[٤].

---

(١) جمهورية فى الجزء الجنوبى الغربى من أوروبا. تعتبر أكبر البلدان الأوروبية باستثناء الاتحاد السوفيتى – سابقا – تحدها القناة الإنجليزية وبلجيكا ولوكسمبرج من الشمال. وأسبانيا والبحر الأبيض من الجنوب. والمحيط الأطلسى وخليج بسكاى من الغرب وألمانيا الغربية وسويسرا وإيطاليا شرقا. لغتها الرسمية (الفرنسية) وديانتها مسيحية كاثوليكية.

(٢) هذه الجملة من التيمورية لتتطلب السياق ذلك.

(٣) الفرنج. اصطلاح يطلق على القبائل الجرمانية التى نزلت فى القرن الثالث للميلاد على ضفاف نهر الراين الأوسط والأدنى. فتحت فى عهد الملك كلوفيس الأول بلاد الغال ووحدتها.. وقد وسع شارلمان حدود المملكة وجعل منها إمبراطورية واسعة. ولكن هذه الإمبراطورية ما لبثت أن انقسمت عام ٨٤٣ إلى مملكة الفرنكيين الشرقية ومملكة الفرنكيين الغربية وأصبحت المملكة الأولى ألمانيا. وأصبحت المملكة الثانية فرنسا والواقع أن اسم فرنسا مشتق من اسم الفرنكيين.

(٤) الخلاف بين اليهود والنصارى منشأه بعثة المسيح – عليه السلام – لأن اليهود كانوا ينتظرون مسيا «أى المخلص» الذى يجمع شتاتهم ويعيد مجدهم ويحكمهم بشريعة موسى عليه السلام. ولكن اليهود رأوا فى دعوة المسيح مغايرة. فلقد حرم تعدد الزوجات – كما نسب إليه – وحرم الطلاق. وترك الختان. وحرم القصاص. وكره المال. وترك الزانية دون عقاب. وأعلن نفسه نبيا لمن دعاهم فضاقوا به ذرعا. وظل العداء مستحكما. حتى صلب بزعم اليهود والنصارى.

وظل طلب الثأر قائما بين النصارى واليهود. حتى صدر مرسوم من الفاتيكان فى أواخر الستينيات من القرن العشرين الميلادى (١٩٦٧م) بتبرئة اليهود من دم المسيح فهدأت حدة الخلاف والتقى الطرفان لمجابهة الإسلام وأتباع الإسلام بالسيف والكلمة، عن طريق اليهود والنصارى.

ومما أطبق عليه النصارى فى أحكامهم فى كرسى مملكتهم بعكا[١]. أن أحدهم إذا ادعى على آخر قتلا حلقوا رأس الاثنين. ودفعوا لكل واحد منهما باسليقا[٢] وقرنا محدد الطرف. وخرج مع نائب ولى الأمر إلى مدينة تورا[٣]. يجتهد كل واحد منهما أن يضرب صاحبه بالباسليق فى قرعته. فمن ظفر بصاحبه فصرعه برك على صدره وغرس ذلك القرن فى عينه[٤]. ثم يأخذهما ولى الأمر ويعتقدون أن المغلوب أبدا هو المبطل الظالم. وأن الغالب هو الصادق فيأخذ الراهب ذلك المغلوب. ويقرره بذنوبه. ويقول له: أى شىء أقررت به من ذنوبك غفر لك. وأى شىء أخفيته عاقبك السيد المسيح عليه. فيجتهد ذلك الرجل بقلة عقله أن يبدى له جميع عوراته وزلاته. ثم يؤمر به ويقتل[٥].

---

(١) عكا. هى الجزء الشمالى الغربى من فلسطين. تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط فتحها قدامى المصريين فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ورد ذكرها فى العهد القديم من الكتاب المقدس. سكانها ٤٠,٠٠٠ ألف نسمة تقريبا وإن تأثرت بعد الحرب الفلسطينية الإسرائيلية.

(٢) آلة من آلات القتال تستخدم باليد. ولم تصرح الموسوعة العسكرية بشىء حول هذه المادة.

(٣) مدينة فى الجزء الغربى من وسط فرنسا تقع على نهر اللوار يرقى تاريخها إلى ما قبل عهد الرومان. دار على القرب منها معركة بواتيه ٧٣٢ بعد الميلاد.

(٤) لم تضع المسيحية قوانين لضبط المجتمع. وليس للجرائم فيها عقاب. هذا ما قرره مجمع الفاتيكان الثانى. فقد ورد: أجل ليست الرسالة التى سلمها السيد المسيح للكنيسة من طراز سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى. فالغاية التى وضعها لها من طراز دينى. وينتج حقا عن هذه الرسالة الدينية أضواء وقوى من الممكن استخدامها لتكوين وتدعيم جماعة البشر وفقا للشريعة الإلهية.

ومن يقرأ الأناجيل لا يجد عقوبة مقررة أو حدا مفروضا على جريمة ما. بل إن المسيح -عليه السلام- أنكر على الكتبة والفريسيين قولهم. إن الزانية تُرْجم - كما ورد فى العهد القديم (تثنيه ٢٢ / ٢٢) قائلا لهم: من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر... فخرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين. وبقى يسوع وحده. والمرأة واقفة فى الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة. قال لها يا امرأة أين هم المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ فقالت لا ياسيد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضا. يوحنا صح ٨ / ١٢:٨.

(٥) القتل عندهم راجع إلى القانون الوضعى. فليس فى العهد الجديد ما يوجب قتل القاتل. فضلا عن الظالم. وأما العهد القديم فهو موجب للقصاص بنصوص عدة وردت فى التوراة =

= – راجع (مبدأ السلام فى الرسالات السماوية . رسالة دكتوراة . للمحقق ص ٣٤٥ وراجع سفر التكوين ٩ / ٦، اللاويين ٢٤ / ١٧ – العدد ٣٥ / ٣٠) .

وقضية الاعتراف – الإقرار بالذنب بين يدى رجل الدين – أمر مسلم به وهو ركن من أركان الشعائر عند المسيحيين . الهدف منه طلب المغفرة معتمدين على النص الوارد (كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء ، متى ١٨ / ١٨ .

وقد ورد فى يوحنا (من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت) يوحنا ٢٠ / ٢٣ .

ومن خلال هذه النصوص الوضعية . منحت المجامع الدينية البابا سلطات دينية ترفعه إلى مرتبة غفران الذنوب . فقد قرر مجمع روما المنعقد فى سنة ١٢١٥ للميلاد حق الغفران . ومن يملك حق الغفران يملك حق الحرمان . وقد باشر رجال الدين فى الكنيسة هذه السلطة . وتوسعوا فيها . فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ويصدرون قرارات الحرمان . وإن تعلقت بالملوك والعظماء .

وشاع بين المسيحيين أن الله يغفر لمن رضى عنه آباء الكنيسة فانتشرت صكوك الغفران وذاعت . ومارستها كل الكنائس التى تخضع للكنيسة البابوية . فكان المذنب يدفع قدرا من المال . فى مقابل الحصول على صك مكتوب فيه « ربنا يسوع المسيح يرحمك – يكتب اسم الذى سيغفر له – ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة . وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى . أحلك من جميع القصاصات والأحكام . والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الإفراط والخطايا . والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة . ومن كل علة . وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا . والكرسى الرسولى وأمحو جميع أقذار الذنب . وكل علامات الملامة . التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة . وأرفع القصاصات . التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة . وأقرنك فى شركة القديسين أردك ثانية إلى الطهارة والبر . اللذين كانا لك عند معموديتك حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب . ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح . وإن لم تمت سنين مستطيلة . فهذه النعمة تبقى غير متغيرة . حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس . . .

يقول الأب عبد الأحد داود : إن حضرة البابا لا يغفر خطايا المسيحيين الذين على وجه الأرض فقط بل يسمح وينظف ذنوب خطايا النصارى المتوفين أيضا . .

وليس الأمر متوقفا عند هذا الحد . بل يمنع الرؤساء الروحانيين من الأرثوذكس والبروتستانت – الذين يعدهم ملحدين – من أن يخرجوا من نار الأعراف – أى المطهر – فأى مسيحى يقدر أن يعترض أو ينبس ببنت شفه . . ضد الإرادات الواهبة المغفرة التى تصدر عن تلقاء هذه الذات العديمة المثال على الكرة الأرضية الحائزة على صلاحية واسعة؟

إن حضرة البابا يبلغ فرمانه الذى هو العفو العام عن جميع المسيحيين الذين لم يرهم ولم يعرفهم . الأحياء منهم والأموات فى الدنيا والآخرة . =

فـانظر هذه الأحكام. هل تتـصـور أن تجـرى بين قـوم لهـم من العـقـل شىء. ويستمر ذلك مع الأيام. ولا يخطر ببالهم أن المظلوم قد تضعف قوته عند ملاقاته الظالم فتجتمع عليه ظلامات وغبائن. ثم إن هذه الأحكام لا يجدونها فى الإنجيل ولا فى التـوراة. بل هم على قـاعـدتهم فى اختـراع دينهـم برأيهـم كـمـا حكاه المسيحى وغيره من المؤرخين عنهم.

ومما أطبق عليه النصارى. أن الأسقف إذا لم يوافقه شخص على هواه. حرّم عليه. ومعنى حرّم عليه. أن الرب تعالى غضب عليه. وأن الخلائق يمتنع عليهم بعد ذلك معاشرته وموالفته. بل يتعين عليهم هجرانه وتركه. ويخطر ببالهم أن تلك الحالة إذا دامت عليه تنتزع منه البركة وتموت دوابه ويهلك رزقه. وإن مات فيها ذهب إلى السخط الدائم والعذاب المقيم(١).

ويتخيلون أن الأساقفة قد صاروا فى الأرض يتصرفون فيها فى العباد تصرف رب الأرباب. وأن بيدهم السعادة والشقاء. مع أنهم أقل من قليل وأحقر

= وهناك شفعاء لا يحصون عددا. ذو صلاحية لمنح المغفرة لأولاد الكنيسة والحال أثناء إجراء المراسم الكهنوتية لقربان القديس تجرى فيوضات الغفران بكثرة. وغزارة ويفيض بحر الإيمان كالسيول على المؤمنين الذين يأكلون لحم المسيح ويشربون دمه. ويترنم الكاهن والمغنون فى أثناء مراسم هذه المنقبة قائلين ثلاث مرات: يا حمل الله. أنت الذى تعفو وترفع خطايا العالم. ارحمنا.

وبهذا يتم مغفرة الذنب كما قرر شراح الإنجيل، ومن أهم ثمار الاعتراف الحصول على غفران الخطايا وسلام النفس. إذ قال يعقوب الرسول صلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥ / ١٥).

وقال يوحنا البشير: إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم (ايو ١ / ٦)، راجع بين الإسلام والمسيحية ص٩١، ٩٢ والإنجيل والصليب ١١٣ – ١٢٤.

(١) التأثر بهذا الاعتقاد مرده إلى العهد القديم. فقد وردت نصوص عدة تصرح بأن الآثمين عقوبتهم عاجلة فى الدنيا وتتجلى هذه العقوبة فى خراب البيوت وإهلاك الحرث والنسل وفقدان الولد. وضياع الهيبة وحمو غضب الرب. يصور ذلك ما ورد فى التوراة بشأن عقاب قابيل على قتله لهابيل (فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائها وهاربا تكون فى الأرض.. تكوين ٤ / ١١ : ١٤ وانظر كتاب بين الإسلام والمسيحية تحقيق الدكتور محمد شامة تحت عنوان (الجزاء الأخروى).

من ذليل. يبيت الواحد من الأساقفة وعذرته على فخذيه طول عمره يأكل الرشا في الأحكام. ويتغذى بالحرام. وهو في الجهالة أشد من الأنعام. لا يفرق بين كوعه وبوعه [1]. ولا بين هره وبره[2]. ألكن اللسان. أغلف القلب. سيء السمع. مشكل الرأى. بمعزل عن الاشتغال بالفضائل ناء عن رياضات العلوم، فهم وأتباعهم لا يزالون في هذه الغفلة. مستمرين على هذه النومة [3]. حتى يأتي أحدهم الموت فيستيقظ. فيجد نفسه لا مع بني آدم – في اتباع الحق[4] – ولا مع البهائم في الراحة من التكليف. فيعض كفيه ندما. وتذوب نفسه أسفا. نسأل الله العفو والعافية. في الدنيا والآخرة.

ولما علم حذاقهم أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه. ولا أصل يرجع إليه. جمعوا عقول العامة. بتخييلات موهمة. وأباطيل مزخرفة. وضعوها في الكنائس والمزارات[5].

فمن ذلك أنهم وضعوا صورا من الحجارة. إذا قرىء أمامها[6]. الإنجيل تبكي وتجري دموعها. يشاهدها الخاص والعام. فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل[7].

---

(١) هذا مثل يضرب لشدة الغباء. فيقال الغبي هو الذي لا يعرف كوعه من بوعه. والكوع: العظم الذي يلي إبهام أصبع اليد. والبوع: العظم الذي يلي إبهام أصبع القدم.

(٢) هره، بره. مثل يضرب أيضا فيقال: فلان لا يعرف هرا من بر، أي لا يعرف من يكرهه ممن يبره. وقال ابن الأعرابي. الهر دعاء الغنم والبر سوقها. مختار الصحاح ١٣٦، ٢٠٤ ط الحلبي.

(٣) كلمة (النومة) من النسخة التيمورية.

(٤) الجملة المعترضة مأخوذة من التيمورية وهي متفقة مع السياق.

(٥) سمحت الكنيسة القبطية بوضع الأيقونات والصور في الكنائس ولم تسمح بعمل أيقونات بارزة أو منحوتة على شكل تماثيل حتى تبتعد عن مظاهر الوثنية. أما الكنيسة الكاثوليكية فتتخذ التماثيل فضلا عن الصور (تاريخ الأقباط ١ / ٢٧١).

(٦) في الأصل (عليها) والراجح لغة (أمامها).

(٧) اختلفت معجزة الإسلام عن معجزات الأنبياء السابقين. فمخاطبة العقل في الشرائع السابقة لم تكن بالدرجة الأولى في كثير من الرسالات ولذا فإن التأثير المباشر على المشاعر كان عن طريق المعجزة المحسوسة المدركة. وتتابعت =

ويكون لها مجارى رقاق فى أجوافها من ورائها متصلة بزق مملوء من الماء. يعصره بعض الشمامسة. فيفر الماء فى المجارى. ويتصل بعيون الأصنام. وكذلك يصنعون أصناما يخرج اللبن من ثديها عند قراءة الإنجيل. وذلك بصقلية وغيرها.

ومن ذلك: الأصنام من حديد وقناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض. فلا يمسك شيء منها ولا يمسها شيء. ويقولون[1]: إن ذلك سبب بركة ذلك المكان. وأنه برهان على عظمة الدين. فإن ذلك لم يوجد لغيرهم من الملل. ويكون سبب ذلك حجارة من مغناطيس عملت فى ست جهات فوق الصنم. وتحته ويمينه ويساره وخلفه وأمامه فيجذبه كل حجر إلى جهته وليس البعض أولى من البعض. فيقع التمانع فيقف الحديد فى الوسط ولذلك لما دخل إليه بعض رسل المسلمين أمر بهدم ما حوله من البناء فسقط وذلك بقسطنطينية. كرسى مملكتهم. ومجتمع عظمائهم وعقلائهم وهذا حالهم.

= معجزات الأنبياء السابقين بصورة حسية كما ورد فى الحديث «ما من الأنبياء إلا أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلىّ وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (مسلم ك الايمان – ب ٧ رقم ٢٣٩).

يشير إلى أن المعجزات السابقة غلب عليها الطابع الحسى ومعجزة الرسول الوحيدة القائم التحدى بها حتى الآن هى القرآن الكريم. الذى كان وسيظل ركيزة الدعوة وزادا وسندا للدعاة.

وإذا كانت كتب السابقين فيها من جمال النظم وإيجاز اللفظ وعمق المعنى وتفوقها على سائر لغات بنى قومها – باعتبارها كلام الله – فإن الله لم يكتب لها السلامة من التحريف. فافتقد دعاة هذه الملل المعجزة الحقة التى هى أساس التشريع. فاضطرتهم الظروف إلى حيل يؤثرون بها على العامة. علّها تجرى وتحقق الأمل المرجو. وهذه الحيل تقوم على أمرين:

(أ) أمر محسوس ملموس. يدرك فى حينه أو بعده بمدة من الزمان ومن ذلك كافة الصور التى وردت هنا وغيرها كثير ورد فى كتب أخرى.

(ب) أمر تدرك آثاره. وذلك كالاعتماد على السحر. مدعين أن الثمرة البادية من بركات الرب – المسيح – التى تحل فى كذا وتفعل فى كذا.. ومن ذلك ما نشرته وتنشره جريدة الأهرام المصرية عن قيام القس الفلانى بعلاج المرضى بالمجان. وعن إجراء جراحات عدة دون تخدير أو شق بطون. وعن الإعلان عن المغيبات على أثر زيارة الشخص للقس الفلانى. إلا أن هذين الأمرين لم يحققا الأمل المرجو لدى القوم. فلم يستطيعوا نشر دينهم بالقدر الذى راموه. فلجأوا إلى وسائل أخرى متقدمة منها استغلال الحاجة والاعتماد على المشاريع الخيرية.

ولو حفظ لهؤلاء القوم ما نزل إليهم لما أجهدوا هذا الإجهاد. ولما فعلوا هذه الحيل. ولكن الشقوة كتبت عليهم فهم فى غيهم يعمهون.

(١) فى التيمورية (ويقول).

ومن ذلك النور الذى ينزل بالقمامة فى البيت المقدس على قنديل معلق هناك . فيشرق من غير اتصال نار به فى رأى العين . فيوهمون العامة أن الأنوار تنزل على ذلك الموضع من قبل الله تعالى . لأنه موضع قبر المسيح عندهم[١] . الذى دفن فيه وصعد منه . وهو شىء مشاهد بالحس .

وأصله أن النفط إذا دبر على كيفية مخصوصة ومسح به شريط رقيق فى غاية الرقة من الحديد . ومد ذلك الشريط – إلى القنديل[٢] . وعمل فى آخره فتيلة . فان النار إذا مس بها أول ذلك الشريط فإنها تجرى مع ذلك الشريط بسبب النفط الملاصق له إلى أن ينتهى إلى آخره . فتشتعل فى ذلك الجسم الذى للفتيلة من القطن أو غيره ولذلك يراهن النفطيون على أنهم يقعدون فى صدر بيت ويشعلون سراجا فى طاق[٣] فى الجهة الأخرى من غير مباشرة . فإذا راهنه أحد مد شريطا مع طول الحائط بدائر البيت متصلا بذلك السراج . ويمسه بالنار فتسرى النار إلى السراج ولا يشعر الناس الجالسون من أين اتقد السراج .

وكذلك النصارى اتخذوا شريطا رقيقا لهذا القنديل . يشعلونه فى أعلى القبة التى فى المكان فيشتعل القنديل من غير نار مشاهدة . وقد اطلع على ذلك جماعة منهم الملك المعظم أخو الملك الكامل[٤] وأراد – أن يمنع ذلك[٥] . فقالوا

---

(١) من الأمور المصرح بها فى الإنجيل أن المصلوب قد دفن وقد اتخذ اليهود من مقبرته مكانا للقمامة زيادة فى الاستهزاء والعناد . حتى تولى قسطنطين أمر الدولة النصرانية . فأزال القمامة وبنى مكانها كنيسة القيامة وجعلها مزارا وإليها يحج النصارى .

(٢) (إلى القنديل) من التيمورية .

(٣) (طاق) ساقطة من التيمورية .

(٤) هو الملك توران شاه ابن المستعصم تولى الملك بعد وفاة أبيه أثناء استيلاء الفرنج على دمياط . وحارب الفرنج وكسرهم . وقتل منهم ثلاثين ألفا وقد شهد هذه المعركة سلطان العلماء العز ابن عبد السلام . وقد أسر حاكم الفرنج وقيد بدار ابن لقمان ثم نفرت قلوب العسكر من المعظم لكونه قرب مماليكه وأبعد مماليك أبيه فقتلوه يوم الإثنين سابع عشر المحرم . وكانت مملكته شهرين . وتولى الملك بعده شجرة الدر أم الملك الصالح . أنظر : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ٢ / ٣٥ .

(٥) مأخوذة من التيمورية .

له إنك يحصل لك بهذا جملة من المال فان أبطلتها بطل ولم يحصل لك شيء[١]. فتركهم على حالهم.

وكذلك الأمراء المتولون لتلك الجهة يطلعون على ذلك ويخبرون به. وهذه الكيفية مسطورة[٢] في كتب النفط والرماية. رأيتها أنا مع معزيات صناعات هذا الشأن.

ومن ذلك: أن لهم كنيسة كانوا يزعمون أن يد الله تعالى تظهر من الهيكل بها يوما معلوما من السنة يصافحه الناس فدخل إليها بعض ملوكهم فصافح اليد وأمسكها مسكا شديدا وقال: والله لا تركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها. فقال له الأساقفة. أما تخشى الرب أَخَرَجْت من دين النصرانية؟ فأبى أن يتركها بكثرة تهويلهم حتى يرى وجه[٣] صاحب اليد. فلما أعياهم أمره أخبروه أنها يد راهب منهم. فقتله ومنعهم من العود لذلك. فلم يعودوا[٤] وبالجملة الإسهاب

---

(١) مأخوذة من التيمورية.

(٢) في بعض النسخ (مذكورة) بدلا من (مسطورة).

(٣) كلمة (وجه) من التيمورية.

(٤) ذكر أبو عبيدة الخزرجي مثل هذه الحادثة في بلاد الأندلس أيضا. فقد ذكر أن رجلا من اليهود كان قد حظى عند أحد ملوك النصارى بالأندلس بِوَصْلة كانت بينهما يرعاها الرئيس له. وكان قد رغبه في الدخول في النصرانية مستشهدا بظهور يد الله لهم في السنة. فطلب اليهود منه التثبت. فإن كان الأمر حقا دخل فيها. وساور الشك الملك النصراني فسافر في موعد ظهور اليد وأخذ بعض الأساقفة ومعه مال هدية. فلما ظهرت اليد من وراء ستر. وضع يده فيها ومسكها مسكًا شديدا وقال والله لاتركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها. فصاحوا به يقولون: اتق الله. الآن تخسف بك الأرض. الآن تقع عليك السماء. الآن ترسل الصواعق. فقال: دعوا عنكم هذا كله. فان هذه اليد. لا أحل يدى عنها حتى أعلم أحقا ما تصنعون أم باطلا؟

فأسرَّ إليه اثنان القول قائلين له: أرجعت عن دين آبائك؟ قال: لا. قال: أتريد أن تحل رباطا عقد منذ ألف عام أو نحوها؟ قال: لا. معاذ الله. ولكن أحب الوقوف على سر هذه اليد. قالا: هى يد أسقف واقف دون الستر. قال: أحب أن أراه، قالا: أنت وذاك. فكشفوا له عن قس مجرود الخدين واقف وراء الستر، فلما عاينه الرئيس أرسل يده وخرج إلى عسكره. فقال اليهودى: يا مولاى ما تأمرنى به فى دينى؟ قال له: أنت ورأيك. خرجت منه أو بقيت فأنت المخير!! ففهم اليهودى وسكت وبطلت الحيلة.

فى هذا الباب يضيع الزمان لكثرته. وإنما أردت التنبيه على أنهم يمشون على ما هم عليه من الضلال بنوع من الشعبذة[١].

وأصناف من الخيال لما عدموا الحق الذى يصدع القلوب. وتقبله العقول. وأنا أنبهك على أن القوم ليس لهم حظ من النظر القويم. ولا العقل المستقيم. بل وجدوا آباءهم على الضلال فهم على آثارهم يهرعون. قد غمرهم الجهل وعمهم العمى. فلذلك لم تنهض العزيمة إلى بسط القول فى الحديث معهم. فان مخاطبة البهايم من السفه. بل انتصرت على بيان غلط القائل بهذه الرسالة ومعارضتها بالأسئلة والنصوص من كتبهم. لعل الله تعالى يجعل ذلك تنبيها لبعض الغافلين فيستيقظ لرؤية هذه المساوىء القبيحة.

وأما سلوك طريق الأنظار العقلية وبيان المدارك القطعية فليس القوم أهلا لذلك. ولقد اجتمع بى بعض أعيانهم المبرز فى حلبة سباقهم ليتحدث فى أمر دين النصرانية. فقلت بحضرة جماعة من العدول: أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم بل أطالبهم كلهم بأن يصوروا دينهم تصويرا يقبله العقل. فاذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته فحاول هو فى نفسه تصوير دينهم فعجز عنه[٢].

---

(١) الشعبذة وكذا بالواو الشعوذة. وهى الأمور الخارقة للعادة التى تظهر على يد أهل الفساد. وهذه الأمور فى زماننا هذا ذائعة الصيت وأصبح أمرها عرفا بين أهل القرى. إن الكنيسة الفلانية بها القسيس الفلانى يشفى المرضى ويداوى الجرحى. بل وصل الأمر إلى التماس الأسباب دون فطنة من لا عقل لهم من المرضى فى بعض الأمور التى تقوم على سبب. وذلك كحمل بعض النساء على يد بعض القساوسة ببعض الحيل ومنها: أن القسيس يستغل شوق المرأة إلى الولد ويكون الاتصال بطرق غير مشروعة وقد يكون القدر مطابقا فيتم الحمل وتشيع الفرحة دون إدراك أن هذا الحمل من زنا. بل الأدهى والأمر الإشاعة التى تقوم بها هذه السيدة لصالح ذلك القسيس معلنة أنها كانت عاقراً مدة من الزمان حتى زارت القس الفلانى.. فتم الحمل على يديه. دون الإفصاح على سبب الحمل.

(٢) الأمور الأساسية التى تقوم عليها الديانة غير واضحة المعالم فى المسيحية فبينما يؤمن النصارى بالاله الواحد القديم الخالق. يؤمنون أيضا بأن المسيح إله قديم كان مع الإله القديم. وهو خالق أيضا ومخلوق وهكذا ابتدأ يوحنا إنجيله (فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان =

فلما عجز عنه قال ما كلفنا بالتصوير بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد. فلا نلتزم ما لا يلزمنا. وما ليس من ديننا . فجنح إلى ما قدمته لك من السكون[١] إلى التقليد. وعدم النظر فيما يصح ويفسد.

فقلت له الاعتقاد لابد فيه من أن تثبت شيئا لشيء أو تنفيه عنه[٢] فهو مركب من تصورين. تصور المحكوم عليه وتصور المحكوم به. وأنتم على ما قلت مكلفون بالاعتقاد. ومن كلف بمركب كلف بمفرداته. فمتى كلفت بالاعتقاد كلفت بالتصوير فأنتم حينئذ مكلفون بالتصوير فصور لى دينك. فانقطع ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ولزمه السؤال من قوله. فقال أمهلنى ثلاثة أيام حتى أجتمع بابن العسال[٣]. وهو كان مشهورا عندهم بالفضيلة على زعمهم فلم أره بعد ذلك. فانظر إلى قوم عاجزين عن تصوير دينهم فضلا عن إقامة الدليل عليه. فكيف يليق بالعاقل أن يؤهلهم للحديث معهم. فلذلك سلكت مسلك الاقتصاد فى بيان هذه الكلمات.

= الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان) يوحنا ١ / ١ : ٣.

وطبيعة عيسى أيضا محل خلاف. هل هو إله حق يعدل الإله القديم؟ أو هو مكون من جزئين إله وإنسان (لاهوت متحد بالناسوت) أو هو إنسان فضل بالرسالة وقد ظل الخلاف حتى انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ وتم اتخاذ قرار بألوهية المسيح.

والروح القدس انعقد بشأنه مجمع خاص أيضا فى القسطنطينية سنة ٣٨١م وكان الباعث عليه إنكار مكدنيوس ويوسابيوس وأبو ليناريوس الذين أنكروا لاهوت الروح القدس. وقد نوقشوا فى هذا المجمع وتم اتخاذ هذا القرار. «نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب. المسجود له مع الآب والابن والناطق فى الأنبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا ونترجى قيام الأموات. وحياة الدهر الآتى : آمين. راجع (الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام) صفحة ٢٠.

(١) فى التيمورية (السلوك).

(٢) الصيغة الواردة فى الأصل بأسلوب الغيبة.

(٣) من كبار علماء اليهود وله مؤلفات مشهورة أهمها مجموعة قوانين ابن العسال والتى تناول فيها الأحكام الشرعية المنوطة بشريعة اليهود. راجع معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة.

الشبهات التى أوردها النصرانى على المسلمين

الشبهة الأولى: أنه قال إن محمدا ﷺ لم يبعث إلينا. فلا يجب علينا اتباعه. وإنما قلنا إنه لم يرسل إلينا لقوله تعالى في الكتاب العزيز ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [يوسف: ٢] ولقوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ [ابراهيم: ٤]. ولقوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ**﴾ [الجمعة: ٢]. ولقوله تعالى ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ**﴾ [السجدة: ٣] ولقوله تعالى ﴿**لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ [الشورى: ٧] ولقوله تعالى: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ**﴾ [يس: ٦] ولقوله تعالى ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]. ولا يلزمنا إلا من جاءنا بلساننا. وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغاتنا[١].

---

(١) قوله أتانا بالتوراة والإنجيل خطأ. فالجمهور على أن موسى عليه السلام لم يدع المصريين إلي اتباع رسالته.. فقد ذكر القرآن الكريم أن موسى عليه السلام قال لفرعون ﴿**أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الشعراء: ١٧] ولم تكن اللغة التى دعا بها موسى القبطية وإنما العبرية. وأقدم نسخ التوراة كتبت بالعبرانية ثم ترجمت بعد ذلك إلى القبطية وهى الترجمة المعروفة بالسبعينية سنة ٢٨٥ق. م. بالإسكندرية تحت رعاية بطليموس (قاموس الكتاب المقدس ٧٦٨). وكذا الإنجيل لم يكتب بالعربية وإنما أتى المسيح بالسريانية وكتبت الأناجيل بلغات شتى كما ورد. فلغة إنجيل متى قيل إنها العبرانية أو الأرامية أو اليونانية ولغة إنجيل مرقس غير واضحة كما هو وارد فى قاموس الكتاب المقدس. ولغة إنجيل لوقا كانت اليونانية. ولغة إنجيل يوحنا مختلف فيها، لأن المؤلف غير معروف عندهم. راجع قاموس الكتاب المقدس مادة كل إنجيل والكنز الجليل فى تفسير الإنجيل (مدخل كل جزء).

ولم يثبت أن المسيح عليه السلام دعا المصريين بأى حال من الأحوال لأن لحظة إقامته - عليه السلام - وإن لم يسلم البعض بالرحلة إلى أرض مصر - كانت خالية من التشريع وقد سبقها الخوف. ولم يكن المسيح ليدعو. بل لم يكن ليدرك سبب الاتيان والعودة. لأن النصوص صرحت بأن الرحلة كانت هروبا من هيردوس ملك اليهود وهو رضيع تحمله أمه وقد صرح السيد المسيح أيضا أنه لم يرسل إلى غير الإسرائيليين. والنص فى ذلك واضح. فإن المرأة التى أتته طالبة منه أن يشفى ابنتها وكان بها روح نجس قال لها « فإنى لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » متى ١٥ / ٢٤.

الجواب على الشبهة الأولى

من وجوه :

أحدها : أن الحكمة فى أن الله تعالى إنما يبعث رسله بالسنة قومهم ليكون ذلك أبلغ فى الفهم عنه . ومنه . وهو أيضا يكون أقرب لفهمه[١] عنهم جميع مقاصدهم فى الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة . وإيضاح البراهين القاطعة . فإن مقصود الرسالة فى أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد وهو مع اتحاد اللغة أقرب . وإنما أمر جماعة من الرسل عليهم السلام بالقتال[٢] بعد اليأس من النفع بالبيان[٣] فإذا تقررت نبوة النبى فى قومه قامت الحجة على غيرهم . فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم . إذا سلموا ووافقوا . فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق . فهذه هى الحكمة فى إرسال الرســول بلسان قومه ومن قومه . لا أن المقصود أن لا يتعدى برسالته لغير قومه[٤] .

---

(١) فى الأصل (الفهمه) .

(٢) كلمة (بالقتال) من التيمورية .

(٣) أبيح لإبراهيم عليه السلام أن يقاتل كما ورد فى التوراة . (تكوين ١٤ / ١ : ١٦) .

وكذلك حارب يعقوب وبنوه شكيم وأولاده (تكوين ٣٤ / ١ : ٢٩) وحارب موسى كذلك (سفر التثنية ٦ / ١٠ : ١٢) وداود حارب بعد أن استاذن الرب (القضاة ٢٠ / ٢٦) .

وكذلك عيسى عليه السلام أمر بالقتال فقد ورد: لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ماجئت لألقى سلاما بل سيفا . فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته . متى ١٠ / ٣٤ : ٣٧ .

وقد ذكر لوقا ما يقارب هذا (جئت لألقى نارا على الأرض . فماذا أريد لو أضطرمت ولى صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل . أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساما) لوقا ١٢ / ٤٩ – ٥١ .

(٤) اقتضت حكمة الله سبحانه أن يكون الرسول من بين البشر وأن يكون من قوم يعايشهم ويعايشونه . دون أن يكون خاصا بهم والسبب فى ذلك يرجع إلى ما يلى :

(أ) لو لم يكن بشرا لوقع اللبس أو كانت النهاية للمدعوين . قال تعالى ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨– ٩] وفى كونه من البشر ومن بين قوم يعرفونه حكم منها : =

وفرق بين قول الله تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ** ﴾ وبين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، فالقول الثانى هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول. بل لا فرق بين قوله تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وبين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا مكلفا بهداية قومه. فكما أن الثانى لا إشعار له بأنه لم يكلف بهداية غيرهم. فكذلك الأول. فمن لم يكن له معرفة بدلالة الألفاظ ومواقع المخاطبات سوّى بين المختلفات وفرق بين المؤتلفات.

ثانيها: أن التوراة نزلت باللسان العبرانى(١). والإنجيل بالرومى(٢). فلو صح ما قاله لكان النصارى كلهم مخطئين فى اتباع أحكام التوراة. فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلاّ كما يعلم الرومى اللسان العربى بطريق التعليم. وأن تكون القبط(٣). كلهم والحبشة مخطئين فى اتباعهم التوراة والإنجيل. لأن

= (أ) القدرة على الفهم والتفهيم وهذا ما صرحت به الآية الكريمة المذكورة ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٤].

(ب) أنه أقرب إلى التصديق بحكم سلوكه الحميد السابق ﴿ **قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ﴾ [هود: ٦٢].

وكذلك حديث الرسول ﷺ لقومه: لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط. البخارى ٦ / ٢٢١.

(جـ) فيه ألفة ولذا كان كل رسول يدعو قومه قائلا لهم (ياقوم).

(١) ورد فى قاموس الكتاب المقدس أن أكثر العهد القديم كتب بالعبرانية. وقد وجدت بعض الفصول بالأرامية وهى شبيهة بالعبرانية. ص: ٧٦٣.

(٢) فى قاموس الكتاب المقدس ص٧٦٣ أن العهد الجديد كتب باليونانية مع وجود خلاف فى أصل كل نسخة يطلب من مواده التى كتب عنها من حيث اللغة فى نفس القاموس.

(٣) اختلفت الآراء فى مرد التسمية. قال البعض: إن الأشوريين عرفوا مصر باسم (هيكوبتاه) وهو الاسم الذى كان يطلقه المصريون على عاصمة ملكهم «منف» ومعناه «بيت روح بتاح» فلما سمع اليونانيون هذا الاسم نطقوه حسب لغتهم «ايجيبتوس» وقد ورد هذا الاسم عدة مرات فى شعر هوميروس. فإذا حذفنا علامة الرفع اليونانية فى آخر الكلمة وهى «أوس» نتجت لنا كلمة «ايجبت» المستعملة فى اللغات الأوروبية كناية عن مصر وهى مركبة من كلمتين هما «إى» بمعنى أرض أو دار، «جيبت» أى قفط أو جفط كما ينطقها أهل الصعيد إلى اليوم. فيكون معنى الكلمتين معا: أرض القبط. أو دار القبط وقد حذف العرب كلمة «إى» معتقدين أنها حرف تعريف. فبقى المقطع الثانى «جيبت» ثم نطقت بعد قبط.

وقيل إن الاسم مشتق من اسم قفطايم أحد أولاد مصدايم بن حام بن نوح الذى أتى إلى مصر. راجع: تاج العروس مادة قبط، تاريخ الأقباط ١ / ٩.

الفريقين غير عبرانيين أو روميين. ولو لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط وترجما كما ترجما بالعربى لم يفهم قبطى ولا حبشى ولا رومى شيئا من التوراة. ولا قبطى ولا حبشى شيئا من الإنجيل. الا أن يتعلموا ذلك اللسان كما يتعلمون العربى.

ثالثها: أنه إذا سلم أن النبى ﷺ رسول لقومه. ورسل الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصومون عن الزلل. مبرؤون من الخطل(١).

وهو – عليه السلام – قد قاتل اليهود (٢). وبعث إلى الروم ينذرهم (٣) وكتابه عليه السلام محفوظ عندهم إلى اليوم فى بلاد الروم. عند ملكهم يفتخرون به. وكتب إلى المقوقس بمصر لإنذار القبط(٤). ولكسرى بفارس(٥). وهو الصادق البر. كما سلم أنه رسول لقومه فيكون رسولا للجميع. ولأن فى جملة ما نزل عليه ﷺ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ** ﴾ [سبأ : ٢٨]. فصرح بالتعميم(٦). واندفعت شبهة من يدعى التخصيص. فإن كانت النصارى لا يعتقدون أصل الرسالة لا لقومهم [ولا لغيرهم فيقولون أوضحوا لنا صدق

---

(١) هذا من أساسيات عقيدة المسلمين. أما اليهود فإنهم يرون غير هذا. والدليل على ذلك ما ورد بشأن نوح. إبراهيم. لوط. سليمان. الخ وموقف النصارى من العصمة غير واضح. راجع عصمة الأنبياء بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم للمحقق.

(٢) راجع فى غزوة بنى قينقاع ابن هشام ٣ /٤٧ والواقدى ١ / ١٧٦ ط المعارف وغزوة بنى النضير: ابن هشام ٣ / ١٩٠ والواقدى ١ /٣٦٣. وغزوة بنى قريظة .. ابن هشام ٣ /٢٣٣ والواقدى ٢ /٤٩٦ . وفتح خيبر ابن هشام ٣ /٣٢٨. والواقدى ٢ /٦٣٣.

(٣) صحيح مسلم (متن) ٥ /١٦٥ ك الجهاد، مسند أحمد ١ /٢٦٣، سنن أبى داود ك الحدود ب ١١٨.

(٤) السيرة الحلبية ٣ /٢٨. الدر المنثور ٢ /٤٠، صبح الأعشى ٦ /٣٧٨ ، خطط المقريزى ١ /٢٩ حسن المحاضرة ١ /٤٢. المواهب اللدنية للقسطلانى ٣ /٣٩٧.

(٥) صحيح البخارى ك أخبار الآحاد. الباب الرابع. صحيح مسلم ٥ /١٦٦. مسند أحمد ٤ /٧٥. السيرة الحلبية ٣ /٢٧٧. البداية والنهاية ٤ /٢٦٩. دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٩٣. الكامل فى التاريخ ٢ /٨١. راجع مكاتيب الرسول ١ /٩١.

(٦) فى الأصل (التفهيم) و(التعميم) مأخوذ عن التيمورية.

دعواكم. ولا يقولون كتابكم يقتضى تخصيص الرسالة. وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة[1]] لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم.

وكذلك قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢][2]. لا يقتضى أنه لم يبعثه لغيرهم. فإن الملك العظيم إذا قال: بعثت إلى مصر رسولا من أهلها لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم. ولا أنه لا يأمر قوما آخرين بغير تلك الرسالة، وكذلك قوله تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [يس: ٦][3]. ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم. بل لما كان الذى يتلقى الوحى أولاً هم العرب. كان التنبيه عليه بالمنة وعليهم بالهداية أولى من غيرهم.

وإذا قال السيد لعبده بعثتك لتشترى ثوبا. لا ينافى أنه أمره بشراء الطعام.

---

(١) ما بين الشرطتين ساقط من التيمورية.

(٢) والأميون وردت فى القرآن الكريم أربع مرات، ثلاث منها مراد بها العرب وذلك فى قوله تعالى:

(أ) ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]

(ب) ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

(جـ) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والمراد بالأميين فى هذه الآيات العرب قبل الإسلام. ومرد التسمية لعدم وجود كتاب سماوى عندهم. أو نسبة إلى الأمية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة. لندرتها فيهم.

(د) ورد لفظ الأميين مراد به أهل الكتاب وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

(٣) المراد بالقوم هنا العرب. الذين طال بهم عهد البعد عن النبوة فلم يأت بعد إسماعيل – عليه السلام – إلى بلاد العرب نبى أو رسول سوى محمد ﷺ والمدة بينهما تتجاوز آلاف السنين. ولولا أن الإيمان بخالق فطرة. والتوحيد يقره العقل الراجح وكذا الصلة الوثيقة بين العرب والبيت الحرام ما بقى للعبادة أثر على وجه الإطلاق. ولكانت وثنية خالصة.

بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه، وسكت عن الطعام لأن المقصد الآن لا يتعلق به. وما زالت العقلاء فى مخاطباتهم يتكلمون فيما يوجد سببه. ويسكتون عما لم يتعين سببه. وإن كان المذكور والمسكوت عنه حقين واقعين فكذلك الرسالة عامة. ولما كان المقصود إظهار المنة على العرب خصوا بالذكر. ولما كان أيضا المقصود تنبيه بنى إسرائيل وإرشادهم خصوا بالذكر(1). وخصصت كل فرقة من اليهود والنصارى بالذكر(2). ولم يذكر معها غيرها فى القرآن فى تلك الآيات المتعلقة بهم. وهذا هو شأن الخطاب أبدا. فلا يغتر جاهل بأن ذكر زيد بالحكم يقتضى نفيه عن عمرو. كذلك قوله تعالى ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾. ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم. كما أنه إذا قال القائل لغيره: أدب ولدك. لا يدل على أنه أراد أن لا يؤدب غلامه. بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم فى هذا المقام تاديب الولد. لأن المقصود مختص به، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد يقول له وغلامك أيضا أدبه. وإنما بدأت بالولد لاهتمامى به. ولا يقول عاقل: إن كلامه الثانى مناقض للأول. وكذلك قرابته عليه السلام، هم أولى الناس ببره -عليه السلام-، وإحسانه وإنقاذهم(3). من

---

(1) بهذا ورد قول الحق﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: ٤٧].
﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٣].

(2) لم يَرِد ذكر لفرق النصارى فى القرآن وإنما ورد ما يشير إلى فرقهم. قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** ﴾ [المائدة: ١١٦]. إشارة إلى فرقة المريمانية التى أعلنت فى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م أن عيسى وأمه إلهان من دون الله وكذلك قول الحق سبحانه ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٠] إشارة إلى ما أجمع عليه جمهور النصارى فى مؤتمر نيقية بعد ردهم على آريوس توحيده لله رب العالمين.

(3) فى الأصل (انقاذه).

الهلكات. فخصهم بالذكر كذلك. لا أن غيرهم غير مراد كما ذكرنا فى صورة الولد والعبد.

وبالجملة فهذه الألفاظ ألفاظ لغتنا. ونحن أعلم بها. وإذا كان -عليه السلام- هو المتكلم بها. ولم يفهم تخصيص الرسالة ولا إرادته ذلك بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم[١]. والعرب لم تفهم ذلك[٢]. وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك ولا فهموه. ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليهم. ونحن أيضا لم نفهم ذلك فما فهمه[٣] إلا هذا النصرانى الذى ساء سمعا وفهما - فساء إجابة[٤]. فمن أراد الهدى فطريقه واضحة فليأخذ سبب النجاة قبل الموت. ويستدرك السعادة قبل الفوت. فما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار. وليس عند العاقل أهم من سعادة نفسه. فليحصلها قبل حلول رمسه[٥]. والله تعالى هو المعين على الخير كله[٦].

الشبهة الثانية

إنه قال: إن القرآن الكريم ورد بتعظيم عيسى -عليه السلام- وبتعظيم أمه

---

(١) أفرد بعض الكتاب مؤلفات خاصة بهذا الأمر. منها:
١- مكاتيب الرسول ﷺ. للحسينعلى.
٢- الرسائل النبوية دراسة وتحقيق للدكتور على السبكى.
٣- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة. محمد حميد الله.

(٢) أى لم تفهم هذا التخصيص مع أن القرآن بلغتهم.

(٣) فى الأصل (فما فهمه ذلك) والتصحيح من التيمورية.

(٤) ما بين الشرطتين ساقط من النسخ الأخرى.

(٥) رَمَس الميت دفنه. وبابه نصر وأرمسه أيضا... والرمس بوزن الفلس تراب القبر والمَرْمس بوزن المَذْهَب: موضع القبر (مختار الصحاح باب السين فصل الراء).

(٦) هذا ما رجحه كثير من المفسرين لقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. وقوله تعالى ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]. قيل: إن من شاء الهداية هداه الله ومن شاء الضلال تركه الله. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

مريم رضى الله عنها[١] وهذا هو رأينا واعتقادنا فيهما، فالدينان واحد فلا ينكر المسلمون علينا.

والجواب من وجوه:

أحدها: تعظيمهما لا نزاع فيه ولم يكفر النصارى بالتعظيم. إنما كفروا بنسبة أمور أخرى إليهما لا تليق بجلال الربوبية ولا بدناءة البشرية من الأبوة. والبنوة والحلول والاتحاد. واتخاذ الصاحبة والأولاد[٢]. تعالى الله عما يقول

---

(١) قال تعالى فى كتابه الكريم ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين * ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون * إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين * قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [آل عمران ٤٢ – ٥٠].

(٢) هذا ما يدين به معظم النصارى. وأدلة الأبوة والبنوة والحلول والاتحاد ما يلى:

(أ) يُدْعى الله أب ليسوع المسيح كما فى الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس.

(ب) وعن البنوة ورد فى متى (هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ٣ / ١٧ ولوقا ٣٥ / ٢١ عبرانيين ١٤ / ٤، يوحنا ٢٠ / ٥.

(جـ) عن الحلول والاتحاد. بدأ يوحنا إنجيله بهذا المقطع: فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله.. كل شىء به كان وبغيره لم يكن شيىء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.. والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقا (يوحنا ١ / ١ : ١٤).

وقد أبطل القرآن الكريم ذلك. فليس الله آب. وليس ابنا. وليس حالا فى شخص ونصوص القرآن الكريم تصرح بهذا على النحو التالى:

أولا: بطلان الأبوة والبنوة.

قال تعالى:

١– ﴿ **إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد** ﴾ [النساء: ١٧١].

=

الكافرون علوا كبيرا. فهذه مغالطة فى قوله موافق لاعتقادنا. ليس هذا هو الاعتقاد المتنازع فيه. نعم لو ورد القرآن الكريم بهذه الأمور الفاسدة المتقدم ذكرها – وحاشاه – كان موافقا لاعتقادهم. فأين أحد البابين من الآخر.

ثانيها: أنه إذا اعترف بأن القرآن الكريم وربما يعتقد أنه حق. فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق. فان الباطل لا يؤكد الحق. بل المؤكد للحق حق جزما. فيكون القرآن الكريم حقا قطعا. وهذا هو سبب إسلام كثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى[1]. وهو أنهم اختبروا ما جاء به –عليه السلام– فوجدوه موافقا لما كانوا يعتقدونه من الحق. فجزموا بأنه حق. وأسلموا واتبعوه. ومازال العقلاء على ذلك يعتبرون كلام المتكلم. فان وجدوه على وفق ما يعتقدونه من الحق اتبعوه وإلا رفضوه.

= ٢– ﴿ما اتَّخَذَ اللَّهُ من ولَد ومَا كَانَ معَهُ منْ إِلَه﴾ [المؤمنون: ٩١].

٣– ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ ممَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٤].

٤– ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

٥– ﴿ما كَانَ للَّه أَن يَتَّخذَ من ولَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ [مريم: ٣٥].

ثانيا: بطلان الولادة.

١– ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الاخلاص].

ثالثا: بطلان البنوّة والحكم بالكفر على من زعم ذلك.

١– ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

رابعا: بطلان الحلول والإتحاد.

١– ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

٢– ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٧].

(١) من هؤلاء فى زمن الرسالة. عبد الله بن سلام. ومخيريق فى أحد رأيين والنجاشى الذى رفع سريره يوم وفاته وصلى عليه الرسول بأرض المدينة.. الخ.

وبعد الرسالة ما زال كثيرون يدينون بالإسلام. ويؤلفون كتبا تخدم الدعوة. أمثال مسيو أتينيه دينيه الفرنسى. السمو أل المغربى. عبد الأحد داود العراقى – زكى الدين الطهطاوى – وغيرهم.

ثالثها: أن هذا برهان قاطع بالحق[1] على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان[2] فانه مشتمل على تعظيم جملة الرسل وجميع الكتب المنزلة. فالمسلم على أمان من جميع الأنبياء – عليهم السلام – على كل تقدير[3].

---

(١) كلمة (بالحق) من التيمورية.

(٢) الجمع هنا من حيث اللغة وبذلك سمى القرآن الكريم الديانات الوضعية دينا قال تعالى آمرا رسوله أن يخاطب قريشا بقوله (لكم دينكم ولى دين) والملة مرادفة للدين حين الإفراد والجمع بينهما فى سياق واحد يوجب المغايرة.

(٣) يدين المسلمون بأن الله بعث رسلا وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله. وقد صرح القرآن الكريم باسم خمسة و عشرين منهم. والإيمان بهم واجب. ومن كفر بواحد منهم لم ينفعه إيمانه بالآخرين حتى خاتم الأنبياء والمرسلين. وهم جميعا مصطفون من خلق الله. لا يمدح أحدهم ويقدح الآخر. وفى القرآن الكريم ورد قول الله تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والمجاهرة بهذا الاعتقاد واجبة. قال تعالى مخاطبا المؤمنين.

﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقد أضمر القرآن الكريم أسماء كثيرين بنص الآية الكريمة ﴿**ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما**﴾ [النساء: ١٦٤].

وقد كتبت كتب عدة وتناول المفسرون بعض الأسماء التي لم يصرح بها القرآن. ولم يرد لها ذكر فى حديث صحيح. ومن أشهر الكتب كتاب «قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس للثعلبى» والجزء الأول من تاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير والبدء والتاريخ للمقدسى وسمط النجوم العوالى الجزء الأول.. وغيرها وهو حشو يعتمد جله على التوراة من حيث الأسماء والأحداث المقرونة بها. والواجب على المسلم أن لا ينكر شيئا من هذه الأسماء. فقد يكون بعضها حقا. وأن لا يدين أيضا بها أو بشيء مما نسب إليها إلا ما ورد ذكره في القرآن فقد يكون باطلا وإنما التفويض أولى ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾ [البقرة: ١٤١].

واعتقاد المسلم بهذا مع عمله الصالح موجب الجنة بنصوص القرآن وصحيح السنة، كما أن الإيمان بجميع الرسل يطمئن القلب. لأن دخول الجنة إن كان متوقفا على الإيمان بجميع الرسل فقد آمن المسلم. وإن كان على الإيمان ببعضهم فقد آمن به أيضا.

أما اليهود فإنهم لا يدينون بنبوة عيسى ولا محمد –عليهما السلام– وهؤلاء مقصرون فى الاعتقاد لأن الدخول إن توقف على الايمان بجميع الأنبياء – وهو شرط – فهؤلاء لا دخول لهم لكفرهم ببعض الأنبياء.

أما النصرانى فليس على أمان من تكذيب محمد – ﷺ – فتعين رجحان الإسلام على غيره. ولو سلمنا تجويز(1) صحة ما يقوله النصرانى من البنوة وغيرها. يكون المسلم قد اعترف لعيسى – عليه السلام – ولأمه – رضى الله عنها – بالفضل العظيم والشرف المنيف. وجهل بعض أحوالهما على تقدير تسليم صحة ما ادعاه النصارى. والجهل ببعض فضائل من وجب تعظيمه لا يوجب خطرا.

أما النصرانى فهو منكر لأصل تعظيم النبى محمد –ﷺ – بل ينسبه للكذب والرذائل والجرأة على سفك الدماء. بغير إذن من الله تعالى، ولاخفاء فى أن هذا خطر عظيم. وكفر كبير. فيظهر من هذا القطع بنجاة المسلم قطعا. ويتعين غيره للضرر والخطر قطعا. فليبادر كل عاقل حينئذ للإسلام فيدخل الجنة بسلام.

الشبهة الثالثة

أنه قال: إن القرآن الكريم ورد بأن عيسى – عليه السلام – روح الله تعالى وكلمته وهو اعتقادنا(2).

والجواب من وجوه:

أحدها: إن من المحال أن يكون المراد الروح والكلمة على ما تدعيه النصارى. وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى عليه السلام بصفة.

---

(1) فى الأصل (تحرير). (وتجويز) مأخوذة عن التيمورية.

(2) قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: ١٧١].

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وينادى بها علي رؤوس الأشهاد. ويطبق بها الآفاق ثم يكفر من اعتقد تلك الصفة فى عيسى – عليه السلام – ويأمر بقتالهم وقتلهم. وسفك دمائهم وسبى ذراريهم. وسلب أموالهم. بل هو بالكفر أولي. لأنه يعتقد ذلك مضافا إلى تكفير غيره والسعى فى وجوه ضرره. وقد اتفقت الملل كلها. مؤمنها وكافرها على أنه – عليه الصلاة والسلام – من أكمل الناس فى الصفات البشرية خلقا وخُلُقا[1] وعقلا ورأيا. فانها أمور محسوسة. إنما النزاع فى الرسالة الربانية. فكيف يليق به – عليه الصلاة والسلام – أن يأتى بكلام هذا معناه. ثم يقاتل معتقده ويكفره. وكذلك أصحابه رضى الله عنهم. والفضلاء من الخلفاء من بعده. وهذا برهان قاطع على أن المراد على غير ما فهمه هذا القائل وغير ما تعتقده النصارى.

ثانيها: أن الروح اسم الريح الذى بين الخافقين. يقال لها ريح وروح لغتان وكذلك فى الجمع رياح وأرواح واسم لجبريل –عليه السلام– وهو المسمى بروح القدس[2]. والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيوانى[3]. والكلمة اسم للفظة المفيدة من الأصوات. واسم للخبر من الكلام النفسانى. ولذا يقال:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا[4]

---

(١) بهذا صرح القرآن الكريم فى وصف الرسول ﷺ ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]

(٢) سمى جبريل بالروح فى القرآن وأضيف إلى القدس. قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وقال تعالى فى شأن ليلة القدر ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾ [القدر: ٤] وقال تعالى ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: ١٠٢]

(٣) قال تعالى فى حق آدم ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر: ٢٩]

(٤) البيت للأخطل وليس فى ديوانه وإنما ورد فى شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٢١ شذور الذهب ٢٨ (معجم الشواهد العربية عبد السلام هارون ص٢٧١).

والعالم مطبق على أن نفس الإنسان تحدثه بالخير والشر[١]. وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات. ولهذا يقال: هذه الكلمة خط حسن. ومكتوبة بالحبر وإذا كانت الروح والكلمة لهما معان عديدة فعلى أيهما يحمل هذا اللفظ. وحمل النصرانى اللفظ على معتقده حكم[٢] بمجرد الهوى المحض.

وثالثها: وهو الجواب بحسب الاعتقاد لا بحسب الإلزام أن معنى الروح المذكورة فى القرآن الكريم فى حق عيسى عليه السلام. هو الروح الذى بمعنى النفس المقوم لبدن الإنسان[٣]. ومعنى نفخ الله تعالى فى عيسى -عليه السلام- من روحه. أنه خلق روحًا نفخها فيه. فإن جميع أرواح الناس يصدق أنها روح الله[٤].

---

(١) ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

(٢) فى الأصل: (تحكم).

(٣) فى التيمورية (لبدن الحيوان).

(٤) ورد فى المنار بشأن الروح ما يلى: وأما قوله (وروح منه) ففيه وجهان:

(**أحدهما**) أنه مؤيد بروح منه تعالى. ويوضحه قوله فيه ﴿ **وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣] - وقال فى صفات المؤمنين الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله و لو كان من ذوى القربى ﴿ **أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(**ثانيهما**) أن معناه أنه خلق بنفخ من روح الله وهو جبريل عليه السلام ويوضحه قوله تعالى فى حق أمه ﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا** ﴾ [الأنبياء: ٩١] وفى سورة مريم ورد ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾ [مريم: ١٧] كما قال فى خلق الإنسان بعد ذكر بدئه من طين ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ [السجدة: ٨، ٩].

وقال بعضهم إن المراد بالروح هنا النفخ. أى نفخ الملك بأمر الله فى مريم. فإنه استعمل بمعنى النفخ والنفس الذى ينفخ كما قال ذو الرمه فى إضرام النار:

فقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واجعلها لها فيئة قدرا

والروح الذى يحيى به الإنسان مأخوذ من اسم الريح...

ويجوز أن يكون المراد بقوله تعالى (وروح منه) الأمران معا. أى أنه خلق بنفخ الملك المعبر عنه بالروح وبروح القدس فى أمه نفخا كان كالتلقيح الذى يحصل باقتران الزوجية وكان مؤيدا =

وروح كل حيوان هى روح الله تعالى. فإن الإضافة فى لسان العرب تصدق حقيقة بأدنى الملابسة. كقول أحد حاملى الخشبة للآخر –طرفى مثل طرفك–[1] وشل طرفك يريد طرف الخشبة. فجعله طرفا للحامل. ويقول طلع كوكب زيد. إذا كان نجم عند طلوعه يسرى بالليل. ونسبة الكوكب إليه نسبة المقارنة فقط. فكيف لا يضاف كل روح إلى الله تعالى وهو خالقها. ومدبرها فى جميع أحوالها. وكذلك يقول بعض الفضلاء. لما سئل عن هذه الآية. فقال نفخ الله تعالى فى عيسى – عليه السلام – روحا من أرواحه. أى جميع أرواح الحيوان

= بهذا الروح مدة حياته. ولذلك غلبت عليه الروحانية. وظهرت آيات الله فيه زمن الطفولية. وزمن الرجولية ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا**﴾ [المائدة: ١١٠] فلما كان كذلك أطلق عليه أنه روح كأنه هو عين ذلك الملك الذى جعله الله سبب ولادته. وأيده به مدة حياته. كما يقال: رجل عدل. على سبيل المبالغة والمراد ذو عدل.

وقال بعض المفسرين: إن المراد بالروح هنا الرحمة. كقوله تعالى فى المؤمنين (وأيدهم بروح منه).

ويقويه قوله تعالى فيه ﴿**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا**﴾ [مريم: ٢١]. ويمكن إدخال هذا المعنى فى الوجه الأول لأنه من فروعه. والمعنى الجامع أن الروح ما به الحياة. والحياة قسمان:

١– حسية. ٢– معنوية.

فالأولى ما به يشعر الإنسان ويدرك ويتفكر ويتذكر.

والثانية: ما به يكون رحيما حكيما فاضلا محبا محبوبا نافعا للخلق. وقد سمى الله الوحى روحا لخاتم رسله ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ [النحل: ٢] وكلا المعنيين متحقق فى عيسى عليه السلام. على وجه الكمال.

وقد علم مما قررناه أن قوله «منه» متعلق بمحذوف صفة لروح. أى وروح كائنة منه. وزعم بعض النصارى أن «من» للتبعيض. وأن عيسى جزء من الله بمعنى أنه ابنه. ونقل المفسرون أن طبيبا نصرانيا للرشيد ناظر عليا بن حسين الواقدى المروزى ذات يوم. فقال له إن فى كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى. وتلا هذه الآية. فقرأ له الواقدى قوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ**﴾ [الجاثية: ١٣]. وقال يلزم أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى. فاقتنع النصرانى وأسلم. ففرح الرشيد بإسلامه ووصل الواقدى بصلة فاخرة.. المنار ص٦/٨٣:٨٤.

(١) هذه الجملة من التيمورية.

أرواحه. وأما تخصيص عيسى – عليه السلام – بالذكر. فللتنبيه على شرف عيسى – عليه السلام – وعلو منزلته. بذكر الإضافة إليه[1] كما قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]. و﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] مع أن الجميع عبيده. وإنما التخصيص لبيان منزلة المخصص.

وأما الكلمة[2] فمعناها أن الله تعالى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

---

(١) وردت كلمة (يقول كما قال) وقد أسقطتها لتطلب السياق.

(٢) عرفت البشرية هذا المصطلح (الكلمة) وتغاير مفهومه بين أهل العقائد. وقد كتبت أبحاث عدة حيال هذا الأمر. نقتبس ما ذكره صاحب كتاب (الديانات والعقائد في مختلف العصور).

لاشك أن البحث فى الكلمة يكتنفه كثير من الغموض والإبهام. مع ما كتب فيه من دراسات علمية ناضجة. وما أضيف إليها من معان وتفسيرات زاد على مر العصور.

ففى الفلسفة اليونانية القديمة. كان مفهوم الكلمة. هو القوة العاقلة المنبعثة فى جميع أنحاء الكون. وأشهر من استعمل (الكلمة) فى هذا المعنى هو الفيلسوف هرقليطس. الذى برز اسمه فى سنة ٥٠٠ ق. م. فالكلمة عنده أزلية وهى الحكمة والحكمة معرفة ما تتحرك به جميع الأشياء فى جميع الأشياء.

ويقصد هرقليطس بالكلمة أيضا ما يسمى بالروح الإلهى. الذى تتجلى آثاره فى كل ما فى الوجود الظاهر من حياة وكون وفساد واستحالة. لأن الكلمة مبدأ الحياة. ومبدأ إرادة الله التى يخضع لها كل موجود. وهذا يتفق مع رأيه فى وحدة الوجود. وتختلف معانى الكلمة لدى فلاسفة اليونان فهى عند (انكسا جوراس) القوة المدبرة للكون. التى هى فى نظره – أيضا.. العقل الالهى. والكلمة عنده ما بيد الذات الإلهية.

ومعنى الكلمة عند الرواقيين: العقل المدبر للكون. أو العقل الكلى الذى يمد العقول الجزئية بكل ما لديها من علم ونطق. وكل شيء جزء من الكلمة التى هى فى حقيقتها: الله والطبيعة. وهذا الرأى يتفق مع مذهبهم فى وحدة الوجود.

وفى اليهودية كلمة الله التى من آثارها الخلق. ولما عرفت اليهودية الفلسفة اختلفت معنى الكلمة فى اليهودية وزاد على ما كان مفهوما عندها. فصار يؤدى معنى العقل الإلهى. ووصفوا كلمة الله بأنها التى تحفظ الكون وتدبره وتصرف أموره. و«فيلون» فيلسوف اليهود. يفهم من الكلمة معانى جديدة. لم تعرفها اليهودية منها. البرزخ بين الله والعالم. وابن الله الأول. والصورة الإلهية. وحقيقة الحقائق. والابن الأكبر المنتمى لأمه الحكمة. وأول الملائكة. والإنسان الأول الذى خلقه الله على صورته (نقل الكاتب ذلك عن مجلة كلية الآداب. المجلد الثانى. الجزء الأول. مايو ١٩٣٤م عن بحث للأستاذ أبى العلاء عفيفى عنوانه. نظريات الإسلاميين فى الكلمة) راجع: الديانات والعقائد ٣ / ٢٤.

=

= **والكلمة عند المسيحيين** مراد بها - كما ذكر شراح الإنجيل - المسيح. ولفظة الكلمة لا يراد بها صفة كالحكمة أو قوة كالنطق أو كتاب الله لانه لا يصح أن يقال: إن الكتاب المقدس صار جسدا.. بل المراد بها أقنوم. واعتاد اليهود تسمية المسيح المنتظر (بالكلمة) ولاسيما المتشتتون بين الأمم الذين عرفوا الفلسفة اليونانية.. ويحق للمسيح أن يسمى كلمة، لأن الله كلمنا به (عب ١:١) ولأنه أعلن لنا أفكار الله ومشيئته. كما أن كلمة الإنسان تعلن أفكار الإنسان وإرادته فالمسيح أعلن الله لنا بتعليمه وبسيرته وبأعماله.

وتسمية ابن الله بكلمة الله تنفى كل نسبة جسدية بينهما. كنسبة الأب للابن البشريين. وكون المسيح كلمة الله. يوجب كونه إلاها. لأنه لا يعرف أفكار الله ليعلنها إلا الله. كما قيل: من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا (رومية ١١/ ٣٤). الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ص٣.

وللكلمة معان فى الديانات الوثنية شبيهة بمعانيها فى اليهودية والمسيحية ففى الديانات المصرية كان قسيسو هيكل ممفيس يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم: إن الأول خلق الثانى. والثانى مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس.

وسأل **توليسو** - ملك مصر - الكاهن **تنيشوكى** أن يخبره أكان أحد أعظم منه قبل أو يأتى أحد من بعده؟ فأجابه نعم. يوجد من هو أعظم منه. وهو أولا. الله. ثم الكلمة ومعهما الروح القدس. ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية (نقلا عن خرافات التوراة والإنجيل - دوان. ص٤٧٣) ويقول موريس فى كتابه (الآثار الهندية القديمة ص-١٢٧): لا ريب أن تسمية الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس (كلمة) هو من أصل وثنى مصرى دخل فى غيره من الديانات كالديانات المسيحية. وأبولو المدفون بدلهى يدعى «الكلمة» وفى علم اللاهوت الإسكندرى الذى كان يعلمه أفلاطون قبل المسيح: الكلمة هى الإله الثانى. وهى ابن الله البكر.

ويقول العلامة **هجين** فى كتابه (الانجلو سكسون) ص٢/ ١٦٢ كان الفرس يسمون (مثرا) الكلمة والوسيط. مخلص الفرس.

ويقول العلامة **بونويك** فى كتابه (عقيدة المصريين. ص٤٠٢) أغرب عقيدة عم انتشارها فى ديانة المصريين والوثنيين القدماء قولهم بلاهوت الكلمة. وأن كل شىء صار بواسطتها. وأن الكلمة منبثقة من الله. وأنها الله.

وكان **أفلاطون** عارفا بهذه العقيدة الوثنية. وكذلك أرسطو وغيرهما. وكان ذلك قبل التاريخ المسيحى. ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا فى هذه الأيام.

وقال **بونويك**: وكما أن للكلمة مقاما كريما عند المصريين. كذلك فى كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة (إنى أعلم بسر لاهوت الكلمة) وهى كلمة (رب كل شىء) وهو الصانع لها. فالكلمة هى الأقنوم الأول بعد الإله. وهى غير مخلوقة. وهى الحاكم المطلق على كافة المخلوقات.

فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن. فلما أوجد الله تعالى عيسى – عليه السلام – قال له كن فى بطن أمك فكان. وتخصيصه بذلك للشرف كما تقدم. فهذا معنى معقول متصور. ليس فيه شيء كما يعتقده النصارى. من أن صفة من صفات الله حلت فى ناسوت المسيح – عليه السلام – وكيف يمكن فى العقل أن تفارق الصفة الموصوف. بل لو قيل لأحدنا إن علمك أو حياتك انتقلت لزيد. لأنكر ذلك كل عاقل. بل الذى يمكن أن يوجد فى الغير مثل تلك الصفة. وأما أنها هى فى نفسها تتحرك من محل إلى محل فمحال، لأن الحركات من صفات الأجسام، والصفة ليست جسما، فإن كانت النصارى تعتقد أن الصفات أجسام، والأجسام صفات، وأن أحكام المختلفات وإن تباينت شيء واحد، سقطت مكالمتهم وذلك هو الظن بهم، بل يقطع بأنهم أبعد من ذلك عن موارد العقل، ومدارك النظر. وبالجملة فهذه كلمات عربية فى كتاب عربى. فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته فى إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته. وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث فيه ويستدل

وقال **دوان** فى كتابه (خرافات التوراة والإنجيل. ص٣٧٣) وكان الأشوريون يدعون **(مرذوح)** الكلمة. ويدعونه أيضا ابن الله البكر. وكانوا يتوسلون إليه بهذا الدعاء. أنت القادر الموفق. **ومانح** الحياة. أنت الرحيم بين الآلهة أنت ابن الله البكر. خالق السموات والأرض ومالكهما ليس لك شبيه. أنت الرحيم ومحيى الموتى.

ويقول دوان. وكان الكلدانيون يقولون للكلمة « ممرار » وأنها الصانع للعالم والحاكم عليه. وأنه ليس من شيء أعظم منه إلا الله.

ومن هنا كان استخدام يوحنا للكلمة بمعنى الله الخالق. مسبوقا فى الديانات الوثنية القديمة. ومع هذا فإنه لم يوفق فى الصياغة. فقد ذكر (فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله) فكيف تكون الكلمة « الله » بعد أن كان « الكلمة » عنده؟ إن لفظ (عنده) تثبت المغايرة والخلق وتنفى الأزلية. لأن لمن يوصف بذلك – المسيح – بداية وليس لله الحق وحده بداية. لأنه الأول بدونها. فالمسيح مخلوق ذو بداية معروفة ونهاية غير مجهولة. فإذا كان المسيح الله الابن. فكيف يكون حادثا؟ لن يكون الله حادثا قطعا. ولكن لفظة عند تقرر ذلك..) عن الديانات والعقائد ٣ / ٢٣ : ٢٨ بتصرف.

له. ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به. ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه[1].

الشبهة الرابعة

ومنها أنه قال: ورد في الكتاب العزيز – فى حق عيسى –[2]. ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

الجواب عليها

إن الذين اتبعوه ليسوا النصارى الذين اعتقدوا فيه أنه ابن الله. وسلكوا

---

(١) وضع العلماء شروطا متعددة لمن أراد تأويل القرآن الكريم منها علمه بما يلى:

١– علم اللغة. لأن به يعرف مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

٢– علم النحو. لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلابد من اعتباره.

٣– التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ.

٤– الاشتقاق. لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما.

٥– ٦– ٧– علم المعانى والبيان والبديع. لأنه يعرف بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادته المعنى ويعرف بالتالى طرق البيان من: تشبيه واستعارة ومجاز، ويعرف بالثالث الصور الجمالية فى الكلام.

٨– علم القراءات. لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن. وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

٩– أصول الدين بما فى القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى.

١٠– أصول الفقه. إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

١١– أسباب النزول والقصص. إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

١٢– الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

١٣– الفقه.

١٤– الأحاديث المبينة لتفصيل المجمل والمبهم.

١٥– علم الموهبة – وليس كسبيا – وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم.

راجع: الإتقان للإمام السيوطى ٤/ ٢١٣ الهيئة المصرية.

(٢) جملة (فى حق عيسى) تطلبها السياق وليست بالأصول.

مسلك المتأخرين . .[1] فإن اتّباع الإنسان موافقته فيما جاء به . وكون هؤلاء المتأخرين اتبعوه . محل نزاع . بل متبعوه هم الحواريون . ومن تابعهم قبل ظهور القول بالتثليث[2] . وأولئك هم الذين رفعهم الله فى الدنيا والآخرة . ونحن منهم وهم منا . ونحن إنما نطالب هؤلاء بالرجوع إلى ما كان أولئك عليه . فإنهم قدس الله أرواحهم . آمنوا بعيسى وبجملة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين .

وكان عيسى –عليه السلام– بشرهم بمحمد ﷺ . كما تقف على نصوصه فى آخر هذا الكتاب –إن شاء الله تعالى–[3] فكانوا ينتظرون ظهوره ليؤمنوا به –عليه السلام– وكذلك لما ظهر–عليه السلام– جاءه أربعون راهبا من نجران[4]

---

(١) أسقطت جملة – هؤلاء الدبر – مكان النقط . لمعارضتها السياق .

(٢) قضية التثليث متأخرة الزمان عن دعوة المسيح –عليه السلام– قرابة ثلاثمائة عام تقريبا . وليس لها أصل تعتمد عليه . فلقد أعلن المسيح –عليه السلام– توحيد الله وما زالت نصوص التوراة والانجيل تصرح بهذا . فقد ورد فى التوراة « أنا هو الرب إلهك . الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل . وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور) (تث ٥/٦ : ٩) .

وفى الإنجيل وردت نصوص تصرح بأن الله واحد لاشريك له . وأن عيسى رسول الله وليس أكثر من رسول . نذكر من هذه النصوص ما يلى :

١– ورد فى متى (إن أباكم واحد الذى فى السموات) ٢٣/٩ .

٢– مرقس (الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه) ١٢/ ٢٩ .

٣– يوحنا (إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم) ٢٠/١٧ وعن إثبات الرسالة ورد ما يلى :

١– متى (هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل) ٢١/١١ .

٢– لوقا (قد قام فينا نبي عظيم) ٧/١٦ .

روى عن عيسى بعد أن أحس بمؤامرة اليهود عليه وقرب النهاية أنه قال (ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارج أورشليم . يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين) .

٣– يوحنا (إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم) ٦/١٤، ٧/٤٠

(أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله) ٨/٤٠ .

(٣) راجع باب البشارات فى آخر هذا الكتاب .

(٤) كلمة (من نجران) غير موجودة بالتيمورية .

فوجدوه هو الموعود به. فآمنوا به فى ساعة واحدة. بمجرد النظر والتأمل لعلاماته[1]. فهؤلاء هم الذين اتبعوه. وهم المرفوعون المعظمون وأما هؤلاء النصارى فهم الذين كفروا به مع من كفر[2] وجعلوه سببا لانتهاك حرمة الربوبية. بنسبة واجب الوجود المقدس عن صفات البشر إلى الصاحبة والولد[3]. الذى ينفر منها أقل رهبانهم. حتى إنه قد ورد أن الله تعالى. إذا قال لعيسى – عليه السلام – يوم القيامة ﴿ **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة: ١١٦] يسكت أربعين سنة خجلا من الله تعالى حيث جعل سببا للكفر به[4]. وانتهاك حرمة جلاله. فخواص الله تعالى يألمون ويخجلون من

---

(١) لم يرد ذكر لهذا العدد فى ابن هشام. وإنما ورد قدوم وفدين.

الأول: مع خالد بعد عودته من ديارهم. وفى هذا الوفد قيس بن الحصين ذى الغصة ويزيد ابن عبد المدان ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادى وشداد بن عبد الله القنانى.

الثانى: قد أتى بقيادة السيد والعاقب وقيادة الأسقف أبى الحارث وكان معهم وجوه القوم (ابن القيم. زاد المعاد ٣ / ٤١).

والذى ذكره ابن هشام أن كثيرين أسلموا بعد دعوة خالد بن الوليد لهم إلى الإسلام. فاستجابوا على أثر دعوته: راجع البداية والنهاية لابن كثير ٥ / ٥٢ – ٥٨.

(٢) كل من يشرك مع الله غيره فهو كافر به. وقد حكم القرآن صراحة دون مواراة. بكفر من ثلث أو ادعى أن الله هو المسيح بن مريم. قال تعالى:

١ – ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [المائدة: ١٧].

٢ – ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٧٣].

(٣) ذلك واضح فى قول الحق ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقد رد القرآن عليهم هذا القول. قال تعالى:

﴿ **أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ** ﴾ [الأنعام: ١٠١]. وقال على لسان الجن ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا** ﴾ [الجن: ٣].

(٤) التحديد غير قطعى ولم يرد له ذكر فى تفسير الطبرى أو البحر المحيط أو الدر المنثور أو ابن كثير. عند تناولهم لهذه الآية.

اطلاعهم على انتهاك حرمة الله تعالى [١]. وإن لم يكن لهم فيها مدخل ولا لهم فيها تعلق. فكيف إذا كان لهم فيها تعلق من حيث الجملة. ومن عاشر أماثل الناس[٢] ورؤساءهم. وله عقل قويم وطبع مستقيم غير طبع النصارى أدرك هذا فما آذى أحد عيسى – عليه السلام – ما آذته هؤلاء النصارى. نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه.

الشبهة الخامسة

أنه قال: إن القرآن الكريم شهد بتقديم بيع النصارى[٣]. وكنايسهم[٤]. على مساجد المسلمين بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ**

---

(١) جملة (حرمة الله تعالى) من التيمورية.

(٢) الأماثل جمع أمثل وهو الأفضل. وأمثلهم طريقة أعدلهم وأشبههم. القاموس المحيط. فصل الميم باب اللام ص٤ / ٤٩.

(٣) البيعة بالكسر هي كنيسة النصارى. والجمع بيع كسدرة وسدر. (معجم ألفاظ القرآن الكريم ص١٤٠).

(٤) اسم سريانى معناه (مجمع) أما الكلمة اليونانية المستعملة فى العهد الجديد (الكيزيا) فإنها تعنى مجمع المواطنين فى بلاد اليونان التى كانت الحكومة تدعوهم للتشريع أو لأمور أخرى (أع ١٩ : ٣٢، ٤١) وقد استعمل الكتاب الملهمون الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين الذين يعترفون أن الرب يسوع هو رأسهم الأعلى. الذين كانوا يجتمعون فى أوقات منتظمة معينة أو كما تسمح الفرصة للعبادة (متى ١٦ : ١٨، ١٨ : ١٧، أع ٢ : ٤٧، ٥ : ١١، أفسس ٥ : ٢٣). ولما تكاثر عدد أتباع المسيح فى مدن متعددة. بدأوا باستعمال كلمة (كنائس) بصيغة الجمع للدلالة عليهم. وكانت الجماعة الواحدة فى كل بلد تدعى (كنيسة) أع ٩ : ٣١، رو ١٦ : ٤، اكو ٧ : ١٧، اتس ٢ : ١٤ ولم تستعمل الكلمة بوضوح فى العهد الجديد للدلالة على البناء الذى يجتمع فيه المسيحيون للعبادة. والكنيسة غير المنظورة تتألف من كل الذين اتحدوا حقا بالمسيح (اكو ١ : ٢، ١٢ : ١٢) أما الكنيسة المنظورة فإنها تتألف من جميع الذين يعترفون أنهم متحدون بالمسيح. وفى الكنيسة كان للرسل مركز سلطة ممتاز (أع ٥ : ٢، ٦ : ٦، اكو ٢ : ٢٨، أف ٢ : ٢٠، ٢بط ٣ :٢).. وكان خدام الكنيسة المحليون هم الشيوخ والأساقفة والشمامسة (أع٦ : ٣، ١٤ : ٢٣). وقد أشبهت العبادة فى الكنيسة المحلية العبادة فى المجمع اليهودى. وكانت تتألف من الوعظ (متى ٢٨ / ٢٠، أع ٢٠ /٧، اكو ١٤ : ١٩) راجع قاموس الكتاب المقدس. مادة (كنس).

لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فقد جعل الصوامع والبيع مقدمات على المساجد. وجعل فيها ذكر الله كثيرا[١]. وذلك يدل على أن النصارى فى زعمهم على الحق فلا ينبغى لهم العدول عما هم عليه. لأن العدول عن الحق إنما يكون للباطل.

الجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أحدها: إن المراد بهذه الآية أن الله تعالى يدفع المكاره عن الأشرار بوجود الأخيار فى كل عصر. فما من زمان إلا وفى أهله من الأخيار[٢]. فيكون وجود الأخيار سببا لسلامة الأشرار من الفتن والمحن. فزمان موسى – عليه السلام – سلم فيه أهل الأرض من بلاء يعمهم. بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة الموسوية[٣]. وزمان عيسى – عليه السلام – سلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة العيسوية. وزمان – محمد – ﷺ – يسلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة المحمدية. وكذلك سائر الأزمان الكائنة. بعد الأنبياء[٤] – عليهم السلام – كل من كان مستقيما

---

(١) هذه الجملة ساقطة من التيمورية.

(٢) هذه الجملة موجودة بالتيمورية ووضعت لتطلب السياق.

(٣) ورد فى التوراة بشأن توسلات إبراهيم عليه السلام لأهل سدوم حين أتت الملائكة لإهلاكها (فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم. عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه.. فقال الرب إن وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم. فأجاب إبراهيم وقال إنى قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسون بارا خمسة أتهلك كل المدينة بالخمسة. فقال لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين. فعاد يكلمه أيضا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال لا أفعل من أجل الأربعين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين. فقال إنى قد شرعت أكلم المولى عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أهلك من أجل العشرين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال لا أهلك من أجل العشرة..) تكوين ١٨/ ٢٣: ٣٢.

(٤) جملة (بعد الأنبياء) مأخوذة عن التيمورية.

على الشريعة الماضية. هو سبب لسلامة البقية. فلولا أهل الاستقامة فى زمن موسى -عليه السلام- لم تبق صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح لعموم الهلاك. فينقطع الخير بالكلية. وكذلك فى سائر الأزمان. فلولا أهل الخير فى زماننا لم يبق مسجد يعبد الله فيه على الدين الصحيح. ولغضب الله تعالى على أهل الأرض. والصوامع أمكنة الرهبان فى زمن الاستقامة حيث يعبد الله تعالى فيها على دين صحيح. وكذلك البيعة والصلاة والمسجد. وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله تعالى فيها. وبدلت شرائعه. وكانت محل العصيان والطغيان. لا محل التوحيد والإيمان. وهذه المواطن فى أزمنة الاستقامة لا نزاع فيها. إنما النزاع لما تغيرت أحوالها وذهب التوحيد وجاء التثليث. وكذبت الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وصار ذلك يتلى فى الصباح والمساء فحينئذ هى أقبح بقعة على وجه الأرض. وألعن مكان يوجد. فلا تجعل هذه الآية دليلا على تفضيلها.

ثانيها: إن الله تعالى قال (صوامع وبيع وصلوات) بالتنكير. والجمع المنكر لا يدل عند العرب على أكثر من ثلاثة من ذلك المجموع بالاتفاق. ونحن نقول إنه قد وقع فى الدنيا ثلاث من البيع. وثلاث من الصوامع. كانت أفضل مواضع العبادات بالنسبة إلى ثلاثة مساجد. وذلك أن البيع التى كان عيسى -عليه السلام- وخواصه من الحواريين يعبدون الله تعالى فيها. هى أفضل من ثلاثة أو أربعة لم يصل فيها إلا السفلة من المسلمين. وهذا لا نزاع فيه. إنما النزاع فى البيع والصوامع على العموم. واللفظ لا يقتضيه لأنه جمع منكر. وإنما يقتضيه أن لو كان مُعَرَّفا. كقولنا: الْبِيَع باللام[1].

ثالثها: أن هذه الآية تقتضى[2]. أن المساجد أفضل بيت عند الله

---

(١) ظاهر الرد عدم التوفيق. ولكن الواقع الأليم فى مساجد الشيعة والدروز وغيرهما يؤكد ذلك فضلا عن مساجد البابية والبهائية والقاديانية.

(٢) فى التيمورية (تدل على) بدلا من تقتضى.

تعالى. على عكس ما قاله هذا الجاهل بلغة العرب. و تقريره أن الصنف القليل المنزلة عند الله تعالى أقرب إلى الهلاك من العظيم المنزلة. والقاعدة العربية. أن الترقى فى الخطاب إلى الأعلى فالأعلى. أبدا فى المدح والذم. والتفخيم والامتنان. فيقال فى المدح: الشجاع البطل. ولا يقال: البطل الشجاع. لأنك تعد راجعا عن الأول وفى الذم: العاصى الفاسق ولا يقال الفاسق العاصى، وفى التفخيم فلان يغلب المائة والألف. ولا يقال فلان يغلب الألف والمائة. وفى الامتنان: لا أبخل عليك بالدرهم ولا بالدينار. ولا يقال بالدينار والدرهم. والسر فى الجميع أنك تعد راجعا عن الأول. كقهقرتك عما كنت فيه إلى ما هو أدنى منه. إذا تقرر ذلك ظهرت فضيلة المساجد، ومزيد شرفها على غيرها، وأن هدمها أعظم من هدم غيرها، لا يوصل إليه إلا بعد تجاوز ما يقتضى هدم غيرها. كما نقول: لولا السلطان لهلك الصبيان والرجال والأمراء. فترتقى أبدا للأعلى فالأعلى. لتفخيم أمر عدم[1]. السلطان – وأن وجوده سبب عصمة هذه الطوائف. أما لو قلت لولا السلطان[2] لهلك الأبطال والصبيان لعد كلامك متهافتا.

رابعا: أن الآية تدل على أن المساجد أفضل بيت وضع. – على وجه الأرض[3] – للعابدين من وجه آخر، وذلك أن القاعدة العربية أن الضمائر إنما يحكم بعودها على أقرب مذكور[4]. فإذا قلت: جاء زيد وخالد وأكرمته. فالإكرام خاص بخالد لأنه الأقرب. فقوله تعالى (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يختص بالأخير الذى هو المساجد. لأن قوله فيها ضمير يختص بالقريب. وهذا قول المفسرين – فتكون المساجد قد اختصت[5] – بكثرة ذكر الله تعالى. وهو يقتضى أن غيرها لم يساوها فى كثرة الذكر. فتكون أفضل وهو المطلوب.

---

(١) فى الأصل (عزم) وكلمة (عدم) ألصق بالمعنى.

(٢) ما بين الشرطتين ساقط من التيمورية.

(٣) ما بين الشرطتين ساقط من التيمورية.

(٤) فى التيمورية ورد بعد كلمة مذكور (هذا على احتمال خلاف قوة الكلام وسياقه على وجه المشروح. بل الضمير راجع إلى جماعة ما ذكر) ولم أكتبها بالمتن لخروجها عن السياق.

(٥) ما بين الشرطتين مأخوذ عن النسخة التيمورية لتطلب السياق ذلك.

فائدة: الصومعة: موضع الرهبان. وسميت بذلك لحدة أعلاها ودقته. ومنه قول العرب أصمعت الثريدة إذا رفعت أعلاها. ومنه قولهم: رجل أصمع القلب إذا كان حاد الفطنة.

والصلاة: اسم لمتعبد اليهود. وأصلها بالعبرانية صلوتا فعربت.

والبيع: اسم لمتعبد النصارى. اسم مرتجل غير مشتق.

والمسجد: اسم مكان السجود. فإن مفعلا فى لسان العرب اسم للمكان. واسم للزمان الذى يقع فيه الفعل نحو المضرب لمكان الضرب وزمانه.

الشبهة السادسة

أنه قال إن القرآن دل على تعظيم الحواريين[1]. والإنجيل[2]. وأنه غير مبدل بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ [المائدة: ٤٨]. أى من التوراة والإنجيل وإذا قصدهما لاتكون مبدلة ولا يطرأ التغيير عليها بعد ذلك لشهرتها. فى الأعصار والأمصار فيتعذر تغييرها.

ولقوله تعالى فى القرآن ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ١-٢]. والكتاب هو الإنجيل لقوله تعالى: ﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٤]. والكتاب هنا هو الإنجيل. ولأنه تعالى لو أراد القرآن لم يقل ذلك بل لقال: (هذا الكتاب)[3]. ولقوله تعالى: ﴿ **آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ** ﴾ [الشورى: ١٥].

---

(١) قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾ [الصف: ١٤].

(٢) قال تعالى: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة: ٤٦]

(٣) الجملة تطلبها السياق والأصل (بل قال).

الجواب عن هذه الشبهة

إن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه. وأنهم من خواص عباد الله. الذين اتبعوا عيسى -عليه السلام- ولم يبدلوا. وكانوا معتقدين بظهور نبينا محمد - ﷺ - فى آخر الزمان. على ما دلت عليه كتبهم. على ما أذكره فى الباب الرابع إن شاء الله تعالى[١]. وإنما كفر وخالف الحادثون بعدهم[٢].

وأما تصديق القرآن لما بين يديه. فمعناه أن الكتب المنزلة[٣]. المتقدمة عند نزولها قبل تغييرها وتخبيطها كانت حقا موافقة للقرآن. والقرآن موافق لها. وليس المراد الكتب الموجودة اليوم. فإن لفظ التوراة والانجيل إنما ينصرفان إلى المنزلين. وسأبين أن الموجود الآن غيرهما فى كثير من المعانى والوجوه.

وأما قوله تعالى (ذلك الكتاب) وأن المراد به الإنجيل. فمن الافتراء العجيب والتخيل الغريب. بل أجمع المسلمون قاطبة. على أن المراد به القرآن الكريم ليس إلا[٤]. وإذا أخبر الناطق بهذا اللفظ. وهو رسول الله ﷺ أن المراد هذا الكتاب.

---

(١) انظر الباب الرابع من هذا الكتاب.

(٢) الأصل فى دعوة المسيح عليه السلام التوحيد. بدليل قوله عليه السلام ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [المائدة: ١١٧].
وقد ورد فى الانجيل (الرب إلهنا واحد وليس آخر سواه) مرقس ١٢ / ٢٩ (أن أباكم واحد الذى فى السموات) متى ٢٣ / ٩.

وقد ظل الاتباع على هذه الدعوة مدة من الزمان. إلى ان انتشرت المسيحية. ودخل فيها أفراد من اليهود والوثنيين الذين ادخلوا على العقيدة ما ليس منها ونمت دعواتهم وخاصة بولس. ونظرا لغيبة النص الموحى به لدى الاتباع المخلصين. والذى يمكن على ضوئه قياس دعاوى هؤلاء. فإن هذه الدعوات قد نمت وسادت واختفى التوحيد رويدا رويدا. خاصة أنها تتضمن مدحا جاوز حده بشأن المسيح. حتى كان مجمع نيقية الذى قرر ألوهية المسيح وأنكر بشريته. وباعتناق قسطنطين (الوثنى) للمسيحية أعلن راية المسيحية وساند كل من دعا إليها. وعمد بها على فراش الموت. ثم قرر مجمع (القسطنطينية الأول ٣٨١م) ألوهية الروح القدس..

(٣) كلمة (المنزلة) من التيمورية.

(٤) انظر تفسير الطبرى ١ / ٢٢٥. الفخر الرازى ٢ / ١٢ محاسن التأويل ٢ / ٣٢ القرطبى ١ / ١٥٧.

كيف يليق أن[1] يحمل على غيره. فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه فى قول نفسه. إنما ينازع فى تفسير قول غيره إن أمكنت منازعته. وأما الإشارة بـ (ذلك) التى أغتر بها هذا السائل فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال:

ذا للقريب. وذاك للمتوسط. وذلك للبعيد[2]. لكن البعد والقرب يكونان تارة بالزمان وتارة بالمكان. وتارة بالشرف. وتارة بالاستحالة. ولذلك قالت (زليخا)[3] فى حق يوسف -عليه السلام- لما اجتمعت مع نسوة بالمدينة ويوسف عليه السلام بالحضرة. وقد قطعن أيديهن من الدهشة بحسنه ﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ [يوسف: ٣٢] إشارة لبعده عليه السلام فى شرف الحسن. وكذلك القرآن الكريم لما عظمت رتبته فى الشرف أشير إليه بذلك. وقيل:[4] أشير إليه (بذلك) لبعد مكانه لأنه مكتوب فى اللوح المحفوظ. وقيل لبعد زمانه. لأنه وعد به فى الكتب المنزلة قديما. وقيل لما كان أصواتا والصوت يستحيل بقاؤه. فصار بسبب هذه الاستحالة فى غاية البعد لأن المستحيل أبلغ من البعيد[5].

وأما قوله تعالى ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤]. فاعلم أن (اللام) فى لسان العرب تكون لاستغراق الجنس. نحو حرم الله

---

(١) فى الأصل (أن لا يحمل) فحذفت (لا) لتطلب السياق.

(٢) راجع: الجَنَى الدانى فى حروف المعانى ص٢٥٦. ثم أضاف قوله. ومن لم ير التوسط جعل ذاك للبعيد أيضا لأن اللام للبعد.

(٣) هذ التسمية ليست قطعية الدلالة. بل إن المفسرين ذكروا لها اسما آخر هو (راعيل) كما بتفسير القرطبى ونسبه إلى الماوردى. وليس هناك نص يمكن الاعتماد عليه بغية القطع بالتسمية.

(٤) فى الأصل (وقد).

(٥) وقيل إن الإشارة بذلك بدلا من هذا. كما أن هذا ترد بمعنى ذلك. كما فى الحديث يركبون (ثبج - أى وسط - هذا البحر) وقيل إن الإشارة لغائب والمراد به هنا ما يلى:

(أ) الكتاب المكتوب على الخلائق بالسعادة والشقاوة والأجل والرزق.

(ب) الكتاب الذى كتبه الله على نفسه فى الأزل (إن رحمتى سبقت غضبى).

(جـ) الإشارة إلى ما نزل من القرآن بمكة... القرطبى ١ /١٥٨.

الخنزير والظلم[١]. وللعهد نحو قولك لمن رآك أهنت رجلا: أكرمت الرجل بعد إهانته. ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها[٢]. فتحمل فى كل مكان على حسب ما يليق به. فهى فى قوله تعالى ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ للعهد. لأنه موعود به. مذكور على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فصار معلوما. فأشير إليه بلام العهد. وهى فى قوله تعالى ﴿ **جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ** ﴾ للجنس. إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة فليس المراد هاهنا المراد ثمة[٣] ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهماً متقنا. وقوله تعالى لنبيه - عليه السلام- فهو أمر له بأن يقول ﴿ **آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ** ﴾ [الشورى: ١٤]. فالمراد: الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمترى فيه عاقل. ونحن ننازعهم فى أن ما بأيديهم. الكتب المنزلة بل هى مبدلة مغيرة. فى غاية الوهن والضعف وسقم الحفظ. والرواية والسند[٤]. بحيث لا يوثق بشىء منها.

وبيانه أن الأناجيل خمسة. يعرف النصارى منها أربعة مشهورة. والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم. فالأربعة:

---

(١) كلمة (الظلم) من التيمورية.

(٢) (أل) تكون اسم وتكون حرف. فالاسم إذا استعملت فى الصلة. والحرف أحد عشر قسما. من هذه الاقسام كونها للتعريف وهى ثلاثة أقسام:

١- عهدية. ٢- جنسية. ٣- لتعريف الحقيقة.

نحو قوله تعالى: ﴿ **وجعلنا من الماء كل شىء حى** ﴾.

ويفرق بينهما بأن الأولى يراد بها فرد معين. والجنسية يراد بمصحوبها كل الأفراد حقيقة أو مجازا. والتى لتعريف الحقيقة يراد بمصحوبها نفس الحقيقة لا ماتصدق عليه من أفراد. (راجع الجنى الدانى ٢١٧. حسن قاسم المرادى).

(٣) الجملة من التيمورية وفى الأصل (فليس هاهنا المتقدمة).

(٤) السند هو الطريق الموصل إلى المتن. ولا يضع أهل الكتاب له آدابا أو شروطا وإنما يرون الالهام هو مصدر البلاغ دون التلقى المباشر وقد كتبت بعض الأبحاث التى ناقشت قضية السند عند أهل الكتاب وأقامت الدليل على عدم توافره. راجع إظهار الحق لرحمة الله الهندى. بين الاسلام والمسيحية تحقيق د. شامه. محاضرات فى النصرانية للشيخ أبو زهرة. الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام. للقرطبى. الفصل فى الملل والنحل لابن حزم. أثر القرآن فى الدراسات النقدية للكتاب المقدس: بكر زكى.

الأول : إنجيل متى . وهو من الحواريين الاثنى عشر . وبشر بإنجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين . بعد صعود المسيح عليه السلام إلى السماء . بثمان سنين[١] وعدة إصحاحاته ثمانية وستون إصحاحا[٢] .

الثانى : إنجيل مرقس[٣] . وهو من السبعين . وبشر بإنجيله باللغة الفرنجية .

---

(١) متى . يهودى من الجليل واسمه لاوى بن حلفى (مر ٢ : ١٤) اشتغل بجمع الجباية ودعاه المسيح وهو يمارس وظيفته .

وزمان كتابة البشارة غير معروف بالتحقيق ويرجح أنها كتبت سنة ٦٠ أو ٦٦ . وبما أنه لا يذكر فيه خراب أورشليم سنة ٦٦ وهى سنة سبعين على الحساب المشهور فقد استنتج الناس أنه كتب قبل وقوع تلك الحادثة .

واللغة التى كتب بها أصلا هى اليونانية . ومنها جاءت الترجمة العربية وسائر الترجمات المعروفة . لكن لنا أدلة كثيرة على وجود نسخة عبرانية قديمة . فقدت منذ عهد طويل ولا مانع أن هذا البشير كتب بشارته فى لغتين . فثبوت النسخة العبرانية لا يناقض قانونية النسخة اليونانية التى عندنا . (الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل . مقدمة الجزء الأول) وكثيرا ما يبرز متى شواهد من نبوات العهد القديم . ولا يعلم هل هذا الانجيل هو الأول باعتبار زمن تاليفه إلا أنه يستحق الوضع فى صدر العهد الجديد . لكونه الحلقة الموصلة بين العهد القديم والجديد . . وذهب بعض القدماء إلى أنه كتب فى السنة الثامنة بعد الصعود . وآخرون إلى أنه كتب فى السنة الخامسة عشرة . راجع قاموس الكتاب المقدس ٨٣٢ / ٨٣٣ .

(٢) الإصحاحات الموجودة (٢٨) .

(٣) له فى العهد الجديد اسمان (مرقس) وهو اسم لاتينى . ويوحنا وهو اسم يهودى كما ورد فى لوقا : ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (أع ١٢ : ١٢) .

وعن زمن الكتابة ورد : لا واسطة لتحقيق زمن كتابة هذا الإنجيل . لكن نعلم أنه كتب قبل خراب أورشليم . إذ لا إشارة فيه إلى أنها كانت قد أخربت . والأرجح أنه كتب بين سنة ٦٣ب . م . وسنة ٦٨ . ولا دليل على مكان كتابته . وظن بعضهم أنه كتب فى أنطاكية . وظن غيرهم أنه كتب فى الاسكندرية أو فى بابل المصرية .

وعن مصدر علمه بما كتب ورد . لم يعلم حق العلم من أين أخذ مرقس أنباء بشارته لانه ليس برسول . ولم يذكر اسمه بين تلاميذ المسيح فى كل المدة التى كان المسيح فيها على الأرض . وظن البعض أنه واحد من السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير . والذى حملهم على ذلك الظن تدقيقه فى ذكر الحوادث كشاهد عيان .

ورجح المؤرخون المسيحيون الأولون . أن مرقس كتب بشارته بارشاد بطرس الرسول . ويوافق ذلك أنه كان رفيق بطرس يوم كتب رسالته الأولى فى بابل . . ومن المعلوم أن مرقس كان =

بمدينة رومية. بعد صعود المسيح -عليه السلام- باثنتى عشرة سنة. وعدة إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحا[1].

الثالث: إنجيل لوقا[2]. وهو من السبعين وبشر بانجيله بالإسكندرية باللغة اليونانية وعدة اصحاحاته ثلاثة وثمانون إصحاحا[3].

= رفيق بولس زمانا فلابد من أنه سمع كلامه فى المسيح ومواعظه. وعلى ذلك كان مرقس متعلما من رسول اليهود بطرس ومن رسول الامم بولس. والأرجح أن إنجيل مرقس مختصر تعليم بطرس فى تبشيره ومواعظه (راجع مقدمة الجزء الثانى من كتاب الكنز الجليل ص١ :٧) وفى تمام الإنجيل خلاف. فقد ورد (أن الجزء الأخير من الإنجيل وهو صح ١٦ : ١٩، ٢٠ وجد فى بعض المخطوطات القديمة ولم يوجد فى البعض الآخر مثل المخطوطة السينائية ومخطوطة الفاتيكان، راجع قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٥.

(١) الموجود بالإنجيل الآن ١٦ إصحاح.

(٢) قال بعضهم إنه لم يكن يهوديا أصيلا. بل ممن هادوا من الأمم. وسموا دخلاء لأن بولس عندما ذكر أصحابه فى رومية الذين من الختان أصلا. والذين ليسوا من الختان كذلك. لم يذكر لوقا مع الأولين بل مع الآخرين. (اكو ٤ :١١، كو ٤ :١٤) ولم يكن شاهد عين بما ذكره فى إنجيله. ولا خادما للإنجيل من أول انتشاره بدليل ما جاء فى كلامه.. ولم يعلم متى تنصر ولا على يد من تنصر... رافق بولس مدة من الزمان وتنقل معه بين الأمصار وسجن معه.

زمن الكتابة. كتب هذه البشارة قبل خراب أورشليم. لأن الإصحاح الحادى والعشرين منها. كتب نبوءة بخراب أورشليم. لا تاريخ أمر قضى. والنتيجة أن هذه البشارة كتبت بين سنة ٥٨، ٦٠م.

مصادرها. كانت هناك مؤلفات كثيرة فى سيرة المسيح. وكانت ناقصة غير موثوق بها وأنه استفرغ المجهود فى الوقوف على حقيقة الأمر وكمال الحوادث. وهذا يدلنا على أنه لم يقف على بشارتى. متى ومرقس. وإلا كان أدخل فى بشارته الحوادث التى ذكراها. لأن ذلك وفق قصده الذى أعلنه. ولا يمكنه أن يكون كتب عن يوحنا. لأن يوحنا كتب بعده ولم يدع أنه شاهد عين بما أنبأ به من الحوادث. لكنه صرح بأنه بحث عن ذلك ممن كانوا شهود عين. ووقفوا على اليقين (راجع مقدمة تفسير إنجيل لوقا - الكنز الجليل - الجزء الثانى).

إن تاريخ كتابة بشارة لوقا يتوقف إلى حد كبير على تعيين تاريخ كتابة سفر الأعمال وبما أنه مرجح أن سفر الأعمال قد كتب حوالى سنة ٦٢، ٦٣ ميلادية. لذلك فكل الدلائل التى لدينا تشير إلى أن هذه البشارة كتبت حوالى عام ٦٠م . قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٣.

(٣) عدد الإصحاحات الموجودة الآن ٢٤.

الرابع: إنجيل يوحنا[١]. وهو من الاثنى عشر. بشر بإنجيله فى مدينة أفسس من بلاد رومية بعد صعود المسيح -عليه السلام- بثلاثين سنة. وعدة إصحاحاته فى النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون إصحاحا[٢].

الخامس: يسمى إنجيل الصبوة[٣]. ذكر فيه الأشياء التى صدرت من المسيح فى حال طفولته، ينسب لبطرس عن مريم -عليها السلام-. وفيه زيادة ونقصان. وقد ترك كثيرا من أعلام المسيح -عليه السلام-. ومشاهير معجزاته. ويذكر فيه قدوم المسيح -عليه السلام- وأمه -رضى الله عنها- ويوسف النجار إلى صعيد مصر. ثم عودته إلى ناصرة- قرية عند المقدس- وإليها ينسب النصارى[٤]. وفى هذه الأناجيل الأربعة. من التناقض والتعارض والتكاذب

---

(١) هو ابن زبدى وسالمى (متى ٤ : ٢١، مر ١ :١٩) ومصدرعلمه الرؤيا والسماع كما ورد فى إنجيله (١ : ١٤، ١٣ : ٢، ١٨ : ١٥، ١٩ :٢٦).

زمان ومكان التأليف: الراجح أنه كتب فى مدينة أفسس فى المدة الأخيرة من حياته أى بين سنة ٨٠، ٩٠ب. م أو ليس بأقل من عشرين سنة بعد كتابة البشائر ولعله كتب بعدهم بثلاثين سنة. والدليل على أنه كتب بشارته بعد خراب أورشليم. أنه لم يذكر شيئا من إنباء المسيح بذلك الخراب. كما ذكر غيره من البشيرين. وقد نسبت إليه فى العهد الجديد خمسة أسفار. وهى البشارة الرابعة والرسائل الثلاثة وسفر الرؤيا..

وقد ظن بعضهم أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الشيخ الذى ذكره بابياس أسقف هيرابوليس فى أوائل القرن الثانى الميلادى. ولكن من المحتمل أن يوحنا الشيخ هو نفس يوحنا الرسول.

لم يذكر فى إنجيله، قصة الميلاد، المعمودية، التجربة، أمثال المسيح، أحاديثه، دعوته الاثنى عشر رسولا، وجميع المعجزات عدا إطعام الخمسة آلاف. واختص بذكر تحويل الماء خمر، شفاء ابن خادم الملك، شفاء المريض فى بركة بيت حسدا، والأعمى فى بركة سلوام، وإقامة العازر من الموت. وحديث المسيح مع نيقوديموس، والمرأة السامرية والفريسيين، والخطاب للوداعى، وصلاة الشفاعة، وظهوره بعد القيامة على بر الجليل (راجع قاموس الكتاب المقدس ١٠٩ - ١١٢).

(٢) الإصحاحات الموجودة (٢١).

(٣) عرف النصارى أناجيل عدة. اختاروا منها أربعا. وأحرقوا الأخري أو أهملوا طبعها ولم يكن للترجيح قانون ضابط وإنما هو الميل النفسى فقط. وقد كتب فى هذه القضية كثيرون ويمكن الرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس (مادة كتب) وتاريخ الكنيسة (جزء ١) محاضرات فى النصرانية للإمام أبى زهرة للوقوف على هذا.

(٤) لم تذكر هذه الأحداث فى غير إنجيل متى. ويمكن العودة إليه (إصحاح ٢ /١٣).

ومصادمة بعضها لبعض أمر عظيم. حتي إن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله تعالى وأن أكثرها من أقوال الرواة وأقاصيصهم وأن نقلته أفسدوه بما ألحقوا فيه من حكايات. وأمور غير مسموعة من المسيح – عليه السلام –[١]. ولا من أصحابه. مثل حكاية صورة الصلب[٢].

والقتل واسوداد الشمس[٣]. وتغير لون القمر[٤]. وانشقاق الهيكل[٥]. وهذه الأمور إنما جرت في زعمهم بعد المسيح –عليه السلام– بسبب قتله كما يزعمون. فكيف تجعل من الإنجيل. والإنجيل الحق إنما هو الذى نطق به المسيح – عليه السلام– وإذا كان كذلك انخرمت الثقة بهذا الإنجيل. لاسيما وهو أربعة والمنزل واحد[٦]. وهذه الأربعة أمليت فى أقطار الأرض المتباعدة. بلغات

---

(١) اهتم علماء الأديان بذكر التفاوت بين الأناجيل الأربعة. ومن أشهر الكتب التى كتبت فى هذا الأمر. كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندى. من صفحة ٢٤٩ إلى صفحة ٢٩٢ طبعة دار التراث العربى. وكتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم من ٢ الى ٧ الجزء الثانى وكتاب بين الإسلام والمسيحية د. محمد شامه من ١٧٤ إلى ١٩١ وكتاب الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى من ١٨١ إلى ٢٠١ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه الجزء الثانى وهداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى من ٤٨ إلى ٥٠ والمنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل من ٢٨ الى ٤٧. طبع مطبعة التمدن سنة ١٣٢٢هـ. وأثر القرآن فى الدراسات النقدية للكتاب المقدس. للمحقق.

(٢) فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين. من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت. والصخور تشققت والقبور تفتحت. وقام كثيرون من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته. ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين. (متى صح ٢٧/ ٥٠–٥٣).

(٣) بجمع النصوص الواردة فى قصة الصلب. يمكن الوقوف على هذا. ففى إنجيل مرقس ورد (ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ألوى ألوى لما شبقتنى.. فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل..) ١٥: ٣٣: ٣٨.

(٤ و٥) ورد فى لوقا (وكان نحو الساعة السادسة. فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه) لوقا ٢٣/ ٤٤: ٤٦.

وكذلك ذكر يوحنا هذه الأحداث فى الإصحاح الثامن عشر والتاسع عشر من إنجيله.

(٦) حصر العدد فى أربعة مرده إلى المتفق عليه عندهم الآن وإلا فإن العدد تجاوز المائة. وقد أضمرت هذه الكتب وسميت باسم (الأبوكريفا).

مختلفة. وأقلام متباينة. مع أن كل واحد منها ذكر من الأقاصيص والحكايات ما لم يذكره الآخر[1].

فليت شعرى. أى شيء منها أو فيها هو من المنزل من عند الله تعالى. والمنزل واحد بلغة واحدة على نظام واحد. ثم إن لوقا ومرقس ليسا من الحواريين. بل نقلا عن غيرهما عن المسيح – عليه السلام – فهما نقلا كلام غير المسيح – عليه السلام – والحجة إنما هى فى كلامه – عليه السلام – فلا حجة فى هذين الإنجيلين ألبتة[2]. وقد قال لوقا فى صدر إنجيله (إن أناسا راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون. كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خداما للكلمة. فرأيت أنا إذْ كنت تابعا أن أكتب إليك أيها الأخ العزيز تأويلا تعرف به حقائق الأمر الذى وعظت به[3].

---

(١) ذكر أبو عبيدة الخزرجى شيئا من هذا التفاوت نأخذ منها:

(أ) ذكر لوقا أنه لما نزل بيسوع الجزع من اليهود نزل ملك من الملائكة ليقويه. ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا.

(ب) ذكر (يوحنا) أن أول آية للمسيح هى تحويل الماء خمرا ولم يذكر الآخرون ذلك.

(جـ) ذكر (يوحنا) أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديله ولم يذكر ذلك الآخرون.

(د) أغفل متى صعود المسيح –عليه السلام– وذكره يوحنا بتعبير غامض وهو من الحواريين الاثنى عشر. بينما ذكره لوقا ومرقس. وهما ليس من الحواريين.

راجع بين الإسلام والمسيحية. تحقيق أ. د. محمد شامة ط وهبة ص ١٧٦ / ١٧٨ ويمكن الرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس وهو يتحدث عن البشارات وما اختصت به كل بشارة دون الأخرى وأسباب هذا الاختصاص.

(٢) راجع ترجمة هذين البشيرين صفحة ٩٣، ٩٤ من هذا الكتاب.

(٣) النص فى لوقا (إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة. رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به) لوقا ١ / ١:٤.

ويلاحظ أن لوقا لم يؤمن فى حياة المسيح وإنما رافق بولس وآمن فى حياته. فقد ورد فى رسائل بولس (ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب) وفى رسالته الثانية إلى تيموثاوس يقول (لوقا وحده معى) وقد عقب الشراح بأراء عدة، حول تاريخ إيمان لوقا استنبط من مجموعها أن الباحثين ليسوا على علم يقينى بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل. محاضرات فى النصرانية ٥٦.

فقد اعترف أنه لم يلق المسيح -عليه السلام- ولا خدمه. وإنما كتابه تأويلات جمعها مما وعظ به خدام الكلمة. وها أنا أسرد عدة من تناقضها. لُيعْلم تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء ما. فإنه ليس البعض أولى من البعض.

التناقض الأول:

قال يوحنا: من يوسف خطيب مريم - عليها السلام - وهو المسمى يوسف النجار إلى إبراهيم -عليه السلام- اثنان وأربعون ولادة[١]. وقال لوقا: أربعة وخمسون[٢].

التناقض الثاني:

قال لوقا: قال جبريل الملك لمريم بناصرة: إنك ستلدين ولدا اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسي أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب[٣].

وكذبه يوحنا وغيره فقال: (بل حُمل يسوع هذا الذى وعده الله بالملك إلى القايد بيلاطس[٤]. و قد ألبسه شهرة الثياب. وتوًّجه بتاج من الشوك. وصفعوه وسخروا منه. ففاوضه بيلاطس[٥]. طويلا فلم يتكلم. فقال له أما تعلم أن لى

---

(١) ورد فى متى نسب المسيح من يوسف النجار إلى إبراهيم ٣٩ كما هو مذكور بالإصحاح الأول. وفى لوقا ورد بالإصحاح الثالث من آية ٢٣ - ٣٨. أما يوحنا فقد ذكر النسب اللاهوتى دون ذكر أسماء. راجع الكنز الجليل ١/ ٢٠.

(٢) إنجيل لوقا. الإصحاح الثالث من ٢٣: ٣٥.

(٣) النص كما فى الإنجيل (فقال لها الملاك لا تخافى يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية) لوقا ١/ ٣١:٣٤.

(٤) النص كما ورد فى يوحنا (فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان. وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود. وكانوا يلطمونه) (يوحنا. صح ١٩).

(٥) ويلقب بالبنطى. هو وال أقامته الحكومة الرومانية نائبا أو حاكما على اليهودية فى سنة ٢٩ مسيحية. واستمر حكمه بضع سنين إلى ما بعد صعود مخلصنا وكانت قيصرية مركز ولايته. صَلَب يسوع مرضاة لليهود مع اقتناعه ببراءته. وسمح ليوسف أن يأخذ جسد يسوع بعد موته و يدفنه (متى ٢٧/ ٥٧: ٦١) وضع حراسا على القبر يحرسون جسد يسوع (٢٧/ ٦٢: ٦٦) أقيل من وظيفته لقسوته ونفى إلى فرنسا ومات هناك. قاموس الكتاب المقدس ٢٠٧.

عليك سلطانا. إن شئت صلبتك. وإن شئت أطلقتك فأجابه يسوع -عليه السلام- لولا أنك أعطيت ذلك من السماء. لم يكن لك على سلطان. ومن أجل ذلك خطيتى التى أسلمتنى إليك عظيمة. وصلبه بعد ذلك[1]. وهو تناقض فاحش أحدهما يجعل يسوع -عليه السلام- ملكا عظيما لبنى إسرائيل، والآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة. ثم إن هذا المُلْك لم يتفق قط.

أما على رأيهم فلأنه صلب وهو فى غاية الخمول. وأما على رأينا فلأن الله تعالى رفعه من غير مُلْك ولا مهانة. فهذا لا أصل له.

ثم إن محاورة تجرى بين جبار وعيسى -عليه السلام- أى شيء أدخلها فى الإنجيل المنزل من السماء. بل نقطع بأن هذا غير منزل.

التناقض الثالث:

قال لوقا (لما نزل بيسوع -عليه السلام- الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه. وكان يصلى متوترا وصار عرقه كعبيط الدم[2].

ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا. وإذا تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام. وإن كان الترك صحيحا. فتكون الزيادة كذبا فى النسخ الأخرى. وهذا هو التحريف والتبديل.

مع أن نقل لوقا يقتضى رفع المسيح -عليه السلام- إلى السماء. لأن الملك لا تغلبه اليهود. وما نزل إلا للعصمة من الأذى والرفع. هذا ظاهر الحال وهو مبطل معتقد النصارى فى الصلب.

---

(١) النص كما ورد فى يوحنا (فدخل - أى بيلاطس - إلى دار الولاية. وقال ليسوع من أين أنت. وأما يسوع فلم يعطه جوابا فقال له بيلاطس أما تكلمنى. ألست تعلم أن لى سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك. فاجاب يسوع لم يكن لك على سلطان ألبتة. لو لم تكن قد أعطيت من فوق. لذلك الذى أسلمنى إليك له خطية أعظم. يوحنا: ١٩/٩:١١.

(٢) النص: وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذ كان فى جهاد كان يصلى باشد لجاجة. وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. (لوقا ٢٢/٤٣:٤٤).

ثم تقوية الملك إن كانت للاهوت المتحد بالناسوت فمحال. لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره. وإن كانت للناسوت فحينئذ هو غير اللاهوت. فما حصل الاتحاد الذى يقولونه.

التناقض الرابع:

قال يوحنا وهو أصغر الأربعة. إن أول آية أظهرها المسيح -عليه السلام- تحويل الماء خمرا[1]. ولم يذكرها الثلاثة. وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين وإن كانت لم تصح عندهم. فكيف ينقل الدين عن شخص واحد وهو يوحنا. وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر.

التناقض الخامس.

قال يوحنا: إن المسيح عليه السلام غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان فى وسطه وأمرهم أن يقتدوا به فى التواضع[2]. ولم يذكر ذلك الثلاثة الأخر. فإن كان كذبا دخل الخلل. وإن كان صدقا فلم أغفلوه. فدخل الخلل.

التناقض السادس: .

قال يوحنا: قال يسوع عليه السلام: إنى لو كنت أنا الشاهد لنفسى

---

(١) النص، وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل. وكانت أم يسوع هناك. ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له. ليس لهم خمر. قال لها يسوع مال ولك يا امرأة.. قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق. ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ. فقدموا. فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول إلى خمر. ولم يكن يعلم من أين هى..) هذه بداءة الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه يوحنا: ٢ / ١ : ١١، بتصرف.

(٢) النص (وأنه - أى يسوع - من عند الله خرج. وإلى الله يمضى. قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها. ثم صب ماء فى مغسل. وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها.. قال له بطرس لن تغسل رجلى أبدا. أجابه يسوع. إن كنت لا أغسلك فليس لك معى نصيب (يوحنا ١٣ / ٣:٨).

لكانت شهادة باطلة. ولكن غيرى يشهد لى. فأنا أشهد لنفسى وأبى أيضا يشهد لى أنه أرسلنى[1]. وقالت توراتكم إن شهادة رجلين صحيحة. فجعلوا الله تعالى رجلا. وأثبتوا شهادته لنفسه مع القول ببطلانها. وهذا كلام ينزه عنه المسيح عليه السلام وأصحابه.

التناقض السابع:

قال يوحنا لما مضى المسيح – عليه السلام – ليوحنا المعمدانى ليتعمد منه. قال له المعمدانى حين رآه: هذا خروف الله الذى يحمل خطايا العالم. وهو الذى قلت لكم أنه يأتى به بعدى وأنه أقوى منى[2].

وقال متى لما رآه المعمداني: قال إنى المحتاج إلى أن انصبغ على يدك فكيف جـئـتنى بصـبغ على يدى[3]. وأرسل إليـه بعـد ذلك. أأنت الآتى أو ننظر غيرك[4]. ومرقس لم يقل شيئا من ذلك. فاختلف الثلاثة. فجزم الأول. وجعله الثانى غير عالم حتى يسأله وسكت الثالث بالكلية.

التناقض الثامن:

قال متى: يوسف خطيب مريم –عليها السلام– اسم أبيه يعقوب[5] وقال

---

(١) النص الوارد (إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا. الذى يشهد لى هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق.. والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى) يوحنا ٥ / ٣٠: ٣٧.

(٢) النص (وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه. فقال هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم.. هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى لأنه كان قبلى) يوحنا ١ / ٢٩: ٣٠.

(٣) حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلا: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ.. متى ٣ / ١٣: ١٤.

(٤) النص (أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح. أرسل اثنين من تلاميذه. وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر) متى ١٩ / ٢: ٣.

(٥) النص (ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح) متى ١ / ١٦.

لوقا: أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف بن هال. فجعل اسم أبيه هال[١]. والأول جعله يعقوب وهو تكاذب.

ثم إن قضية عيسى – عليه السلام – فى كونه ولد من غير أب كانت فى غاية الشهرة عند بنى إسرائيل حتى آذوا مريم – عليها السلام – إيذاء عظيما برميها بالزنا[٢]. ووصلت القضية إلى أقطار الأرض. فكيف يخفى على عيسى – عليه السلام – ذلك ثلاثين سنة.

التناقض التاسع:

قال متى: صلب مع المسيح –عليه السلام– لصان. عن يمينه وعن شماله. كانا يهزءان به جميعا ويعيرانه[٣].

وقال لوقا: إنما هزأ به أحدهما. وكان الآخر يقول لصاحبه: أما تتقى الله تعالى أما نحن فبالعدل جوزينا. وأما هذا فلم يعمل قبيحا. ثم قال للمسيح – عليه السلام –: اذكرنى فى ملكوتك. فقال حقا أنك تكون معى اليوم فى الفردوس[٤] فكذب قول متى إنهما يهزآن به. وأغفل هذه القضية مرقس

---

(١) النص (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالى) لوقا ٣ / ٢٣.

(٢) الرمى بالزنا لم يصرح به فى التوراة أو الإنجيل. وإنما التصريح به ورد فى القرآن. وإن كانت هناك نصوص يفهم منها شىء ما بعد الحمل. صرحت بها الأناجيل. ونص القرآن واضح فى قول الله تعالى: ﴿ **وبكفرهم وقولهم علىٰ مريم بهتانا عظيما** ﴾ [النساء: ١٥٦]. وقولهم لها ﴿ **يا مريم لقد جئت شيئا فريا** ﴾ [مريم: ٢٧]. أما الإنجيل فقد ورد فيه (لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس) فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا..) متى ١ / ٢٠.

(٣) (ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها.. وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود. حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار) متى ٢٧ / ٣٥.

(٤) النص (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلا: أو لا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه. أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلناه. وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله. ثم قال ليسوع اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك فقال له يسوع الحق أقول لك. إنك اليوم تكون معى فى الفردوس) لوقا ٢٣ / ٣٩: ٤٣.

ويوحنا. ومن المحال أن يحدث مثل هذا. ولا يشيع فى ذلك الوقت. فان كان صحيحا فلم تركاه. وإن كذبا فلم اختلقه الآخر.

التناقض العاشر:

قال لوقا: إن ابن الانسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ولكن لينجى[١].

وقال الباقون: ابن الانسان لم يأت ليلقى على الأرض سلاماً. ليكن سيفا ويضرم فيها نارا[٢]. وهذا كلام تبرأ التلاميذ منه. لأن الأول جعله رحمة للعالمين. والآخرون جعلوه نقمة عليهم.

التناقض الحادى عشر:

قال متى: إن مريم – عليها السلام – خادمة المسيح – عليه السلام – جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى. وإذا ملك قد نزل من السماء. وقال لهما لا تخافا فليس يسوع هنا. قد قام من بين الأموات ثم لقيتا المسيح وقال: لا بأس عليكما. قولا لإخوانى ينطلقون إلى الجليل[٣].

---

(١) النص (فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا. قالا يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضا. فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أى روح أنتما. لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص) لوقا ٩/٥٣:٥٦ وكان الأولى أن يذكر القرافى تناقض لوقا مع نفسه. فقد ورد فى الإصحاح الثانى عشر ما يلى:

(جئت لألقى نارا على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت ولى صبغة أصطبغها. وكيف انحصر حتى تكمل. أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض. كلا أقول لكم بل انقساما. لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين. ثلاثة على اثنين. واثنين على ثلاثة. ينقسم الأب على الابن والابن على الأب. والأم على البنت والبنت على الأم. والحماة على كنتها والكنة على حماتها).. لوقا ١٢/٤٩:٥٣.

(٢) النص كما ورد فى متى (لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا. فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه. والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى... ومن وجد حياته يضيعها. ومن أضاع حياته من أجلى يجدها) متى ١٠/٣٤:٣٩.

(٣) فى الأصل (الجليل) وهو الصواب وقد ورد (الجبل) فى التيمورية. والنص كما ورد (وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت. لأن ملاك الرب نزل من السماء. وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه =

وقال يوحنا. جاءت وحدها يوم الأحد بغلس. فرأت الصخرة رفعت عن القبر فأسرعت إلى شمعون وتلميذ آخر. فأخبرتهما أن المسيح -عليه السلام- قد أخذ من المقبرة ولا أدرى أين دفن. فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر فبينما هي كذلك. التفتت فرأت المسيح عليه السلام قائما فلم تعرفه وحسبته حارس البستان فكلمها فعرفته. وقال لها إنى لم أصعد بعد. اذهبى إلى إخوانى فقولى: إنى منطلق إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم[1].

فأحدهما يقول: إن الملك هو الذى أمرها والآخر يقول هو المسيح -عليه السلام- وأحدهما يقول: عشية السبت. والآخر يقول: يوم الأحد. وأحدهما يحكى عن مريم وحدها والآخر عنها مع غيرها.

ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلا لاعتقادهم. ويقولون قد قال: إنى منطلق إلى أبى. ويغفلون عن قوله وأبيكم وعن قوله الهى والهكم. ويقبلون فى أصل دينهم. قول امرأة واحدة[2]. مع أن هذا الكلام. لو وجد فى كلام المغفلين. لم يقبل واستهجن. ولا يظهر فى مرآة عقلهم كيف يعبدون من ولد فى رطوبات الأرحام ودمائها ونشأ فى ضعف الطفولية ولأوائها. تعتوره الأمراض والأسقام. والأنكاد والآلام والحاجة إلى الشراب والطعام والمنام. ثم

=فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما. فإنى اعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو هاهنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه.. وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه. إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع لا تخافا. اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى).

(متى: ١: ١٠/٢٨)

(١) النص (وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا. والظلام باق فنظرت حجرا مدفوعا عن القبر فركضت.. أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكي وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر. فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين. حيث كان جسد يسوع موضوعا) يوحنا ٢٠/١:٢٤.

(٢) ورد فى مرقس أن النسوة كن (وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه. وباكرا جدا فى أول الاسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس..) مرقس ١٦/ ١: ٨.

والإشارة بواحدة إلى رواية مريم المجدلية للقصة دون سواها.

يصـعع على رعـمـهم[١]. و يصلب[٢] ويهان[٣] ثم يبكى عليه[٤]. ويندب بالثكلان. ويلتبس على من رآه بناطور البستان فلو أن اليهود بالغوا فى الهزء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان.

التناقض الثانى عشر:

صعود المسيح -عليه السلام- إلى السماء أغفله يوحنا[٥]. ومتى[٦] وهما من الحواريين الاثنى عشر. وذكره لوقا[٧] ومرقس[٨]. وليس من الحواريين واختلفا.

فقال مرقس: إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليما ثم صعد من يومه[٩]. وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوما[١٠] مع أن الصعود أمر عظيم لا ينبغى أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم.

---

(١) ورد فى متى أن رجال الشرطة قد (بصقوا فى وجهه - أى المسيح - ولكموه. وآخرون لطموه. قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك) متى ٢٦ / ٦٨.

(٢) ورد (كانت عادة بيلاطس أن يطلق فى كل عيد أسيرا (مذنبا) وكانت رغبته قوية فى إطلاق المسيح. إلاّ أن القوم رفضوا. فصرخوا قائلين أصلبه أصلبه. فقال لهم ثالثة فأى شر عمل هذا. إنى لم أجد فيه علة للموت. فأنا أؤدبه وأطلقه فكانوا يلحون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب فقويت أصواتهم وأصوات رئيس الكهنة فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم..) لوقا ٢٣ / ٢١ : ٢٥.

(٣) ورد فى متى (فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة فعروه وألبسوه رداء قرمزيا. وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به. قائلين السلام يا ملك اليهود. وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه. وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب) متى ٢٧ / ٢٧ : ٣١.

(٤) ورد فى لوقا (وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى كن يلطمن أيضا وينحن عليه. فالتفت إليهن يسوع وقال يا بنات أورشليم لا تبكين على) لوقا ٢٣ / ٢٧ : ٢٨.

(٥) انظر الإصحاحين ٢٠، ٢١ من إنجيله. (٦) انظر الإصحاحين ٢٧، ٢٨ من إنجيله.

(٧) ورد فى لوقا (وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء) ٥٠ / ٢٤.

(٨) النص كما ورد (ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله) مرقس ١٦ / ١٩.

(٩) اقرأ الاصحاح السادس عشر كاملا من الإنجيل المذكور.

(١٠) لم يرد نص فى إنجيل لوقا يدل على أن الصعود كان بعد أربعين يوما. وإنما بعد أربعة أيام كما هو واضح من معنى الكلام. حيث إن المسيح لاقى اثنين فى طريقهما إلى عمواس ودار بينهما حوار بينا له فيه أن حدثا وقع لرجل اسمه المسيح منذ ثلاثة أيام فبدأ المسيح - وهم لا يعرفونه - يحدثهم عن مجده منذ موسى. وفى المساء بارك لهما الطعام فتفتحت أعينهما وأبصراه ولكنه صعد (راجع لوقا ٢٤ / ١٣ : ٥٢).

التناقض الثالث عشر :

قال متى : قال يسوع حقا أقول لكم . إن قوما من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته[١] . وقد مضى نحو ألف سنة[٢] . ولم يأت فى ملكوته . ومات القيام ومن بعدهم . فدل على أن هذا الكلام كذب . وافتراء وهو يخرم الثقة بجميع ما يقولونه .

التناقض الرابع عشر :

قال متى : قال المسيح – عليه السلام – للتلاميذ الاثنى عشر . أنتم الذين تكونون فى الزمن الآتى جلوسا على اثنى عشر كرسيا . تدينون اثنى عشر سبطا من بنى إسرائيل[٣] . فشهد للكل بالفوز والزعامة . ثم نقض ذلك متى بنفسه فقال : مضى أحد التلاميذ الاثنى عشر . وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة فارتشى على يسوع بثلاثين درهما . وجاء بالشرط إليه . فقال له اليسوع : الويل لك . خير لك أن لا تولد[٤] .

التناقض الخامس عشر :

قال متى : لما حمل يسوع إلى بيلاطس القائد . قال أى شر عمل هذا؟ فصرخ اليهود وقالوا : يصلب يصلب فأخذ القائد ماء وغسل يده . وقال أنا برىء

---

(١) النص (فان ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته . وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله . الحق أقول لكم . إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته) متى ٦ / ٢٧ : ٢٨ .

(٢) بالنسبة للزمن الذى ألف فيه الكتاب .

(٣) النص (فقال لهم يسوع الحق أقول لكم . إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد . متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر) متى ١٩ / ٢٨ .

(٤) ورد فى متى (أن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان . كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا مسلمه . وقال هل أنا هو يا سيدى . قال له أنت قلت) متى ٢٦ / ٢٤ : ٢٥ .

من دم هذا الصديق وأنتم أبصروا[1]. كذبه يوحنا فقال: بل ضرب يسوع ثم سلمه إليهم وهو تناقض صريح[2].

ولنقتصر على هذه النبذة من تهافت الأناجيل. وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل. ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها من العجائب ما يقضى له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم ونقولهم تفرق أيدى سبأ. وأن القوم لا يلتزمون مذهبا. والعجب أن أناجيلهم حكايات وتواريخ ومجريات وكلام كفرة وكهنة وتلاميذه وغيرهم. حتى إنى أحلف بالله الذى لا إله إلا هو أن تاريخ الطبرى[3]. عند المسلمين أصح نقلا من الإنجيل. ويعتمد العاقل عليه أكثر. مع أن التاريخ لا يجوز عند المسلمين. أن يبنى عليه شيء من أمر الدين. وإنما هو حكايات فى المجالس.

ويقولون مع ذلك: الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا. وأمر السيد المسيح باتباعه فليت شعرى أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وأين كلماته من بين هذه الكلمات، ثم الذى ينقلونه عن عيسى – عليه السلام – من لفظه وهو القليل لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله تعالى، لأن المسيح –عليه السلام– كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية، وغير ذلك فهذا كله ليس من عند الله، ولذلك لا يقول المسلمون: كلٍ ما تكلم به محمد – عليه السلام – من القرآن. ونقل عنه القرآن نقلا متواتراً. يقطع بصحته خلفا وسلفا وأما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل الله تعالى أبدا. فضلا عن نقله بعد

---

(١) ورد فى متى (فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيء – أى من الشفاعة – بل بالحرى يحدث شغب. أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع. قائلا إنى برىء من دم هذا البار. أبصروا أنتم) متى ٢٧ / ٢٤.

(٢) ورد فى يوحنا (فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده. وضفر العسكر إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان) يوحنا ١٩ / ١:٢.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤هـ – ٣١٠هـ) صاحب التاريخ المشهور وبه عد شيخ المؤرخين فى الإسلام. كما أنه صاحب التفسير المشهور وإليه يرجع كثير من قدامى المفسرين وإن لم يسلم من الإسرائيليات.

وكتابه (تاريخ الأمم والملوك) من أقوى الكتب وأطيبها وعليه يعتمد معظم المؤرخين.

تعيينه فانظر هذه الحال. ما أشد بعدها عن الصواب. وما أخلصها للشك والارتياب ومع ذلك لا يستحيون. ويجاهرون بقولهم نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله تعالى. وهو مضبوط عن الخلل برىء من الذلل. فهم جديرون بأن يضحك عليهم أبد الدهر. وإن شئت قلت يبكى عليهم. وأى عجب من ذلك. صومهم الذى يتكرر عليهم فى كل عام. يصومون نحو الشهر والشهرين(١). فيهما واجب وغير واجب بإجماعهم. وإذا سألتهم ما عدد الواجب؟ لم تجد من يعرفه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ولقد عذرت بعض الفضلاء لما سمعته يوما يقول: النصارى عرة على ولد آدم.

الشبهة السابعة

أنه قال: إن القرآن الكريم أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا**

---

(١) مفهوم الصوم عند النصارى. امتناع الإنسان عن الطعام وقتا معينا من النهار. ثم اقتصاره بعد ذلك على ماكولات خالية من الدسم. إضعافا للشهوات وتقوية للعواطف الروحية وتمكينا للإنسان من التدرع بوسائل النجاة من تجارب الحياة وضيقاتها وينقسم إلى:

١- الصوم المقدس وعدد أيامه خمسة وخمسون يوما. هى عبارة عن الأربعين يوما التى صامها المسيح. مضافا إليها أسبوع الاستعداد - أى السابق على الصوم - وأسبوع الآلام. ويمتنع فى هذا الصوم عن أكل الحيوان أو ما يتولد منه. أو ما يستخرج من أصله ويقتصر على أكل البقول.

٢- صوم الميلاد. وعدد أيامه ثلاثة وأربعون ينتهى بعيد الميلاد.

٣- صوم الرسل. وعدد أيامه يزيد وينقص حسب التقاليد المتفق عليها فى المجامع المسكونية. لضبط عيد الفصح وتتراوح مدته بين ١٥ يوما وتسعة وأربعين يوما.

٤- صوم السيدة العذراء مريم. ومدته ١٥ يوما ويبدأ مع أول شهر مسرى.

٥- صوم أهل نينوى ومدته ثلاثة أيام ويبدأ عادة بيوم الإثنين وينتهى يوم الأربع.

٦- صوم يومى الأربعاء والجمعة على مدار السنة ما عدا أيام الخمسين وعيدى الميلاد والظهور إذا اتفقا فيهما. وعلة الصوم أن يوم الأربعاء تذكار المؤامرة ويوم الجمعة تذكار الصلب.

٧- صوم البرامون ومعناه الاستعداد ويقع قبل عيدى الميلاد والظهور وتتراوح مدته بين يوم واحد وسبعة أيام.

راجع تاريخ الأقباط. زكى شنودة.

الْكافِرُون * لا أَعْبُدُ ما تعْبُدُون * ولا أنتُمْ عابدُون ما أَعْبُدُ * ولا أَنَا عابدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * ولا أَنتُمْ عابدُون ما أَعْبُدُ * لَكُمْ دينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون]

ولقوله تعالى : ﴿ **وَلا تُجادلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِين ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ [العنكبوت : ٤٦].

والظالمون إنما هم اليهود عبدة العجل[١] وقتلة الأنبياء[٢].

وبقوله تعالى ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّه وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّون مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٦]. ولم يقل (كونوا له مسلمون).

وبقوله تعالى : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٨٢]. فذكر حميد صفاتنا وجميل نياتنا. ونفا عنا الشرك بقوله (والذين أشركوا) وسوى بيننا وبين غيرنا بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة : ٦٢][٣].

---

(١) قال تعالى في حق بني إسرائيل ﴿ **قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** ﴾ [طه : ٨٨].

وقد حكم الله عليهم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٥٢].

(٢) قال تعالى في حق بني إسرائيل : ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّه وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء : ١٥٥].

(٣) الآية رقم ٦٢ من سورة البقرة. والذين هادوا هم أتباع موسى –عليه السلام– من قولهم هدنا إليك أى تبنا ورجعنا أو من التهود عند تلاوة التوراة أى الترنح أو تعريب ليهوذا فصحفت وصارت يهودا ثم نسب إليها فقيل يهودى بعد حذف ألفها المتطرفة =

الجواب على هذه الشبهة

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ... الخ فمعناها. أن قريشا قالت له -عليه السلام- اعبد آلهتنا عاما ونعبد إلهك عاما. فأمره الله أن يقول لهم ذلك(١) فليس المراد النصارى. ولو كان المراد النصارى لم ينتفعوا بذلك. لأن قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(٢). معناه الموادعة والمتاركة. فإن الله تعالى أول ما بعث نبيه محمدا -عليه السلام- أمره أولا بالإرشاد بالبيان ليهتدى من قصده الاهتداء. فلما قويت شوكة الإسلام. أمره بالقتال بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩]. قال العلماء نسخت هذه الآية نيفا وعشرين آية(٣). منها ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ وقوله ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وقوله ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]. وغير ذلك. وليس فى المتاركة

= والنصارى هم أتباع عيسى عليه السلام نسبة إلى قرية الناصرة. كما نسب إليها المسيح كذلك لنصرتهم المسيح كما صرحت آيات القرآن. والصابئون هم عبدة الكواكب والهياكل وهم بقايا من أتباع إبراهيم -عليه السلام- في بلاد الفرس إلا أنهم انحرفوا عن الجادة وعبدوا الكواكب.. والآية تصرح بأن من أقلع من هؤلاء عن باطل معتقدة واتجه إلى الإيمان بالله على الوجه الذى أراده فإنه من الناجين.

(١) راجع أسباب النزول للواحدى ٢٦١ وأسباب النزول للسيوطى ١٨٤. وتفسير الكشاف ٤/ ٢٩٢ والدر المنثور ٦/ ٤٠٤.

(٢) سورة الكافرون آية ٥. وليس المراد الإقرار على ما يعتقدون بل إن المراد المدلول اللغوى من لفظة (دين) بمعنى الخضوع والانقياد على وجه معين. أما المعنى الشرعي فإنه يخرج هؤلاء عن كونهم ناجين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

(٣) وبالرجوع إلى أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٤٨) وكذلك أحكام القرآن لابن العربى (٢/ ٩٧٨). وأحكام القرآن للكيا الهراس (٤/ ٩٤) تفسير الطبرى (٤/ ٣٥٧ - ٣٦٠) بتحقيق المرحوم شاكر. لم يرد ذكر للنسخ.

وفى سورة التحريم لم يرد ذكر للنسخ أيضا كما هو وارد فى الطبرى والدر المنثور ٥/ ٢٤٥. وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨/ ٨٣. وفتح القدير للشوكانى ٥/ ٢٤٨ وابن كثير ٨/ ١٩٨ط الشعب وكذلك كتاب النسخ فى القرآن د. مصطفى زيد، كتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لأبى طالب القيسى. والكشاف ٤/ ١٣٠ط لبنان، الفخر الرازى ٣/ ٤٨.

والاقتصار على الموعظة دليل على صحة الدين المتروك وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦]. دليل على أنهم على الباطل فإنهم لو كانوا على الحق ما احتجنا للجدال معهم . فهى تدل على عكس ما قالوا . وقوله تعالى (إلا الذين ظلموا منهم) المراد من طغى . ولم يقصد الاسترشاد من كل طائفة . ولا يختص ذلك باليهود . فإنا نعدل معه عن الدليل والبرهان إلى السيف القاطع والسنان .

وأمره تعالى لنا بأن نؤمن بما أنزل على أهل الكتاب صحيح . ولكن أين ذلك المنزل . والله إن وجوده أعز من عنقاء مغرب(1) . وقد تقدم بيانه فى تناقض الأناجيل(2) . وأما قوله تعالى : (ونحن له مسلمون) فخاص بنا . أمرنا تعالى أن نقول ذلك لنتبع فيه . فهو دليل أمرهم بالإسلام عكس ما قاله . ولو لم يكن لهم أمرا لكانوا مأمورين بآيات غير هذه الآية . كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] وبقوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٧٧] وغير ذلك وهو كثير .

وأما مدح النصارى بأنهم أقرب مودة . وأنهم متواضعون فمسلم . لكن هذا لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين فى النار . وغضب الجبار . لأن السجايا الجليلة والآداب الكسبية تجتمع مع الكفر والإيمان كالأمان والشجاعة والظرف واللطف وجودة العقل . فليس فيه دليل على صحة دينهم .

وأما نفى الشرك عنهم . فالمراد الشرك بعبادة الأصنام . لا الشرك بعبادة الولد واعتقاد التثليث . وسببه أنهم مع التثليث يقولون : الثلاثة واحد(3) .

---

(١) يضرب المثل لعدم الوجود الحقيقى بثلاث (الغول والعنقاء والخل الوفى) .

(٢) راجع من صفحة ٩٨ إلى صفحة ١٠٧ من هذا الكتاب .

(٣) كما هو وارد فى الافتتاح عندهم عند بدء كل عمل (باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد) .

فأشاروا إلى التوحيد بزعمهم بوجه من الوجوه[١]. ويقولون نحن لا نعبد إلا الله تعالى لكن الله تعالى هو المسيح. ونعبد المسيح والمسيح هو الله. تعالى الله عن قولهم.

فهذا وجه التوحيد من حيث الجملة. ثم يعكسون ذلك فيقولون. الله ثالث ثلاثة وأما عبدة الأوثان فيصرحون بتعدد الآلهة من كل وجه. ولا يقول أحد منهم إن الصنم هو الله تعالى. وكانوا باسم الشرك أولى من النصارى. وكان النصارى باسم الكفر أولى. حيث جعلوا الله تعالى بعض مخلوقاته. وعبدوا الله تعالى وذلك المخلوق. فساوَوْا عبدة الأوثان في عبادة غير الله تعالى. وزادوا بالاتحاد والصاحبة والأولاد. فلا يفيدهم كون الله تعالى خصص كل طائفة من الكفار باسم هو أولى بها في اللغة مدحا وليس ذلك تصويبا لما هم عليه.

الشبهة الثامنة

أنه قال: في مدح قرباننا وقواعدنا إن أهملنا ما متعنا[٢] به بقوله تعالى:
﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: ١١٢ – ١١٥].

---

(١) يتعلل المسيحيون بأن تجلى الواحد فى ثلاثة. ووحدة الثلاثة فى واحد أمر محسوس ويستشهدون على ذلك بما يلى:
(أ) أصبع الإنسان فهو واحد مركب من ثلاثة عُقَل.
(ب) الشمس واحدة وهى تعطى نارا ونورا مع كونها جرما.
(٢) فى التيمورية (منعنا).

فالمائدة هى القربان الذى يتقربون به فى كل قداس[١].

الجواب على الشبهة الثامنة

إن من العجائب أن يدعى أن المائدة التى نزلت من السماء هى القربان الذى يتقربون به. مع الذى يتقربون به من مصنوعات الأرض[٢]. وأين المائدة من القربان نعوذ بالله تعالى من الخذلان. بل معنى الآية أن الله تعالى طرد عادته. وأجرى سنته. أنه متى بعث للعباد أمرا قاهرا للإيمان. لا يمكن للعبد معه الشك. فمن لم يؤمن به بعد عجل له العذاب. لقوة ظهور الحجة. كما أن قوم صالح لما أخرج الله تعالى لهم الناقة من الحجر فلم يؤمنوا عجل لهم العذاب[٣].

وكانت هذه المائدة جسماً كينونيًّا. عليه خبز وسمك نزل من السماء[٤]. يقوت القليل من الخلق الكثير.[٥] العظيم العدد. فأمرهم أن يأكلوا ولا يدخروا.

---

(١) من أسرار الكنيسة عقيدة القربان. ومرده أن المسيح عليه السلام صعد إلى (علية) حيث أكل عشاء الفصح مع الاثنى عشر تلميذا (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا) متى ٢٦ / ٢٦ : ٢٨. والمسيح أراد بهذا أن تمارس الفريضة باستمرار فى الكنيسة لأنه قال (اصنعوا هذا لذكرى) وكتب بولس الرسول يقول (فإنه كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيىء) (اكو ١١ : ٢٦).

وما زالت الكنيسة تعد فطيرا وتسكب عليه قليلا من الخمر وتتلى الصلوات ثم تقسم بعد ليكون نوال البركة ويأكل الكل من جسد المسيح ويشرب من دمه ويترتب على ذلك ما يلى:

(أ) وجود المسيح أكثر من مليون مرة فى وقت واحد.

(ب) تكسير المسيح وتوزيعه على الحاضرين.

(جـ) تناول الخمر بطريق غير مباشر تحت إطار عقيدة الاستحالة.

(٢) الجملة الأخيرة ساقطة من التيمورية. وقد تطلب السياق تصحيح بعض الألفاظ.

(٣) قال تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا** ﴾ [الشمس: ١١ : ١٥]

(٤) التحديد للأنواع وارد فى الإنجيل دون القرآن. راجع مرقس (٦ / ٣٦ : ٤٤).

(٥) الكلمة مأخوذة من التيمورية.

فخالفوا وادخروا فمسخهم الله تعالى. ونزول مثل هذا من السماء كخروج الناقة من الصخرة الصماء. فأخبر الله تعالى. أن من لم يؤمن بعد نزول المائدة. عجلت له العقوبة(١). ولا تعلق للمائدة بقربانهم ألبتة. بل المائدة معجزة عظيمة خارقة وهى أمر(٢) خارق. والقربان أمر معتاد. ليس فيه شيء من الإعجاز ألبتة. فأين أحد البابين من الآخر. لولا العمى والضلال.

الشبهة التاسعة

قال: إن الله تعالى أخبر خبرا جازما أنا نؤمن بعيسى -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ [النساء: ١٥٩](٣). فكيف نتبع من أخبر الله تعالى عنه أنه شاك فى أمره بقوله تعالى ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ**

---

(١) هذا ما صرحت به آى القرآن ﴿ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: ١١٤: ١١٥].

(٢) الجملة المعترضة تطلبها السياق وقد صححت بعض الكلمات من التيمورية لسلامة الأسلوب.

(٣) الآية من سورة النساء (١٥٩) وبين المفسرين خلاف فى عود الضمير فى هذه الآية نجمله فيما يلى:

الفريق الأول: يرى أن الضمير فى (به) و(موته) يعود على المسيح -عليه السلام- وهم يؤمنون بالرجعة مستشهدين بالأحاديث الواردة فى هذا الأمر. قائلين: إن عودة عيسى إلى الأرض من علامات الساعة. وهو أمر أخبر المعصوم به. وحين نزوله سوف يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل غير الإسلام. ويؤمن النصارى عندها بأن عيسى عبد الله ورسوله. ويتبرأون مما نسبوه إليه من دعواهم الألوهية له أو حلول الإله فيه..

الفريق الثانى: يقول إن الضمير فى (به) و(موته) يعود على اليهود والنصرانى اللذين يريا فى عيسى غير ما شرع الله.

فاليهود يزعمون أنه ابن زنى. وأنه أتى ليبدل شريعة موسى التى لا تنسخ ولذا قرروا صلبه. ونفذوا القرار - كما يزعمون - والنصارى فيه متفاوتون:

(أ) منهم من يرى ألوهية المسيح وأنه ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

(ب) منهم من يرى ألوهية المسيح وأنه ذو طبيعتين (لا هوتية وناسوتية).

(جـ) ومنهم فرق عدة أبيدت ولم يكتب لها البقاء وكانت ترى أن المسيح إنسان كسائر البشر وهو يفضلهم بالنبوة، وأن الله قديم وعيسى حادث. وأشهر هؤلاء طائفة الآريوسيين التى قضى عليها.

﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ : ٢٤]. وأمره فى سورة الفاتحة أن يسأل الهداية إلى ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧]. والمنعم عليهم هم النصارى والمغضوب عليهم هم اليهود. والضالون عبدة الأصنام[١].

الجواب على هذه الشبهة

إن النصارى لما لعبوا فى كتابهم بالتحريف والتخليط. صار ذلك لهم سجية. وأصبح الضلال والإضلال لهم طوية. فسهل عليهم تحريف معانى القرآن. وتغيير معانيه لأغراضهم الفاسدة. والقرآن الكريم برىء من ذلك. وكيف يخطر لهم هذه التحكمات بغير دليل ولا برهان بل بمجرد الأوهام والوسواس.

أما قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء : ١٥٩] ففيه تفسيران :

أحدهما : إن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت. ظهر لهم منه الإنكار عليه. بسبب ما كان عليه من الكفر فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه. ويؤمن بالحق على ما هو عليه. فإن الدار الآخرة لا يبقى فيها تشكك ولا ضلال. بل يموت الناس كلهم مؤمنين موحدين على قدم الصدق. ومنهاج الحق. وكذلك يوم القيامة بعد الموت. لكنه إيمان لا ينفع ولا يعتد به. وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكنا من الكفر. فإذا

---

(١) هذا التفسير من النصراني غير مقبول. وقد ورد فى بيان المراد من هذه الكلمات ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آثار منها :

ورد عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قوله : طريق من أنعمت عليهم من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وعن أبى يزيد قال : هو النبى ومن معه. وعن الربيع بن أنس قال : النبيون وعن عبد الله بن شفيق قال أخبرنى من سمع من النبى ﷺ وهو بوادى القرى على فرس له وسأله رجل من بنى العين فقال مَنْ المغضوب عليهم يا رسول الله؟ قال اليهود. قال فمَن الضالون؟ قال النصارى.

وأخرج ابن أبى مردويه عن أبى ذر أنه سأل الرسول ﷺ فكانت إجابته كذلك. وعن إسماعيل بن أبى خالد عن النبى. كذلك . راجع الدر المنثور١ / ١٦.

عدل عنه وآمن بالحق. كان إيمانه من كسبه وسعيه. فيؤجر عليه. أما إذا اضطر إليه فليس فيه أجر[١]. فما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بنبوة عيسى -عليه السلام- وعبوديته لله تعالى. قبل موته. لكن قهرا لا ينفعه فى الخلوص من النيران وغضب الديان[٢]

ثانيهما: أن عيسى -عليه السلام- ينزل فى آخر الزمان. عند ظهور المهدى. بعد أن يفتح المسلمون قسطنطينية من الفرنج فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يبقى على الأرض إلا المسلمون[٣]. ويستأصل اليهود بالقتل. ويصرح بأنه عبد الله ونبيه. فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ لإخباره لهم بذلك [٤].

---

(١) بهذا صرح القرآن. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [النساء: ١٧- ١٨].

(٢) هذا الرأى ذكره الرازى قائلا. روى عن شهر بن حوشب قال: قال الحجاج إنى ما قرأتها إلا وفى نفسى منها شيء. يعنى هذه الآية. فإنى أضرب عنق اليهودى ولا أسمع منه ذلك. فقلت: إن اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره. وقالوا يا عدو الله. أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد الله. وتقول للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه هو الله وابن الله فيقول آمنت أنه عبد الله. فأهل الكتاب يؤمنون به. ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان فاستوى الحجاج جالسا وقال: عن من نقلت هذا؟ فقلت: حدثنى به محمد بن على بن الحنفية. فأخذ ينكت الأرض بقضيب ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية. وكذلك روى ابن عباس مثله. راجع الرازى ١ / ١٠٤. الكشاف ١ / ١٨٠ تفسير الطبرى بتحقيق المرحوم شاكر ٩/ ٣٨٠/ ٣٨١.

(٣) روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمهم. فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته). صحيح مسلم باب (فى فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم).

(٤) ذكر الكشاف هذا الرأى. ويكون المراد أهل الكتاب الموجودين فى زمن رجعة المسيح - عليه السلام - كما روى أنه ينزل فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن به =

وعلى التفسيرين ليس فيه دلالة على أن النصارى الآن على خير.

وأما قوله تعالى ﴿ وإنَّا أوْ إيَّاكُمْ لعَلَىٰ هُدًى أوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] فهو من محاسن القرآن الكريم. لأنه من تلطف الخطاب. وحسن الإرشاد. فإنك إذا قلت لغيرك: أنت كافر فآمن ربما أدركته الأنفة. فاشتد إعراضه عن الحق. فإذا قلت له أحدنا كافر. ينبغي أن يسعى فى خلاص نفسه من عذاب الله تعالى. فهلم بنا نبحث عن الكافر منا فنخلصه فإن ذلك أوفر لداعيته فى الرجوع إلى الحق. والفحص عن الصواب فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر. فر من الكفر من غير منافرة منك عنده. ويفرح بإسلامه (١). ويسر منك بالنصيحة. هكذا هذه الآية سهلت الخطاب على الكفار ليكون ذلك أقرب لهدايتهم. ومنه قول صاحب فرعون المؤمن لموسى - عليه السلام - ﴿ وقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ أتَقْتُلُونَ رَجُلاً أن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وإن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وإن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إلاَّ مَا أَرَىٰ ومَا أَهْدِيكُمْ إلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٨، ٢٩].

فخصهم أولا بالملك والظهور لتنبسط نفوسهم مع علمه بأنه وبال عليهم وسبب طغيانهم. ولم يجزم فى ظاهر اللفظ بصدق موسى - عليه السلام -(٢).

= حتى تكون الملة واحدة. وهى ملة الإسلام. ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال. وتقع الأمنة على أهل الأرض جميعا (الطبرى ٩ / ٣٨١) الكشاف ١ / ٥٨١ الفخر الرازى ١١ / ١٠٤.

(١) فى الأصل بالسلامة والتصويب عن التيمورية.

(٢) هذا ضرب من ضروب الاستدراج بغية التسليم بالدلائل الدالة على توحيد الله سبحانه وقوله: (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) مداراة منه وسلوكا لطريق الإنصاف فى القول وخوفا إذا أنكر عليهم قتله أنه ممن يعاضده وينصره فأوهم بهذا التقسيم والبداءة بحال الكذب حتى يسلم من شره ويكون ذلك أدنى إلى تسليمهم. وقوله (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) هو يعتقد أنه نبى قطعا. لكنه أتى بلفظ بعض للإلزام بأيسرها فى الأمر وليس فيه نفى أن يصيبهم كل ما يعدهم وقوله (إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) إشارة إلى علو موسى - عليه السلام - وأن من اصطفاه الله تعالى للنبوة لا يمكن أن يقع منه إسراف ولا كذب وفيه تعريض بفرعون إذ هو فى غاية الإسراف.. تفسير البحر المحيط. ٧ / ٤٥٨.

مع قطعه بصدقه. بل جعله معلقا على شرط. لئلا ينفرهم فيحتجبوا عن الصواب. فكل من صح قصده في هداية الخلق سلك معهم ما هو أقرب لهدايتهم. وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون في حق فرعون ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ [طه: ٤٤].

وقوله لمحمد صلوات الله عليهم أجمعين ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فهذا كله من محاسن الخطاب. لا من موجبات الشك والارتياب.

وأما أمره تعالى لمحمد –عليه السلام– ولأمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم. فلا يدل على عدم حصول الهداية في الحال. لأن القاعدة اللغوية. أن الأمر والنهي والدعاء والوعد والشرط وجزاؤه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضي والحاضر. فلا يطلب إلا المستقبل. لأن ما عداه قد تعين وقوعه أو عدم وقوعه فلا معنى لطلبه. والإنسان باعتبار المستقبل لا يدرى ماذا قضى عليه. فيسأل – الله العظيم –[1]. الهداية في المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة. كما أن النصراني إذا قال: اللهم أمتني على ديني لا يدل على أنه غير نصراني إلى وقت الدعاء. ولا أنه غير مصمم على صحة دينه.

وكذلك سائر الأدعية. وأجمع المسلمون والمفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود[2]. وأن الضالين هم النصارى[3]. فتبديل ذلك بما قاله

---

(١) الجملة من التيمورية.

(٢) راجع الطبرى ١ / ١٨٥ / ١٨٨: والدر المنثور ١ / ١٦ وفيهما آثار مرفوعة إلى الرسول وزاد المسير ١ / ١٦. وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ / ١١٣ والكشاف ١ / ٧١. وقد استشهد بقوله الله تعالي: ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة: ٦٠].

(٣) الطبرى ١ / ١٨٨ / ١٩٣. الدر المنثور ١ / ١٦ وذكر آثارا مرفوعة وكذلك زاد المسير ١ / ١٦. وغرائب القرآن ١ / ١١٣ وقد استشهد الكشاف على أن المراد النصارى بقول الله تعالي: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة: ٧٧].

مصادمة[1] ومكابرة[2] ومغالطة[3] وتحريف وتبديل فلا يسمع من مدعيه.

الشبهة العاشرة

قال: ليس من عدل الله تعالى أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا. ولا وقفنا على كتابه بلساننا.

الرد على الشبهة العاشرة

أنه – عليه السلام – لو لم يرسل إليهم فليت شعرى. من كتب إلى قيصر هرقل ملك الروم[4] وإلى المقوقس أمير القبط[5]. يدعوهم إلى الإسلام. ولولا ذلك لم يسلط السيف على دين النصرانية إلى اليوم ست مائة سنة. وليس يقر فى الأذهان شيىء إذا احتاج النهار إلى دليل.

الشبهة الحادية عشرة

قال: لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن والروح القدس. لما أنكروا علينا فإن مرادنا بالآب الذات. وبالابن النطق الذى هو قائم بتلك الذات. وروح القدس الحياة. الثلاثة إله واحد. وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون[6]. ونحن لم نطلق

---

(١) المصادمة قد يكون المراد بها هنا المصيبة وهى من معانى الكلمة فى اللغة لحديث الرسول (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) لسان العرب (صدم).

(٢) المكابرة هى المنازعة بين المتخاصمين لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم.

(٣) المغالطة هى القياس الفاسد. إما من جهة المادة أو من جهة الصورة أو من جهتيهما معا مفيد للتصديق الخبرى أو الظنى الغير مطابقين للواقع. دستور العلماء لأحمد فكرى ٣ / ٣٠٠ والتعريفات للجرجانى ٢٢٢.

(٤) انظر صحيح البخارى ك الجهاد ب١٠٢، صحيح مسلم ج٥ ص١٦٥. مسند أحمد ١ / ٢٦٣ السيرة الحلبية ٢ / ٢٧٥ أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٢٤١.

(٥) راجع السيرة الحلبية ٢ / ٤٨٠، جمهرة الرسائل ١ / ٣٨ المواهب اللدنية للقسطلانى ٣ / ٣٩٧ الدر المنثور ٢ / ٤٠.

(٦) يلاحظ التكلف الواضح ولى النصوص بغية الوصول إلى المراد. فالمسلمون يؤمنون حقا بالله وبوجوده وبكلامه. لكنهم لا يرون كلامه فى مظهر خارجى منفصل عنه بحيث يدرك مستقلا دون الله. وكذلك وجود الله كصفة قائمة بالذات لم تنفصل عنها.

ذلك من قبل أنفسنا . بل فى الإنجيل قال عيسى – عليه السلام – اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس[1] . وفى أول القرآن بسم الله الرحمن الرحيم . فاقتصر على هذه الثلاثة . الآب والابن وروح القدس[2] ونريد بقولنا : المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور . وأنه لم يزل نطقا . ولم يزل الله تعالى ناطقا . ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الآب الوالد له . كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له . وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له . فتجسم النطق إنسانا من الروح القدس ومن مريم – رضى الله عنها – وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالإلهية . فإذا قلنا المسيح ابن الله تعالى، لا نريد بنوة بشرية . وأن له ولدا من صاحبة . وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق . كقوله تعالى ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد : ٣] . وسبب تجسيم كلمة الله تعالى إنسانا . أن الله تعالى لا يخاطب إلا بحجاب لأن

---

(١) ورد فى نهاية الإنجيل (فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . . .) متى ١٩/٢٨ .

(٢) لفظ الجلالة (الله) علم على ذات واجب الوجود . قال ابن مالك : وُضع مُعَرَّفاً وكان هذا الاسم الكريم خاصا فى لغة العرب بخالق السموات والارض وكل شىء . . . وهذا الاسم يوصف ولا يوصف به . إن أسماء الله الحسنى صفات تجرى على هذا الاسم العظيم ولكونها صفات وصفت بالحسنى . وتسند إليه تعالى أفعال هذه الصفات . .

(الرحمن الرحيم) قال الإمام محمد عبده : الرحمن الرحيم مشتقان من الرحمة وهى معنى يلم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الإحسان إلى غيره . وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر لانه فى البشر ألم فى النفس شفاؤه الإحسان والله تعالى منزه عن الآلام والانفعالات . . . يقول الشيخ رشيد رضا . . وتغاير الكلمتين لا يجعل الثانية مؤكدة للأولى وقد نقل عن ابن القيم قوله (وأما الرحمن الرحيم ففيه معنى بديع . وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه . والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم . وكان الاول الوصف والثانى الفعل . فالأول دال على أن الرحمة صفته أى صفة ذات له سبحانه والثانى دال على أنه يرحم خلقه برحمته . أى صفة له سبحانه وتعالى . فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) (إنه بهم رحيم) ولم يجىء قط (رحمن بهم) . . تفسير المنار ١/٤٥ : ٤٨ .

اللطايف لا تظهر إلا فى الكثايف. فظهر فى الإنسان لأنه أشرف خلقه كما خاطب موسى عليه السلام من العوسجة[١].

ففعل المعجز بلاهوته. وأظهر المعجز بناسوته. والفعلان للمسيح – عليه السلام – كما تقول: زيد ميت بجسده باق بنفسه. ولذلك صلب الناسوت دون اللاهوت. كما أن الحديدة المحماة يطرق حديدها أو يقطع دون ناريتها. وكذلك سمى القرآن عيسى – عليه السلام –. روح الله[٢] وكلمته[٣] واسمه عيسى[٤]. فيكون الخالق واحدا وهو الآب ونطقه وحياته ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين. كما تقول الخياط خيط الثوب. ويد الخياط خيطت الثوب. ولا يلزم أن يقال خيط الثوب خياطان. بل خياط واحد. كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد. ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة. كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناس.

الجواب على الشبهة الحادية عشرة

أما قوله نريد بالآب الذات. وبالابن النطق. وبروح القدس الحياة. فلا كفر فيه وإنما الإطلاق منكر.

وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل. فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئا يعتمد عليه ولا هو مضبوط النقل ولا مضبوط العين. ولا يوثق بشيء منه فى

---

(١) ورد فى التوراة أنها العليقة نوع من النبات. وفى سفر الخروج ما يأتى «وظهر له – أى موسى – ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظروا وإذا العليقة تتوقد بالنار. والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى. موسى: فقال ها أنذا) (خروج٣ / ٢ : ٤).

(٢و٣) قال تعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

(٤) ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

الدين. وقد تقدم بسط ذلك في تناقضه[1]. وأما ما في القرآن من «بسم الله الرحمن الرحيم» فتفسيركم له غلط وتحريف. كما فعلتم في الإنجيل. لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال. والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته. فإن صفات الله تعالى منها سلبية نحو الأزلى. أى لا أول له. والصمد أى لا جوف له. ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهى سبعة: العلم[2] والإرادة[3] والقدرة[4] والحياة[5] والكلام[6] والسمع[7] والبصر[8] ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى. يستحيل قيامها به. نحو الرزق والهبات والخلق والإحسان فتسميته الرازق الوهاب الخالق المحسن باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قديمة بذاته. فالرحمن معناه المحسن فى الدنيا والآخرة لخلقه بفضله. والرحيم معناه المحسن في الآخرة خاصة لخلقه بفضله[9].

---

(١) راجع من صفحة ٩٨ إلى ١٠٦ من هذا الكتاب.

(٢) العلم: صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ماهى به من غير سبق خفاء.

(٣) لغة مطلق القصد – واصطلاحا: صفة قديمة، زائدة على الذات قائمة بها، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه.

(٤) لغة الاستطاعة – واصطلاحا صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

(٥) الحياة صفة تصحح لمن قامت به الإدراك.

(٦) الكلام صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء ومنزة عن السكوت النفسى بان لا يدبر فى نفسه الكلام مع القدرة عليه ومنزهة عن الآفة الباطنية.

(٧) صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الأصوات وغيرها.

(٨) صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الذوات وغيرها – راجع شرح البيجورى على الجوهرة من صفحة ٧٠ إلى ٨٢.

(٩) للمفسرين أراء عدة حول معنى هاتين الكلمتين (الرحمن. الرحيم) منها: الرحمن المنعم بجلائل النعم – الرحيم المنعم بدقائقها.

الرحمن المنعم بنعم عامة تشمل المؤمن والكافر، الرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين. الكلمة الثانية توكيد للكلمة الأولى. المنار ١/٤٧.

وكذلك يقال: يارحمن الدنيا والآخرة ويارحيم الآخرة فالرحمن أبلغ من الرحيم. لشموله الدارين. وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما فى الرحمن والرحيم. بل هو تحريف منه للقرآن. وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق. فإن إطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى. وليس هو عندكم. فكنتم عصاة بهذا الإطلاق.

وأما قولكم: إن النطق موجد فغلط. فإن الموجد إنما هو القدرة دون غيرها. وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها. فالقدرة توجد. والإرادة تخصص الممكن بأزمانه وأحواله. والعلم يكشف الممكنات والواجبات والمستحيلات على ماهى عليه. والسمع إدراك يختص بالكلام النفسى والصوت اللسانى. والبصر إدراك خاص يختص بالموجود دون المعدوم بخلاف العلم فإنه يعمها. والكلام النفسى الذى هو النطق. يكون من الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير فلا يجوز أن يعتقد أن الايجاد للقدرة ليس إلا. والبراهين على هذه المطالب فى كتبنا الكلامية ليس هذا موضعها[1].

وقوله: ونريد ببنوة المسيح ولادته من الله تعالى بلا حدث. أنه لم يزل نطقا. ولم يزل الله تعالى ناطقا. قلت هذا الكلام غير معقول أصلا إلا على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثراً. وتقريره. أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى. وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام. بل هو كالعلم والحياة والإرادة. فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد وقوعه فى زمن من الأزمان. فضلا عن كونه لم يزل كذلك. كما يستحيل أن السواد يكون بياضا. والعلم يكون طعاما. والرائحة تكون لونا. وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنسانا[2]. فهذا التفسير غير معقول ولامتصور. وإن أردتم أنه لم يزل نطقا. أى لم يزل الله تعالى يخبر عن

---

(١) من الكتب التى تناولت هذه القضايا. المغنى للقاضى عبد الجبار – المواقف لعضد الدين الإيجى. جوهرة التوحيد بشرح العلامة الشرقاوى – حواشى على شرح السنوسية. الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى. حاشية السعد التفتازانى.

(٢) فى الأصل – يكون الناطق – وقد تطلب المعنى كتابتها (النطق).

وجود عيسى – عليه السلام– فى أزله فهو صحيح مقصود. لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء (الموجودات والمعدومات) الماضيات والحاضرات والمستقبلات. لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود. فإن خبر الله تعالى. كما يتعلق بوجود عيسى – عليه السلام – يتعلق بوجود كل واحد من اليهود. وغيرهم فى الأزل. ولم يزل كل واحد من اليهود نطقا بهذا التفسير فينبغى أن يكون كل واحد من اليهود ابن الله تعالى. ولا ميزة لعيسى على أحد من اليهود فى ذلك[1] بل ولا على أحد من الحشرات. وإن أردتم تفسيرا ثالثا فقولوه. فإنه غير معقول من قولكم. لم يزل المسيح –عليه السلام– نطقا. فظهر أن أحد الأمرين لازم. وهو إما إبطال مذهب النصارى. أو يكون كلامهم غير معقول. فضلا عن إقامة الدليل عليه. فإنهم لا يتكلمون إلا بكلام مثل هذا. لا ليتحصل منه شيىء.

قوله: ثم أرسل لله نطقه من غير مفارقة. هذا غلط وعمى وعدم بصيرة. فإن إرسال الشىء اتصاله بغير المباين له. وهو غير معقول فى كل صفة من

---

(١) يدعى النصارى بنوة المسيح لسببين:

الأول: وجوده بدون أب.

الثانى: تصريح الإنجيل بلفظة ابن فى حقه وإضافته إلى الله كما ورد فى النص (أنت ابنى الحبيب الذى به سررت). مرقس ١ / ١٢.

والسبب الأول مقطوع لأن الله أوجد آدم بدون أب ولا أم. وكذلك حواء –عليهما السلام– كما أنه خلق أشياء كثيرة بدون أبوة أو أمومة ومع ذلك لم يتخذ منها ولدا.

والسبب الثانى تصرح نصوص الأناجيل والتوراة ببطلانه. فلقد وردت نصوص عدة تضيف الخلايق إلى الله وتصفهم بالبنوة فما وجه تخصيص المسيح –عليه السلام– بل إن إضافة بعض الأفراد إلى آخرين تحت لفظ ابن مصرح به فقد ورد ما يلى:

ورد فى يوحنا (انظروا أىَّ محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله. أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله... كل مولود من الله لا يفعل الخطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله. بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس...) يوحنا – الرسالة الأولى. الإصحاح الثالث ١ : ١٠.

وقد وصى تلاميذه بأمور كما ذكرت فى متى قائلا لهم: لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات كامل) متى (٥ / ٤٥ :٤٨).

الصفات . النطق وغيره . فيستحيل إرسال الألوان . والطعوم والروايح والعلوم . والظنون إلا مع انتقال محالها . أما بمفردها فمحال ببديهة العقل ومن شك فى ذلك فليس بعاقل . ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال . فإنه ليس بجسم باتفاق الفريقين .

وأمّا إرسال الشمس لضوئها . فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير . بل الله تعالى يخلق الأنوار والأضواء فى أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض فالضوء الحاصل فى كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل فى الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس . فها هنا صفات عديدة . وموصوفات كثيرة . لم يرسل منها صفة واحدة . بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه . فإن أردتم أن الله تعالى خلق فى عيسى – عليه السلام – نطقا بما طلبه الله تعالى من العباد أو بغيره . فكذلك سائر الأنبياء – عليهم السلام – بل العلماء والمشرعون كذلك خلق الله تعالى فى نفوسهم الأخبار عن أحكامه تعالى :

فإن كان عيسى – عليه السلام – بهذا ابنا فالعلماء كلهم كذلك . وإلاّ فلا أحد من خلق الله تعالى ابنا وهو الحق .

وأما إرسال[1] الإنسان كلامه لغيره عن فكره . فذلك إما بالكتابة . فالمرسل حينئذ أجسام ورقوم سود فى أجسام بيض . ونطقه القائم بنفسه لم يرسله . بل أرسل ما يدل عليه .

وأما أن يوصى من يخبره بمقاصده مشافهة . فهو صوت صدر على لسانه سمعه رسوله . فقال هذا [2] الرسول أصواتا لذلك الغير . والأصوات من خواص الإنسان وقصبة الرئة لا تكون إلا فى الأجسام . ولذلك[3] أحلناها على الله تعالى لأنه ليس بجسم .

---

(١) فى التيمورية (وأما إرساله) .
(٢) فى الأصل (فقال ذلك) .
(٣) فى التيمورية (وكذلك) .

بل الثابت لله تعالى . إنما هو الكلام النفسى الذى ليس بأصوات والأصوات دالة عليه وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسى ولا الصوتى . بل النفسى قائم بنفسه والصوتى سمعه رسوله . وعدم لحينه . لم يأخذه الرسول معه فعلم أن هذا التمثيل غير مطابق لدعواكم . بل جهل بالحقائق وأحكامها وما هى عليه .

فان قلتم : إن الله تعالى أمر عيسى -عليه السلام- فقال ما يدل على أحكام الله تعالى للخلق . فهو والأنبياء سواء فى ذلك فلا معنى لاختصاصه بالبنوة .

(وقوله) فتجسم النطق[١] إنسانا من الروح القدس ومن مريم -رضى الله عنها- إلى آخر كلامه .

قلت : هذا موضع الخبط والجهل والكفر وعدم الإنسانية بالكلية . كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسما ، وذلك كقول القائل : الألوان والطعوم والروايح صارت جِمَالا وبرازين . فمن قام به لون قام به برذون . ومن قام به رائحة قام به جمل أو فرس . وكيف يتخيل عاقل أن المعانى تنقلب أجساما مع أن المعانى مفتقرة للمحال لذاتها[٢] . والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها - فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنيا لذاته -[٣] . وذلك كانقلاب الممكن واجبا لذاته . والزوج فردا . والفرد زوجا . والسواد بياضا . فإن كنتم تجوزون هذا كله . وليس لكم من العقول ما تدركون به هذه الأحكام وهو الظن بكم . سقطت مكالمتكم . لأن الكلام مع البهايم عبث وسفه . وإن كنتم تعقلونها فارجعوا عن قولكم تجسم النطق الربانى فى عيسى ابن مريم . واعترفوا ببطلان البنوة المبنية عليه وأن عيسى - عليه السلام - فيه وجهان واعتباران .

---

(١) كلمة النطق ساقطة من التيمورية .

(٢) كلمة (لذاتها) ساقطة من التيمورية .

(٣) ما بين الشرطتين ساقط من التيمورية .

هو من وجه إله . ومن وجه إنسان .

فالآفات والصلب ترد على الوجه الإنسانى . ويصير هذا الكلام كله كفرا وجنونا لأن المبنى على الأصل الفاسد فاسد .

(قوله) إن القرآن الكريم أثبت هذه البنوة بقوله تعالى : ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد : ٣]

قلت : هذا افتراء على الله تعالى وعلى كتابه وعلى المسلمين . إنما أقسم الله تعالى بآدم وذريته . فليس للنصرانى أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه .

(قوله) وسبب تجسم الكلمة أن اللطيف لا يظهر إلا فى الكثيف . كما خاطب الله موسى –عليه السلام– من العوسجة .

قلت هذا أيضا من جهالات النصرانية . ولم قلتم إن اللطيف لا يظهر إلا فى الكثيف . بل يجوز أن يخلق الله تعالى لنا علما ضروريا لكل لطيف – على ما هو عليه من غير أن يحل ذلك اللطيف فى غيره – [١] ولا يتحد بسواه .

كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلا . بدلالة صنعته عليه قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث فى زمن عيسى – عليه السلام – ويلزم النصارى فى هذا المقام أمور شنيعة .

إما بطلان مذهبهم إن صح ظهور اللطيف مع الغنى عن الكثيف . أو يكون الخلائق – منذ – آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء – عليهم السلام – وجميع الخلائق لم يظهر لهم من صفات الله تعالى . وكمال ذاته شيىء قبل عيسى – عليه السلام – إن لم يكن قبله اتحاد . لأن هذا الاتحاد شرط للظهور عندهم . وإن كان الظهور حاصلا قبله . كان الاتحاد الحاصل لعيسى – عليه السلام– حاصلا لجميع الخلائق، العالمين بالله تعالى وبصفاته، الذين ظهرت لهم الصفات الربانية .

---

(١) ما بين الشرطتين ساقط من التيمورية .

والمعارف الإلهية . وحينئذ لا اختصاص لعيسى –عيه السلام– ولا مزيه له . حتى يجعل ابن الله تعالى دون الناس أجمعين، ولم يتحد الكلام لموسى - عليه السلام - بالعوسجة . بل سمع كلام الله تعالى وهو قائم بذاته . وقد تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف[1] . فكيف ينتقل كلام الله تعالى للشجرة . حتى يسمعه موسى – عليه السلام – فهذا أيضا من الافتراء على قصة موسى - عليه السلام -.

ومن أين للنصارى عقل يفهمون به أفعال الأنبياء – عليهم السلام – فى دقائق الملكوت وعجائب أسرار الربوبية . مع أنهم جهلوا أحكام المعانى . وجوزوا عليها أن تكون أجساما . ولذلك عدلت عن بيان كيفية سماع موسى – عليه السلام – لكلام الله تعالى . وهو قائم بذاته بغير حرف ولا صوت وهو مبسوط فى كتبنا الكلامية . وقد ذكرته مستوعبا فى شرح الأربعين للإمام فخر الدين[2] . فمن أراد نظره هناك . وبهذا التقرير يظهر فساد تمثيلهم بالحديدة والخياط . فإن ذلك فرع تجسد المعنى وانتقاله للناسوت وقد ظهر بطلانه .

وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته فقد تقدم الجواب عنه[3] .

(قوله) الله وكلمته وروحه إله واحد . فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة . كما تقول الإنسان وعقله وحياته ثلاثة وهو إنسان واحد .

(قلنا) بل يلزمكم لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح – عليه السلام – فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة . والله يستحق العبادة لذاته . من غير أن ينتقل له من غيره شيىء . والروح القدس الذى هو الحياة . ونحن ننكر

---

(١) أنظر صفحة ٧٥ من هذا الكتاب .

(٢) ورد فى شجرة النور الزكية (شرح الأربعين لعز الدين الرازى فى أصول الدين ص١ / ١٨٨ وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وذكر ذلك ابن فرحون فى الديباج المذهب ص١ / ٢٣٧ .

(٣) أنظر من صفحة (٧٥ إلى صفحة ٨٢) من هذا الكتاب .

عليكم هذا الإطلاق أيضا – لما فيه من إيهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى. وتقولون فى صلاتكم: والروح القدس مساو لك[1] فى الكرامة. ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر. فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع فلكم ثلاثة آلهة بالضرورة.

ووزانه فى الإنسان أن تعتقد أن عقله قد انتقل للجمل. فاستحق تعظيما كتعظيم الإنسان لأجل ما انتقل. وروحه أيضا تستحق تعظيم الإنسانية.

والإنسان فى نفسه يستحق تعظيم الإنسانية. فيكون لنا ثلاثة أناس جزما. وإنما كان الإنسان واحدا لأن صفاته لم تتعداه. ولم تعدل صفة من صفاته. ذاته فى التعظيم. بل المعظم واحد وهو الإنسان. لما اشتمل عليه من كمال العقل وجميل الصفات[2]. فكان ينبغى للنصارى إذا قصدوا هذا المعنى أن يقولوا كما قال المسلمون. المعظم باستحقاق العبادة والمعبود[3] واحد وهو الله تعالى. لكمال صفاته وشرف ذاته. وليس شيء من صفاته مستحقاً للعبادة. كان منتقلا لوجود الانتقال. أو كانت الصفة قائمة بذاته. ولا يستحق للعبادة الموجبة للألوهية إلا ذات واحدة موصوفة بصفات الكمال. لا شيء من صفاتها ولا غير صفاتها. فهذا هو التوحيد المحقق الذى عليه المسلمون. أما النصارى فاعتقدوا استحقاق العبادة للذات وبعض الصفات. ومن حل فيه بعضها. فكانوا قائلين بتعدد الآلهة بالضرورة. فلا معنى بقولهم إن ذلك لا يلزمنا وإنما لا يلزمهم ذلك إذا قالوا المسيح – عليه السلام – لا يستحق العبادة. ولا نصلى له ولا نعبده. ومن عبده كفر. لأنه عبد من – جملة خلقه[4] – حلت فيه صفته. فهو غير الله تعالى ومن عبد –غير–[5] الله تعالى فهو مشرك. بل من عظم صفة من صفات الله تعالى. علمه أو كلامه أو حياته أو سمعه أو بصره تعظيم الله تعالى فهو كافر

(١) كلمة (مساو) ساقطة من التيمورية وتوجد (لكم) بدلا من لك.

(٢) فى التيمورية «فكذلك».

(٣) فى التيمورية والمعبود بدلاً من العبادة.

(٤) الجملة المعترضة من التيمورية.

(٥) كلمة «غير» تطلبها السياق.

مشرك مع الله غيره. قائل بتعدد الآلهة. فلا معنى لإنكار ذلك منهم. ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الإله ولا أى شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية. فلذلك عبدو اثلاثة آلهة. وهم لا يشعرون. فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل. ثم يقتل. ثم ينكر على من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلطه. فينبغى لهذه الطائفة النصرانية أن تبكى وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكى على فقد الدين. فإذا وهبها الله تعالى عقلا سألت عن حقيقة الألوهية. حتى تعلمها بحدودها وشروطها وخصوص ما هيتها[1] وما يجب للألوهية. وما يستحيل عليها. وأى شيء إذا فقد لا يكون المحل مع هذه إلها. وإذا علمت هذه الأمور كلها. كما علمها المسلمون. استيقظت من سكر جهلها. وظهر لها أنها تعبد ثلاثة آلهة. وأن المتعين أن لا يعبد إلا إله واحد .

فإن قالوا نحن لا نعبد المسيح – عليه السلام –. ولا نعظم الكلمة تعظيم العبادة. ولا نصلى لها حلت الكلمة أم لا. ولا يستحق العبادة إلا الله وحده دون صفاته العلا – فصفات الله واجبة الكمال لموصوفها وهى قديمة باقية يجب لها التنزه[2] – حلت أم لا. فهذا حق لا ننكره عليهم. ويكونون موحدين. وإنما يبقى الإنكار فى القول بالحلول والاتحاد على اختلاف مذاهبهم وجحد النبوة. فبهذه الطرق نكفرهم لا بتلك إن صرحوا بما ذكرته. والمصرح بهذا هم النسطورية[3] دون

---

(١) ليس مراد القرافى البحث عن كنه الذات. لأن الإسلام ينهى عن ذلك. وفى الحديث: تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله، تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فتهلكوا، تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فى ذاته فأنكم لن تقدروه قدره. يقول العلامة المناوى وهذه الروايات يقوى بعضها بعضاً. راجع فيض القدير شرح أحاديث الجامع الصغير.

(٢) الجملة المعترضة ساقطة من الأصل منقولة عن التيمورية وهى متفقة مع السياق.

(٣) أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون. قال إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هى هو. واتحدت بجسد عيسى –عليه السلام– كما تشرق الشمس على بلور أو النقش فى الخاتم. يرون أن المسيح إله تام وإنسان تام. ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحاً واحداً ومشيئة واحدة. الملل والنحل للشهرستانى ص٢ / ٥٣ بهامش الفصل.

اليعاقبة[١] والملكانية[٢] والفريقان يكفرونهم. وهم أقرب النصارى إلى الصواب[٣]. وليس للمسيح – عليه السلام – عندهم ميزة على سائر الأنبياء إلا أنه أفضلهم فقط. كما نقول نحن إن محمدا – عليه السلام – أفضلهم.

الشبهة الثانية عشرة

قال: احتجاجنا ببعض القرآن لا يلزمنا بقيته. لأنه كمكتوب أخرجه صاحب الدين بمائة دينار. وفيه مكتوب أنه قد وفا. فإن ذلك لا ينفع المديون.

الرد على هذه الشبهة

قلنا: هذا التمثيل غير مستقيم. فإن كتاب الدين إن كانت البينة فيه على القبض والوفا. نفع المديون. وإن كانت البينة على القبض دون الوفا. فهذا هو

---

(١) أصحاب يعقوب. قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا. إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الاله هو المسيح. بل هو الظاهر بجسده. ويرون أن المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد. من جوهرين تركبا تركب النفس والبدن وهو إنسان كله وإله كله – الملل والنحل بهامش الفصل ٢ / ٥٤.

(٢) أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها – يرون الكلمة اتحدت بجسد المسيح.. ويعنون بالكلمة أقنوم العلم. ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة.. وقد مازجت الكلمة جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء اللبن. وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح للنصوص التى يرونها تصرح بالبنوة فى الإنجيل الملل والنحل بهامش الفصل ٢ / ٥٣.

(٣) قول القرافى هذا فيه تسامح فكلا الفريقين قد دان بما حكم الله عليهم به أنهم كفرة والدليل على هذا ما يلى:

(أ) يرى اليعاقبة أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فسار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده. بل هو هو.. وعنهم أخبر القرآن الكريم ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [المائدة: ٧٢] فمنهم من قال المسيح هو الله. ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار الناسوت مظهر الحق. كما يظهر الشيطان بصورة حيوان والملك بصورة إنسان.. راجع الملل والنحل ص٢ / ٥٣ : ٥٤ بهامش الفصل.

(ب) ويرى الملكانية بقاء التثليث فمع دعواهم الاتحاد يرون الجوهر غير الأقانيم وذلك كالموصوف والصفة. وأخبر عنهم القرآن ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾ [المائدة: ٧٣] ويرون أن المسيح قديم أزلى من قديم أزلى. وأن مريم ولدت إلاهاً أزلياً. الملل والنحل ٢ / ٥١.

الذى لا ينفع. وبيانه – أن – صحة القرآن هى المعجزة الدالة على عصمة الرسول – عليه السلام – والمعصوم كلامه كله حق وصدق. فهو كالمكتوب الذى فيه البينة على القبض والوفا يحتج بجميع ما فيه.

الشبهة الثالثة عشرة

قال: إن قال المسلمون لم أطلقتم لفظ الإبن والروح والأقانيم. مع أن ذلك يوهم أنكم تعتقدون تعدد الآلهة. وأن الآلهة ثلاثة أشخاص مركبة. وأنكم تعتقدون ببنوة المباضعة. قلنا للمسلمين: هذا كاطلاق المتشابه عندكم من لفظ اليد(1) والعين (2) ونحوها. يوهم التجسيم وأنتم لا تعتقدونه.

الرد على الشبهة الثالثة عشرة

قلنا إنما يطلق المسلمون المتشابه بعد ثبوته نقلاً متواتراً، يقطع به عن الله تعالى أنه أمر بتلاوته. امتحاناً لعباده. ليضل من يشاء ويهدى من يشاء وليعظم ثواب المهتدين. حيث حصلوا الهداية بعد التعب فى وجوه النظر. ويعظم عذاب الضالين حيث قطعوا لا فى موضع القطع (3). ولم ينقلوا ذلك عن امرأة كما

---

(1) وردت آيات عدة تشير إلى اليد فى القرآن الكريم منها قول الله تعالي: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 73].. ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[المائدة: 64].. ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: 29].. ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: 29].

(2) وردت بعض الآيات القرآنية التى يوهم ظاهرها التشبيه وما ذكره النصراني بشأن العين مرده إلى قول الله تعالى فى حق موسى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه: 39] وخطابه لنوح عليه السلام ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود: 37].. وعند الطوفان وصفت بقول الله تعالي: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: 14] وخطابه لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: 48].

(3) قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

[آل عمران: 7]

اتفق ذلك فى الإنجيل [١]. بل ما اقتصر المسلمون على الجمع القليل بل اعتمدوا على العدد الذى يستحيل عليهم الكذب[٢]. فلما تحققوا أن الله أمرهم بذلك نقلوه.

وأما النصارى فأطلقوا بعض ذلك من قبل أنفسهم كالأقانيم والجواهر وبعضها نقلوه نقلاً لا تقوم به حجة فى أقل الأحكام. فضلاً عن أحوال الربوبية، فهم عصاة الله تعالى. حيث أطلقوا عليه ما لم يثبت عندهم بالنقل. بل لو طولبوا بالرواية لإنجيلهم لعجزوا عن الرواية فضلاً عن النقل القطعى، فلا تجد أحداً له رواية فى الإنجيل يرويه واحد عن واحد إلى عيسى -عليه السلام- [٣]. وأقل الكتب عند المسلمين من الأدبيات[٤] وغيرها يروونها عن قائلها. فتأمل

---

(١) قصة قيامة المسيح من القبر. وملاقاته لمريم المجدلية وأمره إياها بإخبار التلاميذ عن لقاء الجليل المرتقب كل هذا روته امرأة واحدة كما سبق.

(٢) النقل بالسند من خصوصيات هذه الأمة. وأجمع المسلمون ومن سلم من الهوى - من غير المسلمين - أن القرآن كتب بين يدى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونسخت نسخ مما كتب فى عهد عثمان وأرسلت إلى الأمصار. وظل النقل حتى الآن يعتمد على المسطور والمحفوظ فى السطور وأما السنة فقد وردت أحاديث عدة تحذر من الكذب على الرسول. وتوصى بالتثبت. وقد بذل الأئمة جهداً بالغاً مع مطلع القرن الثانى الهجرى لتدوين السنة. كما دونت كتب عدة خاصة بتراجم الرجال الذين حملوا إلينا السنة المطهرة وكان التعريف بهم خالصا لوجه الله. وهذا ما لم يتوافر فى أى دين.

(٣) يجمع النصارى على عدم تدوين الإنجيل بين يدى المسيح -عليه السلام- وليس بينهم خلاف على هذا. وإنما وقع الخلاف حول بدء التدوين الخاص بالأناجيل.. هل بدأ بعد الخامسة عشرة لصلب المسيح أو العشرين أو الثلاثين.. إلخ.

وهم يرون أن الأناجيل كتبت بالإلهام أكثر منها بالسماع والتثبت وكان من بين الملهمين أربع صحت كتبهم لديهم. وقد سبق بيان الخلاف حول الأزمنة والأماكن واللغة والأشخاص الذين كتبوا الأناجيل.

أما اليهود فإنهم يدعون كتابة التوراة بين يدى موسى ويبذلون جهداً خارقاً على كسب القضية وهناك مؤلفات عدة ظهرت تحاول كسب القضية من أخصها وأقواها كتاب «الكتاب المقدس فى الميزان» لمؤلفه ج.ولز. تعريب صموئيل.

(٤) فى الأصل «من الارتياب» وهو غير مستقيم المعنى.

الفرق بين الأمتين [١]. والبون الذى بين الدينين. هؤلاء المسلمون ضبطوا كل شىء. والنصارى أهملوا كل شىء. ومع ذلك يعتقدون أنهم على شىء.

الشبهة الرابعة عشرة

قال: المسلمون ينكرون علينا إطلاق الجوهر على الله تعالى. وليس بمنكر. لأن الموجودات منحصرة فى الجواهر والأعراض. لأن الموجود إما غير مفتقر فى وجوده إلى غيره وهو الجوهر، أو مفتقر فى وجوده إلى غيره وهو العرض، ولا واسطة بين قولنا مفتقر فى وجوده وغير مفتقر. ويستحيل عليه تعالى أن يكون عرضاً، فيتعين أن يكون جوهراً لضرورة الحصر فيهما.

وأما قول المسلمين: إن الجوهر هو الذى يقبل العرض ويشغل[٢] الحيز فيستحيل إطلاقه على الله تعالى.. فليس كذلك.. بل الذى يشغل الحيز ويقبل العرض هو الجوهر الكثيف أما اللطيف كالضوء والنفس والعقل فلا.

الرد على الشبهة الرابعة عشرة

قلنا: هذا كلام من لا يعلم الجوهر ولا يعرف العرض. ولا يضبط علماً من العلوم كأنه نصرانى. فإن هذه خصيصتهم. أما ما يفتقر فى وجوده لغيره – فهو من الممكن[٣] – وما لا يفتقر – لغيره من الوجوه[٤]– فهو الواجب الوجود لذاته–[٥] فهذا تفسير الواجب والممكن. لا تفسير الجوهر والعرض. فأين أحد البابين من الآخر – بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر فى وجوده إلى غيره [٦] – فنتبرع للنصارى الآن بتفسير هذه الحقائق. فنقول:

---

(١) فى الأصل «الاثنين» وهو غير مستقيم.
(٢) فى الأصل «فيشغل» والعطف بالواو أولى.
(٣) ما بين الشرطتين من التيمورية.
(٤) ما بين الشرطتين من التيمورية.
(٥) أسقطت جملة «والممكن الوجود لذاته» لمعارضتها السياق وعدم وجودها بالتيمورية.
(٦) هذه الجملة ساقطة من التيمورية.

الجوهر: هو المتحيز لذاته الذى لا يقبل القسمة. فقولنا لذاته احتراز من العرض فإنه متحيز لأجل قيامه بالجوهر. وقولنا لا يقبل القسمة احتراز من الجسم فإنه يقبل القسمة. فالجسم هو المتحيز لذاته الذى يقبل القسمة وقد ظهرت فائدة هذه القيود مما تقدم.

والعرض: هو المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به. لا أنه يفتقر إليه فى وجوده. بل وجود العرض وغيره من الله تعالى.

إذا تقرر هذا ظهر خطؤهم فى إطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى فظهر بطلان تفسيرهم للجوهر والعرض. بل على تفسيرهم للجوهر. يلزم أن لا يكون القابل للعرض والشاغل للحيز جوهراً. لأن وجوده من الله تعالى – بل الله تعالى[1] – هو خالق المتحيزات وغيرها.

ومن العجيب قوله: إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيزاً ولا يقبل عرضاً. ثم مثله بالنفس والعقل والضوء.

أما النفس فإنها متحيزة وهى[2] تقوم بها الأعراض لأنها يقوم بها العلوم والظنون والاعتقادات والآلام واللذات وغير ذلك. وكلها أعراض نفسانية. لكنه لا يعرف حقيقة العرض فلذلك نفى الأعراض عن النفس. وكذا العقل يقوم به الفكر. والعلوم[3] والمعارف وغيرها وهى أعراض.

وأما الضوء فعرض يقوم بجواهر الهواء: ليس من الجواهر فى شىء وهو يعتقد أنه جوهر فمثل به.

فحديث النصارى كله عجب. حتى لو وجد عندهم صواب كان عجباً.

---

(١) ما بين الشرطتين من التيمورية.

(٢) فى الأصل «وهو» وصححت من التيمورية.

(٣) فى الأصل العبر.

الشبهة الخامسة عشرة

قال: الله له عدل[1]. وفضل[2]. وهو سبحانه وتعالى يتصرف بهما. فأرسل موسى- عليه السلام- بشريعة العدل لما فيها من التشديد[3]. فلما استقرت فى نفوسهم وقد بقي الكمال الذى لا يصنعه إلا فى أكمل الكملاء وهو الله تعالى. ولما كان جواداً تعين أن يجود بأفضل الموجودات. وليس فى الموجودات أجود من كلمته[4]. يعنى نطقه فجاد بها واتحدت بأفضل المحسوسات وهو الإنسان لتظهر قدرته. فحصل غاية الكمال ولم يبق بعد الكمال إلا النقص[5].

الرد على الشبهة الخامسة عشرة

قلنا: أما شريعة موسى -عليه السلام- فكانت عدلاً وفضلاً. وقل أن يقع فى العالم عدل مجرد. وإنما وقع ذلك لأهل النار خاصة. كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة وتقرير هذا الباب. أن كل جود إحسان فهو من فضل الله تعالى. وجود لا يجب عليه فعله. فما عرى عن الخير والإحسان ألبتة فهو العدل

---

(١) المراد بالعدل الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم وهو فى الأصل مصدر سمى به فوضع موضع العادل.. النهاية فى غريب الحديث ٣ / ١٩٠ وتحفة الاحوزى ٩ / ٤٨٥.

(٢) المراد بالفضل: أن يمنح بعض خلقه فوق ما يستحقون.

(٣) أعطى الله بنى إسرائيل ما لم يعط غيرهم فضلاً منه ولكنهم قابلوا العطاء بالنكران والجحود ووصل الأمر بهم أن طلبوا من موسى رؤية الله جهرة. وعدم الصبر على طعام واحد. ورفض التوبة على الوجه الذى أراده الله. وبدأ العصيان يعم بينهم فعبدوا العجل من دون الله. ولحنوا فيما سمعوا عن الله. فشدد الله عليهم لحملهم على الجادة. وبرز التشديد فى جانب العقوبة حيث العدل. وفى جانب الطعام بسبب ظلمهم كما قال تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ...**﴾ [النساء: ١٦٠] وقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(٤) المراد المسيح – عليه السلام – كما هو مصرح به فى بدء إنجيل يوحنا.

(٥) مراده أن الشريعة لا تخلوا عن أحد أمرين:

(أ) عدل وهذا ما أتى به موسى.

(ب) فضل وهذا ما أتى به عيسى.

وليست البشرية فى حاجة إلى شريعة ثالثة «يريد الإسلام».

المحض. لأن الملك ملكه – وهو المتصرف وتصرف المالك فى الملك المملوك كيف كان، عدل ليس بظلم[1] – وإنما يكون الظلم فى مملوك الغير. فإن وقع الخير المحض فهو التفضل المحض وهذا هو شأن أهل الجنة. إذا تقرر هذا فشريعة موسى عليه السلام. كان فيها من الاحسان أنواع كثيرة فتلك كلها فضل. كتحريم القتل والغصب[2] والزنا والقذف[3].

---

(١) تم تقويم العبارة وتصحيحها من التيمورية وقد وقع فى الأصل اضطراب.

(٢) ورد فى التوراة نصوص عدة تحرم القتل وتنوع العقوبة بحسب القصد.

وخلاصة الأحكام تتجلى على النحو التالى:

(أ) الإعدام لمن قتل عامداً متعمداً.. ورد فى سفر اللاويين «وإذا أمات أحد إنساناً فإنه يقتل» العدد ٣٥/٣١ والتثنية ١٩/١٢ ولا تثبت جريمة القتل العمد إلا بشهادة شاهدين أو أكثر. ورد فى سفر العدد «كل من قتل نفساً فعلى فم الشهود يقتل القاتل وشاهد واحد لا يشهد على نفس للموت. ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل» العدد ٣٥/٣٠:٣٢.

ولا يجوز فى هذه الحالة العفو أو دفع فدية لافتداء القاتل بالمال. لأن الدم يدنس الأرض ولا يكفر لأجل الدم سفك فيها إلا بدم سافكه.. والذى يقتل القاتل فى هذه الحالة هو ولى الدم «العدد ٣٥/١٩» وهو أقرب الأقرباء إلى القتيل.

(ب) أما القتل غير العمد فيكون إذا ألقى القاتل على القتيل شيئاً أو أسقط عليه حجراً بغير تعمد أو دفعه فجأة بغير عداوة وبغير علم فمات. دون أن يكون قاصداً أذيته وقد سمحت الشريعة للقاتل أن يهرب من ولى الدم إلى أحد مدن الملجأ التى حددت لهذا الغرض. حتى تجرى محاكمته. فإذا ثبت براءته من القتل العمد. أبيحت له الإقامة فى مدينة الملجأ حتى يموت رئيس الكهنة القائم فى ذلك الوقت وبعد موته يرجع إلى وطنه فإذا خرج قبل موت رئيس الكهنة ووجده ولى الدم فقتله فلا شىء عليه «التثنية ١٩/٤».

وليس القصاص قاصراً على الأفراد. بل الثور النطاح إذا نطح إنساناً فقتله فإن الثور يرجم ويقتل صاحبه أو يدفع الفدية التى يفرضها ولى الدم.

فإن لم يعلم القاتل فقد أوجبت الشريعة عليهم آداباً واجب اتباعها كما هو وارد فى سفر «التثنية ٢١/١:٩».. راجع بتفصيل مبدأ السلام فى الرسالات السماوية.. للمحقق من ص٣٤٥–٣٤٨ نسخة بكلية أصول الدين – القاهرة.

(٣) حرمت الشريعة اليهودية الزنا والقذف. وأعدت عقوبة مقدرة لمن ارتكب أحد الأمرين أو هما معا.

وأما العقوبة المقدرة على الزنا فإنها متفاوتة بحسب المرأة التى مارست الفعلة مع الفاعل وذلك على النحو التالى:

=

والمسكر من الخمور المغيبة للعقول. وإنما أباح اليسير الذى لا يصل إلى حد السكر [1].

= **أولاً - القتل**: ويقع فى حالة إذا زنى الرجل مع امرأة متزوجة فإنهما يقتلان «التثنية ٢٢/٢٢» وكذلك إذا زنى بزوجة القريب. ويكون القتل خنقا «السنن القويم ٢/١٤٦».

ثانياً - الرجم: ويكون فى الحالات التالية:

١- الزنا بالأم «لاويين صح ٢٠-١١».

٢- الزنا بالرابة - أى امرأة الاب - «لاويين صح ٢٠-١٢».

٣- الزنا بالكنة «لاويين صح ٢٠-١٢».

٤- الزنا بفتاة عذراء مخطوبة «تثنية صح ٢٢-٢٣».

٥- الزنا ببهيمة «اللاويين ٢٠-١٥».

٦- زنا المرأة ببهيمة «اللاويين ٢٠-١٦».

٧- اللواط «اللاويين صح ٢٠-١٣».

ويكون الرجم خارج المدينة وأول من يرجمه الشهود «التثنية صح ١٧-٧».

ثالثاً - الحرق: ويكون فى الحالات التالية:

١- زنى ابنة الكاهن.

٢- زنى الرجل بابنته.

٣- زنى الرجل بابنة ابنته.

٤- زنى الرجل بابنة ابنه.

٥- زنى الرجل بابنة الزوجة.

٦- الزنى بابنة ابنة الزوجة.

٧- الزنى بالحماة.

٨- الزنا بابنة ابن الزوجة.

٩- الزنى بأم الحماة.

١٠- الزنى بأم الحم.

رابعاً - التعزير: وذلك إذا بوشرت الفاحشة مع أمة مخطوبة غير محررة ولا مفداة.

وتكون العقوبة تقديم كبش إلى باب الخيمة ويؤدب بضربه أربعين سوطاً.

وعن تعريف القذف ورد أنه: نسبة الغير إلى فعل الفاحشة.

فإذا قذف الرجل امرأة فإما أن يقيم الدليل على دعواه أم لا. فإن أقام الدليل على دعواه برأ. وأقيم الحد على المرأة. وإن لم يستطع فإنه يلزم بغرامة مائة من الفضة لأبى الفتاة ويعزر جسدياً. ويلتزم بالزواج من الفتاة على وجه التأبيد.. راجع النص فى سفر «التثنية صح ٢٢/١٣: ١٩» وانظر بالتفصيل العقوبة المقدرة فى «مبدأ السلام فى الرسالات السماوية» للمحقق من صفحة ٣٤٨ إلى ٣٥١.

(١) النصوص الواردة فى تحريم الخمر غير قطعية الدلالة. كما أنها متضاربة. وكل ما ورد من نص قطعى فى هذا الصدد. إنما يوجب تحريم السكر على الكهنة ورجال الدين قبل الاجتماع العام. حتى لا يعقد الاجتماع وهم سكارى. فلا يستطيعون التمييز بين الحق والباطل والخبيث والطيب.. وقد امتدت الحرمة فى الشريعة إلى حد تحريم الخمر على رجال الدين. فلا يعقل أن يعلموا البشر وهم سكارى. وبهذا أمر هارون عليه السلام. «وكلم الرب هارون قائلاً: خمراً =

وكإباحة الفواكه واللحوم[1] والزواج[2] وغير ذلك. وهذه كلها أنواع من

= ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع كى لا تموتوا فرضاً دهرياً فى أجيالكم» «حزقيال ٤٤-٢١».

وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر ولتعليم بنى إسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها بيد موسى «لاويين ٨٨ / ١ : ١١» وكما حرم الخمر على الكهنة ورجال الدين حرم كذلك على كل من نذر نفسه تقرباً من تلقاء نفسه. وهذا التحريم ينتهى بانتهاء المدة المنذورة «وكلم الرب موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم إذا انفرز رجل وامرأة لينذر نذراً لنذير الرب. فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ولا يشرب من نقيع العنب. ولا يأكل عنباً رطباً ولا يابساً. كل أيام نذره. لا يأكل من كل ما يعمل منه حفنة الخمر من العجم حتى القشر» . راجع : سفر العدد ٦ / ١ : ٤.

أما العامة فإن الأصل فى الأشياء الإباحة.. وقد وردت نصوص فى التوراة تصرح بشرب الأنبياء للخمر وأمرهم أتباعهم بشربها منها:

(أ) وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه «تكوين صح ٩ / ٢٠».

(ب) بعد عودة اليهود إلى إسرائيل فى عهد كورش أمر الرب الشعب أن يعطوا الكهنة كل ما يحتاجون إليه من مال وكباش وخراف لتقدم محرقة لإله السماء.. وحنطة وملح وخمر وزيت حسب قول الكهنة الذين فى أورشليم «عزرا صح ٦ / ٩ : ١١».

(جـ) ما أتت به أبيجال - اسم لامرأة داود عليه السلام - عندما أراد أن يهدم ديارهم ويفنى قومها «فأتت» بمائتى خبز رغيف وزقى خمر وخمسة خرفان.. وقدمتها إلى داود وجيشه.. فأخذ داود من يدها ما أتت به إليه وقال لها اصعدى بسلام إلى بيتك.. «صموئيل الأول صح ٢٥ / ١٨ : ٢٥».

(د) بعد عودة التابوت إلى اليهود فرح الشعب وقام داود وقسم على جميع الشعب على كل جمهور إسرائيل رجال ونساء على كل واحد رغيفا من خبز وكأس خمر وقرص زبيب «صموئيل الثانى صح ٦ / ١٩».. ومن هنا نرى أن الحرمة غير قطعية.

(١) الأصل فى الأشياء الحل. وقد تطرأ الحرمة لواحد من اثنين.

(أ) الضرر الواقع أو المتوقع عقب الاستخدام وإن لم يظهر ذلك للبشر.

(ب) العقوبة المقررة على ظلم ما يرتكبه البشر. وهذا ما حدث لبنى إسرائيل حيث عاقبهم الله تعالى ببعض العقوبات فى جانب الأطعمة بسبب ظلمهم. قال تعالى: ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ١٦٠].

وهذه الطيبات التى حرمت وضح بعضها فى قول الله تعالى: ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٤٦].. وكان التحريم قائماً على العدل. لأن الحق سبحانه نفى الظلم فى هذا التشريع قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [النحل: ١١٨].

(٢) حثت التوراة على التناسل. وأمرت بذلك «فأثمروا أنتم وأكثروا وتوالدوا فى =

الفضل. ثم إن عيسى عليه السلام جاء مقرراً لها وعاملاً بمقتضاها ومستعملاً لأحكامها[1] ولم يزد شيئاً من الأحكام وإنما زاد المواعظ[2]. والأمر بالتواضع والرقة والرأفة[3]. فلم يأت عيسى – عليه السلام – بشريعة أخرى[4] حتى يقال

=الأرض وتكاثروا فيها» «تكوين صح ٩ /٧» والقانون عندهم يوجب الزواج على كل إسرائيلي. فالمادة ٢٦٥ من كتاب الأحوال الشخصية لابن شمعون قد نصت «على أن الزواج فرض على كل إسرائيلي» ومن عاش عزباً كان سبباً من أسباب غضب الله على بني إسرائيل «الأحوال الشخصية لغير المسلمين – لاشين الغاياتي ص٩٤» وأباحت التعدد في غير حد محدود.. وقد بلغ الحرص على الإنجاب أن يتزوج الأخ زوجة أخيه المتوفى ليقيم له نسلاً «التثنية صح ٢٥ /٥: ١٠» فإن رفض قاضته ويحكم عليه أخيراً بأنه مخلوع النعل. ولم ير اليهود في هذه النصوص حكمة استبقاء النوع الإنساني.. وإنما كانت النظرة العنصرية القائمة على العصبية بغية الاستعلاء والاستعباد.

(١) بهذا صرح السيد المسيح عليه السلام – فيما ينسب إليه – فقد ورد «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» «متى صح ٥ /١٧: ١٨».

(٢) كافة النصوص المنسوبة إلى المسيح عليه السلام في الإنجيل تميل إلى الرقائق دون تضمنها أحكاما شرعية «يراجع في ذلك: متى ٥ /١٨: ٤٨ والإصحاح السادس كاملاً وكذلك السابع.

(٣) من يقرأ النصوص المنسوبة إلى المسيح –عليه السلام– يقف متعجباً متسائلاً: كيف بشريعة تأمر أتباعها بقبول الذلة والمهانة والسخرة وعدم أخذ الحق أو درء الباطل وليس أدل على هذا مما ورد في إنجيل متى «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم. لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. من سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك.. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم.. باركوا لاعنيكم.. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم».. «متى صح ٥ /٣٨: ٤٧».

وقد علل الشراح بأن العقوبات مردها إلى الحاكم.. حيث إن استقامة أمر المجتمع منوطة به. وما كان للشريعة أن تتدخل في شئونه «أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

(٤) يلاحظ التغاير في أمرين:

الأمر الأول: الأمر بالعفو والتنازل عن كل حق قبل الخصوم عكس ما هو وارد في التوراة.

الأمر الثاني: المغايرة الصريحة في بعض الأحكام التي تنسب إلى المسيح عليه السلام مع ما نسب إلى موسى ومنها:

(أ) ترك القصاص وهذا واضح في متى «صح ٥ /٣٨: ٤٢».

=

إنها الفضل. بل مقتضى ما قاله أن تكون شريعة الفضل[1] هى شريعتنا. لأنها هى الشريعة المستقلة التى ليست تابعة لغيرها. ولا مقلدة سواها. وهذا هو اللايق لمنصب الكمال. أن يكون متبوعاً لا تابعاً. فهذه الحجة عليه لا له.

ثم قوله لا يصنع الأكمل إلا هو سبحانه فهو باطل. لأنه لا حجر عليه سبحانه فى ملكه. فيأمر بعض خلقه بوضع الأكمل. ويرسل الناس بأوامر وشرائع هى غاية فى جلب المصالح ودرء المفاسد. كما هى شريعتنا المعظمة.

ثم قوله: الله تعالى جواد فجاد بأعظم الموجودات وهو كلمته. فجعله متحداً بأفضل المحسوسات وهو الإنسان باطل لوجوه:

= (ب) ترك الطلاق وهذا واضح فى متى «صح ٥ / ٣١: ٣٢».

(جـ) ترك عقوبة الزانى فالتوراة أوجبت العقوبات السابقة «القتل - الرجم - الحرق - التعزير» والإنجيل ترك الزانية دون عقاب.

(د) ترك الختان.. فهو واجب عند اليهود وادعى بولس أن طهارة القلب أولى من الختان.

(هـ) تحريم التعدد فى الزواج فالتوراة تطلقه. والإنجيل - بتأويل الشراح - يحرمه.. أ. هـ.

(١) من يقرأ القرآن الكريم. يجد نصوصه تجمع بين العدل والفضل وبتطبيق هذه الأحكام يستقيم أمر المجتمع. فجانب العدل واضح فى قول الله تعالي: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] وجانب الفضل والدعوة إلى التسامح واضح فى قول الله تعالي: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].. ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] وقد اجتمع الأمران معاً ليكون الحاكم والمحكوم بينهم بالخيار.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].. ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

أما الأمور التى يترتب على العفو فيها فساد اجتماعى. فقد نهى الإسلام عن العفو فيها وذلك كجريمة الزنا ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].. وكذلك السرقة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

أحدها : أن الجود بالشيء فرع إمكانه . فإن الكرم بالمستحيل محال . فنبين أولاً تصور انتقال الكلام النفسي من ذات الله تعالى إلى مريم رضى الله عنها .

ثم نقيم الدليل على وقوع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه وقد تقدم بيان استحالة ذلك .

ثانيها : سلمنا أنه ممكن لكن لم قلتم أن الكلام هو أفضل الموجودات ولم لا يكون العلم أفضل منه لأن الكلام تابع للعلم .

ثالثها : أن الذات الواجبة الوجود التى الصفات قائمة بها . أفضل من الصفات لأن الصفات تفتقر للذات فى قيامها . والذات لا تفتقر[1] لمحل بخلاف الصفات .

رابعها : أن صفتين من الصفات – والصفات بجملتها مع الذات أفضل من الكلام وحده – ولم يقل أحد باتحاد هذا فالأفضل لم يحصل حينئذ . ولما كان كلام النصرانى نوعاً من الوسواس اتسع الخرق عليه .

والرد أنا نبين أن صفة الكلام [2] والجود والفضل ظهرت فى شريعتنا أكثر من جملة الشرائع وبيانه من وجوه :

أحدها : أن معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها فوقع الخبط فى تلك الشرائع بعد طول المدة . وموت الفرقة الذين شاهدوا المعجزات . وجاء قوم لم يشاهدوا نبياً ولا معجزة فطغوا وبغوا وضلوا وأضلوا . ودثرت تلك الشرائع بهذا السبب . فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض . ومعجزة شرعنا هى القرآن الكريم[3] بوصفه ونظمه وما اشتمل عليه من المغيبات وحلاوة السماع حلاوة

---

(١) اسقطت كلمة « فى » لمعارضتها السياق .

(٢) فى التيمورية « الكمال » وهى غير منسجمة مع السياق التالى لها .

(٣) ذكر القرآن الكريم أن معجزات الرسل السابقين كانت حسية وكان الوحى يأتى إليهم بتعاليم للهداية . ولم يكن المراد من هذه التعاليم التحدى ببنيتها . لان القوم لم يعملوا عقولهم وفكرهم بقدر ما كانوا يتأثرون بالمشاهدة . ومن هذا المنطلق كان كل نبى يأتى بآية أو آيات حسية=

لا يخلقها الآباد. ولا يسأمها أحد بالترداد. ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة

= ليثبت بها نبوته. ويتوعد القوم بالهلاك والدمار إن لم يؤمنوا. ولذا فإن شعيباً عليه السلام قال لقومه ﴿**وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**﴾ [هود: ٨٩].

وأبرز الآيات الحسية ما أتى به موسى إلى بنى إسرائيل من خوارق حسية وذلك كفرق البحر ونزول الصاعقة وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ونبع الماء من الحجر.. إلخ وكذلك عيسى – عليه السلام – أعطاه الله القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله والإنباء بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم، ومع ذلك لم يؤمن كثيرون.

ومع أن الأمور الخارقة للعادة المحسوسة تلعب دوراً كبيراً فى التأثير إلا أنها سرعان ما تهدأ كما أن تأثيرها على المشاهد غير تأثيرها على المستمع. فجانب الإلزام فى الأولى أكبر. ومع ذلك فإنها لا تلبث أن تهدأ. وتموت الدعوة بموت الدعاة ومن آمن من المتبعين الأول. وتبقى بقايا تلعب بها الأهواء والشهوات. فتزيد وتنقص وتضيف وتحذف. وتؤيد وتعارض حتى إذا مضت مدة من الزمان. درست الدعوة. وبطل تأثير المعجزة التى يرتكز عليها. فكان الفوت.

وقد جعل الله معجزة رسوله محمد عقلية. وضمنها عطاء دائماً لا ينفك وهى القرآن الكريم الذى قام إعجازه على جوانب عدة منها:

١ – **الإعجاز فى التركيب**: فهو عربى بحروف عربية ومع ذلك تغايرت المقاطع. وضمنت من المعانى بنظمها ما لم يضمن غيرها. وبه تحدى الله العرب. – مضرب المثل فى الفصاحة – أن يأتوا بمثله ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ [الطور: ٣٤].. ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الاسراء: ٨٨] أو بعشر سور مثله ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ [هود: ١٣].. فلما ثبت عجزهم كان التحدى بسورة ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣] وزاد الأمر تحدياً بقوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤].

ولا ريب أن الشىء إذا أعجز أهل الاقتدار كان إعجازه لغيرهم من باب أولى.

٢– الإعجاز فى الاخبار بالمغيبات الماضية والحاضرة لنزوله والمستقبلة.

فعن الماضى: أخبر بأحوال الأمم والشعوب وبعض الصالحين فضلاً عن قصص بعض الأنبياء.

وعن حاضره: أخبر بعدم إيمان البعض كأبى لهب وبإيمان البعض رغم كفرهم وقت النزول كما هو واضح فى سورة الفتح وبغلبة الروم للفرس.

وعن المستقبل: بالحديث عن حقائق فى علوم الطب والجغرافيا والفلك والهيئة.. إلخ.

آلاف معجزة مسطورة فى كتب هذا الشأن(١) : واحدة منها كافية فكيف بالجميع . وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف . والأبناء بعد الآباء . فلا يزيد الإسلام إلا قوة . . ولا الإيمان والتوحيد إلا جدة . . ولله الحمد على ذلك . فتمت المصلحة واستمرت . ودحضت الضلالات ودثرت . فهذا هو الكمال(٢) الأشرف والفضل المنوف .

وثانيها : أن كل نبى بعث إلى قومه خاصة . ومحمد ﷺ بعث للثقلين جميعاً الإنس والجن على اختلاف أنواعها(٣) وبيان ذلك أن أكمل الشرائع المتقدمة شريعة التوراة . مع أن موسى عليه السلام لم يبعث إلا إلى بنى إسرائيل(٤) . ولما أخذهم من مصر وعبر البحر . لم يعد لمصر ولا وعظ أهلها

---

(١) من أهم الكتب التى تناولت جانب الإعجاز فى القرآن الكريم :

(أ) معترك الأقران فى إعجاز القرآن - ٣ مجلدات للسيوطى .

(ب) عجاز القرآن للباقلانى .

(جـ) الإعجاز فى نظم القرآن . السيد شيخون .

(د) الإعجاز القرآنى فى دراسات السابقين . عبدالكريم الخطيب .

(٢) فى الأصل « الكلام » . وهو غير مستقيم مع المعنى .

(٣) وردت آيات عدة تصرح بعموم رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم . . منها :

(أ) ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

(ب) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [سبأ : ٢٨] .

(جـ) ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [الفرقان : ١] .

(د) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

(هـ) ورد فى الحديث الشريف : « وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الأحمر والأسود » متن البخارى جـ١ - ٩١ط الشعب .

(٤) لا يعنى الكمال أن غيرها ناقص . فشريعة الله لا توصف بالنقصان ، والراجح فى الكمال مراد به الوصول إلينا فإن ما تضمنته التوراة رغم ما أصابها من تحريف قد تضمن كثيراً من الأحكام ومع ذلك فإنها لا تفى بحاجة المجتمع . ولا تعالج كافة القضايا .

ولا عرج عليهم[1] ولو كان رسولاً إليهم لما أهملهم. بل إنما جاء لفرعون ليسلم له بنى إسرائيل فقط[2] فلما انقضى هذا الفرض أهملهم. ولم يعد لمصر ألبتة. وإذا كان هذا حديث موسى -عليه السلام- فغيره أولى. وقد أخبرنا سيد المرسلين بذلك[3] ولاشك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل - فشرعتنا أكمل - وهو المطلوب[4].

وثالثها: أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس[5]. فتكون شرائعها أفضل الشرائع، أما أنها أفضل فلقوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف فى ملة من الملل. حتى إن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب فى المجلدات العديدة فى العلوم المتباينة ولعله لا يوجد فى شريعة الإسرائيليين كلهم من النصارى واليهود من التصانيف مثل هذا العدد فيكون العالم منا قدر شريعتهم بجملتها وكم فيها من عالم. ولأن العلوم القديمة

---

(١) كل نبى بعث فى أمة من الأمم فهم قومه. ودعوة الأنبياء توجه إلى ذويهم لأنهم أعرف بنبيهم وأرجى لقبول دعوته وأقدر على نصرته. فإن آمنوا كان إيمان غيرهم تابعاً وإن أعرضوا حال ذلك كثيراً فى إيمان غيرهم. وهكذا كان كل نبى يركز على قومه الذى هو منهم ثم يدعو الآخرين.

(٢) كانت بعثة موسى - عليه السلام - تهدف إلى أمرين:

الأول: إنقاذ بنى إسرائيل من فرعون. وبهذا صرح القرآن فى قول الله تعالى حكاية عن موسى ﴿**أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الشعراء: ١٧].

الثانى: دعوة فرعون إلى الله وذلك فى قول الله تعالى آمراً موسى ﴿**فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ**﴾ [النازعات: ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١] فالتخصيص هنا غير مسلم.

(٣) لعله أراد الحديث الشريف «وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

(٤) الكمال والنقصان نسبى وليس على الإطلاق، فقد تضمنت الشرائع السابقة ما يصلح أممها وتضمنت شريعتنا ما يصلح الأمة وقت النزول وبها أصول فى القرآن يحتكم إليها عند كل جديد. كما أن من خصوصيات هذه الأمة فى مصادر تشريعها السنة والقياس والإجماع والاجتهاد وهى أمور لم تتوافر لأهل الشرائع السابقة.

(٥) الخيرية مقيدة بقيود تضمنتها الآية وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بعد إيمانها بالله فما لم تأمر هذه الأمة بالمعروف وتنهى عن المنكر فلا خير فيها على وجه الإطلاق.

كلها إنما تحررت فيها من الحساب والهندسة والطب والموسيقى والهيئة والمنطق وغير ذلك. وجددت هي علوماً لم تكن لغيرها من النحو[١] واللغة العربية البديعة وبسط وجوه الإعراب[٢] الذى صنفت فيه الدواوين العظيمة وعلوم الحديث[٣] على اختلاف أنواعها. وعلوم القرآن على سعتها[٤]. وعلوم العروض[٥] والشعر[٦] والنظم وغير ذلك من العلوم الخاص بها. وهم أولى بعلوم غيرهم لتخليصها وإظهار بهجتها وإزالة فاسدها عن صحيحها. وبسطها بعد قبضها عن غيرها. فصار علم الوجود منحصرا فيها أولاً وأخيراً. فتكون أفضل. ولأن ما وهبه الله تعالى لهم من جودة العقول وقوة الإدراك. وتيسير ضبط العلم

---

(١) من أشهر الكتب فى هذا المضمار - «همع الهوامع شرح جمع الجوامع للحافظ السيوطى، حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك - كتاب سيبويه - كتاب الأفعال لابن القطاع، شذور الذهب لابن هشام، قطر الندى وبل الصدى لابن هشام».

(٢) وجدت كتب خاصة بإعراب القرآن الكريم منها:

إملاء ما من به الرحمن للعكبرى.. إعراب القرآن للزجاج.. إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه.. إعراب القرآن لأبى جعفر محمد بن إسماعيل النحاس معانى القرآن للفراء، معانى القرآن للأخفش.

(٣) التأليف فى الحديث الشريف أخذ اتجاهات عدة منها:

أ- اتجاه الجمع والتدوين. وهذا ما عنيت به كتب المتون وأهمها الصحيحان والسنن «أبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجه» ومسند أحمد وموطأ مالك وسنن البيهقى والمستدرك.. إلخ.

ب - مؤلفات خاصة بعلوم الاصطلاح. جـ - كتب خاصة بالشروح.

د - كتب خاصة بالرجال. هـ - كتب خاصة بالتبويب.

(٤) علوم القرآن أخذ التأليف فيها اتجاهات عدة منها:

- اتجاه تتبع القرآن منذ البدء حتى التدوين مع التعريف بمحتواه، اتجاه دفع عن المطاعن.. إلخ.

(٥) هو علم خاص بأوزان الشعر. وبه يمكن رد القصيدة الملقاة أو البيت المسموع إلى بحر من البحور المتعارف عليها فى هذا العلم. وقد ظهرت نزعة جديدة تدعو إلى التخلى عن هذه البحور. تطلب من مظانها.

(٦) نما الشعر وازدهر وأخذ طابع الإحياء والتهذيب دون النسيب والتشبيب وقد أثر القرآن والجهاد تأثيراً بالغاً فى ازدهار الشعر. فالأول أفاض فى اللغة والثانى ألهب الحماس. حتى كانت كلمة الشاعر تعدل ضربة السيف.

لم يحصل لغيرها مضافاً لقوة الحفظ وجودة الضبط الذى لم ينقل عن أمة من الأمم. وهو دليل كثرة علومها. ولولا ذلك لم يكثر العلوم فيها ولها.

وأما أنها إذا كانت أفضل الأمم تكون شريعتنا أفضل الشرائع. فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها. واتباع نبيها - عليه السلام - ومتى كانت الثمرة أفضل كان المثمر أفضل.

ورابعها: أن الله تعالى جعل عبادة هذه الأمة فى هذه الشريعة على نسق الملائكة - عليهم السلام - وتسوية بين الملائكة وهذه الأمة فى صفة العبادة. فكل الأمم يصلون همجاً من غير ترتيب إلا هذه الأمة. تصلى صفوفاً كما تصلى الملائكة[١] لقوله تعالى إخباراً عن قول الملائكة ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾ [الصافات: ١٦٥- ١٦٦].

والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها. فشريعتنا أفضل الشرائع.

وخامسها: أن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشيطانية فقط. وهذه الأمة أمروا بذلك. وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر بالوضوء[٢] والغسل[٣] - واجتناب النجاسات والقاذورات[٤] - فيقف الراهب

---

(١) كان الأولى أن يقول القرافى: إن الله تعبدنا جملة بما تعبد به الملائكة فرادى فمنهم الراكع ومنهم الساجد ومنهم المسبح ومنهم المستغفر ومنهم المجاهد.. إلخ والمسلمون قد عبدوا ربهم بكل هذه الوجوه. فضلاً عن أن عبادة المسلمين قائمة على الاختيار وبإمكانهم المعصية أما الملائكة فإن عبادتهم قائمة على الاضطرار. والعبادة مع الاختيار أشق ولذا فإن الملائكة لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم عكس المؤمنين.

(٢) قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**﴾ [المائدة: ٦].

(٣) قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ [النساء: ٤٣].

(٤) قال تعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر: ٤].

يناجى ربه. ويمتثل بين يديه لخطابه والعذرة قذرة – قد تحجرت على سوأته والقاذورات قد غلبت على أطرافه وسحنته[1] – حتى لو وقف ذلك الراهب قدام شيخ ضيعته لمقته وقبح حالته – فكيف بملك الملوك ورب الأرباب وأمر المسلم إذا ناجى ربه أن يكون نقى الباطن نظيف الظاهر[2]. حسن الهيئة مستقبلاً أفضل الجهات. ملازماً للسكينة والوقار. تاركاً للعبث والنفار فكل حالته هى إعلام بعمل مع أفضل الملوك: فإن كان النصرانى لا يدرك الفرق بين هاتين الشريعتين ولا بين الهيئتين فهو معذور. لأنه قد فسد مزاج دماغه بروائح العذرات. وعمى قلبه بملابسة القاذورات فى المطعومات والمشروبات حتى إنهم يقولون ليس ثمة نجاسة ألبتة. وبمثل هذا وأقل منه تعذر الناس فى فساد عقولهم.

وسادسها: أن هذه الشريعة أمرت باستقبال أفضل الجهات. وهو البيت الحرام[3] لأنه أفضل من البيت المقدس لأمور منها:

---

(١) هى بشرة الوجه – لسان العرب مادة «سحا» ص٣ / ١٩٦٠.

(٢) نظافة الظاهر واضحة فى إيجاب الوضوء حين الحدث الاصغر. والغسل من الحديث الأكبر. والثياب. والمكان.

وأما نظافة الباطن فتتجلى فى صدق القصد وإخلاص القلب واستحضار العظمة وقد وردت آيات عدة تحذر المسلمين من عدم نظافة الباطن قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك: ١٣].

(٣) شريطة القدرة على التوجه. قال تعالى مخاطباً نبيه عليه السلام: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

١– أنه أقدم بناء منه بأربعين سنة والتقدم دليل الفضل[١].

٢– أن آدم – عليه السلام – تيب عليه عنده بعرفة[٢].

٣– أن جميع الأنبياء منذ آدم فمن دونه قد حجه بخلاف البيت المقدس[٣] وجميع الشرائع إنما أمرت بالتوجه فى الصلاة إلى بيت المقدس.

وسابعها: أن الله تعالى جوز فى شريعة موسى – عليه السلام – أن يتزوج الرجل من شاء من النساء[٤]. فراعى مصلحة الرجال دون النساء. فإنهن يتضررن بالغيرة[٥] والإهمال إذا كثرن.

وحجر فى شريعة عيسى – عليه السلام – على ما زاد على المرأة الواحدة[٦]. فراعى مصلحة النساء دون الرجال. لأنهم يتضررون بالاقتصار على

---

(١) ليست الأقدمية مناط فضل. فكم بنيت مساجد لها فضل السبق الظاهر وحكم الإسلام عليها بغير الظاهر. وإنما فضل بيت الله الحرام يرجع إلى أن قواعده موضوعة بالقدرة الإلهية وأن آدم – عليه السلام – قد طاف به وحج عنده وأن الملائكة قد هنأته قائلة له يا آدم قد حجك. ولذلك فإن إبراهيم – عليه السلام – قد رفع القواعد دون أن يكون له فضل التأسيس. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ [الحج: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

(٢) بالرجوع إلى الطبرى والقرطبى ومحاسن التأويل للقاسمى والفتوحات الإلهية والبحر المحيط وزاد المسير وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لم أجد هذا الرأى.

(٣) راجع تفسير الطبرى صفحة ٧ / ٢١ تحقيق أحمد شاكر ط دار المعارف.

(٤) هكذا ذكرت التوراة إطلاق العدد فى حق داود مع أنه نبى وبه يقتدى «أخبار الأيام الأول ٣ / ١: ٩» وسليمان عليه السلام.

(٥) ذكرت التوراة أنه قد «رأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابن إسحاق».. تكوين ٢١ / ٩: ١٠.

(٦) لم يرد نص يفيد على سبيل الوجوب فى إفراد الزواج عند المسيحيين. وإنما هى تأويلات لنصوص صرفت عن ظاهرها. وحملت على غير المراد منها. لتحقق الأمل المرجو لدى النصارى.

ومن النصوص التى يستشهدون بها ما ورد فى إنجيل متى ما نسب إلى المسيح عندما أجاب عن سؤال مفاده: «أيحل لأحدنا أن يطلق امرأته لأى علة كانت؟ فأجاب: أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلها ذكراً وأنثى وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته. فيصير الاثنان جسداً واحداً.. لا يفرقن الإنسان ما جمعه الله» متى صح ١٩ / ٣: ٧.

واحدة قد لا تلايم فيكون فى حيز العدم. وفى شريعتنا جمع بين مصالح الفريقين، فجعل للرجل أربع نسوة فلا ضرر عليه[1] ولم يكثر ضرر المرأة بأكثر من ثلاث. فكانت شريعتنا أتم واليهود اليوم لا يُزيدُون على الأربع تشبيها بالمسلمين[2].

= قال المفسرون: إن الضمير فى «امرأته» مراد به الواحدة. أى الرجل الواحد زوجة واحدة. ناسين أو متناسين أن السؤال كان بإفراد أيضاً «أن يطلق امرأته» وفى رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثوس «فليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها. ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك الرجل أيضا المرأة» كورنثوس صح ٧ / ٢ : ٣ وقد صار الإفراد فى الزواج مبدأ أساسياً عند النصارى. وأصبح قانوناً مقرراً فى أوروبا والأمريكتين وشمال افريقيا. إذ نصت المادة ٢٤ من مجموعة ١٩٥٥ للأقباط الأرثوذكس على ذلك «لا يجوز لأحد الزوجين أن يتخذ زواجاً ثانياً ما دام الزواج قائماً».

(١) قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣] شريطة أن لا يكون التعدد مبعثه الضرار.. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ [الطلاق: ٦] وبشرط العدل فى المسكن والمأكل والملبس فقد أعلن الرسول ﷺ أن «من كان له زوجتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل» كما أن العدل مطلب أساسى على الإطلاق فى كافة آى القرآن التى تضمنته.

والتشريع فيه حكمة. ومعالجة لظروف المجتمع فقد يزيد عدد النساء على عدد الرجال فيكون الحل فى التعدد. وليس أدل على هذا من حال فرنسا وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية وكذلك منطقة الخليج العربى الآن بإخبار شهود العيان. وقد قامت النسوة بمظاهرة فى بلاد الفلبين – كما أذاعت وكالات الأنباء العالمية – يطالبن بمنع الهجرة للرجال إلى السعودية. حيث إن نسبة النساء إلى الرجال تعدل ٨ : ١.

وفى إطار التعدد توجد الحياة الشريفة لكل فتاة أو سيدة لم تجد لها فرداً فى حياتها على وجه الشرع. فإن حرم التعدد بحكم القانون الوضعى المنسوب إلى السماء كما فى المسيحية أو الباقى على أصله والمتأول فيه، وزاد عدد النساء على الرجال. فإما الزنا وعندها تنعدم الحياة الشريفة. وإما المساومة. وإما الانتقام وإما الخلة كما هو فى بلاد الغرب الآن والنتيجة النهائية شيوع الرذيلة وانتشارها.

وإن الإنسان ليعجب لمجتمع يرفض أن تجيء سيدة ثانية فى حياة الرجل على الوجه المشروع ويقر أن تحيا كثيرات حياة الخلة والصداقة والرذيلة. وهو ما يبعث المرأة على سلوك نفس المسلك أيضاً تحقيقاً لهوى النفس.

(٢) لم يرد نص يفيد الحصر. ولعل مرد ذلك إلى العرف. أو الضرورة.

وثامنها : أن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم فى الصلاة فى البيع[١] وشريعتنا وردت بالصلاة فى كل موضع طاهر فى جميع أقطار الأرض[٢]. ومعلوم أن الصلاة فيها تعظيم لله تعالى . وبها نكون أكثر من الأول . لأن الإنسان قد يتعذر عليه البيعة لكونه فى البرية والسفر . أو يتيسر له لكن تفتر له عزيمته قبل وصوله إليها . فيكون الصلاة وتعظيم الله تعالى بها فى غاية القلة . وفى هذه الشريعة جميع الأرض مسجد . فيكون تعظيم الله تعالى وإجلاله فى غاية الكثرة . فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب .

وتاسعها : أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد[٣] - بل تقدم

---

(١) وفيها مشقة . . ولا يرى القوم فى هذا الإلزام مشقة لأنهم لا يؤدون الشعائر .

(٢) وفى الحديث الشريف : « وجعلت لى الأرض مسجداً وتربتها طهوراً . فأيما رجل أدركته الصلاة صلى » متن البخارى جـ١ / ٩١ / ط الشعب .

(٣) قول القرافى هنا مستمد من نص الحديث « وأحلت لنا الغنائم » . ومن يقرأ التوراة يجد أن النصوص فيها قد قسمت الغنائم على النحو التالى : « وكلم الرب موسى قائلاً : أحص النهب المسبى من الناس والبهائم أنت والعازار الكاهن . ورؤوس آباء الجماعة . نصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين للحرب وبين كل الجماعة - وارفع زكاة للرب من رجال الحرب . الخارجين إلى القتال واحدة نفساً من كل خمس مائة من الناس والبقر والحمير والغنم . ومن نصفهم تأخذوا وتعطونها العازار الكاهن رفيعة للرب ومن نصف بنى إسرائيل تأخذون واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للآويين الحافظين شعائر مسكن الرب . ففعل موسى والعازار الكاهن كما أمر الرب موسى » . . عدد . صح ٣١ / ٢٥ : ٣١ وكان نصيب الرب من الغنائم يأخذه الكهنة ومقداره واحد من كل خمس مائة من الجوارى العذارى والبهائم . وأما الجوارى فالراجح أنهن كن يتخذن إماء . وأما البهائم فكانت مما ينتفع بلحومها وألبانها الكهنة .

فإن كان من بين الغنائم ثياب وجلد فيحرم استخدامها حتى تطهر بالماء .

وأما المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص وكل ما يدخل النار . فلابد أن يجاز فى النار حتى يكون حلاً للانتفاع به وقد أوجبت التوراة على الجنود ١ / ٥٠٠ من نصيبهم من الغنائم . أما بقية الشعب فيدفع ٢٪ مما يحصل عليه من غنائم الحرب . وما يدفعه الشعب من هذه الزكاة يذهب إلى الكهنة واللاويين ويعتبر حقاً لله . حيث إن الكهنة واللاويين هم الذين يقومون بخدمة المعبد وهم المكلفون بالقيام بالأعمال الدينية وممارستها » راجع مبدأ السلام فى الرسالات السماوية للمحقق . ص٤٨٠ / ٤٨٢ رسالة دكتوراه كلية أصول الدين .

للنيران فتحرقها. وأحلت الغنائم فى هذه الشريعة. ومعلوم بالضرورة أن صون المال عن الضياع والاستعانة على الدين والدنيا به واقع فى نظر الحكمة وأتم فى مراعاة المصلحة. فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب.

وعاشرها: أنا لا نعلم فى شريعة من الشرائع إعلاماً بالأوقات المعينات للصلوات بشىء يشتمل على مصلحة غير الإعلام. فاليهود يعلمون بالبوق. والنصارى بضرب خشبة على خشبة أو نوع آخر من الجمادات يسمونه بالناقوس. وغير هاتين الملتين تعلم بالنار[1] - ومعلوم أن هذه الأمور لا تحصل إلا لمصلحة الإعلام. وشرع فى هذه الشريعة وحدها الآذان. فحصل الإعلام. ومصلحة أفضل وهى الثناء على الملك العلام. وتجديد كلمة الإيمان. وتفخيم قدر رسول الملك الديان. والحض على الصلاة. وجميع سبل النجاة. بقوله حى على الصلاة. حى على الفلاح. والفلاح خير الدنيا والآخرة. وكلمة حى أمر. وتحضيض على ما بعدها وفيه إيقاظ الغافلين. وانتشار ذكر الذاكرين. بالمجاوبة للمؤذنين[2] وفيه إعلان لشعار التوحيد. وأنواع التمجيد. بدوى الأصوات بين الأرض والسموات

---

(١) ذكر كتاب السيرة أن عبدالله بن زيد رأى النداء فى منامه، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا رسول الله. إنه طاف بى هذه الليلة طائف. مر بى رجل عليه ثوبان أخضران. يحمل ناقوساً فى يده. فقلت له: يا عبدالله أتبيع هذا الناقوس؟ قال وما تصنع به؟ قال: قلت ندعوا به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: قلت وما هو؟ قال: تقول الله أكبر الله أكبر.. إلخ فلما أخبر بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إنها لرؤيا حق. إن شاء الله. فقم مع بلال فألقها عليه. فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك. فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته فخرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يجرد رداءه وهو يقول: يا نبى الله والذى بعثك بالحق. لقد رأيت مثل الذى رأى. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلله الحمد على ذلك.

(٢) وفى الحديث: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن».. رواه البخارى ومسلم وعن سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- رسولاً وبالإسلام ديناً غفر ذنبه» رواه مسلم.

على أعلى البنايات. وأين هذا من النفخ فى البوقات. وقراقع الخشبات. ومعلوم أن هذه مصالح جليلة ومناقب فضيلة – لم تقرر إلا فى هذه الشريعة[1] – المحمدية. وهذه الأمة الطاهرة الزكية. وذلك مما يوجب شرفها على غيرها وهو المطلوب ولنقتصر على هذه النبذة فى هذا المختصر اللطيف. وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى عددها. ولا يخبو زندها. وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها.

* * *

(١) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية.



الباب الثانى

الجواب عن أسئلة عبثوا بها ضد المسلمين

ولنذكر منها خمسة عشر سؤالا تكميلا للفائدة :

السؤال الأول : قالوا : اليهود والنصارى أمتان عظيمتان . طبقوا مشارق الأرض ومغاربها . وكلهم يخبر أن المسيح – عليه السلام – صلب . وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب . والإنجيل أيضا مخبر عن الصلب[1] . فإذا جوزتم كذبهم . وكذب مايدعى أنه الإنجيل . وأن مثل هؤلاء ممكن تواطؤهم على الكذب . لزم المحال من وجوه :

أحدها – يتعذر عليكم كون القرآن متواترا .

ثانيها – أن قاعدة التواتر تبطل بالكلية فإن غاية خبر التواتر يصل إلى مثل هذا .

ثالثها – أن إنكار الأمور المتواترة . جحد للضرورة فلا يسمع . فلو قال إنسان : الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب لم يسمع ذلك منه . وُعدّ خارجا عن دائرة العقلاء . وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق . وأن إخبار القرآن والمسلمين عن عدم ذلك مشكل .

---

(١) ورد فى متى (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى . أى إلهى إلهى لماذا تركتنى . فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادى إيليا . وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه . وأما الباقون فقالوا اترك لنرى هل يأتى إيليا ليخلصه . فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح) متى : ٢٧ / ٤٦ : ٥٠ .

وفى مرقس (وكانت الساعة الثالثة فصلبوه . ١٥ / ٢٣ – وفى لوقا . ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحد عن يمينه والآخر عن يساره) لوقا ٢٣ / ٣٣ .

وفى يوحنا ورد (خيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع فى الوسط) ١٩ / ١٨ .

والجواب من وجوه:

أحدها – أن جميع النصارى واليهود على كثرتهم يوردون هذا السؤال. وهم لا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه. وإنما فهم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية. والملة الإسلامية لشرفها وعلو قدرها واختصاصها بمعاقل العلوم وأزمتها دون غيرها وها أنا أوضح ذلك فأقول:

التواتر له شروط.

الشرط الأول: أن يكون المَخبَرْ عنه أمرا محسوسا. ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة وهى باطلة. كإخبار المعطلة عن عدم الصانع[1]. والمجسمة عن التجسيم[2]. والفلاسفة عن قدم العالم وهم كثيرون[3]. مع بطلانه. وسببه أن مجال النظر بحجة الغير يكثر فيها وقوع الخطأ فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان القطعى يعضد ذلك الخبر فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر. أما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها شديدة البعد عن الخطأ. وإنما يقع الخلل من التواطىء على الكذب فإذا كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب حصل[4]. القطع بصحة الخبر.

الشرط الثانى: استواء الطرفين والواسطة وتحرير هذا الشرط. أن المخبرين لنا

---

(١) هى إحدى فرق الزنادقة الذين يزعمون أن الأشياء كائنة من غير تكوين وأنه ليس لها مكون ولا مدبر وأن هذا الخلق بمنزلة النبات فى الفيافى والقفار.. التنبيه والرد ص ٩٢ الإمام محمد بن أحمد المالطى.

(٢) فرقة من الفرق الأولى التى دانت بالتحديد للذات العلية من أشهرهم (هشام بن الحكم، الذى قال إن الله جسم محدود عريض عميق طويل. طوله مثل عرضه. وعرضه مثل عمقه. نور ساطع. له قدر من الأقدار.. الخ وله آراء تدل على كفره: راجع مقالات الإسلاميين للأشعرى ص ١ /١٥٧ ومابعدها.

(٣) ناقش ابن حزم الدهريين والفلاسفة الذين ادعوا قدم العالم. فاورد حججهم ثم نقضها (راجع الفصل فى الملل والنحل ١ /١٤ : ٢٠).

(٤) فى الأصل (جعل) والتصحيح من التيمورية.

إذا كانوا عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب . وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه حصل العلم بخبرهم . وإن لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك الأمر المحسوس . بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك . فلابد أن يكون الغير المباشر عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب . فإنه إن جاز الكذب عليه وهو أصل هؤلاء المخبرين لنا – فإذا لم يبق الأصل[1] . لم يبق الفرع عليه . فلا يلزم من كون المخبرين لنا يستحيل تواطؤهم على الكذب حصول العلم بخبرهم لجواز فساد أصلهم المعتمدين عليه[2] . فيتعين أن يكون الأصل عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب .

فهذا معنى قولنا استواء الطرفين فى كونهما عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب شرط . فإن كان المخبر لنا عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب وأصل الذى ينقلون عنه كذلك لزم التسليم لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس . بل ينقل عن غيره أيضاً . فأصل ذلك الأصيل يجب أن يكون عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب أيضاً[3] . لما تقدم . وفى هذه الصورة حصل الطرفان وواسطة فانظر . فإن المخبر لنا والمباشر لنا الأول . والواسطة التى[4] . بينهما والوسايط مهما كثرت يشترط كونهم عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب[5] . فينقسم بهذا التحرير التواتر إلى طرف فقط وإلى طرفين بلا واسطة . وإلى طرفين وواسطة . والثلاثة أقسام مشتركة فى هذا الشرط . إذا تقرر حقيقة التواتر فنقول :

الحس إنما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة . وأما إنه عيسى – عليه السلام – نفسه أو غيره . فهذا لا يفيده الحس ألبتة . بل إنما يعلم بقراين الأحوال إن وجدت أو بإخبار الأنبياء – عليهم السلام – عن الله تعالى الذى أحاط بكل شىء علماً . وأحصى كل شىء عدداً .

والذى يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات . أننا لو وضعنا فى إناء

---

(١) هذه الجملة ساقطة والتصحيح من التيمورية .

(٢) هذه الجملة ساقطة والتصحيح من التيمورية .

(٣) كلمة أيضا ساقطة من التيمورية .

(٤) فى الأصل – الذى –والتى مأخوذة من التيمورية .

(٥) تم تقويم العبارة من مجموع النسخ للاضطراب الموجود فى الأصل .

رطلاً من الماء أو الزيت أو نحـو ذلك وأريناه لإنسـان[١] ثم رفـعنا ذلك المايع ووضعنا فيه رطلاً آخر من ذلك المايع ثم أريناه لذلك الإنسان. وقلنا له هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله. فإنه إذا أنصف يقول الذى أدركه بحسى أن هذا ماء بالضرورة. أما أنه عين الأول أو مثله فلا أعلم. لكون الحس لا يحيط بذلك. هذا فى المايعات. وكذا كف من تراب. أو أوراق الأشجار أو أنواع الحبوب كالحنطة إذا أخذ منها حفنتان ونحو ذلك. وكذلك الحيوانات الوحشية شديدة الالتباس على الحس. إذا اتحد النوع فى اللون والسن والغلظ. وإنما كثرت الفروق فى الحيوانات الإنسية. وسر ذلك أن أسباب النشأة فى الوحشية مشتركة. كالمياه والمراعى والبرارى. والحيوان الإنسى يختلف ذلك فيه بحسب مقتنيه[٢] اختلافاً كثيراً فينشأ بحسب دواعى بنى آدم فى السعة والضيق وإيثار نوع من العلف على غيره. ومكان مخصوص على غيره وإلزام الحيوان أنواعاً من الأعمال والرياضة دون غيرها. فيختلف الحيوان الإنسى بحسب ذلك. ثم يتصل ذلك بالنطف فى التوليد. مضافاً إلى ما يحصل للولد من داعية مريبة فيعظم الاختلاف، والحيوان الوحشى سلم عن جميع ذلك، فتشابهت أفراد أنواعه، ولا يكاد الحس يفرق بين نوعين منه ألبتة. إذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثلين ولا التمييز بين الشيئين. فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى -عليه السلام-. دون شبهه أو مثله ليس مدركاً بالحس. وإذا لم يكن مدركاً بالحس. جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى -عليه السلام- بخلق شبهه فى غيره[٣]

---

(١) فى الأصل (الانسان) وكلمة (الانسان) عن التيمورية.

(٢) فى الأصل (معتنية) والتصحيح عن التيمورية.

(٣) تتخلص الملاحظات فيما يلى:

(أ) لم يكن عيسى معروفا بشخصه لدى رجال الشرطة. التى أُمِرَت بالقبض عليه ولذا أخذوا معهم يهوذا الإسخريوطى ليدلهم عليه.

(ب) ثبت أن يهوذا ندم لاستعداده على معاونة الشرطة. فى تعيين شخص عيسى من بين التلاميذ.

(جـ) يحتمل أن أحد التلاميذ هو الذى قدم نفسه فداء ولم ينكر يهوذا لندمه السابق ولم ينكر الحاضرون لأن فى ذلك فداء للمسيح عليه السلام.

كما أخرق العادة فى إحياء الموتى[1]. وغيره ثم يرفعه ويصونه عن إهانة أعدائه. وهو اللائق بكريم آلائه[2] فى إحسانه. لخاصة أنبيائه وأوليائه. وإذا جوز العقل مثل هذا. مع أن الحس لا مدخل له فى ذلك. بقى إخبار القرآن الكريم عن عدم الصلب[3] سالماً من كل معارض. مؤيداً بكل حجة. وسقط السؤال بالكلية.

وثانيها: سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة[4]. بين المثيلين والتمييز بين الشبيهين. لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب ويدل على أنهم ليسوا ذلك. أن الحواريين فروا عنه[5]

---

(١) إحياء الموتى مصرح به فى جميع الشرائع ووقع بين يدى كثير من الأنبياء. يؤمن المسلمون بما صرح به القرآن الكريم فى قصة إبراهيم عليه السلام حين قال ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وفى قصة العزيز ﴿ **أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه** ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وقصة البقرة: ﴿ **وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون** ﴾ [البقرة: ٧٢ – ٧٣].

وقد صرح القرآن الكريم بأن عيسى –عليه السلام– مكن من إحياء الموتى بإذن الله. دون أن يذكر هل أحيا أفرادا أم لا؟

وقد صرحت التوراة والإنجيل بأن كثيرين قد أحيوا موتى. نذكر بعضهم دون أن نلتزم بالإيمان بشيء من ذلك. ومن هؤلاء (إيليا) الذى أحيا ابن المرأة التى كان نازلا عندها. (راجع سفر الملوك الأول الإصحاح السابع عشر من ١٧ : ٢٤ وقيامه ابن الشونمية من الموت (الملوك الثانى ٤ / ٣٢ : ٣٧) وقيامة الميت الذى مس جثمان اليشع (الملوك الثانى ١٣ / ٢١) والمسيح أقام ابن الأرملة (لوقا ٧ / ١١ : ١٧) وابنه يارس من الموتى (متى ٩ / ١٨ : ٢٦) وكذلك أحيا بطرس غزالة من الموت (أعمال الرسل ٩ / ٤٠).

(٢) فى الأصل (كريم الآية) والتصحيح من التيمورية.

(٣) قال تعالى فى حق بنى إسرائيل ﴿ **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا** ﴾ [النساء: ١٥٦ : ١٥٧].

(٤) فى التيمورية بالفرقة.

(٥) ذكر متى قصة القبض على المسيح –عليه السلام– وفيها ورد (حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا) ٢٦ / ٥٦. وفى مرقس ورد (فتركه الجميع وهربوا. وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عريانا) مرقس ١٤ / ٥١ : ٥٢.

=

لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود. فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى. فخبر النصارى عن أسلافهم لا يفيد علماً. بل هو حرز وتخمين لا عبرة به. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه** ﴾ أى هم لا يتيقنون ذلك. بل يحررونه[١] بالظن والتخمين.

وأما من جهة الملة اليهودية. فلأن المباشر منهم للصلب. إنما هم الوزعة وأعوان الولاة، وذلك فى مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالثلاثة. ونحوها يجوز عليهم الكذب. ولا يفيد خبرهم العلم، وبكون[٢]. العادة خولفت، وخرج للصلب عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب يفتقر إلى النقل متواتر، فإنه لو وقع ونقل بأخبار الآحاد– لم يحصل لنا علم بالصواب، فإن المتواترات إذا نقلت بأخبار الآحاد[٣]. سقط اعتبارها فى إفادة العلم لجواز كذب الناقل. فلا يكون عدد التواتر حاصلا فى نفس الأمر. والنصارى واليهود إنما يعتمدون على التوراة والإنجيل[٤]. ولا يوجد يهودى ولا نصرانى على وجه الأرض يروى التوراة والإنجيل عدلا عن عدل إلى موسى أو عيسى – عليهما السلام – وإذا تعذر عليهم رواية العدل عن العدل. فأولى أن يتعذر التواتر: ولم يبق فى الكتابين إلا أخبار وتواريخ بعيدة الزمان جدا[٥] بحيث إن التواريخ الإسلامية. أصح منها

= لم يذكر لوقا شيئا من هذا (إصحاح ٢٢) وذكر يوحنا أن الذى طلب السماح لهم بالانصراف هو يسوع. حيث قال للقابضين عليه (فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ١٨/٨) وقد أشار إلى أن اثنين قد تبعاه هما سمعان بطرس والتلميذ الآخر (١٨/١٥).

(١) الأصل مبهم ففى المطبوعة (يحرزونه) وفى التيمورية (يحررونه) وهو الأولى.

(٢) فى التيمورية (بكون).

(٣) ما بين الشرطتين ساقط من التيمورية. وفيها كذلك كلمة اعتباره بدلا من اعتبارها.

(٤) لايعتمد اليهود على الإنجيل فى شىء من التشريع أو الإخبار. لأنهم لم يروا فى عيسى – عليه السلام – الأمل المنشود فى تحقيق مملكة الله لهم على الأرض. والتخليص من الأسر فضلا عن مخالفته للتوراة فى كثير من الأحكام فقرروا صلبه كما ورد. والذى تبع المسيح من اليهود إنما هى قلة قليلة من السامرة. وبينهم وبين العبرانيين من الخلاف ماهو غاية فى الوضوح.

(٥) إن نسبة هذين الكتابين إلى علم تاريخ الأديان أولى من نسبتهما إلى وحى السماء: لوجود أخطاء يمجها الذوق السليم. ذو الصلة بالتاريخ. وكُتّاب العهدين (القديم – الجديد)=

لقرب عهدها. مع أنه لا يجوز الاعتقاد فى وقوع[1] فروع الديانات على شيء من التواريخ فضلا عن أصول الأديان. وإذا ظهر أن مستند هذين الأمتين العظيمتين فى العدد فى غاية الضعف. كان فى إخبارها فى نفسها فى غاية الضعف. ولأن الفرع لا يزيد على أصله.

وثالثها: أن نصوص الإنجيل والكتب النصرانية متظافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام بخصوصه وذلك من وجوه:

الوجه الأول: قال لوقا: صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس. ويعقوب ويوحنا فبينما هو يصلى إذ تغير مظهر وجهه عما كان عليه. وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق. وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له. وجاءت سحابة فأظلتهم فوقع النوم على اللذين معه[2].

فظهور الأنبياء – عليهم السلام – وتظليل السحاب. ووقوع النوم على التلاميذ – دليل على الرفع إلى السماء. وعدم الصلب. وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات.

الوجه الثاني: ما فى الأناجيل أن المصلوب استقى اليهود فأعطوه خلا

= حرصا كل الحرص على الترتيب الزمنى للأحداث ويستطيع الفرد أن يصل إلى النقطة التى يرغب فى معالجتها إذا علم الترتيب الزمنى لها. ويتناول الحديث فيهما كذلك. قصص الأنبياء. وما جرى لهم بعد وفاتهم مع نسبة الكلام إلى وحى الله. وذلك كالحديث عن الصلب والدفن والقيام والظهور.. الخ وينسب كل هذا إلى المسيح عليه السلام.

(١) فى الأصل فى (فروع) والتصويب من التيمورية.

(٢) لا توجد جملة (الذين معه) فى التيمورية وإنما يوجد بدلا منها (التلاميذ) والنص كما ورد (وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وحدهم. وتغيرت هيئته قدامهم. وصارت ثيابه تلمع بيضاء جدا كالثلج لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثل ذلك. وظهر لهم إيليا مع موسى وكانا يتكلمان مع يسوع. فجعل بطرس يقول ليسوع يا سيدى جيد أن نكون هاهنا. فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة. لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به إذ كانوا متعبين. وكانت سحابة تظللهم..) مرقس الإصحاح التاسع من ١ : ٨.

مذاقا بمر فذاقه ولم يسغه. فنادى إلهى إلهى لم خذلتنى[1]. والأناجيل مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوما وأربعين ليلة ويقول للتلاميذ إن لى طعاما لستم تعرفونه[2]. ومن يصبر أربعين يوما على الجوع والعطش. كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه وأعداء الله. بسبب عطش يوم وليلة. فإنه عندهم لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة. لإجماع الأناجيل على أن الصلب فى الساعة الثالثة[3]. من يوم الجمعة ثم أنزل من يومه[4]. ودفن ليلة السبت وأقام يوم السبت كله مدفونا[5]. ثم طلب ليلة الأحد بغلس فلم يوجد[6]. ومنهم من قال أقام ليلة الأحد[7]. هذا مالا يفعله أدنى الناس فكيف

---

(١) النص فى متى (ولما أتوا إلى موضع يقال له الجُلْجُة وهو المسمى موضع الجمجمة. أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب. ولما ذاق لم يرد أن يشرب) متى ١٧ / ٣٣ ويوحنا ١٩ / ٢٩.

(٢) النص الوارد (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا) متى: ٤ / ١ : ٣.

(٣) ليس بين الأناجيل إجماع على أن الصلب وقع فى الساعة الثالثة فبينما يذكر متى (ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى. أى إلهى إلهى لم تركتنى.. فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح) متى ٢٧ / ٤٥ : ٥٠ - ومرقص ١٥ / ٣٣ : ٣٤ . وقد ذكر لوقا مثل ذلك ٢٣ / ٤٤ : ٤٦ وذكر يوحنا أن القبض كان الساعة السادسة ١٩ / ١٤. دون ذكر ميقات الصلب.

(٤) راجع متى ٢٧ -٥٧ - ومرقس ١٥ - ٤٣ - لوقا ٢٣ / ٥٠ : ٥٥ - يوحنا ١٩ / ٣٨ : ٤٠ .

(٥) راجع النصوص السابقة وما تبعها.

(٦) الأرجح أن الطلب كان صبيحة الأحد. لأن معظم الأناجيل صرحت بهذا. (راجع النصوص السابقة وما تبعها)

(٧) ورد فى متى. وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت. لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه.. وقال للمرأتين لا تخافا أنتما... ليس هو ها هنا لأنه قام كما قال... متى ٢٨ / ١ : ٧ - وبمثل ذلك ورد فى الإصحاح السادس عشر من مرقس إلا أنه لم يذكر وجود آخرين كما ذكر أن المرأتين دخلتا القبر.. الخ وذكر لوقا أنهما رجلان لا رجل واحد وأنهما اللذان أخبرا المرأتين بقيام المسيح ٢٤ / ١ : ٥ - أما يوحنا فقد ذكر أن مريم المجدلية هى التى أتت وحدها وأنها لم تجد أحدا فدخلت القبر وخرجت لتخبر بقيام المسيح. (يوحنا: ٢٠ / ١ : ٦).

بخواص الأنبياء فكيف بالرب تعالى عما يدعونه. فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره وهو المطلوب.

الوجه الثالث: قوله إلهي إلهى لم خذلتنى فتركتنى. وهو كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى. وعيسى – عليه السلام – منزه عن ذلك. فيكون المصلوب غيره لاسيما وهم يقولون إن المسيح –عليه السلام–. إنما تعنى ونزل ليؤثر العالم بنفسه ويخلصه من الشيطان ورجسه[١]. فكيف يروون عنه أنه تبرم بالإيثار. واستقال من العثار. مع روايتهم فى توراتهم. أن إبراهيم[٢]. وإسحاق[٣]. ويعقوب[٤]. وموسى[٥]. وهارون[٦]. عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم فرحين بانقلابهم إلى سعيهم ثم لم يجزعوا من الموت ولا هابوه. ولا استقالوا مذاقه ولا عابوه. مع أنهم عبيده والمسيح بزعمهم ولد ورب. فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ولما لم يكن كذلك دل على أن المصلوب غيره وهو المطلوب.

---

(١) النص الوارد هكذا (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به. بل تكون له الحياة الأبدية) يوحنا: ٣/١٦.

(٢) ورد فى التوراة (وهذه أيام سنى حياة إبراهيم التي عاشها. مائة وخمس وسبعون سنة وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعان أياما وانضم إلى قومه) تكوين ٢٥/٧: ٨.

(٣) يتحدث سفر التكوين عن نهاية إسحاق وكيف بارك بنيه (وأوصاهم وقال لهم أنا أنضم إلى قومى ادفنونى عند آبائى فى المغارة التى فى حقل عفرون... هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته. هناك دفنوا إسحق ورفقة امرأته) – تكوين ٤٩ /٢٨: ٣١.

(٤) ورد فى سفر التكوين (ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير. وأسلم الروح وانضم إلى قومه) ٤٩ /٣٣.

(٥) ورد فى التثنية (فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب. ودفنه فى الحواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) ٣٤/٦.

(٦) ورد فى التوراة أن موسى عليه السلام أُمِرَ بما هو منسوب إلى الله (خذ هارون والعازار ابنه واصعد بهم إلى جبل هور. واخلع عن هارون ثيابه والبس العازار ابنه إياها. فيضم هارون ويموت هناك. ففعل موسى كما أمر الرب.. فمات هارون هناك على رأس الجبل. ثم انحدر موسى والعازار عن الجبل..) عدد صح ٢٠/٢٥: ٢٩.

السؤال الثانى: قالوا القول بإلقاء الشبه على غير عيسى – عليه السلام – يفضى إلى السفسطة. والدخول فى الجهالات وما لا يليق بالعقلاء.

وبيان ذلك أنا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره. فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره، ألقى عليه شبه ولده.

وكذلك القول فى امرأته وسائر معارفه. لا يثق الإنسان بأحد منهم. ولا يسكن إليهم. ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه. وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريبة. بل القول بالشبه يمنع من[1]. الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله. ولعل مكانا آخر ألقى عليه الشبه. فلا يثق بوطنه ولا بسكنه ولا بشىء مما يعرفه ويألفه. بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ثم فتحها فى الحال ينبغى له أن لا يقطع بأنه صديقه. لجواز أن يلقى شبهه على غيره. لكن جميع ذلك خلاف الضرورة. فيكون القول بالشبه خلاف الضرورة فلا يسمع كالقول بأن الواحد نصف العشرة.

والجواب من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا تهويل ليس عليه تعويل. بل البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم. وأن حكم الشىء حكم مثله. فما من شىء خلقه الله تعالى فى العالم إلا وهو قادر على خلق مثله. إذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه فى نفسه فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلا بل جملة العالم وهو محال بالضرورة.

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شىء فى العالم فجميع صفات جسد عيسى – عليه السلام – لها أمثال فى حيز الإمكان فى العدم يمكن خلقها فى محل آخر غير جسد عيسى – عليه السلام – فيحصل الشبه قطعا. فالقول بالشبه قول بأمر ممكن. لا بما هو خلاف الضرورة. ويؤنس ذلك أن التوراة

---

(١) كلمة (من) ساقطة من التيمورية.

مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية فى عصى موسى عليه السلام[١]. وهو أعظم من الشبه. فإن جعل حيوان يشبه حيوانا[٢]. أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا. وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى[٣]. كما أجمعوا على قلب النار لإبراهيم – عليه السلام – بردا وسلاما[٤].

وعلى قلب لون يد موسى عليه السلام[٥]. وعلى انقلاب الماء خمرا وزيتا للأنبياء عليهم السلام[٦]. وإذا جوزوا مثل هذا فيجوز[٧] إلقاء الشبه من غير استحالة.

وثانيا: أن الإنجيل ناطق بأن المسيح –عليه السلام– نشأ بين أظهر اليهود

---

(١) ورد فى سفر الخروج (وكلم الرب موسى قائلا: إذا كلمكما فرعون قائلا هاتيه عجيبة تقول لهارون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا. فدخل موسى وهارون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا) خروج ٧ / ٨ : ١٠.

(٢) المراد بالحيوان الحى لأنها كلمة تطلق على كل حى باعتبار دبيب الحياة فيه.

(٣) باعتبار ورود النص فى التوراة. حيث يسلم النصارى بما ورد فى التوراة. كما أنهم ملزمون بما تضمنته إلا ما ورد فيه مخالفة.

(٤) قصة الحوار بين إبراهيم وقومه غير واردة بالتوراة وكذلك قصة حرق إبراهيم عليه السلام.

(٥) ورد فى الخروج (ثم قال الرب أيضا ادخل يدك فى عبك. فأدخل يده فى عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له رد يدك إلى عبك. فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه وإذا هى قد عادت مثل جسده) خروج ٤ / ٦ : ٧.

(٦) انفرد يوحنا بذكر تحويل الماء إلى خمر على يد عيسى –عليه السلام– ففى الإصحاح الثانى ورد (وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل. وكانت أم يسوع هناك. ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر. قال لها يسوع مالى ولك يا امرأة. لم تأت ساعتى بعد.. قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء فملأوها إلى فوق. ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا. فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من أين هى. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكأ العريس وقال له كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن. هذه بداءة الآيات التى فعلها يسوع المسيح فى قانا الجليل) يوحنا ٢ / ١ : ١١).

(٧) فى التيمورية (جوزوا).

وكان فى مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم. ويناظرهم. ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله حتى يقولوا أليس هذا ابن يوسف؟ أليست أمه مريم؟ أليس إخوته عندنا فمن أين له هذه الحكمة[١].

وإذا كان فى غاية الشهرة والمعرفة عندهم. وقد نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه[٢]. فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان. ومعه جماعة من اليهود معهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة وقال لهم التلميذ واسمه يهوذا – الرجل – الذى أقبله هو مطلوبكم فامسكوه فلما جاء قال: السلام عليكم يا معلم الخير ثم قبله. فقال له يسوع: ألهذا جئت يا صاحب[٣]. فوضعوا أيديهم عليه وربطوه فتركه التلاميذ كلهم وهربوا وتبعهم بطرس من بعيد[٤]. فقال له رئيس الكهنة بالله الحى أنت المسيح. فقال له المسيح أنت قلت

---

(١) ورد فى لوقا أن المسيح كان مع أبويه فى عيد الفصح. ثم غاب عنهما (وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته) لوقا ٢/٤٦: ٤٧.

قيل فى التفسير (المعلمين هم الربانيون من كتبة وفريسيين من اليهود والهيكل أحد أروقة دار النساء حيث اعتاد علماء اليهود أن يعلموا الناس مجانا ويفسروا الشريعة ويتباحثوا فى المسائل الدينية (الكنز الجليل ٢/١٧٤).

(٢) ورد فى إنجيل متى (حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة. وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه (متى ٢٦/١٤: ١٦).

(٣) ورد فى متى (وفيما هو يتكلم إذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذي أقبله هو. هو. أمسكوه. فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام يا سيدى وقبله. فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت. حينئذ تقدموا وألقوا بالأيادى على يسوع وأمسكوه. متى ٢٦/٤٧: ٥٠ ومرقس ١٤/٤٣: ٤٦.

(٤) ورد فى لوقا عن قبض المسيح (فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة. وأما بطرس فتبعه من بعيد)... لوقا ٢٢/ ٥٤ وانظر متى ٢٦/ ٥٨، مرقس ١٤/٥٤ ويوحنا ١٨/١٥.

ذاك. وأنا أقول لكم إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالسا عن يمين القوة آتيا فى سحاب السماء[1].

فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهرة[2]. العظيمة نحو ثلاثين سنة فى المحاورات العظيمة والمجادلات البالغة أدل على وقوع الشبه قطعا.

وثالثها: فى الإنجيل أنه أخذ فى حندس من الليل مظلم. من بستان فشوهت[3]. صورته وغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال[4]. ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه. فكيف بين الشيء وشبهه. فمن أين للنصارى أواليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى - عليه السلام - دون شبه. بل إنما يحسن الظن والتخمين كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٥٧- ١٥٨].

رابعها: قال يوحنا: كان يسوع - عليه السلام - مع تلاميذه بالبستان فجاء اليهود فى طلبه فخرج إليهم - عليه السلام - وقال لهم من تريدون قالوا يسوع. وقد خفى شخصه عنهم. ففعل ذلك مرتين وهم ينكرون صورته[5].

---

(١) ورد فى متى (فأجاب رئيس الكهنة. وقال له استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء) متى ٢٦/ ٦٣: ٦٤.

(٢) فى الأصل (الشهوة). والتصحيح عن التيمورية.

(٣) ورد فى يوحنا (وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع. لان يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح) يوحنا صح ١٨/ ٢: ٣.

(٤) (والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين: تنبأ من هو الذى ضربك) لوقا ٢٢/ ٦٣: ٦٥، متى ٢٦/ ٦٨، مرقس ١٤/ ٦٥، يوحنا ١٨/ ٢٨.

(٥) ورد فى يوحنا (فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه. وقال لهم من تطلبون.؟ أجابوه يسوع الناصرى قال لهم يسوع أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم. فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضا من تطلبون. فقالوا يسوع الناصرى. أجاب يسوع قد قلت لكم إنى أنا هو. فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون..) يوحنا ١٨/ ٤: ٨.

وذلك دليل الشبه ورفع عيسى – عليه السلام– لا سيما وقد حكى بعض النصارى أن المسيح – عليه السلام – قد أعطى قوة التحول من صورة إلى صورة.

وخامسها: قال متى: بينما التلاميذ يأكلون طعاما مع يسوع – عليه السلام – قال: كلكم تشكون فيّ هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتفترق الغنم. فقال بطرس لو شك جميعهم لم أشك أنا. فقال يسوع: الحق أقول لك: إنك في هذه الليلة تنكرني قبل أن يصيح الديك[1].

فقد شهد عليهم بالشك. بل على خيارهم بطرس فانه خليفته عليهم. فقد انخرمت الثقة بأقوالهم وجزمهم بعدم[2]. إلقاء الشبه على غيره وصح قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** ﴾ [النساء: ١٥٧].

وسادسها: في الانجيل لمتى أن يهوذا دل عليه بثلاثين درهما دفعها إليه اليهود[3]. وزاد مرقس أنهم قبضوه تخلى عنه التلاميذ وهربوا فاتبعه شاب

---

(١) ورد في متى (حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فيّ الليلة لأنه مكتوب أن أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية. ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل. فأجاب بطرس وقال له: وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدا. قال له يسوع الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فقال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك. هكذا قال جميع التلاميذ) (متى ٢٦/ ٢١: ٣٥).

وقد تحققت هذه النبوءة كما ذكرها الإنجيل ففي متى ورد (أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار. فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلي. فأنكر قدام الجميع قائلا: لست أدري ما تقولين. ثم إذا خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري. فأنكر أيضا بقسم. إني لست أعرف الرجل. وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فان لغتك تظهرك. فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل. وللوقت صاح الديك. فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له: إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات) متى ٢٧/ ٦٩: ٧٥ مرقس ١٤/ ٧ لوقا ٢٢/ ٥٩ يوحنا ١٨ / ١٦.

(٢) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٣) ورد في متى (فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه) متى ٢٦ / ١٦.

عريان وهو ملتف في ردائه فراموا قبضه فأسلم الرداء ونجا عريانا[١]. وزاد لوقا أن بيلاطس القائد لما علم أنه من طاعة هيرودس بعثه إليه[٢]. وزاد يوحنا: أن المسيح – عليه السلام – تقدم للجماعة وقال لهم: من تريدون؟ فقالوا يسوع فقال أنا هو. وكان يهوذا الدال عليه واقفا معهم. فلما قال لهم أنا هو تقهقروا[٣] إلى خلف فتساقطوا في الأرض ثم سألهم وقال من تريدون فقالوا يسوع. فقال قد قلت لكم أنا هو فان كنتم إنما تريدونني فأطلقوا هؤلاء[٤].

وذكر لوقا: أن يهوذا الدال عليه لما بصر ما فعل به ندم ورد الدراهم – جميعا – وقال أخطأت إذا بعت دما صالحا. فقالوا له ما علينا أنت برىء فألقى الدراهم في البيت وتوجه إلى موضع خنق فيه نفسه[٥].

فنقول: هذه الأناجيل ليست قاطعة في صلبه بل فيها اختلافات منها:

أ– أنه يحتمل أن يهوذا كذب لهم في قوله هو هذا. ويدل على وقوع ذلك ويقويه[٦]. ظهور الندم بعد هذا. وقول المسيح عليه السلام له يا صديق لم أقبلت[٧]. ولو كان مصرا على الفساد لما سماه صديقا. ولأن الإنجيل شهد أن

---

(١) النص (فتركه الجميع وهربوا. وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه. فأمسكه الشبان. فترك الإزار منهم وهرب منهم عريانا..) مرقس ١٤/ ٥٠: ٥٢ .

(٢) ورد في لوقا (فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي. وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس. إذ كان هو أيضا تلك الأيام في أورشليم) لوقا ٢٣/ ٦: ٧.

(٣) في الأصل (قهقروا) والتصحيح من التيمورية.

(٤) راجع يوحنا الإصحاح ١٨ من ٤ :٨.

(٥) الصواب أن النص في متى فقد ورد (حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ. قائلا قد أخطأت إذ أسلمت دما بريئا. فقالوا ماذا علينا.. أنت أبصر فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه) متى ٢٧/ ٣: ٥.

(٦) في التيمورية (وتقريره).

(٧) ورد في متى (فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت) ٢٦/ ٥٠ .

المسيح – عليه السلام – شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة وشهادته حق[١]. والسعيد لا يتم منه هذا الفساد العظيم إذا شرع فيه. ويهوذا أحد الاثنى عشر فيلزم:

– إما أن[٢] – يكون يهوذا ما دل عليه أو كون المسيح – عليه السلام – ما نطق بالصدق أو أن كتابكم محرف. اختاروا واحدة من هذه الثلاثة.

ب– ومنها أنه يحتمل أن المسيح – عليه السلام – ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم الأعوان[٣]. وكان المتكلم معهم ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح –عليه السلام–. وهذا ليس ببعيد فى أتباع الأنبياء – عليهم السلام – لا سيما أتباع الاله على زعمهم.

جـ– ومنها أن الأعوان اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه كما أخذوا رداء الشاب المتقدم ذكره وأطلقوا. وإذا نقلتم أن يهوذا التلميذ مع جلالته قبل الرشوة على أن يعين على أخذه فقبول الأعوان الرشوة فى إطلاقه أقرب.

د– ومنها أنه يحتمل أن الله صور لهم شيطانا أو غيره بصورته فصلبوه[٤].

---

(١) ورد فى لوقا (وفى تلك الايام خرج إلى الجبل ليصلى. وقضى الليل كله فى الصلاة لله. ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضا رسلا. سمعان الذى سماه أيضا بطرس وأندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس متى وتوما. يعقوب بن حلفى وسمعان الذى كان يدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطى الذى صار مُسْلماً أيضا... ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله..) لوقا ٦/١٢: ٢٣.

(٢) ما بين الشرطتين أضيف لتطلب السياق.

(٣) من المحتمل أن يكون الذى صرح أنه المسيح ليس هو عيسى عليه السلام وإنما أحد الحاضرين قدم نفسه فداء وطلب صرف جميع الحاضرين وكان المسيح من بينهم. أو يكون المنصرفون بغير إذن كما فى بعض الروايات منهم المسيح دون أن يصرح التلميذ ليكون له شرف فداء نبى من الأنبياء. انظر متى ٢٦ – ٥٦ ومرقس ١٤/٥١: ٥٢ يوحنا ١٨ – ٨.

(٤) فى الأصل (وصلبوه) والمطبوع عن التيمورية.

ورفع المسيح - عليه السلام - ويدل على ذلك أنهم سألوه فسكت[1]. وفى تلك السكتة تغيبت تلك الصورة. وهذا ممكن والله تعالى على كل شيء قدير.

وأنتم ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه لما بينا فيها من الاختلافات[2] واليهود أيضا ليسوا قاطعين بذلك. لأنهم إنما اعتمدوا على قول يهوذا[3] فأى ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب فى حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب. الذى يفضى من ضعف عقولهم العجب العجاب:

عجبى للمسيح بين النصارى … وإلى أى والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا … إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولون حقا … وصحيحا فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادى … أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم … فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه … واعبدوهم لأنهم غلبوه

وهذه الأبيات برهان قاطع على النصارى لا يحتاج معها إلى شيء آخر فلقد أصبحوا هزءة للناظر. ومصنعة للمناظر. ولله سر فى إبعادهم عن مقام الكرامة. وتخصيصهم تخصيص السخط والندامة لما طبعوا عليه من الجهالة والبلاهة.

السؤال الثالث:[4] يشترك فيه اليهود والنصارى. وهو أن المسلمين

---

(١) ورد فى مرقس (فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلا أما تجيب بشيىء ماذا يشهد به هؤلاء عليك. أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيىء...) مرقس ١٤ / ٦٠ : ٦٢ وفى متى (فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيىء ماذا يشهد به هذان عليك وأما يسوع فكان ساكتا).. متى ٢٦ / ٦٠ : ٦٢.

(٢) فى الأصل (الاحتمالات). والتصحيح من التيمورية.

(٣) يهوذا. رابع أبناء يعقوب من ليئة. وبه تسمت المملكة الشمالية وكان لها السلطة والزعامة وظلت مدة من الزمان حتى قضى عليها (قاموس الكتاب المقدس ١٠٨٥ : ١٠٨٧).

(٤) فى التيمورية (الباب الثالث) وهو مخالف السياق.

يدعون أن الشريعة المحمدية نسخت كثيرا من أحكام التوراة . كتحريم الشحوم[١] ولحوم الإبل[٢]. وصيد السبت[٣]. ومخالطة الحائض[٤]. وتحريم اليسير من الخمر[٥] ونحو ذلك وهو محال لأن القول بالنسخ يقتضى تجويز البدء أو الندم على الله تعالى . وهو محال فالنسخ محال . فتكون شريعة التوراة مستمرة إلى قيام الساعة. والشريعة المدعية للنسخ باطلة وهو المطلوب .

---

(١) تحريم الشحوم على اليهود ورد في القرآن الكريم . قال تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(٢) قال تعالى : ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران : ٩٣].

والنص فى التوراة (... هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم. الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفا فهى نجسة لكم) تثنية ١٤ / ٧ .

(٣) ورد فى الخروج (فقال لهم هذا ما قال الرب. غدا عطلة سبت مقدس للرب... فقال الرب لموسى إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياى وشرائعى.. انظروا أن الرب أعطاكم السبت لذلك هو يعطيكم فى اليوم السادس خبز يومين. اجلسوا كل واحد فى مكانه لا يخرج أحد من مكانه إلى اليوم السابع. فاستراح الشعب فى اليوم السابع) الخروج ٣٠ / ١٦ : ٢٣ .

(٤) ورد فى اللاويين فى حكم المرأة الحائض (أن كل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجسا وكل ما تجلس عليه يكون نجسا . وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء. وكل من مس متاعا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء. وإن كان على الفراش أو على المتاع الذى هى جالسة عليه عندما يمسه يكون نجسا إلى المساء. وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسا سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسا..) لاويين ١٥ / ١٩ : ٢٤ .

(٥) حرمة الخمر قطعية على الكهنة قبل الاجتماع وعلى من نذر نفسه لله وعلى القضاة قبل القضاء وأما العامة فقد وردت نصوص عدة لا تدل على الحرمة عند اليهود منها.

شرب نوح للخمر (تكوين صح ٩ / ٢١)، والوعد بالبركة فى الخمر كثمرة للطاعة (التثنية٧ / ١٣) قامت أبيجال – اسم لامرأة – بتقديم الخبز والخمر لداود وجيشه فقبل ذلك منها (١ صم صح ٢٥ / ١٨ : ٢٥) ويمكن الرجوع إلى النصوص التي تفيد الإباحة (٢ صم ٦ / ١٩) وقد وردت بعض نصوص تفيد الحرمة (قضاه ١٣ / ١٤) والأمثال (٢٠ / ١)، ٢١ / ١٧، ٢٣ / ٢٩ : ٣٢. وقد حرم الإسلام قليل الخمر وكثيرها وكل ما يقارب منها قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[المائدة: ٩٠].

ثم إنا نقول: الفعل إن كان مصلحة حسنة – وهو حسن –[1] فى نفسه وجب أن لا يحرم أو مفسدة – فى نفسه –[2] وجب أن لا يؤمر به. فالقول بالنسخ يؤدى إلى انقلاب الحقائق بأن يصير الحسن قبيحا. وقلب الحقائق محال. فالنسخ محال.

وأيضا كلام الله تعالى قديم. وحكمه كلامه فيكون الأمر والنهى قديمين فيجتمع الأمر والنهى فى الفعل الواحد وهو محال. فيكون النسخ المفضى إليه محال وهو المطلوب.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن النسخ ليس فيه بداء ولا ندم لأن البداء والندم أن يظهر ما لم يكن ظاهرا قبل ذلك. كما يبدو للإنسان فى سفره أو يندم عليه إذا ظهر له أن الإقامة هى المصلحة وقبل ذلك كان جاهلا لمصلحة الإقامة والله سبحانه وتعالى بكل شيىء عليم. فالبداء والندم عليه محالان.

لكن معنى النسخ أنه سبحانه علم فى الأزل أن تحريم الشحوم مثلا مصلحة للمكلفين فى الزمن الفلانى – مفسدة للمكلفين فى الزمن الفلانى[3] – ويعلم فى الأزل أنه تعالى يشرعه فى وقت المصلحة وينسخه وقت المفسدة. فالحكم الناسخ والحكم[4] المنسوخ كلاهما معلوم لله تعالى أزلا وأبدا. ولم يتجدد فى العلم ما لم يكن معلوما حتى يلزم البداء. بل الأحكام تابعة لمصالح الأوقات. واختلاف الأمم. وليس فى هذا شيىء من المحال.

وثانيها: اتفاق اليهود والنصارى على أن آدم – عليه السلام – شرع الله تعالى له تزويج الأخ من أخته التى ليست توأمته. مع اتفاقنا على تحريم ذلك بعد

---

(١) الجملة المعترضة فى التيمورية.
(٢) الجملة المعترضة ليست فى التيمورية.
(٣) الجملة المعترضة من التيمورية.
(٤) كلمة (الحكم) ساقطة من التيمورية.

آدم - عليه السلام -[1] وهذا هو حقيقة النسخ فقد اعترفوا به فلا يكون محالا على الله تعالى.

وثالثها: أن من أحكام التوراة أن السارق إذا سرق فى المرة الرابعة تشقب أذنه ويباع[2]. وقد اتفقنا على نسخ ذلك فيكون النسخ جائزا إجماعا فلا يكون محالا على الله تعالى.

---

(١) لم يرد نص صريح فى التوراة والإنجيل والقرآن على أن الأخ كان يتزوج من أخته غير التؤام من أولاد آدم الأُوَلْ وإنما ذهب شراح العهد القديم. والمفسرون للقرآن الكريم. عند تناول قصة قابيل وهابيل هذا المذهب. وادعوا أن سبب الخلاف مرده إلى رغبة قابيل فى الزواج من توأمته والاحتفاظ بها دون أخيه، أسفر الخلاف عن قتله لأخيه: إلا أن التوراة ذكرت أن إبراهيم تزوج من سارة أخته لأبيه (سفر التكوين ٢٠ / ١٢) وكان الرجل يجمع بين الأختين كما جمع يعقوب بين ليئة وراحيل تك ٢٩ / ١٥: ٢٣ أما تحريم الأخت فهو قطعى بنص القرآن الكريم ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم**﴾ [النساء: ٢٣] وفى التوراة ورد (عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها..) لاويين صح ١٨ / ٩ والنص يشير إلى تحريم الأخوات بصراحة.

(٢) أحكام السرقة كما وردت فى التوراة على النحو التالى:
تتوقف العقوبة المقدرة على نوع السرقة وحال السارق وذلك على النحو التالى:
١- السرقة بنقب الحرز ٢- السرقة والضبط قبل التصرف فى المسروق.
٣- السرقة والضبط بعد التصرف فى المسروق. ٤- سرقة الوديعة.

ففى الأولى يكون الحكم بإباحة القتل لمن نقب إذا أمسك ليلا وذلك لعدم استطاعة المسروق من الاستغاثة بآخرين. أما إذا أمسك نهاراً فإنه لا يقتل. ويجب عليه أن يدفع تعويضا وهذا التعويض غير محدود قدره ولكن الشراح أشاروا إلى مضاعفة قيمة الخسارة. فإذا لم يكن لدى السارق ما يدفعه للمسروق منه. وجب عليه أن يكون عبدا له ست سنوات. فيوفى بذلك ما عليه. ويجوز له أن يبيعه لغيره فى هذه المدة إذا شاء.

وفى الحالة الثانية يجب عليه أن يدفع ضعفين بدلا من خمسة أضعاف أو أربعة.

وفى الحالة الثالثة إذا ضبط بعد التصرف فى المسروق بالذبح أو البيع أو التصرف على أى وجه ما فإنه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم. والتفاوت فى مضاعفة الجزاء بين سارق الثور وسارق الغنم، أن سارق الثور أعظم جثارة من سارق الغنم.

وبالنسبة للحالة الرابعة. وهى سرقة الوديعة فإمّا أن يكون المؤتمن قد قام على أمانته أوْلا. فان كان قائما عليها برىء من قصد الشر ووجب الإعفاء وإن كان مقصرا فى القيام عليها أو متهم فى سلوكه وجب عليه تأدية ضعفى ما اختلس ويجوز له أن يبرأ بالقسم أو أن يبين أنه كان فى=

ورابعها : أن فريقى النصارى واليهود متفقان على أن فى التوراة أن الله تعالى قد أبدل ذبح ولد إبراهيم بالكبش وذلك أشد أنواع النسخ[1] لأنه نسخ قبل فعل شيىء من نوع المأمور أو أفراده . وإذا[2] شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ فجواز غيره بطريق الأولى .

خامسها : فى التوارة[3] أن الجمع فى النكاح بين الحرة والأَمَة كان جائزا فى شرع إبراهيم -عليه السلام - لجمعه بين سارة الحرة وهاجر الأمة وقد حرمته التوراة[4] .

وسادسها : أن فى التوراة قال الله تعالى لموسى -عليه السلام-: أخرج أنت وشعبك من مصر لترثوا الأرض المقدسة التى وعدت بها أباكم إبراهيم أن أورثها

= أحوال تمنعه من أن يمنع سرقة الوديعة . (السنن القويم فى تفسير العهد القديم بتصرف ٢ / ٤٢٠) . ولم أجد فى الأحكام الخاصة بالسرقة فى كتب الشروح التى رجعت إليها ثقب الأذن وبيع السارق .

(١) ورد فى التوراة (فلما أتيا - أى إبراهيم وإسحق - إلى الموضع الذى قال له الله . بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم ابراهيم فقال ها أنا ذا . فقال لا تمد يدك إلى الغلام . ولا تفعل به شيئا لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه (تكوين ٢٢ / ٩ : ١٣) .

(٢) أداة الشرط ساقطة من التيمورية .

(٣) الجملة من التيمورية .

(٤) نصوص الزواج ثابتة فى التوراة (وبالحقيقة أيضا هى - سارة - أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة أمى . فصارت لى زوجة) تكوين آية ١٢ / ٢٠ وعن هاجر (فقالت - أى سارة - لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن الجارية لا يرث مع ابنى إسحق . .) تك ٢١ / ١٠ . أما نصوص الحرمة فلم أقف عليها فى قاموس الكتاب المقدس وكذا الفهرست .

نسله فلما صاروا إلى التيه قال الله تعالى لا تدخلوها لأنكم عصيتمونى وهو عين النسخ(١).

وسابعها: تحريم السبت فانه فلم يزل العمل مباحا إلى زمن موسى -عليه السلام- وهو عين النسخ(٢).

وثامنها: أن فى التوراة ما هو أشد من الندم والبداء. ففيها مرض ملك اليهود حزقيال(٣). وأوحى الله تعالى إلى أشعياء -عليه السلام- قل لحزقيال يوصى فإنه يموت من علته هذه فأخبره فبكى حزقيال وتضرع فأوحى الله تعالى إلى أشعياء أنه يقوم من علته وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام وقد زيد فى عمره خمس عشرة سنة(٤) ومثله فى التوراة كثير(٥).

---

(١) ورد فى التوراة فى خطاب الله لموسى (قل لبنى إسرائيل أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم.. وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثا. أنا الرب..) خروج ٦ /٦: ٩ والحكم بعدم الدخول فى قوله (يضم هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبنى إسرائيل لأنكم عصيتم قولى عند ماء مريبة..) سفر العدد ٢٠ / ٢٤.

(٢) بدأ التحريم ينسب إلى موسى عليه السلام كما ورد فى سفر الخروج (٢٠ /٨: ١١)، (١٦ / ٢٢: ٣٠) والعدد (١٥ /٣٢: ٣٦) وقد حافظ عليه المسيح وإن فعل فيه بعض المعجزات (مرقس ٢٤ /٢٨) ولقد حول النصارى السبت إلى الأحد لزعمهم قيام الرب فيه ثم سقط تحريم السبت كما ورد فى أعمال الرسل (١٥ /٢٨) راجع قاموس الكتاب المقدس مادة (سبت).

(٣) له سفر خاص به يحوى تاريخه ويمكن الوقوف عليه فى العهد القديم.

(٤) ورد فى سفر أشعيا (مرض حزقيال للموت. فجاء إليه أشعياء بن أموص النبى وقال له. هكذا يقول الرب. أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش. فوجه حزقيال وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب. وقال. آه يا رب اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينك وبكى حزقيال بكاء عظيما فصار قول الرب إلى أشعياء قائلا: اذهب وقل لحزقيال، هكذا يقول الرب إله داود أبيك قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. ها أنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة..) راجع الاصحاح ٣٨ / ١ :٨.

(٥) من صور النسخ الواردة فى التوراة. ما أباحه الله لنوح – عليه السلام – (كل دابة حية تكون لكم طعاما. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع) تكوين صح ٩ / ٣ – وقد حرم على موسى كثيرا من ذلك. فقد ورد (إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم. الجمل والأرنب والوبر. لأنها تجتر..) تثنية صح ١٤ / ٧ كما ورد فى حق عالى الكاهن (فالله إله إسرائيل=

وتاسعها : فى السفر الأول لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا ونكحوا منهن قال الله تعالى لا تسكن الروح بعدها فى بشر وإقامتهم مائة وعشرين سنة[١] فأخبرت التوراة أنه لا يعيش أحد أكثر من هذا ثم أخبرت أن أرفخشد عاش بعد ما ولد له شالح أربع مائة وثلاث سنين[٢]. وأرغو مائتى سنة[٣] وإبراهيم عليه السلام مائة سنة[٤] وذلك كثير فى التوراة .

وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور لا يسمع كلامهم بعد ذلك فى النسخ .

وعاشرها : أن النسخ على وفق رعاية المصالح . ورعاية المصالح جائزة على الله تعالى . بيان أن النسخ على وفق رعاية المصالح أن الأمم يختلفون فى القوة

= يقول : إنى قلت : إن بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامى إلى الأبد والآن يقول الرب حاشا لى فإنى أكرم الذين يكرموننى والذين يحقتروننى يصغرون) . صموئيل الثانى صح ٢ / ٣٠ - فقد صرح ببقاء الكهانة فى بيت عالى وبنيه ثم سحبه نسخا . ورد فى سفر اللاويين (أيما رجل من بنى إسرائيل ذبح ثورا أو خروفا أو عنزا فى المحلة أو خارجا عن المحلة . ولا يأتى بقربانه إلى باب قبة الزمان ليقربا للرب فليحسب على ذلك الرجل سفك دم . لأنه أراق دما . ويهلك ذلك الرجل من شعبه لاوين صح ١٧ / ٣ : ٤ وفى سفر التثنية ورد (فأما إن شئت أن تأكل وتستلذ بأكل اللحم فاذبح وكل بالبركة التى أعطاك الرب إلهك فى قراك . . . وإذا وسع الرب الهك تخومك مثل ما قال لم وأردت أن تأكل اللحم ما تشتهيه نفسك . وكان بعيدا المكان الذى اصطفاه الرب إلهك ليكون اسمه هناك فاذبح من البقر والغنم الذى لك كما أمرتك وكل فى قراك كما تريد) تثنية صح ١٢ / ١٥ : ٢٢ فنسخ الحكم الوارد فى اللاويين بما ورد فى التثنية . راجع تفصيل رحمة الله الهندى - من ٢٩٥ الى ٣١٣ .

(١) فقال الرب لايدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة . تكوين صح ٦ / ٣ .

(٢) (وعاش أرفكشاد بعدما ولد شالح أربع مائة سنة وثلاث سنين وولد بنين وبنات) سفر التكوين - صح ١١ / ١٣ .

(٣) فى التوراة (وعاش رعوا اثنين وثلاثين سنة وولد سروج وعاش رعو بعد ما ولد سروج مائتين وسبع سنين وولد بنين وبنات) تكوين صح ١١ / ٢٠ : ٢١ .

(٤) وهذه أيام سنى حياة إبراهيم التى عاشها مائة وخمس وسبعون سنة - وأسلم إبراهيم روحه ومات) . . . تكوين صح ٢٥ / ٧ : ٨ .

ويمكن مراجعة الإصحاح الحادى عشر من سفر التكوين للوقوف على سنى كثير من البشر الذين تجاوزوا المدة المحددة .

والضعف واليسار والإعسار ولين القلوب وغلظها وإقبالها وعتبها. بل الإنسان الواحد تختلف أحواله فى الأزمنة المختلفة فإذا شرع الله تعالى حكما لمعنى ثم تغير ذلك المعنى فمقتضى رعاية المصالح نسخ ذلك الحكم إلى ضده أو نقيضه كما وجب الذبح على إبراهيم لإسماعيل عليه السلام. ليظهر الإنابة والتسليم لقضاء الله تعالى من الاثنين. فلما ظهر ذلك – منهما–[1] وحصلت مصلحة الابتلاء فرعاية المصالح تقتضى نسخ وجوب الذبح فيكون النسخ على وفق رعاية المصالح. وأما أنه إذا كان على وفق رعاية المصالح يكون جائزا فلأن رعاية المصالح جائزة على الله تعالى إجماعا. وإنما اختلف الناس هل تجب أم لا؟ ومذهب أهل الحق عدم الوجوب[2] لما قد تقرر فى أصول الدين.

السؤال الرابع: قال النصارى واليهود. القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح فلا يكون من عند الله. وبيان اشتماله على ذلك، ما ينقله المسلمون عنه من قوله تعالى ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾ [التحريم: ١٢] ومريم ليست ابنة عمران. لأن عمران أبو موسى –عليه السلام– وبين موسى – عليه السلام –ومريم – رضى الله عنها – نحو ست مائة سنة[3] فأين عمران من مريم –رضى الله عنها– حتى يكون أباها.

---

(١) كلمة (منهما) من التيمورية. والذبيح فى النسخة الأصلية إسحاق وقد أبدلته بإسماعيل من التيمورية.

(٢) بين أهل السنة والمعتزلة خلاف فى حكم الصلاح والأصلح بالنسبة لله تعالى. فيرى أهل السنة أن الله منزه عن الإلزام قال تعالى: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] كما أن الكمال من لازمه عدم الوجوب بل الفضل والرحمة وأما المعتزلة فقد رجح بعضهم وجوب الصلاح فى أفعال الله. فقال (عبّاد) كل ما يفعله يجوز. ولا يجوز أن يكون الصلاح لا يفعله. وقال قائلون: فيما يقدر الله أن يفعله بعباده شيىء أصلح من شيىء. وقد يجوز أن يترك فعلا هو صلاح إلى فعل آخر وهو صلاح يقوم مقامه. راجع مقالات الإسلاميين للأشعرى ص ١ / ٢٩٠.

(٣) تحديد الزمن قائم على غلبة الظن وفى المدة الزمانية خلاف بين الكتاب خلاصته تسعمائة سنة على الأقل وأكثرها ألف وستمائة سنة على الأكثر. راجع تاريخ الطبرى، الكامل لابن الأثير.

والجواب من وجهين:

أحدهما: نقل أن أباها – رضى الله عنها – كان اسمه عمران ولا يلزم من أن اسم أبى موسى عمران أن لا يسمى غيره عمران واعتقاد وجوب ذلك جهل.

ثانيهما: سلمنا أن اسم أبيها ليس عمران. إلا أن عمران أبو موسى –عليه السلام– جدها من بنى إسرائيل. والإنسان يضاف لجده البعيد كما يضاف لجده القريب، ولو لا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل فى تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب –عليه السلام– ببنى إسرائيل. لأن يعقوب –عليه السلام– هو إسرائيل ولم يلدهم. بل بينه وبينهم المئون من السنين. ومع ذلك فكل ما جاء إلى يوم القيامة يسمى من بنى إسرائيل وهذا لاغرو فيه[١].

وإنما ينكر ذلك من هو جاهل بوضع اللغات وموارد الاستعمالات. وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم –عليه السلام– ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أحد أجداده دون أبيه. إذا كان أشرف أو أشهر. وعمران –عليه السلام– كان فى غاية الشهرة. فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء. ومحل الابتلاء فيها دون غيرها[٢].

السؤال الخامس: قال اليهود والنصارى مما يستدرك على المسلمين ما فى كتابهم من جعل مريم –رضى الله عنها– أخت هارون[٣] صلوات الله عليه. وبينهما ست مائة سنة فلا تكون أخته. فكيف يخبر كتابهم بأنها أخته؟

---

(١) هذا بحسب لغة العرب. إلا أن اليهود يقصرون كلمة إسرائيل على كل من ولد من سبط اليهود عدا سبطى يهوذا وينيامين.

(٢) يصرح القرآن الكريم بأن اسم والد مريم هو عمران وليس بلازم أن يكون عمران هذا هو والد موسى وهارون. وما ظهر اللبس فيه إنما هو من اختلاف النصارى. فليس هناك مانع أن يكون لها اخ ايضا يسمى هارون – وليس هو شقيق موسى – أو أنها نسبت إلى هارون شقيق موسى من باب التعيير كما يقال الآن لمن يقع فى خطأ (يا ابن فلان) أو (يا ابن الأصول) للتعيير.

(٣) كما هو صريح القرآن فى سورة مريم ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ [مريم: ٢٨].

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه روى أنه كان فى زمانها عابد يسمى هارون وكانت –رضى الله عنها– فى غاية العبادة. فلما جاءت بعيسى –عليه السلام– من غير زواج. واتهمها – رضى الله عنها – بنو إسرائيل بالزنا. قيل لها «يا أخت هارون» أى فى العبادة ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا. متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله وأصل الأخوة التساوى فى الصفة ومنه قوله تعالى.. ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا** ﴾[1] أى مساويتها فى الكفر. ﴿ **وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا** ﴾[2].. أى مساويتها فى الدلالة وتقول العرب: هذه العروة أخت تلك العروة. وهذه الواقعة أخت تلك الواقعة. وهذه النعل أخت تلك النعل. ومنه مواخاة الفواصل فى السجع وغيره. وأصل ذلك كله المساواة. وسمى أخو النسب أخا. لمساواته أخاه فى الخروج من تلك البطن لأمها. أو ذلك الظهر لأبيهما ولما اجتمعت المساواة فى الصفتين للشقيق قويت الأخوة فيه. فسمى شقيقا كالعصا إذا شقت بنصفين فإن المساواة بينهما فى غاية القوة. وقيل لآخر: أخ لأب وللآخر أخ لأم. إشارة للجهة التى وقعت فيها المساواة. فلما حصلت المساواة بين مريم – رضى الله عنها– وبين ذلك ا لعابد. سميت أخته على القاعدة.

وقيل كان فى ذلك الزمان فاسق يسمى هارون. فلما اعتقدوا فيها التهمة جعلوها أخته أى فى ذلك الفعل[3] القبيح.

---

(١) الأعراف وذلك فى وصف أهل النار آية ٣٨.

(٢) الزخرف آية ٤٨ – والمراد بالآية هنا معجزة من المعجزات الحسية التى وقعت على يد موسى –عليه السلام – حين دعوته لبنى إسرائيل.

(٣) كلمة (الفعل) ساقطة من التيمورية.

وثانيهما : قيل إنها من ذرية موسى –عليه السلام– وهو أخو هارون . فقيل لها أخت هارون، كما جاء فى – التوراة فى الفصل[1]– الحادى عشر فى السفر الخامس، أن الله تعالى قال : إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبيا[2] من إخوتهم مثلك أجعل كلامى على فيه . وإخوة بنى إسرائيل بجملتهم، هم بنو إسماعيل . فجعل بنى أخى أبيهم إخوتهم . فكذلك سميت مريم –رضى الله عنها– أخت هارون – عليه السلام– .

السؤال السادس : قالت النصارى : وافقنا المسلمون على أن المسيح –عليه السلام– كان يحيى الموتى[3] . وإحياء الموتى مختص بالله تعالى . فيصح قولنا : إن المسيح هو الله تعالى ويبطل قول المسلمين أنه عبد من عبيد الله . لأن إحياء الموتى دليل قاطع على ذلك ولذلك بعث الله النبيين على كثرتهم . ولم يكن فيهم من يحيى الموتى[4] . فدل ذلك على أن الإحياء لا يكون إلا لله .

ولذلك فإن النمرود لما تعدى طور العبودية حاجه إبراهيم –عليه السلام– بأن الله يحيى – ويميت –ولولا أن الإماتة والإحياء خاصان بالله تعالى لم يحسن ذلك من إبراهيم – عليه السلام – . وحيث وافق المسلمون على صحة ذلك قامت الحجة القاطعة على المسلمين بربوبية المسيح –عليه السلام– وصحة قول النصارى

---

(١) الجملة ساقطة من التيمورية .

(٢) صوابه أن النص فى الفصل الثامن عشر من سفر التثنية (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك . وأجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به) . تثنية صح ١٨ / ١٥ : ١٨ .

(٣) هذا صريح القرآن ولكنه مقرون بإذن الله . فكأن الفاعل الحقيقى هو الله تعالى إن شاء أذن لعيسى وأجرى على يديه وإن لم يشأ كان المنع . أما النصارى فيأخذون بعض الكتاب ويتركون بعضه وقد ذكروا أسماء عدة أقامها المسيح من موتها . ذكرت فى قاموس الكتاب المقدس تحت مادة (عجيبة) .

(٤) قول النصارى ليس فى النبيين من أحيا موتى غير عيسى –عليه السلام– غير مسلم، فلقد صرحت التوراة وصرح الإنجيل أن كثيرين أحيوا موتى . فلقد أحيا إلياس ابن الأرملة من الموت كما ورد فى سفر الملوك الأول . صح ١٧ / ١٧ : ٢٤ – وأحيا اليشع ابن الشونمية من الموتى (سفر الملوك الثانى صح ٤ /٨ : ١٧ وكذلك إبراؤه للأراميين من العمى (الملوك الثانى صح ٦ / ٢٠) وقيامة الميت الذى مس جثمانه . (الملوك الثانى صح ١٣ / ٢١) .

وإن المسلمين هم المشركون. بجعلهم[١] مع الله من يشاركه[٢] فى إحياء الموتى. وأن النصارى هم الموحدون. لأنهم لم يشركوا مع الله - تعالى[٣] غيره فى خواص ملكه وهو سؤال عظيم على المسلمين مثبت لشركهم ووحدانية النصارى. وأعظم دليل على صحته تصديق القرآن لصحته بقوله تعالى ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[يس: ٧٩] فجعل تعالى الإحياء لمن له الإنشاء. وعيسى -عليه السلام- أحياها. فيكون أنشأها أول مرة[٤] وهذا هو الله قطعا والعجب من المسلمين كيف يغفلون عن مثل هذا وهو صريح - القرآن[٥].

والجواب من وجوه:

أحدها أنكم لم تفهموا قول الله تعالى فى القرآن. ولا قول المسلمين إن عيسى -عليه السلام- كان يحيى الموتى. فإن المسلمين من أولهم إلى آخرهم متفقون على أن الإحياء والإماتة لا يكونان إلا لله تعالى. ويستحيل أن يجعل ذلك لأحد[٦] من الخلق كائنا من كان [٧]. وأن عيسى - عليه السلام - لم يحى قط ميتا ولا أبرأ أكمه ولا أبرص. وإنما الفاعل لهذه الأمور هو الله تعالى عند إرادة المسيح -عليه السلام- لا أن المسيح -عليه السلام- كان يفعل ذلك. كما أن موسى عليه السلام لم يكن يقلب لون يده[٨].

---

(١) فى الأصل (فجعلهم) والتصحيح من التيمورية.
(٢) فى التيمورية (فى شاركه).
(٣) الكلمة من التيمورية.
(٤) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٥) ساقط من التيمورية.
(٦) ساقطة من التيمورية.
(٧) فى الأصل (ما).
(٨) النص وارد فى القرآن. قال تعالى فى القرآن الكريم ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ**﴾ [طه: ٢٢] وفى التوراة ورد (ثم قال له الرب أيضا أدخل يدك فى عبك فأدخل يده فى عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له رد يدك إلى عبك. فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه وإذا هى عادت مثل جسده) خروج صح ٤ /٦: ٧.

ولم[1] يحول جمادية عصاه[2] بل الله تعالى هو الفاعل لذلك عند إرادته المعجزة[3] فى اختصاص[4] إرادتهما بهذه الآثار. لا أنهما الفاعلان لها. فهذا معنى قوله تعالى وقول المسلمين إن عيسى -عليه السلام- كان يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص. ومن جملة[5] جهالات النصارى اعتقادهم أنه -عليه السلام- كان هو الفاعل لنفس[6] الإحياء والإبراء ولا عجب فى ذلك. فإن جهلهم أعظم من ذلك.

فالذى حاج به إبراهيم -عليه السلام- النمرود. إنما هو نفس الإماتة والإحياء اللتان[7] هما خاصتان[8] بالله تعالى فليعلم ذلك. ولذلك حسن احتجاجه -عليه السلام- وكذلك المراد نفس الإحياء فى قوله تعالى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٩]. فلا يحيى على الحقيقة إلا المنشىء فاندفع الإشكال. واجتمعت النصوص من غير تناقض وصح مذهب أهل[9] الإسلام. وأنهم هم[10] الموحدون حقا. وزهق الباطل[11] إن الباطل كان زهوقا.

---

(١) فى الأصل (لا).

(٢) قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ١٧، ٢٢]. وفى التوراة ورد فى خطاب الرب لموسى (فقال له الرب ما هذه فى يدك. فقال عصا. فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى مد يدك وأمسك بذنبها فمد يده وأمسك به فصارت عصا فى يده. لكى يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم وإله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب..) خروج اصحاح ٤/ ٢: ٥.

(٣) فى الأصل: (فالمعجزة).

(٤) فى الأصل (فى اقتران). والتصويب عن التيمورية.

(٥) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٦) فى التيمورية (بنفسه).

(٧) ورد (الذين أيضا).

(٨) فى الأصل (خاصان).

(٩) كلمة (أهل) تطلبها السياق.

(١٠) كلمة (هم) تطلبها السياق.

(١١) فى الأصل (وبطل الكفران) والمذكور عن التيمورية.

وثانيها : سلمنا أن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما . لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك . بل نص الإنجيل على أن كل من استقام على شريعة عيسى –عليه السلام – يفعل كفعله، وأن داود –عليه السلام– أحيا ميتا بعد مائتى سنة[١] . وأن إلياس[٢] واليسع[٣] . وحزقيال[٤] . وغيرهم كانوا يحيون الموتى فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية فليكن الحواريون كلهم . وداود –عليه السلام– آلهة مساوين للمسيح –عليه السلام– فى الألوهية . وجميع ما ينسب إليه ولما لم يقل بذلك أحد . دل على بطلان ما اعتمدوا عليه فى ألوهية عيسى عليه السلام .

فإن قالوا غير عيسى –عليه السلام– كان يحيى بإذن – الله تعالى[٥]– بخلافه . قلنا هذا قائم فى حق عيسى –عليه السلام– وهو أنه إنما كان يحيى بإذن الله تعالى فيستوون .

وثالثها : قال الله تعالى فى نبوة أشعياء . ويعنى المسيح –عليه السلام– هذا

---

(١) لم يرد نص يفيد إحياء داود عليه السلام لشيىء من الموتى . وقد تم الرجوع إلى المزامير وسفر الملوك الأول والثانى وكذلك فهرست الكتاب المقدس وقاموسه . فلم أجد دليلا على ذلك .

(٢) ورد فى حق إليا أنه (صرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهى أأيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها . فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : أيها الرب إلهى أأيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها . . فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش) الملوك الأول صح١٧ / ١٧ : ٢٤ .

(٣) ورد فى سفر الملوك الثانى (ودخل اليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره . فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب . ثم صعد واضطجع فوق الصبى . . فسخن جسد الولد . ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه .) الملوك الثانى ٤ / ٣٢ : ٣٧ .

(٤) بالرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس . وفهرس الكتاب المقدس وقراءة سفر حزقيال . لم أجد نصا يدل على ذلك بالمعنى الحقيقى وإنما ورد فى كتب المفسرين عند قول الحق (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) كما ذكرا بن كثير ذلك فى البداية والنهاية ٢ / ٢، ٣ .

(٥) فى الأصل (بإذن عيسى عليه السلام) والتصويب من التيمورية والجملة التابعة ساقطة من التيمورية .

فتاى الذى اصطفيت وحبيبى الذى ارتاحت له نفسى. أنا واضع عليه روحى. ويدعو الأمم إلى الحق[1] فسماه عبدا مصطفى على لسان أشعيا مبعوثا مأمورا بدعوة الأمم. أسوة بغيره من الأنبياء. وهذا هو ما نطق به القرآن[2] وهو المطلوب.

لا يقال الفتى هو الولد عندنا. لأنا نقول ليس[3] ذلك عندكم. لما فى السفر الأول من التوراة لما بلغ إبراهيم –عليه السلام– أن الملوك أغاروا على سدوم. وسبوا لوطا ابن أخ إبراهيم –عليه السلام– عبى فتيانه ثلاث مائة وثمانية عشررجلا وسار فى طلب العدو فهزمه. واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ماله[4].

ولم يكن أولاد إبراهيم –عليه السلام– هذا العدد باتفاق اليهود والنصارى ففى الإنجيل لمتى (مر المسيح –عليه السلام– بعد قيامه من الدفن على جماعة من تلاميذه يصيدون السمك فقال يافتيان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءا من حوت وشيئا من شهد العسل[5].

وإطلاق لفظ الفتى فى التوراة والإنجيل على غير الولد كثير[6]. وقد حمله

---

(١) رد فى سفر أشعيا (وهو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته..) إصحاح ٤٢ / ١ : ٢.

(٢) بهذا نطق عيسى ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

(٣) كلمة (ليس) ساقطة من التيمورية.

(٤) النص (فلما سمع إبرام أن أخاه سبى جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان. وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التى عن شمال دمشق واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطا أخاه أيضا وأملاكه والنساء...) تكوين ص ١٤ / ١٤ : ١٧.

(٥) الصواب أن النص فى إنجيل لوقا. حيث ذكر أن المسيح قد ظهر لبعض الصيادين (وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبين قال لهم أعندكم ههنا طعام، فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد العسل. فأخذ وأكل قدامهم...) (لوقا صح ٢٤ / ٤١ :٤٣).

(٦) وردت نصوص عدة فى الكتاب المقدس تضمنت كلمة (فتى) وهى لا تحمل معنى البنوة الحقيقية بحال من الأحوال. من هذه النصوص ما ورد فى التكوين (صح ٤ / ٢٣) والتثنية (صح ٣٢ / ٢٥) وصموئيل الثانى (١٤ / ١٢) والملوك الأول (صح ٣ / ٧) والأيام الثانى (صح ١٣ / ٧)، (٣٤ / ٣) (٣٦ / ١٧) مزمور (٣٧ / ٢٥) ولوقا (صح١ / ٥٤) أعمال الرسل (صح ٤ / ٢٥)، (٢٠ / ١٢).

النصارى فى هذا الموضع على الولد. فأتوا للفظ لاضلال فيه وحملوه على الضلال. وهو شأن أهل الشقاوة والعناد. وإنما اللايق إذا ورد لفظ الضلال حمل على الهداية كما هو شأن أهل السعادة والرشاد. فسبحان من جعل الجهل شعارهم والضلال دثارهم. ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

إذا تقرر معنى ما فى الإنجيل فحينئذ نقول: قد صرح متى بأن الله تعالى مصطفٍ[١]. ومنعم. وأن المسيح عليه السلام مُصْطَفىً[٢]. ومنْعَم عليه. وفتى من فتيان بنى آدم وهو المطلوب.

ورابعها: قال متى أخذ إبليس يسوع المسيح -عليه السلام- وأخرجه إلى البرية ليجربه. وقال له إن كنت أنت ابن الله. فقل لهذه الحجارة تصير خبزا. فقال المسيح -عليه السلام- إنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان. بل بكل كلمة تخرج من الله تعالى. فأخذه إبليس[٣] ومضى به. حتى أقامه على أعلى جبل فى الأرض وأراه جميع ممالك العالم. وقال هذا كله لى. وأنا أعطيكه إن سجدت لى سجدة واحدة فقال أغرب عنى يا شيطان. فإنه مكتوب للرب إلهك اسجد. وله وحده[٤] اعبد، فمضى به إبليس وأقامه[٥] على جناح الهيكل. وقال له[٦] انطرح من هاهنا إلى أسفل. فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر[٧] رجلك بحجر. فقال المسيح -عليه السلام- ومكتوب

---

(١) فى الأصل (معط) والصواب من التيمورية.

(٢) فى الأصل (معطى) والصواب من التيمورية.

(٣) النص فى متى (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا فتقدم إليه المجرب وقال له. إن كنت ابن الله فقل إن تصير هذه الحجارة خبزا. فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله...) متى الإصحاح الرابع من ١ : ٤ .

(٤) ساقطة من التيمورية.

(٥) ساقطة من التيمورية.

(٦) فى الأصل (أنه) والتصويب من التيمورية.

(٧) فى الأصل (يعثر).

أيضا لا تجرب الرب إلهك ومضى عنه[١] إبليس وتركه. وجاءت الملائكة تحرسه. وصام المسيح -عليه السلام- عند ذلك ثلاثين يوما بلياليها[٢]. فقد صرح المسيح -عليه السلام- فى هذه القصة. بأنه يعبد الله تعالى ويسلك الأدب معه على سنن العباد فى عدم تجربة الرب تعالى. وكيف يجرب إبليس المسيح -عليه السلام- ويسحبه من مكان إلى مكان. ويسُومه السجود له.. وهو خالق كل شيىء وإله العالم عندكم. وعلى هذا التقدير يكون إبليس لا مطمع له فيه. فلما طمع فيه وعامله بتلك المعاملة واعترف المسيح -عليه السلام- بالعبودية ولزوم الأدب مع الله تعالى. دل ذلك على أنه عبد لارب. وهو المطلوب.

وخامسها: قال متى. سمع هيرودس ملك اليهود خبر يسوع -عليه السلام- فقال لغلمانه أترى يوحنا قد قام من بين الأموات وهذه القوى تعمل معه[٣]. وكان هيرودس قد قتل يوحنا المعمدان فى السجن وهو يحيى بن زكريا. وأعطى رأسه لابنة هيروديا. وكانت قد تمنّت عليه ذلك يوم رقصت فى مجلس لمولود ولد له[٤].

فجاء التلاميذ فأخبروا يسوع -عليه السلام- بمصاب يوحنا. فجذع يسوع وخرج من وقته من الموضع الذى كان فيه منفردا. والله تعالى عالم بجميع

---

(١) فى الأصل (به) و(عنه) من التيمورية.

(٢) وقع فى النص تقديم وتأخير ويمكن الوقوف على النص بتمامه فى إنجيل متى الاصحاح الرابع من ١- ١١.

(٣) النص (فى ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمدان. قد قام من بين الأموات ولذلك تعمل به القوات) متى الاصحاح ١٤/ ١: ٢.

(٤) (فإن هيرودس كان قد امسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه. لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك. ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبى. ثم لما صار مولد هيرودوس رقصت ابنة هيروديا فى الوسط فسرت هيرودس. من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها. فهى إذ كانت قد تلقنت من أمها قالت أعطنى ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان. فاغتم الملك ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى. فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن فأحضر رأسه على طبق ودفع إلى الصبية فجاءت به إلى أمها).. متى صح ١٤/ ٣: ١١.

المعلومات محيط بسائر الكائنات. قادر على جميع الممكنات. جلبا ودفعا وإعطاء ومنعا. فلمّا لم يعلم المسيح -عليه السلام- حتى أخبره التلاميذ وخاف من الجبار لعجزه عن دفع الجبابرة. كان ذلك دليلا قاطعا على أنه عبد محتاج خلق من جملة الخلق. له ما لهم وعليه ما عليهم وهو المطلوب.

فإن قالوا: نحن نسلم أن يسوع -عليه السلام- يخاف ويتألم[١]. ويجوع ويعطش وتصيبه جميع آفات البشرية لكن ذلك مخصوص بناسوته دون لاهوته.

(قلنا) الاتحاد عندكم لم يبق اللاهوت متميزا عن الناسوت[٢]. فلذلك لا يمكنكم تخصيص أحوال البشرية بهما.

وسادسها: قال متى: قال رجل للمسيح -عليه السلام- يا معلم يا صالح. فقال له لا تقل لى صالحا لا صالح إلا الله تعالى الواحد[٣]. فأضاف المسيح عليه السلام لربه الوحدة وخصصه بالصلاح ونفاه عن نفسه. وذلك ينافى الألوهية ويثبت العبودية ويبطل التثليث وهو المطلوب.

وسابعها: قال متى مر يسوع -عليه السلام- بشجرة وقد جاع فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق. فقال لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد. فيبست الشجرة لوقتها. فتعجب التلاميذ. فقالوا كيف يبست. فقال الحق أقول لكم إنه لو كان لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبل[٤] تعالى واسقط فى البحر لفعل[٥] وكان كل ما سألتموه تنالوه[٦] وذلك يدل - على عدم ربوبيته -[٧] من وجوه:

---

(١) فى الأصل (ويألم) والتصويب من التيمورية.

(٢) راجع الفصل فى الملل والنحل لابن حزم وكذلك الملل والنحل للشهرستانى فى حديثهم عن فرق النصارى وعقيدتهم فى الحلول والاتحاد.

(٣) النص (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) متى صح ١٩/ ١٦: ١٧.

(٤) فى التيمورية «للجبالى».

(٥) فى التيمورية (لفعلت).

(٦) راجع إنجيل متى الإصحاح ٢١/ ١٨: ٢٢.

(٧) ما بين الشرطتين من التيمورية.

أحدها: جوعه وهو ينافى الربوبية ويثبت العبودية.

ثانيها: عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة. والله تعالى بكل شيىء عليم. فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما عُلِّم. وذلك يثبت عبوديته وينافى ألوهيته.

ثالثها: غضبه على الشجرة لأنه لما انخرم عليه أمله قوى غضبه. وهذه خاصية البشرية ومنافية[1] للربوبية.

رابعها: تعجب التلاميذ من يبسها بقوله[2] ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى. لم يعجبوا من ذلك. فإن اليسوع عند النصارى هو الحق[3] الخالق العالم. والذى تاب على آدم وبيده كل شيىء. والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك. فدل ذلك على عبوديته -عليه السلام- وضلال النصارى.

خامسها: قوله لهم لو كان لكم إيمان[4] بغير شك لطاوعكم الجبل ونلتم ما شئتم[5] ودل ذلك على أنه إنما ظهرت كرامته -عليه السلام- فى الشجرة. بإيمانه الصادق لا بكونه إله العالم. وإلا كان يكون الجواب. لو كنتم مثلى آلهة[6] وأبناء لله تعالى. لفعلتم مثل فعلى. ولا كان يحسن ذكر الإيمان. ولما علل به. دل ذلك على أنه نبى وعلى إثبات عبوديته وإبطال ألوهيته وهو المطلوب.

سادسها: قال لوقا: ورد أمر قيصر بتدوين الناس. فمضى يوسف ومريم. رضى الله عنهما. وهى حامل بالمسيح -عليه السلام- ليكتتبا مع الناس - فضربها الطلق فولدته عليه السلام[7] - ولفته فى الخرق وتركته فى مذود حيث نزلا. فلما تمت له ثمانية أيام سموه يسوعا. ولما أكملوا أيام تطهيرها أقاموه

---

(١) فى التيمورية (ومنافى وصف).
(٢) كلمة (قوله) ساقطة من التيمورية.
(٣) كلمة (هو) ساقطة من التيمورية وكلمة (الحق) مأخوذة عنها.
(٤) فى الأصل (إيمانكم) والتصويب من التيمورية.
(٥) جملة (ونلتم ما شئتم) ساقطة من التيمورية.
(٦) فى الأصل (إله) وكلمة (تعالى) ساقطة من الأصل.
(٧) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية.

ليقربوا عنه زوج يمام أو فرخى حمام كسنة الناموس[١]. ثم رجعوا إلى ناصرتهم. فكان الصبى ينشأ ويتقوى بالروح ويمتلأ بالحكمة. وكانت نعمة الله تعالى عليه – فلما تمت له اثنتا عشرة سنة مضوا به إلى أوشليم. وحطاه فى الهيكل بين العلماء والشيوخ، يناجيهم ويسمع منهم ثم أخذاه وانصرفا به[٢].

فنشأته فى الأرحام ولفه فى الخرق. ونشأته نشأة الصبيان أوّلا فأول. وتعلمه من العلماء ما لم يعلمه. وتفهمه ما لم يكن يفهمه. واستفادته ممن تقدمه من الشيوخ. كل واحد من هذه دليل قاطع. على أنه عبد مربوب لارب معبود.

وتعالى رب الأرباب. أن تحويه معالف الدواب. بل لا تحويه الأقطار[٣] ولا يحده المقدار. بل لا تحيط به الجهات. ولا تكتنفه الأرضون والسموات. فالنجا النجا[٤] من هذا المذهب الذميم. والوحا الوحا فى حل عقد هذا التصميم.

سابعها: قال لوقا: قال رجل ليسوع –عليه السلام– اتبعك إلى حيث[٥]

---

(١) هكذا كانت شريعة موسى –عليه السلام – بزعمهم – وقد عرفت هذه الذبيحة باسم (ذبيحة التطهير) ويمكن الرجوع الى الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ص٢ / ١٦٦ لبيان ذلك مفصلا.

(ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب. كما هو مكتوب فى ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوسا للرب. ولكى يقدموا ذبيحة كما هى فى ناموس الرب زوج يمام أو فرخى حمام) (لوقا – الإصحاح الثانى ٢٢ : ٢٤).

(٢) (وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة. وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كرينيوس والى سورية. فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته. فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعو بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى. وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل) لوقا الإصحاح الثانى ١ : ٧.

(٣) فى الأصل (الأفكار).

(٤) (الثانية) ساقطة من التيمورية.

(٥) كلمة (حيث) ساقطة.

تمضى يا سيدى فقال له يسوع -عليه السلام- للثعالب أحجار. وللطيور أوكار. وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه[1] فتسمية نفسه ابن الإنسان مناقض لما يقوله النصارى وقد كرر -صلوات الله عليه- هذه العبارة. فى مواضع كثيرة من الإنجيل. ولعله ليس ببعيد من حالة الأنبياء -عليهم السلام- أن يكون[2] اطلع على ما سيقوله النصارى فيه وما يجترئون على الربوبية بسببه. فكان -عليه السلام- يكرر ما يكون سببا للهداية لمن اهتدى. وعذرا له -عليه السلام- إذا سئل عن ذلك فى الموقف غدا. ومع ذلك فلم يفد ذلك النصارى لفرط جهلهم. وشدة[3] ضلالهم. ووصف نفسه -عليه السلام- بغاية التخلى عن الملك. حتى لا يملك مسقطا[4] لرأسه. ولايجوز شيئا لنفسه وهذا غاية العبودية.

ثامنها: قال مرقس فى إنجيله - على لسان المسيح إن نفسى حزينة حتى الموت ثم خر على وجهه يصلى لله تعالى وقال أيها الرب كل شيىء بقدرتك أخر عنى هذا الكاس لكن كما تريد لا كما أريد أنا[5].

وهو يدل من وجوه:

أحدها: أنه وصف نفسه بالحزن والله تعالى لا يحزن، بل هو من[6] خصائص البشر.

---

(١) النص (فتقدم كاتب وقال له يا معلم أتبعك أينما تمضى. فقال له يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه) متى صح ٨/١٩ : ٢٠.

(٢) جملة (أن يكون) ساقطة من التيمورية.

(٣) فى التيمورية (شك).

(٤) فى التيمورية (مشطا) وتركت مسقط لصواب المعنى.

(٥) (فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك. فاجز عنى هذه الكاس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت.) إنجيل مرقس الإصحاح ١٤- ٣٢ - ٣٦.

(٦) (هو من) ليست بالتيمورية.

ثانيها: قول مرقس يصلى لله. والمعبود غير العابد فلا يكون هو الله تعالى[١].

ثالثها: أنه أخبر عنه أنه سأل الله - خير[٢] الموت والسائل غير المسئول فلا يكون هو الله تعالى.

رابعها: قوله كما تريد لا كما أريد جعل إرادة الله تعالى فوق[٣] إرادته فلا يكون هو الله تعالى. وهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية وإثبات العبودية وهو المطلوب.

السؤال السابع:[٤] - قالت اليهود أجمع المسلمون معنا على صحة[٥] شريعة موسى -عليه السلام- وأنه الصادق البر. وقد قال تمسكوا بالسبت مادامت السموات والأرض. فلا يكون بعده رسالة أخرى[٦].

فتبطل رسالة عيسى -عليه السلام- ولأنها إنما تثبت بالمعجزة. والمعجزة إنما تحصل العلم لمن باشرها. حتى يفرق بينها وبين السحر[٧] والسيمياء[٨] والشعبذة[٩].

---

(١) كلمة (تعالى) الواردة مرتين ساقطة من التيمورية.

(٢) الجملة المعترضة نقلا عن التيمورية.

(٣) فى التيمورية (غير).

(٤) فى التيمورية السؤال التاسع وهو مخالف الترتيب.

(٥) كلمة (صحة) ساقطة من التيمورية.

(٦) راجع العهد القديم الخروج ١٦ / ٢٣، ٣٥ / ٢، ٢٠ / ١٠، ٣١ / ٥، لاويين ٢٣ / ٣٢، ٢٥ / ٢ والعدد ١٥ / ٣٢ .

(٧) أمر خارق للعادة يظهر على يد شرار الناس.

(٨) السيمياء. العلامة والحسن والبهجة. وعلم السيمياء علم يطلق على غير الحقيقى من السحر، عبرانية مركبة من (شم) (يه) أى الله، انظر ٩٩٤ قطر المحيط - بطرس البستانى.

(٩) الشعبذة والشعوذة معناهما واحد وهى خفة فى اليد وأخذ كالسحر يرى الشيىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين أو يوهم وجود مناظر غير موجودة فى الحقيقة ١٠٥٠ قطر المحيط.

قالوا ونحن أيها اليهود. باشر أسلافنا أمر عيسى –عليه السلام– وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب. وحققوا أمره. فوجدوه يتعاطى نوعا من السيمياء. فيظن الناس – أنه أحيا الموتى وليس كذلك. وكذلك[1]. جميع ما يعتقده المسلمون أنه معجزة دالة على صدقه فينبغى تقليدنا لأنا المباشرون لحقيقة ما جاء به [2]. ونحن يستحيل تواطؤنا على الكذب فيكون خبرنا قاطعا[3] ضروريا. فمن ادعى خلاف ذلك فدعواه باطلة بالضرورة.

الإجابة على السؤال السابع. من وجوه:

أحدها: البرهان العقلى على نبوة عيسى –عليه السلام– أن النبى من جاء بالمعجزة وهو –عليه السلام– جاء بالمعجزة فيكون نبيا. أما أن النبى من هو كذلك فبالاتفاق ولأنا لا نعنى بكون عليه السلام نبيا غير هذا.

وأما أنه –عليه السلام– جاء بالمعجزة. فلأن إحياء الموتى من أعظم المعجزات[4]. وأما قوله[5]. لا يعلم المعجزة إلا من باشرها فممنوع. بل إذا نقلت أحوال الشخص مع ما ظهر على يديه. جزم العقل بنبوته. وكذلك بالنقل تتفاوت مقامات الأنبياء –عليهم السلام–[6]. والأولياء والعلماء والملوك والأمم الماضية. مما ينقل لنا عنهم ويقطع بكثير من أحوالهم التى كانوا عليها وأما قوله

---

(١) فى التيمورية (وليس).

(٢) كلمة (به) من التيمورية.

(٣) فى التيمورية (قطعيا).

(٤) صرح القرآن الكريم بأن الله أعطى المسيح القدرة على إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى. كل ذلك بإذن الله (آل عمران) أما الإنجيل فقد ذكر أن المسيح أحيا أكثر من ميت ويمكن الوقوف على هذه النصوص للبيان (إقامة ابن الأرملة من الموت. لوقا ٧ / ١١ : ١٧ إقامة ابنة يابرس من الموت متى ٩ / ١٨ : ٢٦ مرقس ٥ / ٢٢ : ٤٣ لو ٨ / ٤٠ – ٤٨ – إقامة العازر من الموت – (يوحنا الاصحاح ١١).

(٥) فى الأصل (قولهم).

(٦) صرح القرآن الكريم بتفاوت الأنبياء قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

إنهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب. فيكون مخالفهم مخالفا للضرورة فليس بصحيح، بل غلط محض وجهل صرف فإن هذه المقدمة إنما تفيد فى التواتر. والتواتر[1] إنما يكون فى أمور الحسيات كما تقدم بيانه. والرسالة والنبوة ليستا من الأمور الحسية فلا عبرة بكثرة الناقلين فيها. كما لو أخبروا عن قدم العالم. فإنه لا يفيد خبرهم علما. وأحوال المسيح -عليه السلام- فى زهده وصدقه وإيثاره لآخرته وإعراضه عن الدنيا أمر معلوم من التواريخ القديمة. والرسائل المنزلة. التى قامت المعجزة على تصديق رسلها فيحصل القطع بنبوته - عليه السلام- وهو المطلوب.

ثانيها: وافقت اليهود لعنهم الله على ظهور الخوارق على يده. وإنما قالوا هى من قبيل السيمياء. وتارة يقولون هى من قبيل الشياطين. وعلى كل تقدير جميع ما يقولونه يلزمهم فى قلب العصا ثعبانا[2]. واليد بيضاء[3]. وفلق البحر[4]. ونتق الجبل[5]. وسائر معجزات[6] رسلهم -عليهم السلام- هو جوابنا عن عيسى -عليه السلام- حرفا بحرف.

وثالثها: أن نص التوراة يقتضى نبوته - صلى الله عليه وسلم - وهو أن فيها (لويا سور وشبيط ميهوذا ومحوقيق مبين رغلا) وتفسيره. لايزال الملك[7]

---

(١) ساقطة من التيمورية.

(٢) قال تعالى فى خطابه لموسى ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٩-٢٠].

(٣) قال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢].

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

(٥) قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الاعراف: ١٧١].

(٦) وردت معجزات كثيرة في القرآن الكريم بشأن الأنبياء السابقين وكل ذلك مرده إلى الله قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ﴾ [الرعد: ٣٨].

(٧) الجملة من التيمورية.

فى اليهود من آل يهوذا . والراسم من ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح . وكذلك كان . مازالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح –عليه السلام– صاروا ذمة محفورة ورعية مأسورة . وهذا شيىء لا ينكرونه . وهو دليل قاطع على نبوة عيسى –عليه السلام– وأن موسى[١] –عليه السلام– أخبر أنهم يكونون فى ذلك الوقت على باطل . وأن الحق يأتى مع المسيح – عليه السلام[٢] فيدحض الباطل بالحق . وهذه سنن المرسلين أبدا . وسنة الله تعالى[٣] فى خلقه ولذلك قال تعالى : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ [الأنبياء : ١٨] .﴿ **إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء : ٨١] .

وفى هذا المقام كابرت اليهود . واشتد عنادها . وقالت هو المسيح الدجال . الذى يأتى فى آخر الزمان . ويزعمون أنه ينصر دين موسى –عليه السلام– ويظهر الحق على يده مع أن ملكهم قد ذهب من نحو ألف سنة إلى اليوم[٤] .

مع أن نص التوراة أنه يستمر حتى يأتى المسيح –عليه السلام– وهو مكابرة ظاهرة .

(السؤال الثامن) قالت اليهود والنصارى . لو ثبت الأكل والشرب والنكاح فى الجنة[٥] مع أنها دار الكرامة العظمى . والمنزلة العليا التى أبدع الله تعالى فيها حلائل الإحسان . ومقامات الامتنان . لكانت محل الحاجات وإبداء العورات ومصب القاذورات وذلك ينافى كما لها . ويحرم تمامها . ولذلك فإن

---

(١) فى التيمورية (وأن عيسى) وصوابه (موسى) لأن سياق الكلام يتطلبه .

(٢) الجملة من التيمورية .

(٣) كلمة (تعالى) ساقطة من التيمورية .

(٤) بالنسبة لزمن المؤلف وقد عاش فى القرن السابع الهجرى كما سبق التعريف .

(٥) تعريض بما ورد فى القرآن الكريم من أكل وشرب ونكاح لأهل الجنة . قال تعالى ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ [الواقعة : ٢٧ – ٣٨] .

كثيرا ممن له أنفة المروءة وأبهة الرياسة. يأنف من الأكل بمشهد من الناس. فإن تحريك الأشداق واختلاف اللهوات وطحن الأضراس وارتجاج الراس عورة ظاهرة ومنقصة بادية. ولذلك يستعد لها الناس فى المنازل والخلوات. ويأنفون من وقوعها فى الطرقات والخلوات حتى جعل من جملة قواعد الشرع. أن ذلك مخل بالمروءات ومسقط للشهادات[١]. فدل ذلك على أنه من أفحش العورات. وإذا كان هذا فى الأكل والشرب فالنكاح أولى لأن فيه انكشاف العورتين وذهاب الحرمتين. وارتفاع الحيائين. مضافا لصب القاذورات فى الفرج وما يحصل من الفضلات المستقذرة. بسبب الولوج والخروج. ويكفى فى نقايض هذه الأمور أنها من خصايص هذه البهايم المبعدة لطور الإنسان عن طور الملائكة. والمدخل[٢] فى حيز البهيمة فان الملك عقل بلا شهوة. والبهايم شهوة[٣] بلا عقل. والإنسان عقل وشهوة. فلذلك توسط بين الفريقين وباين بوصفيه[٤] كلا الجهتين. فإذا ظهر ما فى [٥]هذه الأمور من نقص وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة. والمخصوصة بغاية النعمة[٦] وتمام الكرامة.

والجواب من وجوه :

أحدها : أن النعيم الجسمانى الذى يثبته المسلمون. ليس مفسرا بما ذكرتموه من التشنيع[٧]. بل على وفق الكرامة الربانية والسعادة الأبدية وتقريره. أنا نجد فى – هذه الدار[٨]– الملاذ الجسمانية. تترتب على أسباب عادية فالملاذ إما علوم خاصة حسية كإدراك الحلاوة وأنواع الطعوم الملائمة، وإدراك الأرايح المناسبة

---

(١) فى التيمورية (يسقط الشهادات).
(٢) فى التيمورية (فالمدخل).
(٣) كلمة (شهوة) ساقطة من التيمورية.
(٤) فى التيمورية (وباين بين موصوفيه بوصفيه).
(٥) فى التيمورية (لى) بدلا من (فى).
(٦) فى التيمورية (النعيم).
(٧) فى التيمورية (التشنيع والتبشيع).
(٨) الجملة ساقطة من التيمورية.

لجواهر النفس البشرية. وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع وإدراك المبصرات من الألوان والأضواء وتفاصيل أنواع الحسن والجمال وغيرها من المبصرات السارة للنفس. وكذلك القول في بقية الحواس. وإما إدراك الأحوال النفسانية كاستشعار النفس وحصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء والأرواء. ونحو ذلك. فهذه هي الملاذ الجسمانية ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم. هي إدراك الملائم. فجمعوا الجميع في هذا الحد الشامل. وأما أسبابها العادية فهي المباشرة لأنواع المآكل. والمشارب والمناكح ونحو ذلك.

ثم هذه المباشرة تقترن بها في العادة حاجات للمتناولات وقاذورات تقترن بالمباشرات. فالمسلمون يدعون من هذه الأقسام الثلاثة الأولين فقط دون الثالث. فيثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات. فيقولون الأكل والشرب والنكاح في الجنة من غير ألم جوع ولا عطش ولا بصاق ولا مخاط ولا دمع ولا بول ولا غائط ولا ريح منتن ولا حيض ولا منى ولا رطوبات مستقذرة ولا إبداء عورة منقصة ولا زوال أبهة معتبرة ولا شيىء مما يعاب بنوع من النقيصة[(١)]. بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة – الأكل بمباشرة أنفس المآكل من غير بصاق.

ولا تلويث ولا ألم جوع سابق ولا شيء لاحق وكذلك يحصل أعظم ما يكون[(٢)] من لذة الشرب عند مباشرة أشرف المشروبات[(٣)] من غير عطش

---

(١) وردت أحاديث عدة في وصف أهل الجنة وحسن حالهم وتنزههم عن البول والغائط. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك. ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين. أخلاقهم على خلق رجل واحد. على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء – مسلم بشرح النووي ١٨ / ١٧٢ – وقد ذكر مسلم كتابا خاصا في صحيحه بعنوان كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) هذه الجملة ساقطة من التيمورية.

(٣) قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

ولا حاجة سابقة ولاتلويث لاحق ولا شيىء يعاب . وكذلك يحصل الجماع بمباشرة أجمل الموطوآت[١] من الحوريات والآدميات . التى كل واحدة منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها وتحيرت عقولهم بكمالها[٢] وبديع حسنها وفايق محاسنها[٣] ورائق تركيبها فى جملتها وتفصيلها . مكسوة من الحلى والحلل . ما أقله خير من ملك الدنيا وما فيها قد نشأت فى السعادة الأبدية . وهيئت للكرامة الإلهية وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية . ومع ذلك فقد تناسب خلقها وخلقها وطبعت على الميل من غير نفار . وعلى المحبة من غير ازورار . قد وصلت فى محبة المؤمن وتعظيمه والأدب معه وإظهار المسرة به . والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات . وتجاوزت فى الحسن والإحسان إلى أقصى النهايات .

وللحسن والإحسان معنى ورونق . إذا أمكن الإنسان الجمع بينهما . فنظرة إليها خير من جميع[٤] ممالك الأرض . وزورة منها وإليها . تنسى مؤلمات يوم العرض . فيحصل من لذة جماع هذه ما هو لائق بهذا الطور العجيب والرونق الغريب . من غير إنزال فضلات . ولا رطوبات مستقذرات منزة عن جميع الدناءات . بل كل حالة منها فى غاية الرتب العليات – وكل جزء[٥] من أجزاء حسنها فى غاية الشرف والجلالة فلا عورة لها ولا للمؤمن . ولا سوءة فيها ولا فيه . لأن العورة إنما تبدت[٦] فى هذه الدار . لكونها مخرج النجاسات . والشعروالنتن والرطوبات . فإذا ذهبت هذه المعيبات المنقصات ذهبت بذهابها العورات . وبقيت

---

(١) قال تعالى فى وصفهن: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٢ – ٢٤].

(٢) فى الأصل (بجلالها) والتصويب من التيمورية.

(٣) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٤) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٥) «وكل جزء» ساقطة من التيمورية.

(٦) فى الأصل (تثبت) والسياق عن التيمورية.

المحال شريفة علية . لا ينسب إليها خصلة دنيئة . وإذا كان هذا هو الذى يعتقده المسلمون من – الجمع بين النعيم الروحانى المتعلق بالأرواح من إدراك معنى جلال الله تعالى وجماله وتفاصيل صفاته وآلائه المتجددة على ممر الأبد–[١] والنعيم الجسمانى الذى تقدم تحقيقه . كان هو اللائق بالكرم الإلهى . والإحسان الربانى . فإن الاقتصار على النعيم الروحانى تقصير من قائله فى سعة النعمة . وتمام الكرامة . و أن ما يقوله المسلمون يجزم العقل الشريف، بأن مثله لا تعرى عنه دار أريدت لغاية الإكرام . وأن يكون على غاية التمام . بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة منها . لقال العقل الوافر لو كان فيها هذه الملاذ لكانت أتم وأكمل . وهى أولى بقول الشاعر :

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذاكملا

فظهر إصابة المسلمين للصواب ببيان الجواب واندفع السؤال .

ثانيها : قال لوقا . قال يسوع –عليه السلام– إذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء ليكون مجازاتك فى قيامة الصديقين . فقال من حضر طوبا لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله تعالى . فما فهم عنه[٢] الحاضرون إلا النعيم الجسمانى[٣] .

ثالثها : قال حملة الإنجيل قال يسوع لتلاميذه : إنى ذاهب أعد لكم مائدة[٤]، فى الملكوت لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا على كرسى[٥]. المجد[٦] .

---

(١) الجمل المعترضة ساقطة من التيمورية .

(٢) كلمة (عنه) ساقطة من التيمورية .

(٣) النص (وقال – أى المسيح – للذى دعاه إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقربائك ولا الجيران . . بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمى . فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك . لانك تكافيء فى قيامة الأبرار فلما سمع ذلك واحد من المتكئين قال له طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله . .) لوقا صح ١٤ / ١٢ : ١٥ .

(٤) فى التيمورية (بدنى) .

(٥) فى الأصل (كراسى) والتصويب من التيمورية .

(٦) ورد فى لوقا (وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا . لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى . وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر) لوقا صح ٢٢ / ٢٩ : ٣٠ .

رابعها : فى الإنجيل . شرب المسيح -عليه السلام- مع تلاميذه عصيرا وقال : إنى لست شاربا من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثا فى ملكوت السموات[١] .

خامسها : فى الإنجيل قال المسيح -عليه السلام- إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبى، فسمى الله تعالى أبا، أى يعامل بالإحسان كما يعامل الوالد . والنصارى إلى اليوم يقولون للقس (يابونا) لهذا المعنى . ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ** ﴾ [المائدة : ١٨] ومرادهم ما ذكرنا .

سادسها : فى الإنجيل قال المسيح – عليه السلام – (طوبى للجياع العطاش فإنهم يشبعون)[٢] .

سابعها : فى الإنجيل قال المسيح – عليه السلام – لتلاميذه . اعملوا لا للطعام الفانى بل للطعام الباقى فى هذه الحياة المؤبدة . لأن ذلك قد ختمه الله تعالى[٣] .

فصرح – عليه السلام – بأن فى الجنة الأكل والشرب والشبع والتفكه . وأما الجماع . فقال فى الإنجيل . من ترك زوجة أو بنين أو حقلا من أجلى فإنه يعطى فى الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة[٤] .

– فقد صرح بأنه يعطى فى الجنة مائة زوجة ومائة بستان لأن الحقل الكرم[٥] . وهذه النصوص كلها حجج على النصارى .

---

(١) ورد فى لوقا (ثم تناول كأسا وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم . لأنى أقول لكم إنى لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت الله . .) لوقا صح ٢٢ /١٧ : ١٨ .

(٢) ورد فى متى (طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون) متى صح ٥ /٦ .

(٣) النص (اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحيوة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه) يوحنا صح ٦ /٢٧ .

(٤) النص (وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو أمرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية) متى صح ١٩ /٢٩ .

(٥) الجملة ساقطة من التيمورية .

وأما اليهود فمن وجوه:

أحدها: فى السفر الأول من التوراة: أن الله تعالى غرس فردوسا فى جنة عدن وأسكنه آدم – عليه السلام –[1] وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل شهية الطعم. وتقدم إليه أنى قد جعلت جملة شجر الجنة لك مأكلا. سوى شجرة معرفة الخير والشر. ثم[2] قال الله تعالى. لا يحسن أن يبقى آدم وحده...[3] فألقى عليه سباتا ونزع ضلعا من أضلاعه ثم أخلف له عوضه لحما. ثم خلق الله تعالى من ذلك الضلع حواء فتزوجها آدم[4] فنصت التوراة على أن المأكولات فى الجنة.

ثانيها: فى السفر الأول. قبل أن تخسف بها يشبه فردوس الله تعالى[5].

ثالثها: فى السفر الأول. أما هابيل الشهيد فإنه يجزى بدل الواحد سبعة[6] وهو دليل على أن المكافأة من جنس العمل. وكان قد قرب من أبكار غنمه فوعده الله تعالى الواحدة بسبع.

رابعها: فى نبوة أشعياء عليه السلام. يا معاشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء المورد. ومن ليس له فضة فليذهب يستقى ويأكل ويتزود من الخمر واللبن[7] موافقة لقوله تعالى فى القرآن الكريم ﴿**فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ**

---

(١) النص فى التكوين (وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا. ووضع هناك آدم الذى جبله) تكوين صح٢/٨.

(٢) سقط من التيمورية فى هذين السطرين كلمة (كل – لك – ثم).

(٣) توجد هذه الجملة (وجد المآكل والزوجات) مكان النقط فى التيمورية.

(٤) راجع سفر التكوين – الإصحاح الثانى من ١٥ حتى ٢٦.

(٥) لم أقف على هذا النص عن طريق فهرست الكتاب المقدس وكذا القاموس وكذلك الأخذ بغلبة الظن كما أنه لا يوجد فى السامرية.

(٦) هذا النص غير وارد فى التوراة البابلية الآن وإنما ورد (لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه) تكوين صح ٤/١٥.

(٧) النص (أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه. والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا) أشعيا: صح ٥٥/١.

﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد: ١٥].

فقد تضافرت كتب اليهود والنصارى على النعيم الجسمانى وهو كثير فى كتبهم ولكنهم قوم لا يعقلون.

(تنبيه) كثر التنبيه على أحوال الآخرة فى شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيىء فى القرآن أكثر من ذكر البعث. وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى فقال: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [التغابن: ٧]. وهو كثير.

وخرج البيهقى مجلدا كبيرا فيما أملاه -عليه السلام- من أحوال القيامة[١] وسبب الإكثار عندنا من ذكره. أكثر [٢] من بنى إسرائيل من وجوه:

أحدها: أن بنى إسرائيل كثيفو الطباع، والتخويف بالمؤلمات المستقبلات والترغيب بالمثوبات المستقبلات إنما يؤثر فى وافر العقل كثير الحزم - متوفر اليقظة، وأما الكثيف الطبع فكالْبُهْم لا يؤثر فى زجرها[٣] إلا المنخاس المباشر لجلدها. وأما ما يأتى فى غد فلا يؤثر فى استصلاحها، ولما جعل الله تعالى هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس. وافرة الحلوم، كثيرة العلوم، شديدة الخشية، مراعية للعاقبة، خصها الله تعالى بذكر الأهم من أمر[٤] المعاد. ليتوفر عملها لمعادها، ويكثر للقاء الله استعدادها. واقتصر فى حق بنى إسرائيل بوعدها بعمارة بلادها. وصلاح أجسادها[٥] وتنمية - أرزاقها[٦] وأولادها.

---

(١) لم يرد شيىء من ذلك فى السنن وإنما نسب إلى البيهقى فى مؤلفاته ولعله مخطوط.
(٢) كلمة (أكثر) ساقطة من التيمورية.
(٣) فى التيمورية (جرمها)
(٤) كلمة (أمر) ساقطة من التيمورية.
(٥) فى التيمورية (وصلاح المؤلمات العاجلة أجسادها).
(٦) الكلمة من التيمورية.

وثانيها: أنهم كانوا عاتين متمردين. والمتمرد[1] إنما يتحدث معه[2] بالزواجر الحاضرة والمؤلمات العاجلة، وهذه الأمة أشرق إيمانها فى صدورها إشراق الشموس وأتت داعى ربها حين ناداها لهداها، أتت ماشية على الرؤوس، وقالوا له اقترح ما شئت فإنا له باذلون، ولسنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فعوملت بالتصريح عن المعنى الصحيح، وأطلعت على أسرار الغيب، لأنها لا يعتريها الريب، ولله در الشاعر حيث يقول:

والخل كالماء يبدى لى سرائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

ثالثها: أن الزمان [3] كان أبعد عن القيامة من زماننا – ولم يكونوا يرد عليهم شيىء من أشراط الساعة، ونحن قرب زماننا منها[4] ووردت آياتها علينا، وهو – عليه السلام – أول علامات الساعة[5] ثم وردت السنة بعلاماتها ووقع كثير منها، ونحن نباشره كما قال – عليه الصلاة والسلام – تلد الأمة ربتها[6] وتعالى رعاء الشاة فى البنيان. وتبيض القبور، وتشيد القصور، ولا يوقر الصغير الكبير، إلى غير ذلك مما وردت السنة به، فكنا بالحديث فى أمر الساعة، والإكثار منه أولى منهم.

رابعها: أنه سبق فى علم الله تعالى بعث محمد – صلوات عليه وعلى آله الطيبين والطاهرين وسلامه – وأنه يجعله أفضل الرسل وآخرهم[7].

---

(١) الكلمة ساقطة من التيمورية. (٢) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٣) فى التيمورية (زمانها). (٤) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٥) ذكر بعض العلماء ذلك. مستشهدا بقول الله تعالى: ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ**﴾ [النجم: ٥٦] قائلين إن اسم الإشارة يعود على النبى ﷺ كذلك الحديث الشريف (بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار إلى السبابة والتى تليها..) صحيح مسلم جـ ٤ / ٢٢٦٩.

(٦) صحيح مسلم . ك الإيمان. والشواهد اللاحقة مجموعة من مجموعة الأحاديث التى وردت فى علامات الساعة.

(٧) ختم الرسول للرسل ثابت بنص القرآن قال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وأما الأفضلية فقد صرح بها فى الحديث الشريف روى عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى. نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى. وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة – متن البخارى ط الشعب جـ١ / ٩١.

فأخر الله تعالى بسط ذلك ليخصه به، فيكون -عليه السلام- أكثر علما وإعلاما وهداية وإفهاما فتكون أمته أكثر فضلا على الأمم بالعلوم والمناقب كما فضل مذهبها فى شرعها على سائر المذاهب.

خامسها: أن هذا النبى الكريم. أوفر نصيبا من نعيم الآخرة من سائر الأنبياء عليهم السلام. وكذلك أمته أكثر اتساعا فى الآخرة[١] فى النعيم الجسمانى والنفسانى من سائر الأمم. وهم أكثر أهل النعيم عددا. كما قال -عليه الصلاة[٢] والسلام- إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة[٣] فزادوا على سائر الأمم نعيما وعددا.

فكان تخصيصهم ببسط أمر المعاد أنسب من غيرهم. فلذلك لاتجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران وما يتفق[٤] فى المحشر من الوقائع. وما يكون فى القبور قبل ذلك – وما علم منه – فإنه علم من أخبار هذه الأمة ولله الحمد[٥]. فالله تعالى هو المحمود حمدا يليق بجلاله على ما خصنا به من الرسالة المحمدية والكرامات الأبدية والمواهب السرمدية.

السؤال التاسع: قالت اليهود من العجائب أن المسلمين يدعون أن التوراة فيها تبديل وتغيير. وأنها ليست على وضعها المنزل من عند الله تعالى مع أنها منتشرة فى المشرق والمغرب. وسائر أقطار الأرض. وهى على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تغيير ولا تبديل[٦]. وينقلون عن قرآنهم أن فيه أن الله تعالى أخبر عنا أنا

---

(١) (فى الآخرة) ساقطة من التيمورية.

(٢) (الصلاة) مأخوذة عن التيمورية.

(٣) ورد فى مسند أحمد من حديث طويل (والله إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة..) مسند أحمد جـ١ / ٣٣.

(٤) ساقطة من التيمورية.

(٥) ساقطة من التيمورية. وقد ذكرت هذه الجملة (وما يجدوا منه فى هذه الملة...) وهى غير متفقة مع السياق.

(٦) الموجود الآن نسختان. التوراة البابلية، التوراة السامرية، وكل فرقة تدعى أن توراتها قد سلمت من التحريف وأن المحرفة هى توراة الآخرين. وقد ذكر الأستاذ أحمد حجازى السقا. النقاط التى خالفت فيها التوراة السامرية التوراة البابلية وذلك فى كتاب: التوراة السامرية فليرجع إليها من شاء.

نحرف الكلم عن مواضعه. مع أننا ما حرفنا ولا بدلنا وهذه كتبنا تحكم بيننا وبينهم. هل فيها تبديل أو لا[1]؟ فكيف يخبرون عنا بما لم يكن وذلك قدح عظيم فى حقهم.

الجواب على السؤال التاسع من وجوه:

(أحدها): أن أحبار اليهود يعلمون علما يقينيا. أن هذه التوراة ليست المنزلة على بنى إسرائيل بعينها. بسبب أن موسى -عليه السلام- صان التوراة عن بنى إسرائيل ومنعها منهم. وخص بها بنى عمه[2] أولاد لاوى وذلك قول التوراة (ويحنتوب موش آت هنورا هزوت ونبنياه الهكواهيم بنى لوى) تفسيره وكتب موسى هذه التوراة وأعطاها لأئمة بنى إسرائيل. وكان بنو هارون الأئمة قضاة اليهود وحكامهم[3] ولم يبذل موسى -عليه السلام- لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (ها أزينو) وهى التى علمها موسى -عليه السلام- لبنى إسرائيل. وذلك قول التوراة (ويحنتوب موشى آت مشيرا هزوت ويا مداه لبنى إسرائيل) تفسيره:

وكتب موسى – عليه الصلاة[4] – هذه السورة وعلمها بنى إسرائيل وهذا دليل على أن موسى – عليه السلام – لم يعط بنى إسرائيل إلا هذه السورة. ولم يكن بنو إسرائيل يعلمون من بقية التوراة شيئا.

---

(١) وردت آيات عدة تصرح بأن التوراة أصابها تحريف منها قول الله تعالى: ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٥] وقوله تعالى ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ** ﴾ [المائدة: ٤١].

(٢) فى التيمورية (ابن عمه أولاد لاوى).

(٣) ورد فى الخروج. أن الله أمر موسى بقوله (وتقدم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء. وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لى وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة. وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى. ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم..) صح ٤٠/ ١٢: ١٥.

(٤) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية.

ثم إن الهارونيين الذين خصوا بالتوراة لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنة. بل كان الحفظ فيهم لبعضها يقع بطريق الاتفاق وعلى سبيل الفضيلة كما يحفظ المسلمون التواريخ وغيرها. ليكون ذلك لهم فضيلة بين الناس لا أنهم مأمورون بها شرعا فإن كابروا فى ذلك نطالبهم بنقل خلافه من التوراة فلا يجدونه.

ثم قتل بختنصر الهارونيين على دم يحيى بن زكريا.

وكان أصل هذا أن يحيى بن زكريا –صلوات الله عليهما– أنكر على ملك بنى إسرائيل فى زمانه زواجه لابنة امرأته. فضرب عنقه ودفن[1]. فبقى كلما ردم فار الدم مع طول الأيام. حتى قدم بختنصر فقال ما هذا الدم. فقيل إنه يفور كلما ردم فار فقال إنه يقول: خذوا بثأرى. فقتل من بنى إسرائيل عليه سبعين ألفا. فسكن الدم[2]. فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وعدم كتابهم الذى بأيديهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التى كان يحفظها الكهنة ما لفق منه فى هذه التوراة التى بأيديهم. وذلك بعد سبعين سنة

(١) ورد فى متى (فإن هيردوس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك. ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب – لأنه كان عندهم مثل نبى – ثم لما صار مولد هيرودس رقصت أبنة هيروديا فى الوسط فسرت هيرودس. من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها. فهى إذا كانت قد تلقنت من أمها قالت أعطنى ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان. فاغتم الملك ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى. فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن فأحضر رأسه على طبق ودفع إلى الصبية فجاءت به إلى أمها..) متى ١٤ / ٣: ١١.

(٢) وردت روايات عدة فى أسباب غزو بختنصر لبلاد المقدس واستيلائه عليها. منها أنه غزاها بأمر لهراسب (ملك الفرس) على أثر نقض بنى إسرائيل للمعاهدة الواقعة بينه وبينهم. وقيل إن لهراسب كانت لديه نزعة السيطرة فأمر بختنصر بجلاء اليهود عن المقدس بسبب وثوب صاحب بيت المقدس على رسل لبهمن جاذويه. وقيل إنما حاربهم بسبب قتل يحيا بن زكريا. وأما العدد الذى أسره بختنصر فقد ذكره الطبرى فى تاريخه صفحة ١ / ٥٥٣ وتفصيل ذلك وارد فى تاريخ الطبرى من ١ / ٥٣٨ – ٥٥٧ ومقدمة الروض الأنف. أما القصة المذكورة فهى فى الكامل لابن الأثير صفحة ١ / ١٧٢ ط دار الكتاب العربى وهى منتقدة لأن بختنصر كان ق. م بحوالى (٦٠٦ سنة).

بعد بختنصر. فلذلك بالغوا فى تعظيم عزرا غاية المبالغة ويزعمون أن التوراة تنزل على قبره إلى الآن[1].

فالذى فى أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله تعالى.

وإذا اعتبرت فصولها دلت على أن الذى جمعها رجل جاهل بالصفات الربانية والآداب النبوية على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى. ولذلك نسبت إلى الله تعالى صفات التجسيم. والندامة على ما مضى من أفعاله. وأنه ندم على الطوفان[2]. وقد أقلع عن مثلها. وما زالت الأمم التى استولت عليهم كالكشدابين[3] والبابليين[4] والفرس[5] واليونان[6] والنصارى. يقصدونهم

(١) يعتبر اليهود (عزرا) مؤسس نظم اليهودية المتأخرة. ولقبوه بالكاهن والكاتب. لأنه كان دارسا مجتهدا. ومفسرا عميقا لوصايا الله وعهده لبنى إسرائيل. كما أنه واضع أساس المجمع الكبير. والذى يقوم فيه الربانيون اليوم مقام الكتبة فى زمن عزرا. ويعتقد اليهود أنه هو الذى جمع الكتاب المقدس (العهد القديم) ومنظمه ويمكن الوقوف على تاريخه بالتفصيل فى السفر المنسوب إليه والاعتقاد بتنزل الوحى عليه مرده إلى الثقافة اليهودية دون وجود نص يؤيد ذلك. ويمكن الرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس لمعرفة ذلك بشىء من التفصيل.

(٢) ذكرت التوراة أن نوحا قدم محرقات إلى الرب بعد النجاة (فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان. لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضا أميت كل حى كما فعلت).. التكوين صح ٨ / ٢١.

(٣) بالعودة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى ومراصد الاطلاع لعبد الحق البغدادى والروض المعطار فى أخبار الأقطار لمحمد عبد المنعم الحميرى - ومعجم ما استعجم لأبى عبيد الأندلسى لم أجد تعريفا لهذه الأمة.

(٤) إحدى المدن القديمة التى بنيت على شواطىء الفرات. يذكر رجال الحفريات أن الطبقة السفلى لبابل ترجع إلى نحو ٤٠,٠٠٠ ق.م بلغت ذروة مجدها فى القرن الثامن عشر (ق.م) فى عصر حامورابى. وكذلك فى القرن السادس (ق.م) فى عصر الملك نبوخذ نصر فى الأسرة الكلدانية (معجم البلدان ١ / ٣٠٨ : ٣١١).

(٥) إحدى الدول التى ذاع صيتها قبل الإسلام. وفى بدأها خلاف. فقيل إنها نسبت إلى فارس بن عام بن سام بن نوح وقيل فارس بن ما سور بن سام. وقيل فارس بن مدين.. الخ وكانت تحتل مكان إيران وقليل من الدول المجاورة لها. وقد امتدت قبل الإسلام من نهر بلخ إلى منقطع أذربيجان وأرمينية. وكذلك شملت عمان ومكران.. معجم البلدان ٤ / ٢٢٦.

(٦) من دول أوروبا لعبت دورا بالغا فى الحضارة الإنسانية وكانت مهد الفكر الإنسانى فى القرون الخمسة الأولى قبل الميلاد. وكانت أثينا فى ذلك الوقت مركز الإشعاع الفكرى. راجع أطلس - تاريخ القرن التاسع عشر. ص ٩٨ / ١٠١.

أشد قصد ويطلبون استئصالهم وخراب بلادهم. وحرق كتبهم حتى جاء الإسلام. فوجدهم تحت ذمة الفرس إلا يهود العرب[1]. وأشد من ذلك ملوكهم العصاة الطغاة الذين عبدوا الأصنام[2] وتركوا أحكام التوراة وشرعها الدهر الطويل. ومع تطاول هذه الآفات وتواترها من غيرهم ومنهم. ومنع الأمم لهم لاسيما الفرس منعوهم من الختان[3] والصلاة لعلمهم أن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار[4] وعلى العالم بالخراب سوى بلدهم التى هى أرض كنعان.

(١) كان بعض اليهود يقطن فى الشمال بتيماء وخيبر ومندل ويثرب ووادى القرى. والبعض الآخر كان باليمن ونجران. وقد سكنت الغالبية العظمى (يثرب) لوقوعها على الطريق التجارى الذى يمر بالحجاز وقد لعبت القبائل الثلاثة (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة). دورا خطيرا فى إضعاف شأن المسلمين إلا أن الله أطلع نبيه على مكائدهم ونصره عليهم فرحل عن المدينة (بنو قينقاع – وبنو النضير) وطلبت بنو قريظة التحكيم شريطة أن يكون الحَكَم أحد حلفائهم من المسلمين – قبل الإسلام – واختاروا سعد بن معاذ فحكم أن يقتل الرجال ويسبى النساء والذرية ونفذ الرسول الحكم لأنه طابق حكم الله.

(٢) فى التيمورية (الأجساد).

(٣) الختان عند اليهود فرض. بدليل أن الله خاطب إبراهيم بقوله (هذا عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون فى لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بينى وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم... وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهد..) تكوين ص ١٧ / ١٠: ١٤.

(٤) الصلاة عند اليهود تأخذ شكلين– (١) فردية وهى بالمعنى اللغوى – الدعاء – وهى التى يتلوها الكاهن وحده. كصلاة إبراهيم لشفاء أبيمالك(تكوين ٢٠ / ١٧) وصلاة إسحاق من أجل زوجته العاقر (تكوين ٢٥ / ٢١) وصلاة يعقوب لينجيه الله من انتقام عيسو (تكوين ٣٢ / ١١) وصلاة موسى ليصفح الله عن اليهود (التثنية ٩: ١٨ –٢٠) وصلاة شمشون ليعينه الله على الانتقام (قض ١٦ / ٢٨) الصلاة الجماعية مثل صلاتهم حين تعقبهم فرعون (الخروج ١٤ / ١٠) وصلاتهم كفارة عن القتل (التثنية٧ / ١٩: ٢١) والشكر عند تقديم الباكورات (التثنية ٢٦ / ٥ –١٠) وعند تقديم العشور (التثنية: ٢٦ / ١٣: ١٥) وأوقات الصلاة هى الثالثة والسادسة والتاسعة من النهار بما يوافق التاسعة صباحاً والثانية عشر ظهرا والثالثة بعد الظهر.. واليهود حين يشرعون للصلاة يخلعون أحذيتهم ويطأطئون رؤوسهم ويحنون أجسادهم ويسجدون حتى تمس رؤوسهم الأرض.. وكان اليهود أثناء الصلاة يعصبون على جباههم أو سواعدهم اليسرى علبة صغيرة مكعبة الشكل من الجلد يسمونها العصابة وكانت تحتوى على قصاصات من الورق أو الجلد مكتوب عليها أربع آيات من التوراة هى الخروج (١٢ / ٢: ١٠، ١٣: ١١ – ٢١) التثنية (٦ / ٤ :٩) والتثنية (١١ / ١٨ :٢١) وهم يستشهدون بما ورد فى الخروج (ويكون لك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك، لكى تكون شريعة الرب فى فمك، فيكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك). خروج ١٣ / ٩ :١٣ وكذلك التثنية (٦ / ٦ :٢٨، صح ١١ / ١٨) راجع المجتمع اليهودى زكى شنوده ص٢١٢.

ولذلك لما رأت اليهود ذلك. اخترعوا أدعية مزجوا بها فصولا من صلاتهم. وسموها بالخزانة. وساغوا لها ألحانا، وصاروا يجتمعون أوقات الصلاة على تلحينها وتلاوتها والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة. أن الصلاة بغير تلحين. يتلوها الكاهن وحده[1]. ولايجوز أن يجهر بالصلاة غيره. والخزانة تشارك فى الجهر بها جماعة. فكانت الفرس إذا أنكرت عليهم قالوا: نحن نلحن وننوح[2] على أنفسنا. فكفوا عنهم وعن دبرهم ذهب الفرس. وأقررناهم نحن على أديانهم وهم على الخزانة – وقد جعلوها[3] – عبادة من السنن المستحبة فى الأعياد والمواسم عوضا عن الصلاة. وهى من جملة دبرهم وتغييرهم لشرعهم. وقيل إن التوراة لما فقدت بالتحريف[4] والتقطيع بعد القتل[5]. أخبرتهم امرأة أن زوجها ترك[6] توراة مكتوبة مدفونة فى مكان فنبشوها بعد الدهر الطويل. فأخذوا منها ما تيسر. وتركوا منها ما تعفن وتعسر فهذا أصل توراتهم كما تراه.

مع أنهم مع هذا الأصل الواهى الذى لا يوثق بشىء منه. ليس على وجه الأرض منهم بشر يروى التوراة، عدلا عن عدل، بل هى تلفيقات مجهولات وتواريخ موضوعات[7] بحيث إن التواريخ الإسلامية خير منها. وأوضح بكثير.

---

(١) الجملة ساقطة من التيمورية ويوجد بدلا منها (يتلونها وحدها).

(٢) فى الأصل (بنوح) والتصويب عن التيمورية. (٣) ساقطة من التيمورية.

(٤) فى الأصل (بالتحريق) التصويب عن التيمورية. (٥) فى التيمورية (بعد القطع).

(٦) فى التيمورية (دفن).

(٧) بهذا يصرح قاموس الكتاب المقدس (ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتبا. وهم من جميع طبقات البشر. بينهم الراعى والصياد وجابى الضرائب والقائد والنبى والسياسى والملك الخ.. واستغرقت مدة كتابتهم ألفا وستمائة سنة وكان جميع هؤلاء الكتاب من الأمة اليهودية ما عدا لوقا..

وفى الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابة من نثر وشعر، وتاريخ وقصص، وحكم وآداب، وتعليم وإنذار، وفلسفة وأمثال، ومع أن الأشعار التى يتألف منها الكتاب تختلف من جهة وقت كتابتها وأسلوب الكتابة نفسه فانها لا تخرج عن كونها نظاما واحدا مؤسسا على وحى واحد، رغم التنوعات التى لابد منها فى الأحوال المختلفة التى كتب فيها الكتاب.. ويمكن الوقوف على اللغات التى كتب بها الأسفار والاصحاحات والآيات. وزمن الترجمة وأشهرها بالرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس من ص٧٦٢ إلى ٧٧٢.

لقرب عهد زمانها. فان بعد الزمان المفرط يقتضى مزيد عدم الوثوق أكثر. مع أن المسلمين لا يجيزون الاعتماد على التورايخ فى شىء من الأحكام ألبتة. وهم يجعلون هذه التلفيقات والتواريخ عمدة لمعادهم. وشريعة لخالقهم. ومانعة مما ورد -عليهم-[1] من الحق وهو غاية الخذلان. فظهر بهذا التقرير أن التوراة التى بأيديهم لا نقطع بها[2] ولا نظن[3] أن شيئا منها من عند الله تعالى وهو المطلوب.

وثانيها: أن فى التوراة أن داود -عليه السلام- (ممزير) وتفسيره عندهم أنه[4] ابن زنا. لأنه عندهم أنه ابن نيشاى[5] ابن عابد. وأم عابد يقال لها (روث المؤآبة) من بنى موآب. وقالوا فى موآب. لما أهلك الله تعالى أمة لوط عليه السلام. ونجا بابنتيه فقط. توهمت ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلا فقالت الكبرى[6] للصغرى إن أبانا لشيخ ولم يبق فى الأرض من يأتينا كسبيل البشر. هلمى نسقى أبانا خمرا ونضاجعه لنستبقى من أبينا نسلا ففعلتا. فولدت[7] إحداهما موآب بمعنى أنه من الأب والثانية سمت ولدها عمون[8] بمعنى أنه من قبيلتها والولَدَان عند اليهود أولاد زنا. لأنهما من الأب وابنتيه[9]. وداود عليه السلام عندهم من هذه الذرية فهو ولد زنا عندهم - لعنهم الله -

---

(١) كلمة (عليهم) من التيمورية.
(٢) كلمة (بها) من التيمورية.
(٣) - فى الأصل (لا يظن).
(٤) كلمة (إنه) ساقطة من التيمورية.
(٥) فى الأصل (بشاى).
(٦) الكلمة ساقطة من التيمورية.
(٧) فى الأصل (فوحدت).
(٨) فى التيمورية (ابن عم).
(٩) ورد فى سفر التكوين (وصعد لوط من صوغر. وسكن فى الجبل وابنتاه معه. لانه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه. وقالت الكبرى للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقى أبانا خمرا ونضجع معه فنحيى من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضجعت مع أبيها ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة، إنى قد اضجعت البارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة ايضا. وقامت الصغيرة واضجعت معه. ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنا.. ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم) تكوين ص١٩ / ٣٠ : ٣٨.

فما أجراهم على أعراض الأنبياء – عليهم السلام – بل على دمائهم ومثل هذه الحكاية كثير فى التوراة يسمونها النجاسات. وناهيك بكتاب مشتمل على النجاسات. فكيف[١] يليق نسبته إلى الله تعالى. فيقطع العاقل أن شرب لوط عليه السلام الخمر وزناؤه بابنتيه كذب مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء – عليهم الصلاة[٢] والسلام – وأن الله تعالى شرفهم نسبا وخَلْقًا[٣] وخُلُقا وسيرة وسريرة بحيث لا يوجد فى نسب نبى ولا شىء[٤] من أحواله. ما يكون سببا للطعن عليه وهو مقتضى الحكمة. وإلا لما صلح جعله رسولا عن الله تعالى. ولما حصلت حكمة الرسالة بسبب نفور الخلق منه. واهتضامهم لجهته بل أقل الملوك فى الدنيا لا يعتمد مثل هذا فكيف برب الأرباب، ثم تأمل كيف إذا سكر الشيخ الكبير يتأتى منه نكاح امرأتين ثم وطئهما وتحبيلهما[٥] معا فى الليلة الواحدة. فهذه[٦] القصة غارقة فى بحر البهتان. قاضية على التوراة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان. وسبب هذا الإفك العداوة التى ما زالت بين بنى إسرائيل وبين بنى عمون[٧]. وبين[٨] بنى موآب بعثت الواضع على تلفيق هذا المحال. ليكون عارا كبيرا فى بنى عمون[٩] وموآب لعنه الله فيما افترى لعنا كثيرا.

---

(١) فى الأصل (وكيف) والتصويب عن التيمورية.
(٢) كلمة (الصلاة) عن التيمورية. (٣) كلمة (خلقا) من التيمورية.
(٤) ساقطة من التيمورية. (٥) فى التيمورية (وحبلا).
(٦) ساقطة من التيمورية.
(٧) فى التيمورية (عمران) وهؤلاء كانوا يسكنون منطقة وسط المملكة الأردنية حاليا. وقد نالوا غضب الله لأنهم تحالفوا مع المؤآبيين ضد بنى إسرائيل وحكم أن لا يدخل أحد منهم فى جماعة الرب فى العهد القديم حتى الجيل العاشر. (تثنية ٢٣ / ٣ : ٦) ولم تكن علاقتهم مع بنى إسرائيل سليمة. وقد طالب أحد ملوكهم باسترداد أراضيه التى استولى بنوا إسرائيل عليها عند مجيئهم إلى البلاد (قض ١١ / ١٣) ولكنه خسر المعركة.. ثم إن اليهود حاربوهم فى عهد الموكابيين – وانتهى تاريخهم بالتدريج واندمجوا مع باقى سكان شرق الأردن – قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٠.
(٨) كلمة (بين) عن التيمورية وكذلك كلمة بعثت فى التيمورية (بعثتا).
(٩) فى التيمورية. (عمران).

وسبب العداوة أن موسى - عليه السلام - كان قد وضع الأمانة فى الهارونيين(١). ثم استولى الداوديون عليهم. فكان المرتب لهذه التوراة هارونيا فظهر اشتمال التوراة على التغيير والبهتان وهو المطلوب.

(وثالثها)(٢) فى التوراة. قال الله تعالى لإبراهيم - عليه السلام - لقد وصل إلىّ إثم سدوم وعامور (٣). فقلت أنزل الآن فأنظر(٤) هل منعوا وأثموا كما بلغنى وإلا عرفت ذلك. وفى هذا الكلام نسبة البارى تعالى إلى عدم العلم بالمغيبات. ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق. وأنهم متهمون عند الله تعالى.

وهذا كلام فى غاية البعد عن جلال الربوبية والملائكة الكرام. فيقطع العاقل بكذبه فتكون التوراة مشتملة على الكذب والتغيير وهو المطلوب.

(ورابعها) فى التوراة أن إبراهيم عليه السلام أطعم الملائكة خبزا. وصنع لهم عجلا سمينا. وسقاهم لبنا وسمنا(٥). وأن لوطا عليه السلام أطعمهم

---

(١) نسبة إلى هارون أخ موسى - عليه السلام - وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين فى بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل فى سنة ٧٠م. وكانت الكهانة بالأمر الصادر إلى موسى عليه السلام (وتُقَدِّم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لى. وتقديم بنيه وتلبسهم أقمصة. وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى. ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم. ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب. هكذا فعل) خروج ٤٠ / ١٢ : ١٦.

(٢) فى التيمورية (وثانيها) وهو خطأ.

(٣) (وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر. وخطيتهم قد عظمت جدا. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلىّ وإلا فاعلم..) تكوين صح ١٨ / ٢٠ : ٢١.

(٤) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٥) ورد فى التكوين (إن الملائكة أتوا إبراهيم على هيئة رجال فقال لهم: ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لانكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت. فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة. وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقا سميذا. اعجنى واصنعى خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فاسرع ليعمله ثم أخذ زبداً ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم. وإذا كان هو واقف لديهم تحت الشجرة أكلوا..) تكوين صح ١٨ / ٤ : ٨.

فطيرا[١]. مع أن أهل الكتاب ينكرون قول المسلمين بالنعيم الجسمانى. ويقولون لا طعام فى الجنة ولا شراب ولا نكاح. بل حال أهل الجنة كحال الملائكة، لا يأكلون ولا يشربون[٢]، وهذه غفلة عظيمة فان كان هذا صحيحا فإنكارهم على المسلمين باطل، وإن كان باطلا فتكون التوراة مشتملة على الباطل، فهى مشتملة على الباطل على كل تقدير، مع أننا[٣] نقطع أن الملائكة صلوات الله عليهم. لم يأكلوا عندهما شيئا. لقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ** ﴾ [هود: ٧٠]

(وخامسها) فى التوراة جمع إسرائيل – عليه السلام – بين أختين فى عصمته. وهما إليا[٤] وراحيل ابنتا لأبَان. والجمع بين الأختين حرام بنص التوراة[٥] وهم

---

(١) ورد فى التكوين أن الملكين مرا بلوط (فالح عليهما جدا. فمالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبزا وفطيرا فأكلا.) تكوين صح ١٩/٣.

(٢) هذا هو أحد رأى فريقى النصارى. حيث انهم يؤمنون بالبعث والجنة والنار. ولكنهم مختلفون فى كيفة النعيم. هل هو بالجسد والروح أو بالروح فقط. وما ذكره الإمام القرافى له شاهد فى الإنجيل فقد ورد (وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة وسألوه قائلين يا معلم كتب لنا موسى إن مات لأحد أخ وترك امرأة ولم يخلف أولادا أن يأخذ أخوه امرأته ويقيم نسلا لأخيه. فكان سبعة إخوة أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسلا. فأخذها الثانى ومات ولم يترك هو أيضا نسلا. وهكذا الثالث. فأخذها السبعة ولم يتركوا نسلا. آخر الكل ماتت المرأة أيضا ففى القيامة متى قاموا لمن منهم تكون زوجة. لأنها كانت زوجة للسبعة. فأجاب يسوع وقال لهم أليس لهذا تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم متى قاموا من الأموات لا يُزَوَّجون ولا يُزَوِّجون بل يكونون كملائكة فى السموات) مرقس ١٢/ ١٨ : ٢٥.

(٣) فى التيمورية (لأنا).

(٤) التسمية الواردة فى التوراة (ليئة). راجع تكوين صح ٢٩ – ١٦ والعشرين وهو يتحدث عن زواج يعقوب من ابنتى لأبَان. وأما نصوص الحرمة فقد ورد فى سفر اللاويين ١٨/١٨ (ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حيازتها).

(٥) نص الحل وارد فى سفر التكوين الاصحاح التاسع والعشرين وهو يتحدث عن زواج يعقوب من ابنتى لابان. وأما نصوص الحرمة فقد وردت فى سفر اللاويين الإصحاح الثامن عشر الآية الثامنة عشرة.

لا يعترفون بالنسخ[١]. فيكون هذا كذبا على إسرائيل - عليه السلام - لأنه معصوم، ونبى مكرم، يجل عن الوطىء الحرام وهو دليل اشتمال توراتهم على الكذب والبهتان وهو المطلوب[٢].

(وسادسها) فى السفر الأول من التوراة. أن الله تعالى لما رأى معاصى بنى آدم قد كثرت على الأرض قال لقد ندمت إذ خلقت آدم، فأرسل - الطوفان فأباد[٣] ما على الأرض من الحيوان. وأنه لما فعل ذلك ندم أيضا. قال لا أعود أفعل ذلك[٤]. وهو كلام يقتضى أن الله تعالى لا يعلم ما سيكون وأنه تعتريه

---

(١) يرى اليهود أن الشريعة لا تكون إلا واحدة. وقد ختمت بموسى - عليه السلام - وينكرون وجود رسالة أخرى لأن ذلك يعنى الموافقة أو المخالفة. فان كانت موافقة فهى عبث وإن كانت مخالفة فذاك بداء. والبداء على الله محال.

(٢) ورد فى سفر التكوين (ثم قال لأبان ليعقوب. ألأنك أخى تخدمنى مجانا أخبرنى ما أجرتك. وكان للابان ابنتان اسم الكبرى ليئة واسم الصغرى راحيل. وكانت عينا ليئة ضعيفتين وأما راحيل فكانت حسنة الصورة وحسنة المظهر. وأحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى. فقال لابان: إن أعطيها إياك أحسن من أن أعطيها لرجل آخر أقم عندى. فخدم يعقوب براحيل سبع سنين وكانت فى عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها.

ثم قال يعقوب للابان أعطنى امرأتى لأن أيامى قد كملت فأدخل عليها فجمع لابان جميع أهل المكان. وصنع وليمة. وكان فى المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها وأعطى لابان زلفة جاريته لليئة ابنته جارية. وفى الصباح إذا هى ليئة. فقال للابان ما هذا الذى صنعت بى. أليس براحيل خدمت عندك. فلماذا خدعتنى. فقال لابان لا يفعل هكذا فى مكاننا أن نعطى الصغيرة قبل البكر. أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التى تخدمنى أيضا سبع سنين أخر. ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه فأعطاه راحيل ابنته زوجة له. وأعطى لابان راحيل أبنته بلهة جاريته جارية لها. فدخل على راحيل أيضا وأحب أيضا راحيل أكثر من ليئة) تكوين صح ٢٩/ ١٥: ٣٠.

(٣) الجملة من التيمورية.

(٤) النص (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم) تكوين صح ٦/ ٥: ٧.

صفات البشر من الندم والبدأ والأسف، ومن العجب أنهم ينكرون النسخ لئلا يلزم البدأ[1] وهم يعتقدون البدأ والندم فما أدرى – من أى أمرهم –[2] أعجب. ثم فى هذا الكلام الندم والندم على الندم. وهو لو فعله والى ضيعة لاستحق العزل. فكيف يليق نسبته إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى عن قول هذه الطائفة الملعونة وذلك أبلغ دليل على اشتمال توراتهم على الكذب والجهل والكفر فضلا عن التبديل والتغيير.

(وسابعها)[3] فى التوراة أن نوحا – عليه السلام – نام فى خيمته فكشفت الريح عورته. فضحك منه ابنه حام فدعا عليه وعلى عقبه[4] فأين هذا الخلق الذميم والطبع السقيم والعقوبة العظيمة على من جنى. وعلى من لم يجن على جناية صغيرة من خلق العقلاء – فضلا عن الأولياء[5] فضلا عن الأنبياء. وهل هذا إلا من ترهات العوام. وخرافات العجائز اتخذته اليهود قرآنا يقرأ، وجعلوه مما أنزل من عند الله تعالى. كلا والله – تعالى الله –[6] عما يقولون علوا كبيرا وجلت رسله ورسائله عن هذا الافتراء – علّوا كثيرا[7].

(وثامنها) فى التوراة أن رؤبين بكر يعقوب عليه السلام زنا بسرية أبيه

---

(١) راجع صفحة (١٧٤ – ١٨٠) من هذا الكتاب.

(٢) الجملة من التيمورية.

(٣) هذا الرقم ساقط من الأصل ومأخوذ عن التيمورية.

(٤) ورد فى التكوين (وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا. فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره. علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته. وقال مبارك الرب إله سام) تكوين صح ٩ / ٢٠ : ٢٦.

(٥) مأخوذة عن التيمورية.

(٦) مأخوذة عن التيمورية.

(٧) مأخوذة عن التيمورية.

يعقوب – عليه السلام – وافترشها، فلما حضرت يعقوب الوفاة قرعه وعيره بين إخوته وقال له نجست فراشي وامتهنته ولست أعطيك السهم الزائد[١].

وكان من سُنّة إبراهيم – عليه السلام – توريث البكر سهمين وغيره سهما[٢] فأى حكمة فى ذكر هذه القبائح فى التوراة يعير بها سبط عظيم ومآثر الآباء مفاخر الأبناء.

ثم فيه من التناقض أن فى التوراة أن إبراهيم – عليه السلام – ورث ماله ولده إسحاق وحرم إسماعيل[٣]. مع أن فى هذا الفصل أنه كان يورث البكر سهمين وغيره سهما وهى غفلة من اليهود. وجهالة بكتب الله تعالى وما دخلها من التبديل والتغيير، وأنتم معاشر المسلمين تعلمون أن سيد البشر[٤]. محمد بن عبد الله بن عبد المطلب[٥] – صلاة الله عليه – قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقَة[٦]. فأخبر عن جميع الأنبياء – عليهم السلام – أنهم لا يورثون. وهؤلاء يخبرون فى توراتهم أنهم يورثون. فيكون خبر المعصوم مقدما على خبرهم. وإخبارا عن تبديل هذا الموضع وهو المطلوب.

(وتاسعها) فى التوراة أن يهوذا بن يعقوب عليه السلام. زنا بكنته ثامور

---

(١) ورد فى التكوين (رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى. فضل الرفعة وفضل العز. فائرا كالماء لا تتفضل. لأنك صعدت على مضجع أبيك. حينئذ دنسته على فراشى صعد) تكوين صح ٤٩ / ٣ : ٤.

(٢) ورد فى التثنية (إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة. فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية) تثنية ص ٢١ / ١٥ : ١٧.

(٣) ورد فى التكوين (وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة. فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا. وولد يشقان شبا وودان... وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له. وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حى) تكوين صح ٢٥ / ١ : ٦.

(٤) فى الأصل (المرسلين) والسياق عن التيمورية وهو أشمل.

(٥) الجملة ساقطة من التيمورية. (٦) فتح البارى جزء ٨ صفحة ١٢.

ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه وأنها حملت منه وصار شهرة فى بنى إسرائيل[١] مع أن فى التوراة أنه كان حظيا عند أبيه. ودعا له بتخليد الملك والنبوة فى عقبه[٢]. فلا نبوة يهوذا صانوها عما يليق بأدنى السفلة من الفاحشة وسوء السمعة ولا دعاء يعقوب – عليه السلام – صانوه عن عدم الإجابة. بل أعقبوه بالعار والفضيحة. وذلك كله ينافيه ما للأنبياء – عليهم السلام[٣] – من العصمة بل ما وجب لهم من صون الله تعالى لهم فى جميع أحوالهم – وعلو هممهم –[٤] عما يوجب وصمهم واحتكارهم في نفوس شيعهم وأممهم. وذلك دليل التبديل والافتراء والكذب والبهتان على الله تعالى وعلى خاصته صلوات الله عليهم أجمعين.

(وعاشرها) فى التوراة أن دينا ابنة يعقوب – عليه السلام – خرجت فرآها مشرك وهو سحم بن حمور رئيس القرية فافترشها. وأنزل العار بيعقوب عليه السلام. فتوسل[٥] أبوه حمور إلى يعقوب – عليه السلام – وآمن والتزم الأحكام هو وأهل القرية. وأن بنى يعقوب قالو لأهل القرية. إن احييتم سنتنا وديننا. فاختتنوا لنصير شعبا واحدا. ومكروا بهم فلما اختتن كل أهل القرية دخلوا عليهم بالسلاح وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا

---

(١) ورد فى سفر التكوين (ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا. ثم تعزى فصعد إلى جزاز غنمة إلى تمنه هو وحيرة صاحبه العدلامىّ، فأخبرت ثامار وقبل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنما. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنة. لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة. فنظرها يهوذا وحسبها زانية. لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاتى أدخل عليك، لأنه لم يعلم أنه كنته، فقالت ماذا تعطينى لكى تدخل علىّ. فقال إنى أرسل جدى معزى من الغنم. فقالت هل تعطينى رهنا حتى ترسله. فقال ما الرهن الذى أعطيك. فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك. فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها. ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك. وها هى حبلى أيضا من الزنا. فقال يهوذا أخرجوها فتحرق. أما هى فلما أخرجت أرسلت الى حميها قائلة من الرجل الذى هذه له أنا حبلى. وقالت حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه. فتحققها يهوذا وقال هى ابرأ منى..) تكوين ٣٨ / ١٢ : ٢٨.

(٢) النص (يهوذا إياك يحمد إخوتك. يدك على قفا أعدائك يسجد لك بنو أبيك) تكوين ٤٩ / ٨.

(٣) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية.

(٤) الجملة من التيمورية.

(٥) فى الأصل (فتنصل).

أموالهم وحريمهم ولما علم يعقوب – عليه السلام – بالقصة. هرب ليلا على جمل خوفا وترك البلاد فحكموا على الأنبياء أولاد يعقوب – عليه السلام – بأنهم قتلوا المؤمنين. ومن لم يؤذهم لسبب من الأسباب. وانتهبوا الأموال والحريم بعد صدور الإسلام[1] منهم والإنابة إلى الله تعالى. المقتضين لحسن المعاملة وبسط الإحسان. وهذه أمور لا تليق لأدنى السفلة من ذوى المروءات فضلا عن الأنبياء – عليهم السلام – مع أن هذه الأشياء ينقلونها – على سبيل نقل التواريخ[2] – يسمونها النجاسات. لا أن الله أوحى بذلك إلى موسى – عليه السلام – فأى صواب فى نقل النجاسات الكاذبة والفضائح المستمرة على مر الأيام. لا سيما فى حق الأنبياء عليهم السلام. وإذا استهانوا بالتوراة إلى هذه الغاية فأى وثوق يبقى بما فيها. بل أقل التواريخ الإسلامية أثبت لقرب زمانه.

(الحادى عشر) فى التوراة قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام. إن ذريتك ستستعبد بمصر أربعمائة سنة[3]. وقال مؤرخوهم لم يمكثوا إلا مائتين وثلاثين سنة[4] والخلف على الله تعالى محال. فهم وكتبهم الكاذبون.

---

(١) النص فى التكوين (وخرجت دينه ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها، وتعلقت نفسه بدينه ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة. فكلم شكيم حمور أباه قائلا خذ لى هذه الصبية زوجة. وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنته..) وتستمر التوراة فى سرد القصة المذكورة حتى سلم القوم بما دعاهم إليه حمور وشكيم ابنه (فسمع لحمور وشيكم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة. واختتن كل ذكر. كل الخارجين من باب المدينة. فحدث فى اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابنى يعقوب (شمعون ولاوى) أخوى دينة أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر. وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف.. ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا أختهم.) تكوين صح ٣٤/١: ٢٨.

(٢) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٣) ورد فى التكوين (ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على إبرام سبات. وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لابرام اعلم أن نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم. فيذلونهم أربع مئة سنة) تكوين صح ١٥/١٢: ١٣.

(٤) ذكرت كتب التاريخ أن بنى اسرائيل أتوا إلى مصر زمن الريان بن الوليد الهروان. وظلوا مقيمين بها حتى زمن الوليد بن مصعب. ومن يوفق بين التواريخ لا يستطيع القطع بزمن محدد ويمكن الرجوع إلى الطبرى فى تاريخه ١/٤٧٦ – ٤٩٥، الكامل لابن الأثير ١/٧٨ – ١١٢ والبداية والنهاية ١/١٩٧ – ٢١٦.

(الثانى عشر) فى التوراة فى نسخة منها أن آدم - عليه السلام - عاش مائة سنة وثلاثين سنة . ثم ولد على شبهه ولدا. فسماه شيثا[١]. وفى نسخة أخرى لم يرزق شيثا إلا بعد مائة[٢] وخمسين سنة. وعاش بعد ولادته ثمانمائة سنة. فكان جميع عمره تسعمائة سنة وثلاثين سنة.

وفى نسخة ألف وثلاثون سنة. ثم عاش شيث مائة وخمسين سنة فولد أنوش[٣] وعاش بعد ولادة أنوش تسعمائة واثنتى عشرة سنة[٤]. وفى نسخة أخرى تسعمائة وسبع سنين. واستمر هذا التكاذب والتناقض فى مشاهير أولاد آدم عليه السلام. وإذا كان هذا تحريفهم وتبديلهم وتهاونهم فيما لا غرض لهم فيه من أعمار الأنبياء - عليهم السلام - وفضائح أسلافهم ومعظمى رسلهم. فكيف يكون حالهم فى كذبهم على رسول الله[٥]. محمد بن عبد الله - ﷺ - وما يتعلق لهم به من غرض. ولنقتصر على هذا القدر. فهو أمر يملأ الصحف وتصد به الأسماع والقلوب. وإنما القصد بيان كذبهم فى قولهم إن التوراة فى غاية الضبط والتحرير وأنها سالمة من الكذب والتحريف. وقد ظهر ما هى عليه من عدم النظام[٦].

(الثالث عشر) فى آخر السفر الخامس. أن موسى - عليه السلام - توفى

---

(١) فى النسخة البابلية (وعاش آدم مئة وثلاثين سنة وولد ولدا على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا) تكوين صح ٥/ ٣.

(٢) بالرجوع إلى التوراة السامرية لم أجد ذلك. ولعل الخطأ وقع فى طبعة بابلية أخرى غير المتداولة الآن أو أن ذلك مما جرى عليه التعديل.

(٣) وعاش شيث مئة وخمس سنين وولد أنوش (تكوين صح ٥ -٦).

(٤) فى النسخة البابلية (وعاش شيث بعد ما ولد أنوش ثمانى مئة وسبع سنين وولد بنين وبنات. فكانت كل أيام شيث تسع مئة واثنتى عشرة سنة ومات) تكوين الإصحاح ٥/ ٧: ٨.

(٥) جملة (رسول الله) ساقطة من التيمورية.

(٦) الجملة المعترضة مأخوذة عن التيمورية وساقطة من الأصل.

في أرض موآب – ودفن في الوادى من أرض موآب[1] – بإزاء بيت فغورا. ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم.

وكان قد أتى على موسى – عليه السلام – إذ توفى مائة وعشرون سنة ولم يضعف بصره، ولم يتشنج وجهه، وبكى بنو إسرائيل على موسى – عليه السلام – ثلاثين يوما في غريب موآب. فلما تمت أيام حزنهم على موسى – عليه السلام – امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة لأن موسى – عليه السلام – كان قد وضع يده على رأسه في حياته[2]. وكان بنو إسرائيل يطيعونه، ويعملون كما أخبر الرب موسى، هذا آخر كلام التوراة. وهو تاريخ حدث بعد موسى عليه السلام بالضرورة. فهو من غير المنزل قطعا. بل هو كلام القائل ولم يعرف إنسان موضع القبر إلى اليوم الذى كتب فيه هذا التاريخ، ولا يعترفون بأن التوراة زيد فيها ما ليس فيها. بل الجميع عندهم كلام الله تعالى، وهو جهل عظيم منهم، وإذا زيد فيها مثل هذا أمكن أن يقال: إن تلك الحكايات الركيكة زيدت بالأهوية والأغراض وليست منزلة من عند الله تعالى بل يسقط الاحتجاج بجميع التوراة. لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح. فلا يوثق بشيء بعد ذلك. ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون مما زيد وهو محرم كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة يحرم الجميع والذى يغلب على الظن أن السفر الأول الذى هو سفر البدأ والأنساب زيد بجملته وهم لا يشعرون.

---

(١) الجملة المعترضة مأخوذة عن التيمورية.

(٢) الحديث عن وفاة موسى ونعى بنى إسرائيل عليه وارد فى سفر التثنية الإصحاح الرابع والثلاثين آية ٧ : ٨ – وعن يشوع بن نون ورد (ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى) تثنية صح ٣٤ / ٩.

وما أشار إليه الإمام القرافى من التدوين بعد الوفاة فى غاية الوضوح بدليل أنها نسبت إلى موسى – عليه السلام – فى سفر التثنية الحديث عن قبره بعد وفاته (ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه. فى جميع الآيات والعجائب.) تثنية صح ٣٤ / ١٠ : ١١ وهذا يدل على أن كاتب التوراة إنسان عاش بعد موسى عليه السلام مدة من الزمان وقارن بين شريعة موسى وشرائع التابعين فوجد أن موسى قد تحقق له من العطاء ما لم يتحقق لغيره من حيث: المكالمة والاصطفاء والصبر على الايذاء الخ.

ولا يقبل عقل أن يكون هذا الكلام على لسان موسى عليه السلام.

(الرابع عشر) أنه قد تكرر فى التوراة . وكلم الرب موسى . وقال له اقبض حساب بنى إسرائيل . وكلم الرب موسى وقال كلم بنى إسرائيل[1] وهذه العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالى . ولا من كلام موسى – عليه السلام – بل هى حكايات من قول الغير لمعنى ما وقع ولعل هذا الحاكى أخل باللفظ والمعنى أو بالمعنى وحده ولم يثبت عندنا عدالته ولا معرفته بل لعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل والتغيير فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا يجوز الاعتماد على شيء منها وأنها مغيرة قطعا .

(الخامس عشر) إن اليهود تعترف بأن سبعين كوهانا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة بعد المسيح – عليه السلام – فى زمن القياصرة . ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله تعالى كفر[2] – وتحريفه لا يوثق به فيما يدعى أنه كتاب الله تعالى . إذ لعله مما حرفه[3] – والكوهان هو المتقدم فى أصول ديانتهم وصاحب هيكلهم ولا يكون إلا من ولد هارون – عليه السلام – واتفق اليهود على أن التوراة ما كانت توجد إلا عند الكوهان وحده فإذا كان هذا ثناؤهم الجميل . فعلى من يحصل التعويل . بل يجزم العاقل[4] بوقوع التغيير والتبديل .

(السادس عشر) طائفة من اليهود يقال لهم السامرية[5] . ! اتفق اليهود

---

(١) أسلوب الغيبة لا يدل على قطعية الإيحاء . فالأولى أن يقول موسى – عليه السلام – كلمنى الرب . ورجوت الرب – أمرنى الرب . . الخ أما قوله وكلم الرب موسى فهو يدل على حديث الغير عن موسى – عليه السلام – .

(٢) – كلمة (كفر) مأخوذة عن التيمورية ومراده بذلك الترجمة السبعينية للتوراة التى تمت فى الاسكندرية .

(٣) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية .

(٤) فى الأصل (الطفل) والتصويب عن التيمورية .

(٥) ظل بنو إسرائيل (أبناء يعقوب عليه السلام) عصبة واحدة مدة من الزمان . ابتدأت بإقامتهم فى مصر . وانتهت بوفاة سليمان عليه السلام حيث انقسمت المملكة بعد وفاته إلى مملكتين .

=

على أنهم حرفوا التوراة تحريفا شديدا. والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف. ولعل الفريقين صادقين. فأين حينئذ فى التوراة شيىء يوثق به مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود فكفونا بأنفسهم عن أنفسهم[١]. وكذلك النصارى أيضا. يدعون على اليهود أنهم حرفوا فى التوراة والتواريخ. ونقصوا من تاريخ آدم – عليه السلام – وتقدموه. وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بعد تحريف التوراة إلا معاند متعسف.

فإن قالوا: فقد كان النبيون – صلوات الله عليهم – يحكمون بها إلى زمن المسيح – عليه السلام – والأنبياء – عليهم السلام – [٢] معصومون عن الباطل. وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون. فإنهم وافقونا على حكم النبيين بها. لقول القرآن (يحكم بها النبييون)[٣].

= الأولى: تتكون من سبط يهوذا وبنيامين ونفر من سبط لاوى. وقد اتخذت مدينة القدس عاصمة لها. وادعت أن جبل صهيون هو جبل الله الذى قدسه وعظمه. وقد غلب عليهم اسم العبرانيين. وسميت مملكتهم بمملكة (يهوذا) لأن الحكام كانوا من هذا السبط. كما سميت توراتهم بالعبرانية.

الثانية: تتكون من بقية بنى اسرائيل. وقد اتخذت مدينة نابلس (شكيم) عاصمة لها. وقالت إن جبل جرزيم هو الجبل الذى قدسه الله وعظمه. وهؤلاء سموا بالسامريين نسبة إلى جبل شامر التى صحفت فصارت سامر، كما أن مملكتهم سميت بدولة (إسرائيل) نسبة إلى الجد الأول. وكان حكام هذا السبط من نسل إفرايم وتعرف توراتهم بالسامرية. وتختلف توراتهم عن توراة البابليين فى الأمور التالية:

١– لا يعترف السامريون بغير الأسفار الخمسة الأولى.

٢– الاعتراف بيوم القيامة وارد فى أسفارهم غير وارد فى أسفار العبرانيين.

٣– توجد مغايرة فى كثير من الأحكام التعبدية. يمكن الوقوف عليها فى كتاب (التوراة السامرية) ط دار الأنصار.

(١) فى التيمورية (عن غيرهم).

(٢) الجملة مأخوذة عن التيمورية.

(٣) جزء من آية من سورة المائدة. رقم ٤٤.

قلنا الجواب من وجهين:

(أحدهما) لعل النبيين - عليهم السلام - كان يوحى إليهم بالصحيح منها.

(ثانيهما) نسلم[1] ان كل شيىء حكموا به هو صحيح. فلم قلتم إنهم حكموا بجملتها ثم الذى حكموا به غير معين. فسقط الاستدلال بالجميع. ولا يفيدكم حكمهم شيئا. ثم إن التغيير لم يتعين له زمان. فلعله كله وقع بعد[2] النبيين. حتى[3] بعد المسيح - عليه السلام -.

(السابع عشر) فى التوراة فى سفر ملاحيم أن داود - عليه السلام - اطلع من قصره فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل فى دارها[4] فعشقها وبعث إليها.

---

(١) الكلمة ساقطة من التيمورية. (٢) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٣) الكلمة ساقطة من التيمورية ويلاحظ أن النسخ الأولى للتوراة قد فقدت. وليس لدى اليهود دليل قطعى على أن السند متصل. وإنما هى دعاوى قائمة على غلبة الظن فى صحة النسبة مع مراعاة أن الحقائق العلمية لاتؤخذ بالظن بل لابد فيها من اليقين. خاصة ما ينسب إلى الحق جل وعلا.

(٤) ورد فى التوراة – وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جدا. فأرسل داود وسأل عن المرأة. فقال واحد أليست هذه. بثشبع بنت أليعام. امرأة أوريا الحثى. فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى. فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثى. فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب... وقال داود لأوريا.... أما جئت من السفر. فلما لم تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذ ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء. وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك. فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره.. وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا... وقد ضمنه (اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب. فسقط بعض الشعب من عبيد داود. ومات أوريا الحثى أيضا فأرسل وأخبر داود بجميع أمور الحرب... فإن اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال. أما علمتم أنهم يرمون من على السور من قتل أبيمالك بن يربوشث. ألم ترمه امرأة بقطعة رحا من على السور. فمات فى تاباص. لماذا دنوتم من السور. فقل قد مات عبدك أوريا الحثى أيضا. فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب.. ولما مضت المناحة أرسل داود إلى المرأة وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا) صموئيل الثانى صح ١١ / ٣ : ٢٧.

فحبسها أياما حتى حملت ثم ردها. وكان زوجها يسمى أوريا غائبا فى العسكر. ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت به إلى داود - عليه السلام - فبعث داود عليه السلام إلى - أدوناب بن صور[١] - قائده على العسكر يأمره أن يبعث إليه بأوريا فجاءه. فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر. وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها فينسب الحمل إليه. ففهم أوريا ذلك. فتجانب ولم يمش[٢] إلى أهله. فلما يئس داود - عليه السلام - منه. رده إلى العسكر وكتب إلى القائد. أن يصدر به القتال مستقتلا له. فقتل أوريا[٣] - وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف. ففزع القائد من داود - عليه السلام - لقتل العدد العظيم. وقال للرسول: إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ورأيته قد غضب. فقل له سريعا إن أوريا قد قتل فيهم. ففعل الرسول وسكن داود - عليه السلام - بعد الغضب وسُرَّ بموت أوريا. وهانت عليه من أجل موته[٤] دماء المؤمنين.

فانظر هذه الفواحش الشديدة[٥] المنكرة والصفات المستقذرة هل تليق بأولى الديانات فكيف بمعدن النبوات. وهل يحسن ذكرها من ذوى المروآت. فكيف يوحى بها إله الأرض والسموات. فلعنهم الله لعنًا كبيرا دائما أبدا. ما أجرأهم على الله تعالى وعلى رسله. ولو لم يكن فى التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها وأنها لفقت بالأهوية والأغراض.

(الثامن عشر) فى التوراة فى سفر ملاحيم. أن سليمان بن داود - صلوات الله عليهما - ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر[٦] كذبوا. قاتلهم الله أنّى

---

(١) مأخوذة عن التيمورية. (٢) فى التيمورية (ولم يسير).

(٣) كلمة (أوريا) ساقطة من التيمورية. (٤) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية.

(٥) فى الأصل (العديدة) والتصويب عن التيمورية.

(٦) ورد فى الملوك الأول (وكان فى زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين. وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشرفى عينى الرب. ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن. ويذبحن لإلهتهن. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين. وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب) الملوك الأول صح ١١ / ٤ : ١٠.

يؤفكون. وصدق الله العظيم وكتابه الكريم ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فلعنة الله ولعنة الملائكة أجمعين عليهم وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين.

ثم هذه الحكايات القبيحة والأكاذيب الشنيعة التى فى التوراة تبطل من أن التوراة بما فيها من الثناء العظيم. على هؤلاء الرسل الكرام. ثناء يتعذر معه مقاربة هذه الأمور. فضلا من ملابستها. وإذا أمعنت النظر فى الفصلين جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات. وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغييرات. ولنقتصر على هذا القدر من كذبهم[١]. لأنه[٢]. أمر يملأ الصحف وتصدأ له الأسماع والقلوب. وإنما القصد بيان كذبهم فى قولهم. إن التوراة فى غاية الضبط والتحرير – سالمة من الكذب والتحريف[٣]. وقد ظهر ما هى عليه من عدم[٤] النظام. واشتمالها على ما يقطع بكذبه فى حق الله تعالى. وفى حق أنبيائه ـ عليهم السلام ـ.

(السؤال العاشر) قال الفريقان الملعونان اليهود والنصارى إن دين المسلمين فى غاية الضعف. وإنما ظهر بسبب القتال والقهر والغلبة والإخافة وسلب الذرارى. والأموال. ولو سلكوا العدل والإنصاف لما ظهر فى دينهم حق.

والجواب من وجوه:

أحدها: يختص بالنصارى وهو أن الإنجيل بين أيديهم ناطق مصرح بالمسالمة والتزام التواضع والمذلة. وهو من ضرب خدك حول الخد الآخر. ومن سامك نوعا من الهوان فلا تنازعه. وأن يبتعدوا من القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة. وهذا نص الإنجيل. قال المسيح ـ عليه السلام ـ سمعتم ما قيل[٥]. العين

---

(١) فى التوراة (من دبرهم).
(٢) فى الأصل (لأنهم).
(٣) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٤) فى التيمورية (عظم).
(٥) جملة (ما قيل) ساقطة من التيمورية.

بالعين والسن بالسن ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر[١]. ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين. ومن سألك فأعطه. ومن اقترض[٢]. منك فلا تمنعه. وسمعتم ما قيل أحبب قريبك وابغض عدوك. وأنا أقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى من يبغضكم. وصلوا على من يطردكم ويخزيكم. لكى تكونوا بنى أبيكم. كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل[٣].

ومع ذلك فهم من أشد الناس تكالبا وحرصا على القتال والقتل وبسط الأيدى بالأذى فى أقطار الأرض بسلب النفوس والأموال مستبيحين لذلك. يعتقدونه من أعظم القربات وأوثق أسباب السعادات مع تحريم إنجيلهم عليهم ذلك. وإيجاب التزام الاستسلام لأعدائهم. ومن استحل حرمات الله تعالى. فهو أشد الناس كفرا بالله تعالى وكتبه وأحكامه. وأما نحن وكتابنا. فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره وهم كفرته وأعداؤه[٤]. وكتابنا أوجب علينا القتال. ونص على أنه من أعظم القربات – وأتم أسباب السعادات[٥].

وثانيها: أن المسيحى وغيره من مؤرخيهم نقلوا أن ابتداء دينهم. إنما كان بسبب القتال مع اليهود. وأنهم كانوا يحرقونهم بالنيران. ويغرقونهم فى السفن

---

(١) فى التيمورية (الأيسر).

(٢) فى التيمورية (استقرض).

(٣) فى الأصل (وإنما) والنص (سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات.. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل) متى صح ٥ – ٣٨ : ٤٨.

(٤) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٥) الجملة من التيمورية ساقطة من الأصل.

فى البحار وعملوا فى اليهود كل نوع من أنواع الأذى. ولولا ذلك لم يبق لهم اليهود أثراً[١]. فإن الدولة كانت لهم. وقد قتلوا إلههم على زعمهم. ولم يترك بعده أكثر من اثنى عشر حواريا وسبعين معارف هاربين خائفين ولو ظهر منهم أحد لقتل شر قتلة. فلو التزموا شريعتهم من المسالمة لم تقم[٢] لهم قائمة. ولم يبق منهم باقية. لكن أقاموا دينهم برفض معالمه. ونصروه بمحو آثاره. والتزموا القتل والعسف مع ذلك فلم ينص دينهم بذلك. حتى أضافوا لدينهم أنواعا من الشعبذة والمخاريق. وضروبا من التخيل للعوام والملوك. كبكاء الصور الجمادية عند قراءة الإنجيل وتعليق الأصنام والصلبان فى هياكل الكنائس بحجارة المغناطيس فى الهواء. من غير شىء يمسكها. إلى غير ذلك مما تقدم فى أول الكتاب من ترهاتهم التى يمشون بها دينهم. فسؤالهم ينعكس[٣] عليهم بل هو خاص بهم لأنه على خلاف كتبهم، وأما نحن فممتثلون لأمر الله تعالى،ناصرون لدينه، قائمون بحقه فى أرضه على خلقه، سعداء، شهداء، أولياء أعزاء، نناظر بالمعجزات الباهرة، والبراهين القاطعة. فندعوا إلى مكارم الأخلاق وننهى عن

---

(١) عندما استولى هرقل على بلاد الشام مرة ثانية وغلب الفرس فعل النصارى باليهود أشد مما فعله اليهود بهم. قال المقريزى عند ذكر انتصار الروم على الفرس: «ثم سار من قسطنطينية يمهد ممالك الشام ومصر ويجدد ما خربه الفرس منها. فخرج إليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالأناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خرابا فساءه ذلك وتوجع له وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وإيقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس وأنهم كانوا أشد نكاية بهم من الفرس وقاموا قياما كبيرا فى قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقيعة بهم وحسنوا له ذلك. فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه فأفتاه رهبانهم وبطارقتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه فى قتلهم فإنهم عملوا عليه حيلة حتى أمنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وأنهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة من كل سنة عنه على ممر الزمان والدهر. فمال إلى قولهم. وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعاً فيها حتى لم يبق فى ممالك الروم بمصر والشام منهم إلا من فر واختفى» انظر الخطط جـ٣ ص٥٣٣، ٥٣٤ وانظر فتح العرب لمصر بتلر ص٩٩، ١٠٠.

(٢) فى التيمورية (لم تبق).

(٣) فى الأصل (منعكس) والتصويب عن التيمورية.

لئامها. فمن اهتدى إليها[١] ظفر بالسعادة، وحاز أسباب السيادة، ومن أعرض عنها كان جديرا[٢] بالصغار والذل والعار، لا نحتاج إلى التتميم بالمحال. ولا نعتمد فى الأقوال والأفعال إلا ما يثبت نقله عن ذى الجلال[٣]. ولا ندعوا إلى عبادة الرجال ولا ربات الحجال. ولا نعبد من رمته[٤] اليهود بأنواع النكال. فأين السماء من الأوهاد[٥]. وأين الدخان من العسجد، وأين الشموس من الظلمات، وأين القوى من المستنجد[٦] لقد أشرق الحق[٧] فى ديننا كما غاب عنهم إلى الموعد.

وثالثها: أن الكتب التى بأيديهم شاهدة بقتال الأنبياء - عليهم السلام - مع طوايف[٨] من الطاغية كداود - عليه السلام - مع جالوت[٩] وسليمان مع طوايف من أهل الكفر[١٠]. ولم يقدح ذلك فى صحة أديانهم وإذا كان القتال سنة الله

---

(١) فى التيمورية (اهتدى إلينا).

(٢) فى التيمورية (كان حقيقا).

(٣) المصدر الرئيسى للتشريع فى الإسلام. القرآن الكريم. وهو وحى الله إلى نبيه محمد ﷺ وكذلك السنة المطهرة. وهى وحى الله إلى نبيه بالنص ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ [النجم: ٣، ٤] ﴿ **لو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ [الحاقة: ٤٤ : ٤٦] وأما القياس فإن دليله من القرآن بقوله تعالى ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ [الحشر: ٢] وهو قائم على القرآن والسنة. وكذلك الإجماع.

(٤) فى الأصل (أوردته) والتصويب عن التيمورية ومراده المسيح عليه السلام.

(٥) فى الأصل (الأهد) والتصويب عن التيمورية وهى الأماكن المطمئنة الهابطة (مختار الصحاح) باب الدال فصل الواو.

(٦) فى الأصل (الملحد) والتصويب من التيمورية.

(٧) كلمة (الحق) ساقطة من التيمورية.

(٨) فى التيمورية (مع الأمم).

(٩) يتحدث سفر صموئيل الأول. الاصحاح السابع عشر عن حرب داود مع جليات وكيف أن جليات هذا هدد شاول وعير اليهود. فقتله داود وهرب جيش جالوت بعد الهزيمة. راجع صموئيل الأول الإصحاح السابع عشر كاملا. وترك النص خشية الإطالة.

(١٠) راجع سفر الملوك. الإصحاح السادس والسابع. والعاشر. وهى إصحاحات تصور قدرة سليمان الحربية وقوة عتاده وبعض حروبه.

تعالى . وعادته لأهل الحق مع أهل الضلال . فنحن على تلك السنة سالكون وبها عاملون . فتكون من مناقبنا لا من مسالبنا ومن حسناتنا لا من سيئاتنا . بل الأمر بالعكس كما تقدم .

السؤال الحادى عشر : قالت النصارى القرآن ناطق بجواز الاتحاد فلا ينكر علينا، بيانه . إن فيه(١) أن الله تعالى كلم موسى - عليه السلام - تكليما، وأجمعت الملل على أنه كلمه بصوت(٢) . فنقول هذا الصوت يستحيل أن يقوم به، لأنه تعالى ليس بجسم فيكون قائما بشجرة العليق بوادى المقدس، وتكون الشجرة هى المتكلمة، وقد قالت : ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي** ﴾ [طه : ١٤] وقالت أيضا . ﴿ **اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾ [طه : ٤٣] وقال موسى : ﴿ **قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى** ﴾ [طه : ٤٥] فخاطبت بأنها الله تعالى - وخاطبها موسى بأنها الله تعالى(٣) ولولا الاتحاد بين ذات الله تعالى وذات الشجرة ما صح الكلام ولا جوابه(٤) ولا قول الملك أن الله تعالى كلم موسى - عليه السلام - تكليما(٥) بل إنما كلمته الشجرة حينئذ . وإذا صح - الاتحاد بالشجرة(٦) - صح بذات عيسى - عليه السلام -. وصح لنا أن نخاطبه بأنه الرب، وبأنه الله تعالى . اقتداء بموسى - عليه السلام - فنحن على الحق حينئذ . والمسلمون غالطون فى تكفيرنا بذلك .

وهذا السؤال اعتمد عليه تمشتين زعيم القسيسين بطليطلة . ورسمه فى كتاب سماه مصحف العالم . وكان مرجع النصرانية(٧) إليه فى العلم والفضيلة .

ثم جاء ابن الفخار اليهودى . تنصر ورأس عند ملوك الأفرنج بالوزارة وغيرها

---

(١) (إن فيه) ساقطة من التيمورية .
(٢) هذا صريح القرآن . وما ذكرته التوراة كذلك .
(٣) الجملة عن التيمورية .
(٤) جملة (ولا جوابه) ساقطة من التيمورية .
(٥) كلمة (تكليما) عن التيمورية .
(٦) ساقطة من التيمورية .
(٧) كلمة (النصرانية) ساقطة من التيمورية .

بسبب فضيلته على زعمهم. وكتب بهذا السؤال إلى علماء قرطبة. وكان سؤالهم الذى عليه يعولون وبه يصولون.

والجواب: أما قوله إن الملل متفقة على أن الله تعالى كلم موسى - عليه السلام - بصوت فكذب وفجر[١] والتقم بفيه الحجر. إذا لم يقع فى ذلك اتفاق. بل جمهور المسلمين، على أن الله تعالى لم يكلم موسى - عليه السلام - بصوت. بل أسمعه كلامه النفسانى القائم بذاته من غير حرف ولا صوت. وإذا لم يكلمه الله تعالى بصوت بطل السؤال من أصله بناء على هذه المقدمة وسأبين[٢] كيف يتصور إسماع الكلام النفسى بغير حرف ولا صوت. وأما القائلون بأنه كلمه بصوت. فقالوا خلق الأصوات والكلام فى شجرة دالة على ما قام بذاته تعالى. وكانت الشجرة مبلغة عن الله تعالى. كما تبلغ الملائكة من غير اتحاد ولا حلول وكما يحسن أن يقال: إن الله تعالى خاطب موسى على لسان الملك. ويقال هو كلام الله. فكذلك الشجرة. والأصوات[٣] فيها - مبلغة عن الله تعالى[٤] - والمتكلم[٥] فى الحقيقة هو الله تعالى والوسائط من الملائكة وغيرها لا يمنع كون ذلك كلام الله تعالى بهذا التفسير ولذلك أجمعت الملل على أن الكتب التى بلغتها الملائكة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها[٦] كلام الله تعالى. وإن كانت تلك الأصوات، وتلك اللغات بالعبرانية وغيرها. لم تقم بذات الله تعالى لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى[٧] - هذا على القول بأن الذى سمعه موسى - عليه السلام - صوت، وهو ليس بصحيح. وإنما أردت أن أبين فساد السؤال على القولين[٨] - وأما على الصحيح[٩]. وهو أنه - عليه السلام - إنما سمع الكلام

---

(١) الكلمة ساقطة من التيمورية.
(٢) فى التيمورية (بين).
(٣) فى التيمورية (خلق الأصوات).
(٤) فى التيمورية (ساقطة هذه الجملة).
(٥) فى التيمورية (المتكلم على..).
(٦) فى التيمورية (وغيرها ولا يمنع كون ذلك كلام..).
(٧) الجملة ساقطة من الأصل مأخوذة عن التيمورية.
(٨) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٩) الجملة ساقطة من التيمورية.

النفسي الذى هو صفة ذات الله تعالى القائم به من غير حرف ولا صوت فمعناه يتبين بقواعد منها:

١- إن كل عاقل يجد فى نفسه الأمر والنهى والخبر عن كون الواحد نصف الاثنين وعن حدوث العالم وغير ذلك. ثم إنه يعبر عن ذلك تارة بالعربية وتارة بالعبرانية وتارة بالفارسية فتختلف العبارات وهو واحد لا يختلف فى نفس المعبر. فذلك الذى لا يختلف هو الكلام النفسى. والمختلف هو الكلام اللسانى. والأول هو الذى ندعى أن الله تعالى متصف به وأقمنا البراهين على ذلك فى علم أصول الدين.

٢- ومنها أن علم الحواس أجل من علم النفس. بدليل أن من فتح بصره فرأى زيدا ثم أغمض عينه فإنه يقطع بوجوده حالة التغميض كما يقطع بوجوده حالة فتح البصر[١]. ونحن - نقطع بأن القطع الحاصل حالة فتح البصر أجلى وأقوى من القطع الحاصل حالة التغميض[٢]. وكذلك سائر الحواس. وإذا تكرر هذا ظهر أن إدراك الحواس علم خاص أجلى من مطلق العلم. وهو ممكن الوجود والقدرة الربانية يمكن إيجادها[٣] لكل ممكن. فيخلق الله تعالى هذا العلم الخاص الذى هو السمع[٤] فى نفس موسى - عليه السلام - متعلقا بصفات الكلام القائم بذات الله تعالى فهذا هو سماع موسى - عليه السلام - لكلام الله تعالى النفسى وبه باين من يعلم - هذه الصفة ولم يسمعها لأن من يعلم[٥] قيام كلام الله تعالى بذاته منا. إنما يعلمه بأصل العلم العام. وأما هذا العلم الخاص الجلى فلم يحصل لنا وسمى الخاص سماعا لأن إدراكات الحواس الخمس إنما هى علوم خاصة

---

(١) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٢) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٣) فى التيمورية (اتحادها).
(٤) كلمة (السمع) ساقطة من التيمورية.
(٥) الجملة من التيمورية.

أخص من مطلق العلم. فإذا وجد هذا العلم الخاص سمى باسمه الموضوع له فى اللغة. فليس من شرط علوم الحواس أن تكون بالأعضاء المخصوصة، لأن الأعضاء المخصوصة أجسام وجواهر، والأجسام والجواهر متماثلة وكل ما جاز على أحد المثيلين جاز على الآخر. فكما جاز أن يخلق عالم[1] السماع فى الأذن جاز أن يخلق فى سائر جهات البدن. وفى جواهر النفس، كما اتفق لموسى - عليه السلام - ومما يقرب هذا[2] المطلب على العقل أن الإنسان يقطع بأن الناس يتحدثون فى أنفسهم فهو مطلع على كلامهم النفسى وقاطع به - وهو مطلع أيضا -[3] على ما قام بنفسه من الأحاديث ويجد من نفسه علما ضروريا أن علمه بأحوال نفسه من - الأحاديث وغيرها أجلى من علمه بأحوال نفس غيره[4] وإن اشترك الجميع فى القطع. فقد وجدنا العلم القاطع[5] الجلى المتعلق بالكلام النفسى موجودا فينا وإذا وجدناه واقعا فينا أمكن وقوعه[6] متعلقا بكلام الله تعالى، والموجب لعدول أهل الحق عن سماع موسى - عليه السلام - للكلام الصوتى، إلى أنه سمع الكلام النفسى قوله تعالى (منهم من كلم الله) فجعل بعض النبيين كلمهم[7] دون البعض مع اشتراك الجميع. بل هم والمؤمنون والمشركون فى سماع الكلام الصوتى من التوراة وغيرها سواء[8]. فلولا اختصاص البعض بسماع كلام الله[9] النفسى لما حسن ذكر لفظة (مِنْ) المقتضية للتبعيض وموسى - عليه السلام - من أجلهم فهو أولى بأن يخصص بسماع الكلام النفسى لاسيما وقد أكد الله تعالى:

---

(١) كلمة (عالم) ساقطة من التيمورية.
(٢) كلمة (هذا) ساقطة من التيمورية.
(٣) الجملة من التيمورية.
(٤) الجملة من التيمورية.
(٥) فى الأصل (القطع).
(٦) الكلمة ساقطة من التيمورية.
(٧) فى الأصل (كلمة) والسياق من التيمورية.
(٨) كلمة (سواء) من التيمورية.
(٩) فى الأصل (الكلام) والسياق من التيمورية.

كلامه بقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] والمصادر تأكيد وتقوية للمذكور. فيتعين أن يكون المراد الكلام النفسى دون الصوتى.

فإن قلت إذا كان المسموع هو الكلام النفسى. فلأى شىء قال الله تعالى: ﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ [القصص: ٣٠] فقد حصل ابتداء غاية الملام من الشجرة ومن الوادى. والقائم بذات الله تعالى. لا يكون ابتداؤه من شىء من المحدثات. إنما يستقيم ذلك فى الصوتى.

قلت هذا سؤال قوى وجوابه جليل شريف. وهو أن الغاية التى ذكرت بلفظة (من) كما يتصور أن تكون غاية للنداء. يتصور أن تكون غاية للمنادى. باعتبار حال مقدرة له وتقريره: أنا إذا نادينا زيدا وهو قريب من شجرة ونحن بعيدون عنها. لا ينسب إليها صدق قولنا. نادينا زيدا من الشجرة بمعنى ناديناه[١] قريبا من الشجرة فهى غاية لقربه منها لا لنا ولا لندائنا وهذا مثالنا فى غاية الظهور. فكذلك موسى - عليه السلام - ناداه الله تعالى بكلامه[٢] النفسى. وهو قريب من شاطىء الوادى[٣]، وقريب من الشجرة، فيكون العامل فى هذا المجرور الحال المقدرة لموسى - عليه السلام -، دون النداء، أو نقول: المباركة اسم مشتق يصلح للعمل فيكون الغاية له، أى ابتداء البقعة المباركة من الشجرة ومن شاطىء الوادى ويتعين هذا دون النداء لما ذكرناه من الأدلة الدالة على أن المسموع هو الكلام النفسى دون الصوتى من التخصيص (بمن) والتأكيد بالمصدر، كما جاز أن يبصرنا[٤] الله وهو ليس فى جهة وبغير جارحة، ونراه نحن وهو ليس فى جهة، ونقطع بوجوده هو[٥]. وليس هو داخل العالم ولا خارج العالم ولا جسم له[٦] جاز أن نسمع كلاما ليس بصوت.

---

(١) فى التيمورية (معناه).

(٢) فى الأصل (بالكلام).

(٣) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٤) فى التيمورية (ينظرنا).

(٥) كلمة (هو) من التيمورية.

(٦) كلمة (له) ساقطة من التيمورية.

السؤال الثانى عشر: قال النصارى: دل القرآن على الاتحاد. والمسلمون ينكرون ذلك. بيانه أنه لما ذكر الله تعالى[1] يحيى - عليه السلام - قال فى حقه ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] ولما ذكر عيسى - عليه السلام - قال فى حقه ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ [مريم: ٣٣] فاتحد المسلِّم والمسلَّم عليه فى حق عيسى - عليه السلام - لأجل ما أختص به من الاتحاد. ولمَّا لَمْ يحصل الاتحاد ليحيى – عليه السلام – سلم الله تعالى عليه بصيغة التعدد. فقال وسلام عليه. وهذا نص جلى فى الاتحاد فى حق عيسى - عليه السلام - دون غيره. ولا يحتاج معه إلى غيره مع أن المسلمين ينكرون ذلك فى حق عيسى - عليه السلام - وهو فى كتابهم.

والجواب:

أن هذا اغترار بما لا طائل تحته. لأن كل واحد منا يحسن منه أن يقول فى حق نفسه: الرضوان والسلام والرحمة على سبيل الدعاء إن لم يعلم وقوع ذلك له، أو على سبيل المخبر إن علم وقوع ذلك له مع القطع بعدم اتحاد شيء بذاته، بل لأن اللفظ العربى يقتضى ذلك، وأى غريب فى قول عيسى - عليه السلام - (والسلام على) أى من الله تعالى. كما يقول صلوات الله عليه ورضوان الله على. وفضله ونعمته، بل تسليم الله تعالى على يحيى – عليه السلام – أفضل من قول عيسى - عليه السلام - (والسلام عليّ) لأن خبر الله تعالى عن يحيى - عليه السلام - وحصول السلامة له واقع قطعا[2]، وخبر الله تعالى صدق، وكلام عيسى عليه السلام دعاء، والدعاء ليس من لوازمه الإجابة، واللازم الوقوع أفضل من غير اللازم الوقوع وإخبار الله تعالى عن العبد أفضل من إخبار العبد عن العبد. لمزيد شرف الربوبية على العبودية. فظهر أن متمسكاتهم أوهام وأضغاث أحلام.

السؤال الثالث عشر: قالوا: المسلمون ليسوا على ثقة مما بأيديهم من

---

(١) كلمة (تعالى) ساقطة من التيمورية.

(٢) فى التيمورية (واقع لفظا ولأن).

القرآن. وهم يعتقدون أنه لا خلل فيه[١]، وبيانه أن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – كان[٢] من أجلّ الصحابة حتى قال فيه - عليه الصلاة والسلام - [٣] رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أم عبد[٤]. وقد خالفهم فى القرآن وخالفوه حتى أوجعه عثمان رضى الله عنه ضربا[٥]. ولو كان القرآن مقطوعا به لما وقع فيه الخلاف بين الصحابة وهم حديثو العهد بالنبى ﷺ. لأن القطع يمنع وقوع الخلاف. كما لا يختلف العقلاء فى وجود بغداد ولا فى أن الواحد نصف الاثنين. وإذا لم يحصل للصحابة رضى الله عنهم القطع لم يحصل لغيرهم بطريق

---

(١) فى التيمورية (لا خلاف).

(٢) الجملة المعترضة من التيمورية.

(٣) فى التيمورية (صلوات الله عليه).

(٤) مجمع زوائد جـ ٩ ص٢٩٠ – والمستدرك ٣–٣١٧.

(٥) هذه الشبهة من الروايات الشهيرة فى تاريخ الشبه المثارة فى وجه جمع القرآن الكريم، وقد تناولها العلماء بالرد ننقل عن الزرقانى قوله: وننقض هذه الشبهة.

أولا: بأن ابن مسعود لم يصح عنه هذا النقل الذى تمسكتم به من إنكار كون المعوذتين من القرآن.. وخلاصة ما قاله العلماء فى هذا أن المسلمين أجمعوا على وجوب تواتر القرآن وأن ما نقل عن ابن مسعود باطل. قال النووى فى شرح المهذب «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد شيئا منها كفر. وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس صحيح، وقال ابن حزم فى كتاب القدح المعلى (هذا كذب على ابن مسعود وموضوع) بل صح عن ابن مسعود نفسه قراءة عاصم. وفيها المعوذتان والفاتحة. وفى صحيح مسلم عن عقبة ابن عامر (أنه ﷺ قرأهما فى الصلاة..).

ثانيا: يحتمل أن إنكار ابن مسعود لقرآنية المعوذتين والفاتحة كان قبل علمه بذلك. فلما تبين له قرآنيتهما بعد وتم التواتر وانعقد الإجماع على قرآنيتهما كان فى المقدمة قال بعضهم: يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبى ﷺ ولم تتواتر عنده فتوقف فى أمرهما. وإنما لم ينكر ذلك عليه، لأنه كان بصدد البحث والنظر والواجب عليه التثبت فى هذا الأمر، ولعل هذا الجواب هو الذى تستريح إليه النفس لأن قراءة عاصم عن زرعة عن ابن مسعود ثبت فيها المعوذتان والفاتحة، وهى صحيحة ونقلها عن ابن مسعود صحيح. أما تركه كتابة الفاتحة والمعوذتان فالراجح أن الترك كان بسبب التثبت. لأن الهدف من الكتابة كان خشية الحفظ والضياع وما رأى ابن مسعود ضياعا لسور فى غاية الوضوح وشدة الحفظ.

ثالثا: لو سلمنا جدلا بصحة ذلك فانه رأي آحاد لا يعارض التواتر أو القطعى والأمة قد أجمعت على هذا وعليه اتفق الصحابة (الإتقان ١ / ٢٩٨ : ٢٩٩ بتصرف).

الأولى لأنهم أصل لغيرهم. والفرع لا يكون أقوى من الأصل وقد أثبت ابن مسعود رضى الله عنه ما نفاه غيره من القراءات الشاذة وأثبتوا هم ما نفاه هو. وهو المعوذتان. فكان عبد الله ينفيهما[1]. وإذا وقع مثل هذا الاختلاف العظيم نفيا وإثباتا اختلت الثقة بجملة القرآن.

والجواب: أن هذا سؤال أورده بعض المرتدة عن الإسلام بعد أن أسلم. وكان يعتقد أنه من الأسئلة العظيمة. والمثالب الفاحشة وليس الأمر كما ظنه. بل أضله الله تعالى على علم. فنظر بعين البغضاء وتكلم بلسان الشحناء فران على قلبه هواه فلم يتميز له صوابه من خطأه. والذى اتفق بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[2]. ليس - لأن القرآن غير معلوم عندهم[3] - بل هو معلوم متواتر خلفا وسلفا. لقوله تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[الحجر: ٩] وقوله ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾[النساء: ٨٧].

وإنما اختلفوا رضى الله عنهم في أن ابن مسعود كان يقرأ القرآن ويضم إليه تفسيره نحو قوله تعالى ﴿ **فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ** ﴾ [المائدة: ٨٩] كان يقرؤها متتابعات[4] وغير ذلك مما كان - رضى الله عنه - يعتقد أنه تفسير لتلك الآيات التى نازعوه فيها حرصا منه على بيان معناها. فكانوا هم يحرصون على أن لا يضاف للقرآن غيره. حذرا مما اتفق لأهل الكتاب فى كتابهم ففسد حالهم وكان الصواب معهم - رضى الله عنهم[5] - فميزوا كلام الله تعالى عن غيره. ولم يخلطوه بسواه فسلم من الغلط والزلل، وهذا هو الحزم الذى وفق الله تعالى[6] له هذه

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٤ / ٥٧١ الذى جمع هذه الروايات. والقول بالنفى خطأ فإن نفى الكتابة غير نفى الإثبات والذى عليه الجمهور أنه ترك الكتابة لهما لاعتماده على ذيوع حفظهما.

(٢) كلمة (أجمعين) عن التيمورية.

(٣) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٤) ابن كثير٣ / ١٦٨ - ٣ط الشعب - القرطبى٦ / ٢٨٣ ط مصورة عن طبعة دار الكتب.

(٥) الجملة الدعائية من التيمورية.

(٦) كلمة (تعالى) ساقطة من التيمورية.

الأمة . ولذلك أجمعوا فيما أعلم على أنه لا يجوز أن يكتب فواتح السور بالمداد بل بصبغ آخر حذرا من أن يعتقد أنها من القرآن[١] وهذا غاية العناية من الله تعالى بهذه الأمة . وهو المحمود المشكور على نعمه السابقة . وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . فهذه هى القراءات الشاذة ومنها القراءات بالمعنى نحو القراءة فى قوله تعالى : (اهدنا صراط من أنعمت عليهم)[٢] بدلا من قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فرفض ذلك غاية الرفض حرصا على نفس اللفظ وإبعادا لذرائع التغيير والتبديل فهذا من أفضل محاسن هذه الأمة لا من مساويها . ومن فضائلها لا من رذائلها . وأما المعوذتان فكان ابن مسعود يريد أن يفردهما عن القرآن ليقرآهما الجنب وغيره للتعوذ حتى يتميز ما يشترط فيه الطهارة من القرآن عما لا يشترط[٣] . فهذا وجه اجتهاده رضى الله عنه . . ورأى الصحابة رضى الله عنهم أن[٤] إفراد شيء من القرآن – عن القرآن[٥] ذريعة ووسيلة إلى إسقاط بعض القرآن فمنعوا منه وكان الحزم معهم رضى الله عنهم فظهر حينئذ أن السؤال جواب[٦] والجاهل يعتقد أنه صواب فبنى على منواله فى الضلال وقنع بزخارف الأقوال . وسيعلم إذا انكشف الغبار . أفرسا ركب أم حمار .

---

(١) ليس بين الصحابة إجماع فى أن البسملة ليست آية مستقلة فى كل سورة، بل العكس هو الثابت . وممن روى عنهم ذلك على وابن عباس وابن عمروابن الزبير وأبو هريرة . ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهرى . وبه يقول ابن المبارك والشافعى وأحمد ابن حنبل فى رواية عنه وإسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام . وقد مال الإمام مالك وأبو حنيفة إلى أنها ليست آية من الفاتحة ولا غيرها . وقد رجح القرافى ذلك لأنه مالكى المذهب (راجع تفسير ابن كثير ص١ / ١٦) وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبى طالب القيسى ص١٢ –٢٤–١ .

(٢) بها قرأ ابن مسعود وعمر وابن الزبير وزيد بن على – راجع البحر المحيط ص١ / ٢٨ .

(٣) القرآن كل لا يتجزأ وبين العلماء خلاف فى حكم قراءة شيء منه لمن لم يكن على طهارة فالجمهور على حرمة قراءة أى شيء منه إلا بطهارة . أما طلاب العلم ومن فى حكمهم فإن القراءة مع وجود الحدث الأصغر فيها جواز لرفع المشقة .

(٤) الأصل (إلى إفراد) والتصويب عن التيمورية .

(٥) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية .

(٦) فى الأصل (صواب) والتصحيح من التيمورية .

السؤال الرابع عشر : قالوا : المسلمون على ضلال فى دينهم بنص نبيهم وهم لا يشعرون . بيانه أن فى الأحاديث الصحيحة عندهم(١) باتفاقهم أن نبيهم قال لهم عند موته هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فمنعهم عمر من ذلك وقال حسبنا كتاب ربنا(٢) . وإذا قال النبى الصادق إن الكتاب الذى يكتبه سبب عدم الضلال وما كتبه فيكون سبب عدم الضلال لم يوجد فينتفى مسببه وهو عدم الضلال فيكون الواقع هو ضلالهم جزما بشهادة نبيهم التى لا يمكنهم ردها .

والجواب : أن إيراد هذا السؤال يقضى على مورده بعدم فهم لسان العرب لأن قوله عليه ـ الصلاة والسلام ـ لن تضلوا معه لا يقتضى أن الضلال المنفى(٣) بسببه يجب أن يكون فى عقائد الدين ولا فى قواعد المسلمين بل ذلك يصدق بأدنى مسألة من الفروع ولم يصرح ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنا نضل فى الدين إذ لم يكتب . ولا أنا نضل فى شيء ألبتة . بل صرح بأنه يكتب ما ينفى معه الضلال ولا يلزم من عدم سبب معين لنفى الضلال أن يقع الضلال(٤) بل جاز أن ينفى الضلال بالهداية الإلهية والعناية الربانية . كما إذا قلنا للمسافر إن أخذت هذا للخفير لا تضل معه(٥) . يحتمل أنه إذا لم يأخذه أن يهتدى من تلقاء نفسه بإلهام ربه أو سبب آخر مع أن العلماء قد نقلوا أن ذلك الكتاب كان المقصود به نفى الضلال فيمن يعين للخلافة بعده – عليه الصلاة والسلام – والخلافة ليست من قواعد الأديان . ولا شرطا فى صحة الإيمان . مع أنا ما أثبتنا الخلافة بعده ﷺ(٦) . إلا بنصه وإيمائه به(٧) وذلك فى معنى الكتاب كقوله عليه الصلاة

---

(١) كلمة (عندهم) من التيمورية .

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما حضر رسول الله ﷺ وفى البيت رجال ، فقال النبى ﷺ هلموا أكتب إليكم كتابا لا تضلون بعده ، فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله . البخارى ٦-١١ .

(٣) فى التيمورية (أن النفى) .

(٤) الجملة ساقطة من التيمورية .

(٥) كلمة (معه) من التيمورية .

(٦) فى الأصل (عليه السلام) .

(٧) فى الأصل (بنصه وإيمانه) والتصويب عن التيمورية .

والسلام، الأئمة من قريش[١] وقد ولينا قريشا[٢] وبقوله عليه ـ الصلاة والسلام ـ لما وعد المرأة بعدة . فقالت له – عليه السلام[٣] ـ فإن لم أجدك، قال لها عليه الصلاة والسلام (إئت أبا بكر)[٤] فصرح بأنه يتولى أعباء المسلمين بعده، وهذا هو الخلافة وما ولينا غير أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ[٥]. فما ضللنا والحمد لله فى الخلافة ولا فى غيرها . وعمر ـ رضى الله عنه ـ من أشفق الناس على هذه الأمة . فلولا أنه[٦] علم أن فى النصوص ما ينوب عن الكتاب لما أهمله . وهو عليه ـ السلام ـ أشفق منه وعليه التبليغ واجب . فلو كان قد بقى ما يضلنا فى ديننا لما تركه ـ عليه السلام ـ ولا سيما[٧] وهو يقول فى حجة الوداع ألا قد بلغت ألا قد بلغت[٨] والله تعالى يقول تقريرا لذلك ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[المائدة: ٣] وحينئذ ـ يتعين أن ذلك الكتاب كان من باب الاحتياطات التى لا يضر الإخلال بها[٩] ـ وحينئذ لا يلزم من عدمه مفسدة[١٠] فى شىء من أصول الدين[١١] ولا فى غيرها . فاندفع السؤال .

السؤال الخامس عشر: قال: المسلمون يعيروننا بأن أناجيلنا أربعة عن أربعة مختلفين وقرآنهم عن سبعة[١٢] قراء مختلفين[١٣] اختلافا شديدا أكثر مما بين

(١) فتح البارى ١٣/ ١١٩ – مسند أحمد ٣ / ١٢٩ .
(٢) الجملة ساقطة من التيمورية. (٣) الجملة سقاطة من التيمورية.
(٤) بدائع المنن رقم ١٨٢٥ – وجامع المسانيد ٢/٨٢٣ .
(٥) الدعائية من التيمورية. (٦) (أنه علم) ساقطة من التيمورية.
(٧) (لاسيما) ساقطة من التيمورية. (٨) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٩) ما بين الشرطتين ساقطة من التيمورية.
(١٠) كلمة (مفسدة) ساقطة من التيمورية.
(١١) فى الأصل (من الأحوال) والتصويب عن التيمورية.
(١٢) مراده القراءات السبع، وهى متواترة، ومفهوم التواتر هو: ما نقله جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب وأصحاب هذه القراءات هم: نافع المدنى وابن كثير المكى – وأبو عمرو بن العلاء البصرى وابن عامر الشامى وعاصم وحمزة والكسائى (الكوفيون).
(١٣) اختلاف القراءة فى الكلمة الواحدة من رحمة الله بهذه الأمة ويترتب عليه كثير من الفوائد . منها:
(أ) تنوع الأحكام الفقهية. (ب) تنوع المعنى بحسب الإعراب.
(جـ) الجمع بين حكمين مختلفين كقراءة يَطَّهَّرن، يطْهرن – ويمكن الرجوع إلى كتاب النشر فى القراءات العشر ص١ / ٢٩ لمزيد البيان.

الأناجيل من اختلافات بكثير. ويعترفون أن القراءات أكثر من سبع[١] وإنما هذه السبعة اتفق اشتهارها فلهم حينئذ سبعة كتب – مروية[٢] – بل عشرة بل أكثر من ذلك من أناس شتى. فهم أشد اختلافا فى كتابهم منا فى كتابنا بالضرورة. فلا معنى لإنكارهم علينا ما وقع فى كتابنا من الاختلاف فإنه عندهم أعظم.

والجواب ما قال الشاعر:

أكـل امـرىءٍ تحسـبين امرءا ونـار توقـد بالليـل نـارا[٣]

هيهات ما كل سوداء فحمة ولا كل بيضاء شحمة. أنزل الله - سبحانه وتعالى - كتابه العزيز على خير رسله بلغة قريش. وقبايل العرب مختلفة اللغات فى الإمالة[٤] والتفخيم[٥] والمد[٦] والقصر[٧] والجهر والإخفاء[٨] وإعمال

---

(١) توجد قراءات ثلاثة مشهورة. وهى صحيحة السند دون بلوغها درجة التواتر. ووافقت العربية ورسم المصحف. واشتهرت عند القراء. وأصحابها هم (أبو جعفر بن قعقاع المدنى المتوفى فى سنة ١٣٠هـ. يعقوب الحضرمى المتوفى سنة ٢٠٥هـ. وخلف البزار المتوفى سنة ٢٢٩هـ وقد أجاز الفراء وابن تيمية وعبد الواهب السبكى وزكريا الأنصارى القراءة بهذه القراءات.

(٢) كلمة (مروية) ساقطة من التيمورية ويوجد من القراءات غير المعتمدة ما يلى:
أ – الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر ولم يقرأ به.
ب – الشاذ. وهو ما لم يصح سنده. جـ – الموضوع ما لا أصل له.
د – ما زيد على وجه التفسير. انظر الإتقان جـ١ من ٧٥/٧٧ البرهان ١/٣٣٠ – ٣٣٥ النشر: ١/ ٤٣ – ٤٨.

(٣) البيت لعدى بن زيد راجع: الكتاب لسيبويه وشرح شواهده ١/٣٣ وأما لى ابن الشجرى ١/٢٩٦ والإنصاف لابن الأنبارى ٧٤٣ راجع معجم الشواهد العربية ١٤٧ والمثل التالى ورد فى المقتضب صفحة ٤/١٩٥.

(٤) الإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة ولها تقسيمات فى كتب القراءات. انظر مرشد الأعزة شرح رسالة حمزة ص٢٧.

(٥) لغة التسمين واصطلاحا عبارة عن سمن يدخل على صوت الحروف حتى يمتلأ الفم بصداه.

(٦) لغة مطلق الزيادة واصطلاحاً إطالة الصوت بحرف من حروف الزيادة الثلاثة وله درجات تطلب من مظنها.

(٧) القصر لغة الحبس واصطلاحا إثبات حرف المد من غير زيادة عليه. (البرهان فى تجويد القرآن ص٣٣، ٣٤) محمد الصادق قمحاوى.

(٨) يتفاوت بتفاوت أنواعه وحكم كل نوع مفصل فى (كتاب مرشد الأعزة إلى شرح رسالة حمزة) صفحة ١١.

العوامل الناصبة والرافعة والجارة(١). فلو كلفوا كلهم الحمل على لغة واحدة لشق عليهم ذلك فسأل عليه الصلاة والسلام ربه أن يجعله على سبع لغات لتتسع العرب ويذهب الحرج، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، فأنزلت القراءات لذلك فكلها مروية عنه عليه - الصلاة والسلام - ، متواترة، فنحن على ثقة فى جميعها. وأنها عن الله تعالى(٢) وبإذنه متلقاة عن خير رسله. فذهب اللبس وحصل اليقين. وأما أنتم فليس فى أنا جيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلف ولا صرح مؤلفو أنا جيلكم بكلمة واحدة يقول متى فيها أوغيره(٣) قال لى المسيح: إن الله أنزل عليه كذا بل غاية ما فى بعضه قال اليسوع المسيح كذا. أما أن ذلك القول من الكتاب المنزل من عند الله أو هو من قبل عيسى - عليه السلام - على ما اقتضاه رأيه. أو أنزل عليه لا على سبيل أنه من الإنجيل - هذا لم يتعرض له إنجيل من الأناجيل(٤) - وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين. فقد وقفنا عليها ولم نجد فيها شيئا من ذلك. بل تواريخ وحكايات وأخبار وبينها أقوال يسيرة معزية للمسيح - عليه السلام - ، لم يصرح فيها بأنها من الإنجيل ولا من غيره وليس لكم أن تقولوا متى نقل للتلاميذ شيئا فالمسيح قاله لهم لأنا نقول هم خلفاؤه على زعمكم، وكانوا فضلاء نجباء ومثل هؤلاء يكون لهم آراء واجتهادات وأقيسة وفراسات يتحدثون باعتبارها، فليس لكم أن تقولوا كل ما يقولونه فهو من قبل المسيح - عليه السلام -. أو من

---

(١) قال بعض العلماء إن حركات الإعراب إحدى الحروف السبع التي يقرأ بها القرآن ومن يقف على كتب التفسير التى اهتمت بالقراءات كابن كثير والبحر المحيط لأبى حيان والقرطبى وغير ذلك يجد أن بعض الكلمات يتغاير معناها بحكم النظرة الإعرابية إليها فقد تعرب صفة وقد تعرب ابتداء وقد تكون غير ذلك وفى كل يتنوع المعنى ويتسع البيان وتستنبط الأحكام.

(٢) روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ أقرانى جبريل على حروف فراجعته. فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف، ويمكن الوقوف على الشواهد والاعتراضات والرد فى (كتاب مناهل العرفان من ١/١٣٩ : ١٩١).

(٣) فى التيمورية (يقول متلقيها ولا).

(٤) الجملة المعترضة من التيمورية دون الأصل.

قوله، ولو سلمنا أنه من قوله - عليه السلام - فيحتمل أن يكون من كلام الإنجيل ومن غيره. فلا يوثق بحرف واحد عندكم أنه من الإنجيل المنزل. بل[1] نقطع بأن أكثره ليس منزلا وهو تلك التواريخ وكلام الكهنة وملوك الكفرة التى حشوتموها[2] فى الإنجيل. وتزعمون أن الجميع من[3] الإنجيل الكتاب المنزل. وهذا عندكم أشد وأصعب من التوراة. فإن التوراة كتبت فى الألواح، وتميزت وتعينت ثم طرأ عليها ما طرأ عليها. وأما الإنجيل فلم يتميز قط ولم يعرف له صورة ولا سمعت[4] منه كلمة، غايته أن التلاميذ أملوا هذه الأناجيل بعد رفع المسيح - عليه السلام - بمدة طويلة. ولم يصرحوا بأن هذا منزل ولا غير منزل فسقطت الثقة من الجميع حتى يتعين المنزل. ولهذه القواعد لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئا من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل. ولا قول أحد من الصحابة. بل متى قال صحابى قولا نسب له فقط. ولا يجوز أن يقال هذا من قول النبى ﷺ فضلا عن كونه من القرآن[5] وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل وسميتموه كتاب الله. فوقعتم فى الضلال وقول المحال. فلا تشبهوا أنفسكم بنا. فوالله ما اجتمعنا فى شىء من هذا بل أنتم فى غاية الإهمال ونحن فى غاية الاحتفال.

* * *

---

(١) فى الأصل (به نقطع) والتصويب من التيمورية.
(٢) فى الأصل (حشرتموها) والتصويب من التيمورية.
(٣) (الجميع من) عن التيمورية دون الأصل.
(٤) فى الأصل (ولا سمع) والتصويب عن التيمورية.
(٥) قسم علماء مصطلح الحديث الكلام الوارد فى السنة بحسب نسبته إلى ثلاثة أقسام:
(أ) مرفوع وهو ما نسب إلى النبى ﷺ وروى عنه.
(ب) موقوف. وهو ما روى عن الصحابى دون نسبة إلى الرسول ﷺ.
(جـ) مقطوع. وهو ماروى عن التابعى.
والعمل بالقسم الأول فيما صح أو حسن متفق عليه. وما قيل فيه ففيه خلاف ذكرته كتب علوم الحديث، وقسمته بحسب القول فيه والقسمان الأخيران فيهما خلاف يطلب من مظنه (راجع مقدمة ابن الصلاح - دفاع عن السنة لأبى شهبة. السنة ومكانتها فى التشريع مصطفى السباعى).

الباب الثالث

أسئلة موجهة إلى اليهود والنصارى

فى أسئلة على الفريقين معارضة لأسئلتهم ودامغة لكلمتهم وملتهم فيزهق الباطل بالحق والكذب بالصدق.

السؤال الأول: فى الإنجيل قال لوقا: اختار يسوع عليه السلام سبعين رجلا وبعثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه وقال الحصاد كثير[١] والحصادون قليل. اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فعلة لحصاده. ثم قال من سمع منكم فقد سمع منى – ومن سمع منى فقد سمع من الذى أرسلنى[٢] ومن شتمكم فقد شتمنى. ومن شتمنى فإنما شتم من أرسلنى[٣]. فقد صرح – عليه السلام – بأنه رسول لا رب وهو حجة على النصارى.

السؤال الثانى: قال لوقا: قال الفريسيون، ليسوع - عليه السلام - أخرج من هاهنا فإن هيردوس يريد قتلك فقال: امضوا وقولوا لهذا الثعلب إنى أقيم هاهنا اليوم وغدا وفى اليوم الثالث أكمل. لا يهلك نبى خارجا عن أورشليم[٤] فخوفوه كما يخوف البشر وصرح أنه نبى حكمه فى أورشليم حكم الأنبياء

---

(١) من التيمورية والأصل خلاف فى بعض الكلمات فى التيمورية (مدافعه) وفى الأصل (دافعة) وفى التيمورية (أربع) وفى الأصل (أزمع) وفى التيمورية (قليل) وفى الأصل (كثير).

(٢) الجملة المعترضة من التيمورية.

(٣) يمكن قراءة الإصحاح العاشر من الإنجيل لوقا من الآية ١ إلى ١٦.

(٤) النص (فى ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من هاهنا لأن هيردوس يريد أن يقتلك. فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغدا وفى اليوم الثالث أكمل. بل ينبغي أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجا عن أورشليم) لوقا صح ١٣ / ٣١ : ٣٣.

عليهم السلام . لا أنه رب العالمين . ويريد بقوله (أكمل) تتم مدة إقامته فى هذا العالم ثم يرفع إلى السماء .

السؤال الثالث: فى الإنجيل قال يوحنا لما انتصف العيد حضر يسوع - عليه السلام - إلى الهيكل . وشرع يعلم فقال اليهود كيف يحسن هذا التعليم . فقال تعليمى ليس هو لى بل للذى أرسلنى . فمن عمل بطاعته فهو يعرف تعليمى هل هو من عندى أو هو من عند الله إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه . فأما من يريد مجد من أرسله فهو صادق[١] . ثم قال إنى لم آت من عندى ولكن الذى أرسلنى فحق ولستم تعرفونه وإنما أنا الذى أعرفه وهو الذى أرسلنى، فهم اليهود بأخذه فلم يقدروا لأن ساعته لم تحضر بعد[٢] وقد صرح غاية التصريح بأنه مرسل، وأن الكلام ليس له، وإنما هو لله تعالى، وأنه لا يريد مجد نفسه، بل مجد مرسله، وأنه لم يختلق شيئا من قبل نفسه، ولكن الله تعالى أرسله بالحق . وعلى قول النصارى أنه الله - تعالى عن قولهم - يكون الكلام له ويكون ساعيا فى مجد نفسه ولا يكون مرسلا، وهذه تصريحات عظيمة لا تدفع إلا بالعناد المحض والبهتان الصرف .

السؤال الرابع: قال المسيح عليه السلام فى خاتمة الإنجيل : إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم[٣] فسوى بين نفسه وبين غيره فى الأبوة والبنوة لأن المراد بها أن الله تعالى يحسن لخلقه إحسان الآباء للأبناء بل أشد . وهذا مشترك

---

(١) النص فى يوحنا (ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلم . فتعجب اليهود قائلين كيف يعرف هذا الكتب وهو لم يتعلم . أجابهم يسوع وقال تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى . من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق) صح ٧ / ١٤ : ١٨ .

(٢) النص (فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا تعرفوننى . وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه . أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى، فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحد يدا عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد) يوحنا صح ٧ / ٢٨ : ٣٠ .

(٣) هكذا قال لمريم (اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم .) يوحنا صح ٢٠ / ١٧ .

بين عيسى عليه السلام وبين الخلق. فذلك سواء بسواء، وهو معنى قول اليهود فى القرآن الكريم ﴿ **نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** ﴾ [المائدة: ١٨].

والنصارى يحكمون بأبوة الولادة بصدر هذا الكلام. وهو قوله (أبى) ويغفلون عن قوله (وأبيكم) وعن قوله (وإلهكم)[١] وتصريحه -عليه السلام- بأنه مخلوق مربوب له إله يعبده ورب يدبره كسائر المخلوقات[٢] وقد وقع فى الإنجيل لفظ الابن والأب كثيرا لغير المسيح -عليه السلام-[٣]. فقد قالت النصارى إن المسيح عليه السلام. علم تلاميذه هذه السورة. وهى يا أبانا الذى فى السموات. قدوس اسمك يأتى ملكوتك تكون مشيئتك فى السماء كذلك يكون فى الأرض إلى آخر السورة[٤]. فقد أطلقوا على الله تعالى الأبوة بالنسبة إليهم وهى مستعملة بالمعنى الذى ذكرناه عندهم كثيرا على سبيل المجاز كقول التلاميذ لبطرس يا أبا[٥] وفى التوراة قال يوسف -عليه السلام-: لستم أنتم الذين بعثتمونى بل الله قدمنى أمامكم وجعلنى أبا لفرعون[٦]. أى مدبرا له، وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح – عليه السلام – يا أبه يا أبه وهو متكرر فى الإنجيل.

---

(١) فى الأصل (والهى) دون ذكر (الهكم) وهو مخالف الصواب.

(٢) فى الأصل (البشر) ولما كانت المخلوقات أعم أخذتها من التيمورية.

(٣) ورد فى يوحنا (انظروا أى محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله) الرسالة الأولى صح ٣ / ١ وقوله (أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله) صح ٣ / ١ وورد فى متى الأمر بفعل الخير حتى (يكونوا كاملين مثل أبيكم) صح ٥ / ٤٨. وقوله (لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات) متى صح ٥ / ٤٥ وقوله وهو يوصى بصدقة السر (فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية) صح ٦ / ٤ وفى نهيه عن الرياء ورد (فلا تتشبهوا بهم. لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه).. صح ٦ / ٨.

(٤) ورد فى متى (فصلوا أنتم هكذا. أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا. ولا تدخلنا فى تجربة. لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين) متى صح ٦ / ٩ : ١٣.

(٥) مأخوذ عن الشروح وليس له أصل فى الرسائل.

(٦) فى التكوين أن يوسف قال لإخوته (فالآن ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا، بل الله وهو قد جعلنى أبا لفرعون وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر). تكوين صح ٤٥ / ٨.

وفى التوراة. قال الله تعالى: إسرائيل ابنى بكرى[١] أى أعز الأولاد. بمعنى أعامله أفضل ما أعامل به الخلق.

وقال يوحنا فى إنجليه: إن يسوع - عليه السلام - كان مزمعا أن يجمع أبناء الله. أى أهل الإيمان الذين تفضل الله تعالى عليهم بتوحيده[٢] فلم لم يعتقد النصارى - أن - هؤلاء كلهم أبناء الله مثل عيسى - عليه السلام -. ويدلك على استعمال عيسى - عليه السلام - المجاز فى الإنجيل. قال متى بينما يسوع - عليه السلام - جالس يتكلم على الناس إذ قيل له أمك[٣] وإخوتك بالباب يطلبونك. فقال من أمى ومن إخوتى ثم أومأ بيده إلى تلاميذه. وقال هؤلاء هم أمى وإخوتى. وكل من صنع مشيئة أبى الذى فى السموات فهو أخى وأختى وأمى[٤] فلِمَ لَمْ يقتد النصارى بالمسيح - عليه السلام - وبالتلاميذ وبالتوراة باستعمال المجاز فى هذه الألفاظ بل هم فى الجهالة والضلالة وقلة العقل. بل عدمه كالفار الأعور يرى الخبز ولا يرى القط. إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذى ألجأهم إلى أنه ابن الله - تعالى الله عما يقولون - كونه خلق من غير أب من البشر. فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى. وآدم أولى منه بذلك - لكونه خلق من غير أب ولم يباشر الأرحام ولاسقم الأطفال ولا تطور[٥] فى أطوار البشر. وكم فى العالم من

---

(١) ورد فى الخروج (فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. إسرائيل ابنى البكر) الخروج صح ٤ / ٢٢.

(٢) النص (فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لانجده نحن. ألَعلَّه مزمع أن يذهب إلى شتات اليونان ويعلم اليونانيين) يوحنا صح ٧ / ٣٥.

(٣) فى التيمورية (أبوك).

(٤) النص (وفيما هو يكلم الجموع إذ أمه وإخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه. فقال له واحد هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له. من هى أمى ومن هم إخوتى. ثم مديده نحو تلاميذه وقال هؤلاء أمى وإخوتى. لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى) متى صح ١٢ / ٤٦ : ٥٠ ومرقس صح ٣ / ٣٣.

(٥) الجملة ساقطة من التيمورية.

الحيوانات خلقها الله تعالى من غير أب. ولقد بلغنى أن بعض رسل المسلمين ناظر النصارى بصقلية. لأن الأنبارور[١] أثار ذلك لما قدم عليه رسول ملك المسلمين. فجمع أعيانهم له فقطعهم بقدح من الفول المسوس. فكان يخرج لهم الفولة فيخرج سوستها ويقول أين أبو هذه؟ ثم يخرج أخرى فيقول أين أبو هذه[٢] فبهتوا لعنهم الله. وناهيك من قوم يقطعهم فولة مسوسة. فإن سوس الحبوب بأسرها لا تتوالد وإنما تخلق كل سوسة داخل الحبة. والقشر مغلف[٣] عليها. وإنما تخرج من الحبة بعد خلقها وقوتها. وقد ابتدأ الله تعالى العالم بأسره من غير مثال. فأى آيات الله تنكرون. ولذلك غلطوا فى لفظة الرب والاله. والمراد بالرب المربى والإله المسلط. ففى التوراة قول إبراهيم ولوط صلوات الله عليهما للملك يارب. بل إلهى. وفيها قال الله تعالى لموسى – عليه السلام[٤] – قد جعلتك إله لفرعون. يريد مسلَّطا عليه. وقال له وقد اشتكى له لثغة فى لسانه. قد جعلتك ربا لهارون. وجعلته لك نبيا. أنا آمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ بنى إسرائيل[٥]. فلا تغتروا بقول بطرس للمسيح - عليه السلام - يارب. وهذه الألفاظ كثيرة فى كتبهم فى غير عيسى عليه[٦]. السلام تركتها خشية الإطالة.

السؤال الخامس: زعمت النصارى أن المسيح عليه السلام هو الله تعالى. وإنما نزل إلى الأرض لينصرهم على اليهود. وأن يشرق فى سماء مجدهم شمس

---

(١) فى التيمورية (الأيزورا) وفى الأصل وصلت الكلمتان معا (الأنبرور).

(٢) الجملة المعترضة من التيمورية.

(٣) فى الأصل (متعلق) والتصويب عن التيمورية.

(٤) ساقطة من التيمورية والأصح أن إبراهيم وموسى عليهما السلام قد صرحا بالعبودية للملك. تكوين ١٩/ ٢، ١٨/ ٣.

(٥) (فقال الرب لموسى انظر. أنا جعلتك إلها لفرعون. وهرون أخوك يكون نبيك. أنت تتكلم بكل ما آمرك. وهرون أخوك يكلم فرعون ليطلق بنى إسرائيل من أرضه) خروج صح ٧/ ١: ٢.

(٦) وردت كلمة الرب كثيرا على سبيل المجاز. والمقام لا يسمح بالحصر. ويمكن الرجوع إلى فهرست الكتاب المقدس لبيان ذلك. وكذلك كتاب المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل للمسعودى.

السعود. لتخليص العالم من الخطيئة. وتصير أنفس أهله زكية راضية مرضية. فيقال لهم كان الأبلغ فى أبهة الجلالة الصمدية. والحرمة الإلهية أن يفعل ذلك عن أيدى رسله المرضيين وخاصته المقربين. فما الذى أوجب نزوله من مجده الرفيع وعزه المنيع إلى حضيض الآفات. ومقر الملومات[١] فولج بطون النساء واغتذا بالدماء ولبث فى الأرحام. منغمسا فى المشيمة والأحوال الذميمة إلى أن ولدته أمه وأرضعته وفصلته وأدبته. وأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها وترددت به إلى المواسم وأرته الشعاير والمعالم، تلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع وتشوق إلى شرف الرجولية وتطلع فلما شرع فيما نزل إليه وَثَبَتْ عليه اليهود. أهل الكفر والجحود. فنكروه وطردوه وعزموا على أن يقتلوه فلما أعياه أمرهم، تحصن بالاستتار خلف الجدار وأمر أصحابه بكتمانه وأن يبالغوا فى إخفاء مكانه، وأقام على ذلك مدة واليهود تطلبه حتى دل عليه يهوذا صاحبه، فأسلمه لأعدائه وأحله فى شبكة بلائه فسحبوه على الشوك حزينا[٢] وبقى هذا الإله المسكين فى أيدى اليهود بالعذاب رهينا. يرون أقبح ما يفعلونه حسنا وأشد ما يهينونه به مستحسنا. مهما بلغوا من إهانته المراد. وعلاه لشدة الهوان الضعف والسواد. مضوا به إلى بقعة من الأرض يزعم النصارى أنه دحاها[٣]. وحملوه على خشبته التى يقولون إنه أنبت لحاها وألبسوه أثوابا حمرا للشهرة. كان قد خلق ورسها وأنكره نحو الشمس الذى هو أسخن مسها وسألهم شربة من الماء الذى فجره حين وصلت روحه للحنجرة. فبخلوا بها وعوضوه الخل والمر عنها[٤]. فلما تعالت عليه الآلام والدواهي. نادى فوق جذعه إلهى إلهى وقد صار بين اللصوص

---

(١) فى الأصل (المؤلمات). والتصويب عن التيمورية.

(٢) اقرأ قصة الصلب وتصوير الأناجيل لها فيما يلى:
متى. صح ٢٥، ٢٧ مرقس صح ١٤/١٥، لوقا صح ٢٢/٢٣، يوحنا صح ١٩.

(٣) فى الأصل (رجاها) والتصويب من التيمورية، ودحا الشيىء أى بسطه وبابه عدا (مختار الصحاح. باب الواو والياء فصل الدال).

(٤) (وكان إناء موضوعا مملوا خلا. فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها علي زوفا وقدموها إلى فمه.) يوحنا صح ١٩/٢٩.

ثالث الجناة[١] وعوض عما نزل إليه أنواع الآفات والمذلات[٢] ثم زهقت نفسه وحضر رمسه وصار فى بطن اللحد سرا مكتوما. وعاد الاله القديم معدوما. ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان، وعاد كما كان بعد أن اتصف بالأحوال الوبيلة، وبقيت حسرة النصارى عليه طويلة. وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية. وعظم تسلط اليهود. وكفر أهل الجحود، ولم يعظمه ويؤمن به إلا النفر القليل، والعدد اليسير. فكيف هذا الرأى السقيم. والتصرف الذميم، بل لا يصدر هذا إلا من فاسد الرأى. مشوم الغرة، ناقص الهمة، مظلم الفكرة، يعرض نفسه للمحن، ويثير بين العباد الإحن، وأن هذا لمن عظيم الشين[٣] لهذه الربوبية وإزالة بهجتها وطمس نورها وإطلاق ألسنة الأعداء بإبطالها، وأين هذا من قول المسلمين الذين يجلون الله عن الاتصاف بصفات الأجسام، ويحيلون على جنابه الكريم أن تناله الآفات والآلام، بعث عيسى - عليه السلام -، نبيا مكرما، ورفعه إليه ممجداً[٤]، معظما لم يهنه بأيدى الأعداء، ولا سلط عليه أسباب البلاء، ولو أن إنسانا نشأ ببعض الجزاير لا يعرف الأديان. ولا يخالط نوع الإنسان، فقيل له إن لك ربا خلقك، وأبدعك، وهو رجل مثلك، يبول ويتغوط، ويبصق ويمخط. ويجوع ويعطش - ويعرى ويكسى[٥]. ويأكل ويشرب[٦] ويسهر وينام. ويتنازع مع الآنام[٧] الكلام. و أن إنسانا مثله ومثلك - باعه[٨] - بفضة فضربه وسجنه ثم صلبه وقتله، بعد أن حطم شعره، ولطم نحره، فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة، لاستنكف العقل السليم، والطبع المستقيم[٩]. الاعتراف

---

(١) فى الأصل (الجناح) والتصويب من التيمورية.
(٢) فى التيمورية (بالملومات).
(٣) فى الأصل (أعظم) والتصويب عن التيمورية.
(٤) فى الأصل (مجيدا) والتصويب عن التيمورية.
(٥) الجملة عن التيمورية.
(٦) ساقطة من التيمورية.
(٧) فى التيمورية (الآلام).
(٨) عن التيمورية.
(٩) فى الأصل (الوخيم) والتصويب عن التيمورية.

بوجود هذا الاله، فضلا عن[1] الاعتراف بربوبيته، ولنفر أن يكون عبدا له. ويرى نفسه أفضل من هذا الإله لسلامته عن هذه الآفات. وجميع ما ذكرته في هذا الفصل هو نص الإنجيل ولا يخالف النصارى فيه.

السؤال السادس: يقول النصارى: الله تعالى الأزلى الخالق للعالم، والنافخ للروح فى آدم، فيقال لهم أهو إله واحد أم لا؟ فإن قالوا نعم، وكفروا بالأمانة والصلوات الثمانية لأن فى الأمانة التى هى أصل دينهم، نؤمن بالله الأب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد يسوع المسيح إله الخلق، الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء، ونؤمن بروح القدس الواحد الحى، ويقرؤون فى صلوة النوم، الملائكة يمجدونك بتهليلات مثلثة أيها الآب[2] لأنك لم تزل، وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة، ثالوث واحد[3] فقد صرحوا بثلاثة أزلية. وإنسان من بنى آدم يسمى يسوع فهم يقولون بأربعة وهم لا يشعرون.

وإن قالوا: لا. كفروا بالتوراة والإنجيل.

أما التوراة. قال الله تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ: أنا إلهك فلا يكن لك إله غيرى[4]. وفيها أعلم أننى أنا الله وحدى وليس معى غيرى. أنا أميت وأحيى وأسقم وأبرىء ولا ينجو أحد من يدى[5]. والتصريح بالتوحيد كثير فى التوراة.

وفى إنجيل متى: لا صالح إلا الله الواحد[6]. وفى إنجيل يوحنا. قال المسيح

---

(١) فى الأصل (فضلا عن هذه...).

(٢) فى التيمورية (أيها الرب).

(٣) فى التيمورية (بالرب الواحد).

(٤) ورد فى الخروج (أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى) سفر الخروج صح ٢٠/٢: ٣.

(٥) ورد فى التثنية (انظروا الآن. أنا هو وليس إله معى. أنا أميت وأحيى. وأنى أشفى وليس من يدى مخلص) تثنية صح ٣٢/٣٩.

(٦) (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح. أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية فقال له لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله). متى صح ١٩/ ١٦: ١٧.

وقد رفع بصره إلى فوق إلهى إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذى أرسلت المسيح[1] وهو كثير فى الإنجيل تركته خوف الإطالة، فهم كفرة على التقديرين . إما بصلواتهم وإما بأمانتهم التى هى عين الخيانة أو بكتبهم.

السؤال السابع: نقول: الإله الواحد الأزلى جسم ولحم ودم أم يستحيل عليه ذلك، فإن أحالوا ذلك عليه خرج المسيح -عليه السلام- من الربوبية. لأن الأناجيل الأربعة تشهد بأنه لذلك لا يباين البشر فى شيىء. وإن لم يحيلو ذلك. أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات.

ففى التوراة: لا تشبهونى بشيىء مما فى السموات فوق، ولا فى الأرض أسفل، ولا فى البحار تحت ولا بشى[2] وهو قول القرآن الكريم ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١].

وفى الإنجيل: إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد قط، وفى المزامير: يارب أنت صانع العجائب ولا نظير لك[3].

السؤال الثامن: نقول لهم: الله تعالى يجوز أن يصلب ويقهر. فإن قالوا: لا بطل قولهم فى المسيح، إذ يقرؤون فى صلاة الساعة السادسة يا من سمرت يداه على الصليب. وبقى حتى[4] لصق دمه عليه. قد أحببنا الموت لموتك يا الله - نسألك يا الله[5] - بالمسامير التى سمرت بها نجنا، وإن جوزوا على الله ذلك، كذبتهم التوراة والإنجيل والمزامير.

---

(١) النص (وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) يوحنا صح ١٧/٣.

(٢) بالرجوع إلى فهرس الكتاب المقدس مادة - شبه . شيىء. سمو - أرض - سفل - لم أقف على النص فى النسخة العبرانية.

(٣) ورد فى المزمور ٧٢/١٨ (مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده).

(٤) فى الأصل (حق) والتصويب عن التيمورية.

(٥) الجملة من التيمورية ساقطة من الأصل.

ففى السفر الأول من التوراة: أن الله تعالى أنزل الطوفان وأهلك الجبابرة والفراعنة والطاغية[١] والطغاة والنمارقة[٢] وسائر الملوك من بنى آدم. وكل ذى[٣] روح من الحيوان البهيم وغيره، وغرق فرعون فى ستمائة ألف فارس فى البحر فى ساعة واحدة[٤] ولم يقهر سبحانه ولم يغلب. بل هو القاهر الغالب جل وعلا.

وفى الإنجيل لا صالح إلا الإله الواحد. ولا يعلم يوم القيامة سوى الله تعالى[٥]. لا عزيز مثل إلهى[٦] – والذى تلحقه الآفات والقهر لا يتقرر بالصلاح بل هو كغيره. وفى المزمور السابع عشر. (عزيز مثل إلهى)[٧].

السؤال التاسع: نقول للنصارى[٨] آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى، وأمهم كانوا يعرفون المسيح - عليه السلام - ويعتقدون أنه خالقهم ومدبرهم أم لا؟ فإن قالوا: لا. كفروا بهؤلاء الأنبياء – عليهم السلام[٩] – لنسبتهم فيها إلى

---

(١) الكلمة من التيمورية ساقطة من الأصل.

(٢) الكلمة من التيمورية ساقطة من الأصل.

(٣) فى الأصل (بنى) وكلمة (ذى) عن التيمورية. وقد ذكرت التوراة. قصة الطوفان وانتهى الإصحاح السابع بهذا النص (فمات كل ذى جسد كان يدب علي الأرض. من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التى كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض - الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط) تكوين صح ٧ / ٢١ : ٢٣.

(٤) هذا الحصر غير وارد فى التوراة. وإنما ذكرت أن فرعون (شد مركبته وأخذ قومه معه، وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنودا مركبية على جميعها، وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى إسرائيل..) وقد انتهى الأمر بما ورد فى نهاية الإصحاح (فدفع الرب المصريين فى وسط البحر، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر. لم يبق منهم ولا واحد) خروج صح ١٤ / ٧ : ٢٨.

(٥) ورد فى متى (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية. فقال لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) متى صح ١٩/١٦ : ١٧.

(٦) هذا النص غير وارد فى الإنجيل.

(٧) النص غير وارد فى المزمور المذكور. وقد وصف الرب بالعزة فى الأيام الأول ١٦ / ١١ ومزمور ٢٨ / ٨، ٢٩ / ١١، آرميا ١٦ / ١٩.

(٨) فى الأصل (يقول النصارى) والتصويب من التيمورية.

(٩) ساقطة من التيمورية.

الجهل بخالقهم، وإن قالوا: نعم. كذبتهم الكتب جميعا، إذ ليس فيها حرف يدل على أن أحدا من هؤلاء كان يعتقد أن المسيح عليه السلام إله.

السؤال العاشر: نقول لهم: آدم عليه السلام تاب وأناب أم لا؟ فان قالوا نعم بطل القول بالصلب، فانهم يقولون: إن سر الصلب محو خطيئة آدم عليه السلام[1] وأن الله تعالى فداه بابنه. كما فدا إسماعيل بالكبش[2]. فضرب المسيح عليه السلام عوضا عن رفاهية آدم وإهانته بدلا من الثمرة التى أهلها بالخلود فى الجنة. وصلبه على خشبة لتناوله الشجرة. وسمرت يداه لامتداد يد آدم عليه السلام إلى الثمرة، وسقى الخل والمر عند عطشه لاستطعام آدم - عليه السلام - حلاوة ما أكله، ومات بدلا عن موت المعصية. الذى كان آدم - عليه السلام - يتوقعه، وإن قالوا لا كذبتهم كتبهم، فإنها كلها مصرحة بتوبة آدم عليه السلام[3] والتوبة تنفى الحوبة، فلا معنى لعقوبة الولد، ثم الفدا بهابيل أولى لأنه ولد الصلب[4] وفداء البشر بالبشر الصرف أولى من الفداء ببشر هو إله قديم.

وفى كتبهم: أن الله تعالى فدا إسحاق بكبش[5] ففداء آدم على خطيئته بكبش أولى.

---

(١) قال بولس (بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لانه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجانا بنعمة الفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة) رسالة بولس إلى أهل رومية ٣/٢٢: ٢٥، وراجع مرقس ١٠/٤٤، يوحنا ٣/١٦.

(٢) فى الأصل إسحاق ولعله من باب التدرج مع الخصم. والقصة فى سفر التكوين الإصحاح ٢٢/١: ١٣.

(٣) النص على التوبة صراحة غير وارد إلا فى القرآن الكريم. وقد صرحت التوراة أن آدم قد اختبأ من وجه الرب حياء لما فعل دون تصريح بالتوبة والأناجيل تصرح ببقاء المعصية راجع (تكوين صح ٣ كاملا).

(٤) مأخوذة عن التوراة (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب. ثم عادت فولدت أخاه هابيل) تكوين صح ٤/١: ٢.

(٥) تذكر التوراة أن الأمر قد صدر إلى إبراهيم - عليه السلام - (لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا. لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى. فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه). تكوين صح ٢٢/١٢: ١٣.

أو نقول: الله تعالى فدا الجميع بكفرة عجلهم للنار. وهو أولى لأنه إيقاع العقوبة. ويدل على أن التوبة تمحوا الإثم. قول الإنجيل. لما أسلم المعمد[١] إلى القتل، خرج يسوع عليه السلام إلى الجليل وجعل ينادى قد قرب الزمان، واقترب ملكوت الله تعالى، فتوبوا وآمنوا بالبشرى[٢] فجعل التوبة توجب الايمان بالبشرى.

السؤال الحادى عشر: نقول لهم الله تعالى بكل شيىء عليم أم لا. فإن قالوا لا كذبتهم كتبهم لقول المسيح - عليه السلام - لا يعلم القيامة إلا الله تعالى[٣]. وإن قالوا نعم بطل اعتقادهم فى ربوبية المسيح عليه السلام. فإن نصوص الإنجيل تقتضى عدم علمه بالمغيبات. كقوله - عليه السلام - لمريم ومرتا أم العاذر. حين مات أين دفنتموه فعرَّفوه بمكانه[٤] فأحياه. وأدلة ذلك كثيرة[٥] فى الإنجيل. ومن هو موصوف[٦] بنقايص البشر لا يصلح للربوبية.

السؤال الثانى عشر: هل كان الله تعالى قادرا على خلاص آدم وذريته بغير صلب المسيح أم لا؟.

فإن قالوا لا كفروا بنسبة الله تعالى للعجز والاضطراب وأكذبهم ما تقدم من التوراة وغيرها، وإن قالوا يقدر كفروا بنسبته إلى الحيف على يسوع عليه السلام وإهانته الخاصة بأيدى السفلة[٧] على قاعدتهم فى التحسين والتقبيح، وليس من العدل أن ينجى آدم - عليه السلام -، فيُفْدَ بابن الله تعالى.

---

(١) فى الأصل (المعهد) والتصويب عن التيمورية.

(٢) (وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله. ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) مرقس صح ١ / ١٤ : ١٥.

(٣) (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده) متى ٢٤ / ٢٦.

(٤) (فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب. وقال أين وضعتموه) راجع يوحنا صح ١١ / ٣٣ : ٣٤.

(٥) فى الأصل (وذلك كثير) والتصويب من التيمورية.

(٦) فى الأصل (ومن هو منقوص) والتصويب من التيمورية.

(٧) كلمة (السفلة) من التيمورية.

السؤال الثالث عشر: يقولون فى أمانتهم التى هى أصل دينهم. إن خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع أولاده، وأنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح عليه السلام والتوراة والنبوات ترد عليهم، ففى السفر الأول من التوراة، يقول الله تعالى لقابيل قاتل هابيل، إن أحسنت يقبل منك، وإن لم تحسن فان الخطيئة رابضة ببابك[١]، وفى بعض النبوات لا آخذ الولد بخطيئة الوالد - ولا الوالد بخطيئة الولد[٢]. طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطىء عليه تكون[٣]، وهو تصريح بعدم[٤] تخطى الخطيئة محلها كقول القرآن الكريم: ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ [فاطر: ١٨] ولأنه لو عمت لكانت خلاف العدل. وغير حسن على قاعدة الحسن والقبيح عندهم.

وفى المزمور الرابع: يا بنى البشر حتى متى أنتم ثقيلى القلوب، لماذا تهابون الباطل وتتبعون[٥] الكذب، اغضبوا ولا تأثموا، والذى تهتمون به فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم. اذبحوا لله ذبيحة البر. وتوكلوا على الرب[٦]. فأخبرهم أنهم إذا فعلوا آمنوا فلا حاجة إلى صلب الرب ولا صلب ولده وهو كثير فى كتبهم. ثم المصلحة تقتضى الفداء بهابيل وكان العالم قد تخلص من خمسة آلاف سنة من زمن هابيل إلى زمن المسيح - عليه السلام -[٧]. ثم الذين ماتوا

---

(١) (فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك. إن أحسنت أفلا رفع. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة..) تكوين صح ٤/٦: ٧.

(٢) ورد فى التوراة (النفس التى تخطىء هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون) حزقيال ١٨/٢٠، التثنية ٢٤/١٦.

(٣) راجع النص السابق واللاويين ٢٦/٣ : ١٧ ودانيال ١٢/٢ : ٣.

(٤) فى الأصل (وعدم) وكلمة (بعدم) عن التيمورية.

(٥) فى الأصل (وتبتغون) وكلمة (تتبعون) عن التيمورية.

(٦) فى المزمور الرابع (يا بنى البشر حتى متى يكون مجدى عارا. حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب. سلاه. فاعلموا أن الرب قد ميز تقيه. الرب يسمع عندما أدعوه ارتعدوا ولا تخطئوا. تكلموا فى قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا. سلاه. اذ بحوا ذبائح البر وتوكلوا على الرب) مز ٤/٢ : ٥.

(٧) إقامة الدليل على هذه المدة الزمنية غير مستطاع.

قبل زمن المسيح ـ عليه السلام ـ. ماتوا كفارا أو مؤمنين؟ فإن قالوا ماتوا مؤمنين فلا حاجة إلى الصلب. وإن قالوا: كفارا كذبهم الإنجيل فى قول عيسى ـ عليه السلام ـ . إنى لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من بنى إسرائيل[1]. وإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء[2]. ثم تأخيره حينئذ عن الخطائين حتى ماتوا. إغفال للمصالح العظيمة وهو غير لائق بالحكمة.

السؤال الرابع عشر: قالوا المسيح عليه السلام مات ثم عاش. فنقول لهم من أحياه؟ فإن قالوا: نفسه. قلنا: وهو حى أو ميت؟ فإن قالوا: وهو حى لزم تحصيل الحاصل، وإن قالوا: وهو ميت لزمهم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتا، بل أقل أحواله أن يكون عالما بمن يحييه، وقيام العلم بغير الحى محال، وإن قالوا: أحياه غيره و هو الذى أماته لزمهم أن يكون المسيح – عليه السلام – عبدا مربوبا وهو المطلوب.

السؤال الخامس عشر: يقال لهم: إماتة المسيح – عليه السلام – حكمة أو سفه. فإن قالوا: حكمة لزمهم الثناء على اليهود بالخير. لإعانتهم على الحكمة وفعلهم لها. وإن قالوا: سفه نسبوا الرب تعالى إلى السفه وهو كفر.

السؤال السادس عشر: قالوا: المسيح – عليه السلام – إله العالم وخالقهم ورازقهم ومدبرهم إلى منتهى آجالهم. ثم صلب ودفن ثلاثة أيام[3] فنقول لهم: ياسخفاء العقول والجاهلين بالمعقول والمنقول[4] من كان يقوم برزق الأنام والأنعام فى تلك الأيام. وكيف كان حال الوجود والإله فى اللحود. ومن المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض والرفع والخفض وهل دفنت الكلمة بدفنه. وقتلت بقتله

(١) فى متى من قصة المرأة التى طلبت شفاء ابنتها (قال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) صح ١٥ / ٢٤.

(٢) (فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى) متى صح ٩ / ١٢.

(٣) ورد فى متى أن الكهنة والفريسيين قالوا لبيلاطس (يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال: وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم..) صح ٢٧ / ٦٣.

(٤) ساقطة من التيمورية.

أم خذلته وهربت مع التلاميذ. فإن دفنت فإن القبر الذى وسع الكلمة لقبر عظيم. وإن أسلمته وذهبت فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج وكيف يحسن بهذا الإله إسلامه محله لأعدائه. وخذلان سائر أودائه، وأن قولكم فى الأمانة التى هى أشد فسادا من الخيانة. إن المسيح - عليه السلام -، أتقن العوالم بيده. وخلق كل شيىء، وقولكم إن الأب لا يدبر أحدا بل الابن الذى يدبر الناس، فإن كان صلبه برضاه، وهو قادر على دفعه عن نفسه فينبغى أن يترحموا على اليهود ويعظموهم لتحصيلهم رضاه وإن كان بغيررضاه فاطلبوا إلهاً سواه، فإن العاجز عن حفظ حشاشته كيف يرجى منه دفع أو يتوقع منه نفع لغيره[١].

السؤال السابع عشر: نقول: كون هذه الواقعة العظيمة، التى من جملتها صلب إله العالم، إنما كانت عندكم لسبب خلاصكم[٢] فحققوا لنا هذا الخلاص، إن كان من محن الدنيا فها أنتم مشاركون لسائر البشر فى النفع والضر، أو من عهد التكاليف فها أنتم مخاطبون فيها بالمبادرة. وآثمون[٣] على التسويف، تدأبون فى الصلاة والصيام. ومختبطون فى موارد الأنام أو من أهوال القيامة، وما تكابده الخلائق يوم الطامة، أكذبكم الإنجيل بقوله (إنى جامع الناس فى القيامة عن يمينى وشمالى فأقول لأهل اليمين فعلتم خيرا فاذهبوا إلى النعيم وأقول لأهل الشمال فعلتم شرا فاذهبوا إلى الجحيم[٤]. فقد أخبر أن الناس كلهم ينجون بحسناتهم ويهلكون بسيئاتهم وضاع الصلب فى البين[٥].

(١) التيمورية سقط منها كلمة (دفع) وكلمة (لغيره) مأخوذه عنها.

(٢) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٣) فى الأصل (وأنون) والتصويب عن التيمورية.

(٤) لم أقف على هذا النص مع البحث عن كافة مفرداته. وإنما وردت نصوص بمعنى هذا منها (فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى. والأبرار إلى حياة أبدية) متى ٢٥ / ٤٦ - وكذلك (من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله) متى ٢ / ٧. وعن العصاة ورد (.. إلى النار التى لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ) مرقس ٩ / ٤٣ : ٤٤.

(٥) ورد فى التيمورية بعد كلمة البين (بين هذا القسم الذى يلزمونه ويقولون أهل السر من خالق ما نحن عليه من دين المسيح. لكى يبقى عليهم البرهان على ذلك على أنهم على دين المسيح عليه السلام) وهذا غير متفق مع السياق فأسقطته.

السؤال الثامن عشر: على معنى قولهم فى الاتحاد وهم فرق ثلاثة. اليعاقبة والروم والنسطورية[١]. وهم كثيرون فى فرقهم. لكن المشهور الآن هؤلاء الثلاث وأقوالهم متضادة متناقضة. لأن كلا منهم يريد تفريع مذهب صحيح على أصل مستحيل. ولا فرع إذا فسد الأصل.

فاليعاقبة فرقة يعقوب السروجى، ويسمى البرادعى، ادعت أن المسيح – عليه السلام – صيره الاتحاد طبيعة واحدة، وأقنوما واحدا، والسؤال عليهم. أن حقيقة اللاهوت والناسوت إن بقيتا بعد الاتحاد على حالهما بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة. وإن تغيرتا عن حالهما فهذه حقيقة أخرى. لا لاهوت ولا ناسوت. فلا تصفوا المسيح – عليه السلام –. بأنه إله ولا إنسان. ويلزمهم أن القديم الإله[٢] صار محدثا. والمحدث صار قديما اتحاد الحقيقة – وأن يصير الخالق مخلوقا. والمخلوق خالقا لضرورة اتحاد الحقيقة[٣].

أو نقول اللاهوت والناسوت إن بقى لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان قطعا لا حقيقة واحدة فلا اتحاد. وإن ذهبت خصوصية كل واحد منهما، عدما بالضرورة. لأن الخصوصية للذات من ألزم اللوازم. فإذا عدم اللازم عدم الملزوم، وإذا عدمت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة. لأن اتحاد الذاتين فرع وجودهما، والعدم نفى محض، فلا اتحاد معه فالاتحاد باطل جزما.

الفرقة الثانية. الروم وهم الملكانية. يقولون هما بعد الاتحاد جوهران. أقنوم واحد، والأقنوم لفظة رومية ومعناها فى اصطلاحهم أقنوم الشخص، وقال الجوهرى فى الصحاح: الأقانيم الأصول واحدها أقنوم[٤] مثل عصفور وخرطوم. قال وأحسبها رومية، قالت الملكانية فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب،

---

(١) راجع ترجمتهم صفحة من ١٣٠، ١٣١.
(٢) فى الأصل (أن القديم الاله).
(٣) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٤) راجع ١/٢٠١٦ مادة (قنم).

وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود - عليهما السلام - ، وهو شخص واحد . فأوجبوا الاتحاد فى الشخص فقط لاعتقادهم استحالته فى الحقائق، والسؤال عليهم أن نقول :

قولكم الحقيقتان لم تتحدا . وإنما حصل الاتحاد فى الشخص[1] كلام غير معقول . فإن الاتحاد إن أريد به الامتزاج قد صارت الحقيقتان واحدة . وهو مذهب اليعاقبة، فعليكم ما عليهم، وإن أريد أن الحقيقتين اجتمعتا فى شكل واحد ، فهذا هو الحلول لا الاتحاد وهو محال، فإن العالم يلزم أن يكون أصغر من جماعة من اليهود، فإنه كان فى اليهود من هو أعظم هيكلا من المسيح - عليه السلام - ، وهو كان سياحا قليل الغذاء كثير الأسفار . ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم، والحَالّ أبدا أصغر من المحل، فيكون ذلك اليهودى المعتل[2] البدن أعظم من المسيح، الذى هو أعظم من الله تعالى، وهو كلام لا يقوله عاقل . وإن كان المراد بالاتحاد معنى ثالثا فهو غيرمعقول .

الفرقة الثالثة : النسطورية . نصارى المشرق منسوبون إلى نسطورس يقولون هما بعد الاتحاد جوهران أقنومان باقيان على طبعهما . والسؤال عليهم إن الطبيعتين إن كانتا فى شخص واحد فذلك – باطل . لأن الطبيعتين لا تقومان فى محل واحد – وإن كانتا فى شخصين[3] – فذلك يكذبه الحس . فإن عيسى - عليه السلام - كان شخصا واحدا . فيكون مذهبهم من قبيل السفسطة . ومخالف الضروريات وكفى بذلك بطلانا .

السؤال التاسع عشر : النصارى مجمعون على القول بالثالوث . وهو أن ربهم آب وابن وروح . فالآب الذات والابن النطق الذى هو الكلام النفسانى

(١) فى التيمورية (وإنما اتحد الشخص فقط) .
(٢) فى الأصل (المبل) والتصويب عن التيمورية .
(٣) هذه الجملة ساقطة من التيمورية .

والروح الحياة. فالآب جوهر. واختلفوا فى الكلام والحياة. هل هما صفتان للآب أو ذاتان قائمتان بأنفسهما أو خاصيتان لذلك الجوهر. ثلاثة مذاهب لهم.

فنقول لهم: إن قلتم إن الإله واحد، والزائد صفات[1]، فهو قولنا إن الله تعالى له صفات سبع، وهو إله واحد، وصفاته العلم والحياة والإرادة والكلام والقدرة والسمع والبصر، وفارقتم قول مشايخ الأمانة فى قولهم الآب إله واحد، والابن يسوع إله واحد والروح القدس إله ثالث. وأفسدتم صلواتكم حيث تقرؤون فيها الملائكة يمجدونك[2] وابنك نظيرك فى الابتداء وروح القدس مشاركك فى الكرامة، وإن قلتم الجميع إله واحد، وكل منهما يستقل بالالهية فقد خالفتم ما تقدم من الأمانة، والصلوات ففى الأمانة أن المسيح إله حق أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء، وأنه نزل من السماء لخلاص الناس والذى نزل من السماء إنما هو أقنوم الابن وحده[3]. وإن قلتم إن كل واحد من الثلاثة إله ومجموعها إله واحد. فنقول لهم الإله يتصور عندكم بدون صفات الكمال، من الحياة والعلم والكمال أم لا؟ فإن زعموا تصور ذلك، فكل جماد فى العالم، أونبات أو حيوان هو إله مستقل، لاقتصارهم حينئذ على مجرد ذات المفهوم من الإله. فيكون حمار الأسقف إلاها. وكذلك جميع حشرات بيته. بل نعله الذى فى رجله. وإن قالوا لابد من[4] هذه الصفات فى مفهوم الإله لزمهم أن يكون لكل واحد من هؤلاء[5] الثلاثة. علم وحياة وكلام، التى هى عندهم الأقانيم الثلاث. فيصير التثليث تتسيعا، ويلزمهم أن يكون لكل واحد من التسع إلها، لأن كل واحد منهما مساو لكل واحد من الثلاثة الأول، فيحتاج كل واحد من التسع إلى صفات ثلاث، لأنه حينئذ إله، فيلزمه التسلسل وآلهة غير متناهية

---

(١) فى الأصل (والزوائد صفتان) والتصويب عن التيمورية.

(٢) فى الأصل (يمجد ربك) والتصويب عن التيمورية.

(٣) فى التيمورية (فقط) بدلا من (وحده).

(٤) فى التيمورية (من مفهوم هذه).

(٥) كلمة (هؤلاء) عن التيمورية.

وموجودات ليس لها غاية، وهذا محال كله، فهم حينئذ لا يقدرون على تصوير مذهبهم أصلا. ولذلك اتفق لى مع كثير منهم فى المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه – فيعجز، ومن يعجز عن تصوير مذهبه[١] كيف يمكنه إقامة الدليل عليه فيتوقف. فلو كانت للقوم فطنة بكوا على عقولهم قبل أديانهم.

السؤال العشرون: لهم الأمانة وهى أقبح من الخيانة. يسمونها شريعة الإيمان والتسبيحة، لا يتم لهم عيد ولا قربان إلا بها. قال المؤرخون وأرباب النقل، إن الباعث لأوائل النصارى على ترتيبها ولعن من يخالفها، أن آريوس[٢] أحد أوائلهم كان مع طائفة موحدا مخالفا للنصارى فى اعتقادهم فى المسيح -عليه السلام- . وكان يعتقد أنه رسول، وعبد مخلوق. فعلموا به. فتكاتبوا إلى أن[٣] اجتمعوا فى مدينة نيقية عند الملك قسطنطين فناظروه. فشرح آريوس مقالته، فرد السلام[٤] الأكصيدروس بطريق الاسكندرية وتتبع مقالته عند الملك، ثم تناظر الجميع، فانتشرت مقالتهم، وكثر اختلافهم فتعجب الملك من شدة الاختلاف، وكثرة التباين، وأمرهم بالبحث عن القول المرضى، فاتفق رأى الأكصيدروس وجماعة على نظم الأمانة. بعد أن أفسدوها دفعات، وزادوا ونقصوا وهى (نؤمن بالله الواحد الآب. ضابط الكل. ملك كل شىء. صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله[٥] الواحد. بكر الخلايق كلها. الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها. وليس بمصنوع. إله حق من إله حق من جوهر أبيه. الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شىء. الذى من أجلنا معشر

---

(١) الجملة مأخوذة عن التيمورية.

(٢) كان قسيسا بالإسكندرية دعا إلى التوحيد وأعلنه وآمن به كثيرون. وجاهر بالدعوة فى مؤتمر نيقية ولكنه أدين لأن مذهبه لم يتفق مع هوى الحاكم. وكان القرار ضد دعواه. وفى هذا المؤتمر كان النصف الأول من الأمانة المزعومة.

(٣) كلمتى (إلى أن) ساقطتين من التيمورية.

(٤) توجد كلمة (عليه السلام) بعد (فرد عليه) وقد أسقطتها لمعارضة السياق.

(٥) لفظ الجلالة غير مذكور فى التيمورية.

الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء. وتجسد من روح القدس. وصار إنسانا وحبل به. وولد من مريم البتول. وصلب أياما - وليالى على عهد بيلاطس البنطى[١] - ودفن وقام فى اليوم الثالث. كما هو مكتوب - وصعد إلى السماء وجلس على يمين الله[٢] - وهو مستعد للمجيىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء. ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق، الذى يخرج من أبيه روح يحييه[٣] وبمعمودية واحدة - لغفران الخطايا[٤] وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية[٥]. وقيامة أبداننا بالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين[٦] وهذه هى الأمانة التى أجمع عليها اليوم جميع فرق النصارى. الروم واليعاقبة والنسطورية واتفقوا على أنه لا يتم عيد ولا قربان إلا بها مع أنها لا أصل لها فى شرع الإنجيل، ولا من قول المسيح - عليه السلام -، ولا من قول تلاميذه بل هى آراء قوم مغفلين، وتلفيقات جماعة مشكلين، عليها من الركاكة الظاهرة، والعبارة القبيحة، والمعانى السمجة ظلمات بعضها فوق بعض. قد احتف بها القطع من جميع جهاتها وشملها الكفر والبهتان فى جميع كلماتها ومع ذلك فهم عليها عاكفون ولها معظمون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون.

السؤال الحادى والعشرون: قولهم فى أول الأمانة. الله تعالى ضابط الكل[٧] ومالك كل شىء، وصانع ما يرى وما لا يرى، يلزم منه أنه تعالى خالق المسيح، وروح القدس لأنهما إما مرئيان أو غير مرئيين، وعلى التقديرين يكونان مخلوقين[٨] وهو خلاف معتقدهم[٩].

---

(١) فى الأصل فيلليطس، والتصويب من التيمورية.
(٢) الجملة عن التيمورية وليست بالأصل.
(٣) فى الأصل (مجديه) وكلمة (يحييه) عن التيمورية.
(٤) المعترضة عن التيمورية. (٥) المعترضة عن التيمورية.
(٦) فى الأصل (إلى الأبد الأبدى).
(٧) كلمة (الكل) ساقطة من التيمورية.
(٨) فى الأصل (فإنهما مخلوقان) والتصويب عن التيمورية.
(٩) فى التيمورية (مذهبهم) وكلمة (معتقد) أبلغ.

السؤال الثانى والعشرون: إنهم وحدوا الله بالخلق والملك، ثم لم يلبثوا حتى نقضوا ذلك على الفور، فقالوا مع هذا الإله المستبد بالخلق[1] لما يرى وما لا يرى، إله آخر أتقن العوالم بيده، وخلق كل شىء، فكيف يتصور عاقل أن الآب خالق لكل شىء وابنه أيضا خالق كل شىء. فإن صح أن الآب خالق كل شىء فأى شىء بقى للابن؟ وإن كان الابن خالق كل شىء فأى شىء بقى للآب؟ وإن كان الخالق واحدا. فلأى شىء صرحوا بخالقين[2] غاية التناقض والفساد فى هذه الأمانة التى ألفها أهل الجهل والخيانة فلو ألفها أحد صبيان المكاتب من أولاد المسلمين لما وقع فى هذه المذلات ولا نطق بهذه الهفوات.

السؤال الثالث والعشرون: إنهم فى الأمانة أثبتوا عبادة رجل من بنى آدم فإن يسوع المسيح - عليه السلام - اسم للإنسان المنفصل من مريم - عليها السلام - وكل رجل[3] من بنى آدم مخلوق. فهم يعبدون المخلوق ولا يشعرون. وهب أن القديم على زعمهم حل فيه، أليس الناسوت مخلوقا والمسيح اسم للمجموع والمركب من القديم والحادث ومن القديم والمخلوق. مخلوق فهم يعبدون المحدث المخلوق جزما[4] ولو شعروا بذلك لأنكروه ولكن لا يشعرون.

السؤال الرابع والعشرون: قولهم فى الأمانة إن المسيح ابن الله بكر الخلائق الذى ولد من أبيه يقتضى حدوث المسيح - عليه السلام -. وهم يعتقدون قدمه فنقضوا أصلهم من حيث لا يشعرون.

بيانه: أن المولود من غيره لابد أن يتقدم عليه والده بالزمان، ثم يوجد الولد بعده فى زمن آخر - إذ لو وجدا فى زمان واحد لم يكن كون أحدهما ابنا

---

(١) كلمة (الخلق) ساقطة من التيمورية.

(٢) فى الأصل (خرجوا مخالفين) والتصويب عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (وكان رجل..) والتصويب عن التيمورية.

(٤) الجملة المعترضة عن التيمورية وهى متفقة مع السياق.

للآخر[1] أولى من العكس، والمتأخر بالزمان هو الحادث لكن القوم لا يعلمون الحادث من القديم فلذلك نقضوا قواعدهم من حيث لا يشعرون.

ثم قولهم بكر الخلائق يقتضى أن الخلائق كلهم[2] أولاده. ويكون المسيح - عليه السلام - مصنوعا فالقسمان باطلان فقولهم باطل جزما ويصير المسيح - عليه السلام - بمقتضى القولين مخلوقاً وغير مخلوق.

السؤال الخامس والعشرون: قولهم فى الأمانة المسيح إله حق – من إله حق[3] – من جوهر أبيه. يبطل قول المسيح - عليه السلام - فى الإنجيل. وقد سئل عن يوم القيامة فقال لا أعرف ذلك. ولا يعرفه إلا الآب وحده[4]. فلو كان من جوهر أبيه لعلم ما يعلمه أبوه وساواه فى علمه[5] وتعلقه بالمعلومات وغيرها، فلما لم يعلم ذلك دل على أنه من جوهر آبائه دواد وغيره من الأنبياء - عليهم السلام - ، ولذلك لما سئلوا عن يوم القيامة قالوا كقول المسيح - صلوات الله عليهم أجمعين -. فلو جاز أن يكون إلاها ثانيا من أول[6] لجاز ثالث من ثان ورابع من ثالث إلى غير النهاية، لكن هذا كله باطل، لقول المسيح - عليه السلام - . إن أول الوصايا أن الرب واحد[7]، وبقوله فى إنجيل مرقس .لا صالح إلا الله تعالى[8].

---

(١) هذه الفقرة ساقطة من التيمورية.

(٢) فى الأصل (أن الخلائق الكل) والتصويب عن التيمورية.

(٣) الفقرة ساقطة من التيمورية.

(٤) النص (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلايعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى) متى صح ٢٤ – ٣٦.

(٥) فى التيمورية (وساواه فى علمه صفاته. وتعلقها..).

(٦) فى الأصل (أن يكون إله ثان) والسياق عن التيمورية.

(٧) فى متى (فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك) صح ١٢ / ٢٩.

(٨) ورد فى مرقس (... أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية، فقال له يسوع: لماذا تدعونى صالحاً. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله ...) صح ١٠/١٧ : ١٨.

السؤال السادس والعشرون: قولهم فى الأمانة[1] المسيح - عليه السلام - أتقن العوالم، وخلق كل شىء، يلزم أن يكون خلق أمه، فتكون أمه ولدت خالقها، وهو خلق أمه، وهذا لا يقوله إلا أهل البيمارستان[2] ثم يبطله ويكذبه قول متى فى الإنجيل: هذا مولود يسوع المسيح - عليه السلام - ابن داود[3] فكيف يكون خلق داود والعوالم التى قبله. والخرق التى لف فيها عند الولادة والمهد[4] الذى وضع فيه وهو طفل - أمور معلومة[5] - وبطلان ذلك لا يخفى على عاقل، وكيف يكون خالق العوالم ومن جملتها إبليس، وفى الإنجيل أنه قال للمسيح - عليه السلام -، اسجد لى وهو محصور معه فى رؤوس الجبال[6]. فكيف ينحصر خالق العوالم ومدبرها فى يد بعض العوالم على هذه الصورة لكن المشايخ الذين لفقوا الأمانة[7] كانوا من التياسة والجهالة فى أبعد غاية.

السؤال السابع والعشرون: قولهم فى الأمانة: إن المسيح الإله الحق نزل من السماء، فنقول النازل إن كان الناسوت فهو باطل لإجماعهم[8] أنه ابن مريم - رضى الله عنها - وإن كان[9] اللاهوت فإن كان الآب لزم لحوق النقايص به[10]

---

(١) كلمة، الأمانة ساقطة من التيمورية.

(٢) بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) أى مريض أو عليل، (ستان) أى مكان أو دار. فهى دار المرضى ثم اختصرت فصارت (مارستان) راجع تاريخ البيمارستانات فى الأصل ص٤.

(٣) إنجيل متى الإصحاح الاول الآية الأولى.

(٤) فى الأصل (والمذود) والتصويب عن التيمورية.

(٥) تطلبها السياق فاضفتها.

(٦) (ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى) متى صح ٤ /٩.

(٧) فى الأصل (الرسالة) والتصويب عن التيمورية.

(٨) فى الأصل (بإجماعهم) والتصويب عن التيمورية.

(٩) (وإن كان) عن التيمورية دون الأصل.

(١٠) فى الأصل (النقايص له) وكلمة (به) عن التيمورية.

من الأكل والشرب والحركة والسكون من العلو إلى السفل وتلك[١] صفات المخلوقين وخواص الأجسام المحدثة وهو محال على الله تعالى اتفاقا.

وإن كان الكلمة الذى هو العلم عندهم، يلزم أن يبقى البارى تعالى بغير علم، لأن علمه نزل وتركه وعدم علم الإله يسقط ربوبيته اتفاقا وعقلا أو يبقى عالما بعلم ليس قائما بذاته، وهو مستحيل أن يعلم إنسان أو غيره بعلم لم يقم به فبطل القول بالنزول مطلقا.

السؤال الثامن والعشرون: إن المسيح ليس اسما للكلمة. لأنها عندهم فى الإنجيل[٢] لا تسمى مسيحا بل علما وليس للجسد على انفراده عندهم فهو اسم للمجموع والمجموع لم ينزل من السماء. لأن الجسد عندهم إنما حصل فى الأرض فبطل القول بنزول المسيح ـ عليه السلام ـ من السماء إلى الأرض.

السؤال التاسع والعشرون: قولهم فى الأمانة، إنه نزل لخلاص الناس دعوى لا دليل عليها وما سبب استقلاله بهذه الفضيلة والإلهية بينهم أثلاث، ولم لا يكون[٣] المخلص هو الآب أو الروح مع تصريح الأمانة بمساواتهما للابن[٤] واختصاص أحد المتساوين بحكم لابد له من مرجح، فأخبرونا عنه[٥] ولن تجدوه أبدا[٦] إلا إذا كان من هذه الوساوس السوداوية فحدث ولا حرج.

السؤال الثلاثون: قولهم فى الأمانة (وتجسد من روح القدس) باطل بنص الإنجيل بقول متى فى الفصل الثانى: إن يوحنا المعمدانى حين عمد المسيح ـ عليه السلام ـ جاءت روح القدس إليه من السماء فى شبه حمامة. وذلك بعد ثلاثين

---

(١) فى الأصل (وذلك) وكلمة (تلك) عن التيمورية.
(٢) فى الأصل (فى الأزل) وكلاهما صحيح من حيث المعنى.
(٣) فى الأصل (ولم لا يات) والتصويب عن التيمورية.
(٤) فى التيمورية (للآب) وكلاهما صحيح.
(٥) كلمة (عنه) ساقطة من التيمورية.
(٦) كلمة (أبدا) ساقطة من التيمورية.

سنة من عمر المسيح - عليه السلام - [1] ولا يكون قد تجسد من الروح لتأخرها عن الجسد هذا القدر فكذبت الأمانة وبينت الخيانة فى حقوق الله تعالى بالكفر ولرسله بالتكذيب ولرسائله بالتبديل. ولسائر الخلق بالتضليل.

السؤال الحادى والثلاثون: الروح القدس عندهم هو حياة الله تعالى. وتجسد المسح منها يقتضى انقلاب الحقائق فإن الحياة معنى من المعانى كالإرادة والعلم وصيرورة الحياة جسدا كصيرورة[2] اللون رائحة والطعم حركة والأغراض أجساما وذلك كله محال فالقول بتجسد الروح القدس محال.

السؤال الثانى والثلاثون: إذا تجسد المسيح عليه السلام من الروح القدس والروح حياة الله تعالى فيلزم أن يبقى – خالقنا ميتاً[3] – لعدم الحياة وانتقالها إلى المسيح – عليه السلام[4] – وذلك محال.

السؤال الثالث والثلاثون: إن القول بحلول الكلمة التى هى الكلام فى مريم وتجسد المسيح - عليه السلام - من الروح يقتضى انتقال – صفات[5] – المعانى من محالها إلى محال أخرى وانتقالها محال لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات فيلزم أن تكون المعانى أجساما والصفات موصوفات وذلك قلب للحقائق وهو محال عند جميع العقلاء.

السؤال الرابع والثلاثون: إذا كان المسيح - عليه السلام - تجسد من الروح فهو متولد من[6] الروح فهو ابن الروح لا ابن الله تعالى فكذبوا فى قولهم إنه ابن الله، تعالى عن قولهم علوا كبيرا. وإن كان ما تجسد من الروح كذبت الأمانة، فهم الكاذبون على الله وعلى رسله على كل تقدير.

---

(١) (فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه) متى صح ٣/١٦.

(٢) كلمة (كصيرورة) ساقطة من التيمورية.

(٣) الجملة من التيمورية. وقد أسقطت (مواتا أو ميتا) لتعارضها مع السياق.

(٤) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية.

(٥) كلمة (صفات) عن التيمورية.

(٦) فى التيمورية (فهو منزله).

السؤال الخامس والثلاثون: فى قولهم فى الأمانة، إن المسيح - عليه السلام - قام من بين الأموات وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، كذب فاحش، فليت شعرى من هو الذى صعد إلى السماء وجاء إليهم فأخبرهم أنه رآه جالسا عن يمينه، وهل هذا إلا مجرد الاختلاق.

السؤال السادس والثلاثون: جلوسه عن يمين أبيه، يقتضى أنهما جسمان لكل واحد منهما الجهات الست، يمين وشمال وخلف وقدام وأسفل وأعلى، فيلزمهم أن الله تعالى جسم وهو محال، وهم لا يعتقدون الجسمية.

السؤال السابع والثلاثون: قولهم فى الأمانة إن المسيح - عليه السلام - بعد قتله وصلبه وقيامه وصعوده[1] إلى السماء من بين الأموات مستعد للمجيىء مرة أخرى لفصل القضاء بين الأحياء والأموات.

الظاهر أنهم متخيلون أنه لما جرى عليه من الشيطان وحزبه ما جرى من الإيذاء والإهانة والإحراق راح إلى أبيه يستريح وترجع إليه نفسه. ويسكن روعه[2]. ويستظهر بعدة أخرى من عند أبيه. ثم يأتى[3]. لمحاربة عدوه، وما أجدرهم بأن يعبدوا الآن عدوه ويتركوه، فإن الغلب الآن لعدوه، والمتوقع فى المستقبل لا يدرى كيف هو، ولعل الكسرة فى النوبة الثانية تكون أعظم وهو الظاهر، فإن ذلك الرعب العظيم – لم يكن حاصلا له أول مرة[4]– وقد جرى ما جرى. فكيف وقد استولى عليه الرعب. وذاق طعم الشدائد. وتأسد[5] عدوه بسلطان الظفر والنصرة، فالمصلحة الآن تقتضى أن لا يكون بينهم وبين آلهته[6] معاملة – بل يعبدون الشيطان كما يزعمون[7] فهو أولى، ثم إنه فى أول مرة مع

---

(١) كلمة (صعوده) من التيمورية.
(٢) فى التيمورية (روحه).
(٣) ساقطة من التيمورية.
(٤) الجملة ساقطة من التيمورية ويوجد بدلا منها (خالطنا أول مرة).
(٥) فى التيمورية (وتأيد).
(٦) فى الأصل (الإلهية) ولا يستقيم معها المعنى.
(٧) الجملة ساقطة من التيمورية.

وفور القوة، ما تخلص مع شرذمة يسيرة من الأحياء، وهم يريدون أن يوقعوه فى المرة الثانية مع جميع الأحياء والأموات، وعلى هذا التقدير لا يكون لهم ولا لهذا الإله قائمة أبدا.

السؤال الثامن والثلاثون: قولهم فى الأمانة (نؤمن بروح القدس – الذى يخرج من أبيه) – تصريح بأن الروح القدس[1] – والمسيح - عليه السلام - أخوان وهو خبط عظيم، وهم عنه معرضون.

السؤال التاسع والثلاثون: قولهم فى الأمانة (نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا) مناقض لقولهم إن خطيئة آدم – عليه السلام[2] – عمت ذريته. ولا يتخلصون منها إلا بقتل المسيح - عليه السلام -. وتلك الشدائد التى جرت عليه، ولذلك يسمونه - عليه السلام -، حمل الله تعالى، ويسمونه مخلص العالم، وإذا كانت المعمودية توجب غفران الخطايا، فقد اعترفوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح - عليه السلام -، وهذه كلها غفلات وجهالات لا تصدر إلا عن عدم أنواع الإدراكات.

السؤال الأربعون: قولهم فى الأمانة. (ونؤمن بجماعة واحدة قديسة) يعنون هذه الجماعة التى لفقت هذه الأمانة المتناقضة فى نفسها، المناقضة للإنجيل بسبب جهل ملفقها وعدم معرفته بالإيمان، فضلا عن كونه مؤمنا فى نفسه، وناهيك من قوم رتبوا الثناء على أنفسهم وذكوها وعظموها. ولا يفعل هذا إلا من لاخلاق له، مع أنهم – أعنى هؤلاء المثنين على أنفسهم قد صرحوا بكفر أنفسهم، لما بيناه من مناقضة الإنجيل. الذى هو العمدة[3]. فكيف يكون مثل هذا[4] قديسا. بل حمارا وتيسا حسيسا.

---

(١) الجملة من التيمورية ساقطة من الأصل.
(٢) الجملة المعترضة ساقطة من التيمورية.
(٣) فى الأصل (الذى هو العهد) والتصويب عن التيمورية.
(٤) فى التيمورية (هؤلاء).

السؤال الحادى والأربعون: إن هذه الأمانة مناقضة لجميع كتبهم التى يعتقدونها من التوراة والإنجيل والنبوات. فدل ذلك على بطلانها وجهالة ملفقها. وجهالة من اتبعه وجعله قديسا.

بيانه: أن فى التوراة، أنا ربك الذى أخرجك من أرض مصر بيد القوة لا يكن لك إله غيرى. ولا تشبهنى بشيىء مما فى السماء ولا مما فى الأرض. ولا مما فى البحار، أنا إله واحد[١].

فصرحت التوراة بالوحدانية ونفى التشبيه، والأمانة تنفى ذلك، فدل ذلك على بطلانها فى قولها، إن معه[٢] إلا هين آخرين. أحدهما إنسان من بنى آدم.

وفى نبوة أشعياء قال إله إسرائيل. أنا الأول وأنا الآخر وليس غيرى[٣].

والأمانة تقول: بل غيره أيضا أول ومعه غيره، وهو كذب على الله تعالى وعلى كتبه، وفى الإنجيل: أن أول الوصايا كلها، اسمع يا إسرائيل الرب واحد فأجبه من كل قلبك ومن كل قولك[٤]، وقالت الأمانة بل الرب ثلاثة، وهذه النصوص كثيرة نتركها خشية الإطالة. وكلها مكذب لهذه الأمانة المخترعة التى جعلها النصارى عقيدتهم[٥]. فأصبحوا هزءا للناظر. ومضغة للمناظر. فهذه اثنان وعشرون سؤالاً على أمانتهم التى هى عمدة دينهم.

---

(١) ورد فى سفر التثنية (أناهو الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما. مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجدلهن ولا تعبدهن) - تثنية صح٥ / ٦ : ٩.

(٢) فى التيمورية (إن منه).

(٣) فى أشعيا (من فعل وصنع داعيا الأجيال من البدء. أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو) أشعيا صح ٤١ / ٤.

(٤) ورد فى مرقس (فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك) مرقس ١٢ / ٢٩ : ٣٠.

(٥) فى التيمورية (عمدتهم).

السؤال الثانى والأربعون: نقول للنصارى. زعمتم أن معبودكم ثلاثة أقانيم.

الوجود - الحياة - العلم - أو الكلام - على اختلافهم فى الدليل على الحصر فى ثلاثة ولعله أربعة. والرابع هو القدرة لأنها التى بها ظهرت العوالم. أو خمسة والخامس هو الإرادة لأنها القضاء والقدر التى بها تخصيص المصنوعات وترتيب الموجودات، وهى القاهرة المقدسة[1] على جميع الإرادات، أو ستة، والسادس هو البصر، فإنه إدراك وعلم أخص مما ذكرتموه من العلم، فكل بصر علم، وليس كل علم بصر، فهذه الصفات كلها ثابتة لله فى التوراة والإنجيل، أو سبعة أو عشرة آلاف ألف - ولا يلزمنا بيان ذلك، بل عليهم الدليل فى حصر ما ذكروه[2] ولن يقدروا عليه أبدا.

فدل ذلك على أنهم ليسوا على دين ولا فى شيىء من أمرهم على يقين.

السؤال الثالث والأربعون: النصارى إنما دلها بزعمها على أن عيسى - عليه السلام، - ابن الله تعالى، إحياؤه للموتى، والعقل جازم بأنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فلا يلزم من عدم علمهم بأن زيدا أو عمرا يحيى الموتى، أن لا يكون ابن الله تعالى، لجواز أن يكون كذلك، ولم يظهر الدليل الدال عليه، فليجوزوا فى كل أحد، أن يكون ابن الله، تعالى عن قولهم علوا كبيرا.

السؤال الرابع والأربعون: إذا تقرب النصارى فى الكنايس، أكلوا الخبز وشربوا الخمر، ويقولون قد أكلنا خبز الرب وشربنا دمه، ورَوَوْا عن المسيح عليه السلام أنه أعطاهم خبزا، وقال هذا جسدى فكلوه، وأعطاهم خمرا وقال، هذا دمى فاشربوه[3]. والله إن هذه بالخيانات الموبقات أليق منه بالقرب الموجبة

---

(١) فى التيمورية كلمة (المقدسة) غير موجودة.

(٢) الفقرة ساقطة من التيمورية.

(٣) ورد فى مرقس (وفيما هم ياكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطاهم. وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى. ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم. وقال لهم هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين) صح ١٤ / ٢٢ : ٢٤.

للمثوبات: وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب. وكان النصارى لم يرضوا بهذا للرب. حتى مزقوا لحمه على رؤوس الأشهاد. وشربوا دمه فى المواسم والأعياد. وإنما يفعل ذلك أرباب الضغاين والأحقاد. ومع ذلك فقد جعلوا هذه الفضائح كتابا يتلى، ووصايا ربانية تملى، وكفى بهذه الفضايح لمن يريد الإسلام نصائح، ولهذا صار كثير من النصارى يسلم قبل اطلاعه على محاسن الإسلام، بل فرارا من هذه القبائح.

السؤال الخامس والأربعون: ترك جمهور النصارى الاختتان وحرموه بهواهم[1] لا بأمر مولاهم، ورأو إطالة الغرلة دينا وشرعا لا يسع خلافه - فيجامع[2] - أحدهم امرأته وجلدة غرلته مستطيلة، وفرج الأخرى بارز كأنه عرف ديك[3]. فيكون اجتماعهما أقبح شيىء وأسمجه[4] - وتركوا[5] التوراة والإنجيل وسائر النبوات. ففى التوراة أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل - عليه السلام - بالختان، فقال له: هذا عهد بيني وبينك وبين نسلك بعد أن يختن غرلته كل ذكر منكم. ومن عبدانكم. ليكون عهدا متسما[6] فى أجسادكم عهدا دائما

---

(١) الختان من الفطرة. وقد صرحت التوراة بفرضيته على إبراهيم وبنيه (تكوين ١٧ / ١١ : ٢٧) وموسى عليه السلام (لاويين ١٢ / ٣) ويشوع (٥ / ٢ : ٩) وعندما اعتنق بولس المسيحية حرم هذه الفريضة وأسقطها (ولهذا قال فى رسالته إلى غلاطية ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا..) غلاطية ٥ / ٢ وأيضا (لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة) - غلاطية ٦ / ١٥ ويتضح مما جاء فى كولوسى أن الرسول يعلم بأن للمعمودية فى العهد الجديد نفس المكانة التى كانت للختان فى العهد القديم. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٨.

(٢) فى الأصل (يخلو مع أحدهم) والسياق عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (غرق كيل) والسياق من التيمورية.

(٤) فى التيمورية (وسخه).

(٥) تطلبها السياق فأضيفت.

(٦) فى الأصل (ليكون عهدى سيما) والسياق عن التيمورية.

على الأبد . وكل ذكر لا يختتن غرلته، فلتهلك تلك النفس[(١)] من سعيها . لأنها أبطلت عهدى[(٢)].

فعهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فاختتن، وهو إذ ذاك كبير، وختن أولاده وعبدانه، فنصت التوراة على الختان للأبد،وأن تاركه يقتل، وذلك يدل على كفر تاركه، فان القتل من شعائر الكفر عندهم[(٣)]، فهم الكفرة حينئذ، وقد اختتن المسيح ـ عليه السلام ـ وتلاميذه[(٤)] والعجيب من النصارى . أن منهم من يجب مذاكيره ويخصى نفسه، وآخرون يحلقون لحاهم، ولم يأت بذلك شرع، ولا نزل به كتاب، وتركوا الختان المنزل فى الكتب، ولم تزل النصارى كلها تختتن إلى زمان بولس، فنهاهم بولس وهو – أشأم من إبليس[(٥)] على النصارى، أخرجهم بولس هذا من الدين كما تخرج الشعرة من العجين وأوقعهم فى ظلمات الضلال، وأليم الوبال[(٦)] بسبب أنه كان يهوديا، وكان شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يشف بذلك قلبه، فأعمل الحيلة، إلى أن حفظ الإنجيل، وعمد إلى راهب عظيم سأله خدمته، فأجيب، فأظهر الاجتهاد والنصحية والمبالغة فى وجوه البر والإحسان إلى أن طال الزمان . فاستيقظ فى بعض الليالى وصاح . وأظهرالهلع مما رأى فى منامه، فسأله الراهب، فقال رأيت المسيح ـ عليه السلام ـ ، ونفث فى

---

(١) فى الأصل (تلك الشريعة) والسياق من التيمورية .

(٢) ورد فى التكوين (هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر . فتختتنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم . .) صح ١٧ / ١٠ : ١١ .

(٣) بهذا وردت العقوبة فى حد الردة . راجع مبدأ السلام فى الرسالات السماوية ص ٣٥٥ للمحقق .

(٤) ورد فى لوقا (وفى اليوم الثامن جاءوا ليختتنوا الصبى وسموه باسم أبيه زكريا، صح ١ / ٥٩ ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع . . صح ٢ / ٢١ .

(٥) كلمة (أشأم) من التيمورية .

(٦) لعب بولس دورا كبيرا فى عقيدة النصارى فقد صرفها عن التوحيد إلى التثليث وأباح الخنزير . وأسقط الختان . ودعا إلى التبتل والوحدة فى الزواج وادّعى الوحى إليه وأخرجها من المحلية إلى العالمية حتى صار مؤسس النصرانية الموجودة .

فمي وبارك علي، وأنا أجد في نفسي كلاما لا أدري ما هو. منذ نفث – في فمي[١] – فذكر بعض ذلك الكلام. فوجدوه من الإنجيل بجملته[٢] فاعتقدوا أن ذلك من عناية المسيح - عليه السلام - به، ومن عظم بركته، فقال الراهب، أنا أحق بالخدمة منك[٣] وأنت أحق بالتقدمة. فتصدر وتقدم واشتهر، إلى أن صارت ملوك النصارى تزوره يوما فى السنة، فلما تحقق تمكنه من قلوبهم قال لهم فى بعض زياراتهم له.

إن المسيح قد أمرنى أن أنزل غدا من هذه العلية[٤]. وأذبح نفسى فى سفح هذا الجبل قربانا للمسيح، فعظم ذلك عند الملوك لفوات بركته وألم مفارقته، وكيف يذبح نفسه بيده، وباتوا تلك الليلة عيونهم ساهرة، وقلوبهم من الجزع طائرة، إلى أن أصبح الصباح، ودخلوا للوداع، فتقدم أكبر الملوك منزلة، وأعلاهم رتبة لينفرد بتوديعه فقال له بولس لعنه الله: إنى ذاهب الآن إلى المسيح، وإن عندى سرا أودعك إياه قبل الممات. فاعلم مقداره، وارفع مناره، فقال له وما هو أيها الآب القديس. فقال له إن المسيح هو ابن الله تعالى – فقال له: ابن الله؟ فقال له ابن الله[٥] – ولولا ذلك لم يظهر عليه ما ظهر، فصمم الملك على ذلك، ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم، ثم دخل الملك الأوسط، فقال له: إن عندى سرا عظيما وإنى ذاهب إلى المسيح، وإنى أوثرك به فاحفظه واعمل به. فقال له وما هو؟ قال له: مريم زوجة الله. فاعتقد الملك ذلك. ولم يكن سمعه قبل ذلك الوقت ثم دخل عليه الملك الأصغر، فهول عليه وطول مثل الأولين، وأودعه أن الله ثالث ثلاثة، ثم خرج عند تعالى النهار، والعالم قيام فى صعيد واحد ينظرون ماذا يكون من أمر بولس فخرج من صومعته وعليه ثياب القربان ومعه سكين مرهفة.

---

(١) شبه الجملة من التيمورية.

(٢) كلمة (بجملته) ساقطة من التيمورية.

(٣) كلمة (منك) عن التيمورية.

(٤) فى الأصل (القبلة) والعلية عن التيمورية.

(٥) هذه الفقرة ساقطة من التيمورية.

ونزل إلى سفح الجبل، وذبح نفسه بيده والعالم ينظرون إليه فابتدره الملك الكبير، بعد زهوق روحه وأخذه ليحمله إلى وطنه، لتكون بركته فى مملكته، فتنازعه الملكان الآخران، فقسموه[1] بينه وبينهم أثلاثا، وأخذ ثلثه الذى فيه رأسه، فنازعه الملكان فى ذلك الثلث، لاشتماله على أشرف الجسد، فاقتضى الحال أن أحرقوه وسحقوه وقسموه أثلاثا، ليحصل العدل والتناصف، ثم ذهبوا إلى بلادهم فأظهر الملك الأكبر معتقده الذى أسره إليه، وكذلك الملكان الأخيران فأنكر كل منهما على صاحبه مقالته. وقال إن الراهب بولس لم يقل هذا ولا جاءت به النبوات ولا الكتب فهو كفر، فقاتل كل منهما الآخر ديانة وتقربا فصار بأسهم بينهم شديدا[2]، والقتل فيهم بسيوفهم، وبسيوف اليهود وكان[3] ذلك مراد بولس، فانظر ما أشد هذا الحقد، وما أبلغ هذا الكيد، وقالت فرقة من المؤرخين عندنا وعندهم، إن عيسى ـ عليه السلام ـ، لما دعى بنى إسرائيل للإيمان، أجابه نفر يسير ثم رفع فاستحلى الناس كلامه حتى بلغ أتباعه سبعمائة رجل، فكانوا يجاهرون فى بنى إسرائيل ويدعون للإيمان. فقام بولس اليهودى – ويسمى قولس أيضا – وكان هو الملك فى بنى إسرائيل فهزمهم وأخرجهم من الشام إلى الدروب فأعجزهم. فقال بولس:

إن كلامهم يستحلى، فإن لم تقدموا على عدوكم وتردوهم عن ملتهم يتكثرون علينا، فتعاهدوننى على كل شيىء خيرا أو شرا ففعلوا فترك ملكه وخرج إليهم. وقد لبس لباسهم ليضلهم، وقالوا الحمد لله الذى أمكن منك، فقال لهم أجمعوا أكابركم، فإنه لم يبلغ منى حمقى أن آتيكم إلا ببرهان، فقال أكابرهم: مالك؟ قال: لقد لقينى المسيح عند منصرفى عنكم. فأخذ سمعى وبصرى وعقلى فلم أسمع ولم أبصر ولم أعقل. ثم كشف عنى فأعطيت الله

---

(١) فى الأصل (فقسمة).
(٢) كلمة (شديد) عن التيمورية.
(٣) كلمة (كان) عن التيمورية.

عهدا أن أدخل فى أمركم، فأتيت[1] لأقيم فيكم، وأعلمكم التوراة وأحكامها فصدقوه.

وأمرهم أن يبنوا له بيتا ويفرشوه رمادا ليعبد الله تعالى، ففعلوا، وعلمهم ما شاء الله ثم أغلق الباب فأطافوا به، وقالوا نخشى أن يكون رأى شيئا يكرهه ثم فتح بعد يوم، فقالوا رأيت ما تكرهه؟ قال: لا. ولكنى رأيت رؤيا[2] أعرضها عليكم، فإن كانت صوابا فخذوها، وهى: هل رأيتم سارجة تسرج إلا من عند ربها وتخرج إلا من حيث تؤمر به؟ قالوا: نعم.

قال: فإنى رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج إنما تأتى من هاهنا، وذلك أحق الوجوه أن يصلى إليه، قالوا: صدقت. فردهم عن قبلتهم بيت المقدس إلى الشرق المحض[3]، ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين، ففزعوا أشد من الأول وأطاقوا به، ففتح الباب فقالوا: رأيت شيئا تكرهه؟ قال: لا. ولكنى رأيت رؤيا، قالوا: هات قال: ألستم تزعمون أن الرجل إذا أهدى إلى الرجل الهدية

---

(١) فى التيمورية فلبثت.

(٢) فى التيمورية (رأيا أعرضه).

(٣) فى الفكر الإسلامى أن النصارى اتخذوا الشرق قبلتهم تأسيا بمريم عليها السلام، عندما انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، عن ابن عباس قال: إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عن ذلك إلا قيل ربك (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس. رواه ابن ابى حاتم وابن جرير. وعن داود عن عامر عن ابن عباس قال: إنى لأ علم خلق الله لأى شيىء اتخذت النصارى المشرق قبلة. لقول الله تعالى (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) واتخذوا ميلاد عيسى قبلة. ابن كثير ٣ / ١١٤ ط. الكليات الأزهرية.

وقد ذكر بعض الباحثين أن الاتجاه إلى الشرق كان رغبة من النصاري فى تعمد المخالفة لليهود. ففى نصوص الصلاة لأوريجانوس (وإلى الشرق انظروا) ويوضح المترجم ذلك فيقول: الاتجاه إلى الشرق فى العبادة والصلاة كان من الطقوس الشائعة عند قدماء المصريين والفرس وغيرهما.. والمسيحيون الأوائل احتفظوا بعادة الاتجاه نحو الشرق أثناء الصلاة ولكنهم أضفوا عليها معانى مسيحية وقيما روحية. الصلاة لأوريجانوس ص١٢٠ نقلا عن التشريع بين اليهودية والنصرانية والإسلام ص١٠٨.

شق عليه، وأن الله تعالى سخر لكم ما فى الأرض جميعا وما فى السماء، والله تعالى أحق أن لا يرد عليه فما بال بعض الأشياء حلال وبعضها حرام، ما بين البقة إلى الفيل حلال، قالوا صدقت فاتبعوه فى إباحة المحرمات، ثم أغلق الباب بعد ذلك ثلاثا، ففزعوا أشد من الثانية فلما فتح لهم، قال: إنى رأيت رأيا، قالوا هات، قال ليخرج كل من فى البيت إلا يعقوب[1] ونسطورا[2]. وملكوت[3] والمؤمن ففعلوا. قال هل علمتم أن أحدا من الإنس[4] خلق من الطين خلقا فصار نفسا؟ قالوا لا. فقال هل علمتم أن أحدا من الإنس أبرأ الأكمة والأبرص وأحيى الموتى[5] قالوا لا. قال فإنى أزعم أنه الله تعالى تجلى لنا ثم احتجب. فقال بعضهم صدقت. وقال بعضهم لا ولكنه ثلاثة. والد وولد وروح القدس. وقال بعضهم: إله وولده. وقال بعضهم هو الله نَجَم لنا. فافترقوا على أربع فرق.

فأما يعقوب فأخذ بقول بولس. إن المسيح هو الله[6] وبه أخذت شيعته وهم اليعقوبية وأما نسطورا فقال إن المسيح ابن الله تعالى على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته النسطورية إلا أن شيعته لم يعتقدوا أنه ابن على سبيل الرحمة، بل على ما تقدم.

وأما ملكوت. فقال إن الله تعالى ثلاثة. وبه أخذت شيعته وهم الملكانية.

فقام المؤمن وقال لهم[7] عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا إفسادكم،

---

(١) يعقوب هذا. من المختلف فى نسبهم بين كونه أخ لعيسى من الأب أو ابن خالة له أو ابن أخ ليوسف زوج مريم لعب دورا بارزا فى العصر الأول حتى لقب بالبار وكانت له مكانة مرموقة فى أورشليم عندما زارها بولس سنة (٣٧م) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧٦.

(٢) سبقت الترجمة له صحفة ٢٦١.

(٣) سبقت الترجمة له صفحة ٢٦٠.

(٤) جملة (من الإنس) ساقطة من التيمورية.

(٥) هكذا ورد فى الإنجيل وبذلك صرح القرآن إلا أن القرآن نسب ذلك إلى إذن الله لعيسى - عليه السلام - أما الإنجيل فجعل الأحداث ذاتية (أنظر مادة عجيبة فى قاموس الكتاب المقدس).

(٦) فى الأصل (إن الله هو المسيح) والسياق عن التيمورية.

(٧) جملة (وقال لهم) ساقطة من التيمورية.

ونحن أصحاب المسيح قبله، وقد رأينا عيسى ـ عليه السلام ـ . ونقلنا عنه، وإنما هذا يضلكم فقال بولس للذين اتبعوه قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن، ونقتله هو وأصحابه، وإلا أفسد عليكم دينكم، فخرج المؤمن بالمسيح(١) إلى قومه، وقال ألستم تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله، وكذا قال لكم قالوا: بلى. قال فإن هذا الملعون أضل هؤلاء القوم فركبوا أثرهم. فهزموا المؤمن وأصحابه. فخرجوا إلى الشام فأسرتهم اليهود، فأخبروهم الخبر، وقالوا إنما نحن خرجنا إليكم لنأمن فى بلادكم، وما لنا فى الدنيا من حاجة. إنما نلتزم الكهوف والصوامع ونسيح فى الأرض فتركوهم. ثم فعل بعض الذين كفروا مثل أصحاب المؤمن من الصوامع والرهبنة فهو قوله تعالى ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا** ﴾ [الحديد: ٢٧].

وأدرك النبى ﷺ من أصحاب المؤمن ثلاثين راهبا فاتبعوه، وماتوا على الإسلام، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ **فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾ [الصف: ١٤] أى بالحجة. وكانت هذه الواقعة بعد المسيح ـ عليه السلام ـ بأربعين سنة(٢).

ثم لم يزل الأمر كذلك لم يستقر للجميع على قدم إلى زمن الملك قسطنطين قيصر بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ. بمائتين وثلاثة وثلاثين سنة(٣) فكثر عدوه، وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عليه، وضعفهم وكسلهم عن نصرته(٤)، فرام جمعهم على شريعة واحدة. فأشار عليه أهل الرأى من دولته. أن يتعبد القوم بطلب دم، ليكون ذلك أنسب لنصرته(٥) فوجد اليهود يذكرون فى

---

(١) كلمة (بالمسيح) من التيمورية.

(٢) ورد فى قاموس الكتاب المقدس أن بولس آمن بالمسيح سنة ٣٥ للميلاد وقصة إيمانه واضحة هناك.

(٣) قسطنطين الصواب أنه استولى على الحكم من سنة (٣٠٦ - ٣٣٧م) بعد تخلى دقلديانوس نظرا للمرض الذى أصابه فتنازل (٣٠٥م) وبتنازله بدأ صراع استغرق سبعة عشر عاما. طاب الملك بعدها لقسطنطين.

(٤) فى الأصل (تصرفه) وكلمة (نصرته) عن التيمورية.

(٥) كلمة (لنصرته) عن التيمورية.

تواريخهم أن رجلا جاء يدعى[1] نسخ التوراة والانفراد بالتأويل فطلبوه، وهو فى نفر يسير ممن اتبعه، فظفروا بواحد منهم، وشهد رجل بأنه المطلوب فصلبوه. ولم يحققوا أنه هو إلا بكونه لم يوجد بعد ذلك.

فحينئذ عمد قسطنطين إلى من ينتسب إلى دين المسيح -عليه السلام- . فوجدهم قد اختلفت آراؤهم وتفرقت كلمتهم، فاستخرج[2] ما بقى من رسم شريعتهم المنسوبة للمسيح -عليه السلام- . وجمع علماءه[3] ووزراءه فأثبت ما أعجبه منها، وتحكم فيها باختياره، وما وافق مقصده كالقول بالصلبوت، وتعبد القوم[4] بطلب دم المصلوب. وكترك الختان لأنه شأن قومه[5]، ثم أكد ذلك بمنامة ادعى أنه رآها، فجمع رعاياه من الروم على رأس سبع سنين من ملكه، وقال: رأيت أنى أنصر بهذا الشكل، وأغلب الأمم – وأشار إلى صليب– فأعظموا ذلك. وكان فى زمنه كاهنة بعث إليها، فقالت مثل ذلك فتأكد قوله ومنامه. ولم يعلم الناس ما سر ذلك الشكل حتى غزا غزوة به، فغلب فهول عليهم ووعظهم وبالغ فى ذلك، فسألوه عن سر الشكل وألحوا عليه، فقال لهم أوحى إلىّ فى منامى أنه كان الله تعالى هبط إلى الأرض من السماء فصلبه اليهود فهالهم ذلك كثيرا مع ما تقدم عندهم من تصديقه[6] فانقادوا إليه انقياداً حسنا وتأكدت أسباب دولته، وشرح هذه الشرائع التى بأيديهم اليوم أو أكثرها، ولعل أكثر ما فى الإنجيل أو كثيرا منه من تلفيقات قسطنطين، وهذه التواريخ لا ينكرها

---

(١) كلمة (يدعى) عن التيمورية.

(٢) فى التيمورية (فاستنسخوا).

(٣) فى الأصل (وجمع عليها) والسياق عن التيمورية.

(٤) فى الأصل (ليتعبد قومه) والسياق عن التيمورية.

(٥) حيث يرى النصارى ترك الختان. رسائل بولس الأولى ٢– ٢٩ والأرجح أن ترك الختان مرده إلى بولس دون قسطنطين.

(٦) فى الأصل (من نصر الله) والسياق عن التيمورية.

النصارى من حيث الجملة[١]، وإن أنكروا بعض تفاصيلها ولا يقدرون أن يجحدوا[٢] محاربة بولس اليهودى ولا إجلاءهم من الشام، وكذلك قسطنطين. وهذا الملعون بولس، وهو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد، والمغير لمعالم شرائعهم، والحال لنظام أحكامهم فى الختان وغيره، وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث، ومع ذلك فالنصارى له فى غاية الإجلال. وعلى رأيه وأقواله فى غاية الإقبال. وكفى بهذه الثلمة فى دين النصارى خللا عظيما[٣]، لم تترك لهم عقلا مستقيما. ولا قلبا سليما، وقد وقع فى كتبهم الفقهية تأويل الختان، التزموا فيه على التوراة الباطل والبهتان، فقالوا المراد بالختان فى التوراة نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب، لأن اليهود كانت قلوبهم غلفا، فغلوفة القلب هى المضرة، وأما غلفة اللحم لا مضرة فيها، بل الأحسن ترك الاختتان. كما خلقها الله تعالى. هذا نص كلامه.

فانظر كذبهم على الله تعالى، فى قولهم إنه أراد غلوفة القلوب، ولو كان صحيحا لنبّه موسى - عليه السلام - إليه، ولما فعل الختان يحيى وعيسى[٤] وسائر الأنبياء - عليهم السلام - الذين حكموا بالتوراة. ولم يزالوا يأمرون بالختان.

وثانيها: أنهم سفَّهوا أحكام الله تعالى، ورسل الله حيث قالوا: لا منفعة

---

(١) كان لقسطنطين دور بارز فى التأثير العقدى على النصارى فهو الذى دعا إلى عقد مؤتمر نيقية وأكرم المدعوين وأيد القول بالبنوة وصدر قرار المجمع بإعلان بنوة المسيح وألوهيته. وكذلك جعل الصليب شعارا رسميا للدولة المسيحية. وخفف الاضطهاد. واعترف بالمسيحية كدين رسمى. ثم عُمِّد على فراش الموت وإن رجح المؤرخون عدم صدق الاعتقاد. لأنه قتل زوجته وأولاده. (أوربا العصور الوسطى ١ / ٣٠-٤١).

(٢) فى التيمورية (ينكروا).

(٣) جملة (خللا عظيما) ساقطة من التيمورية.

(٤) ختان يحيى ورد (وفى اليوم الثامن جاءوا ليختتنوا الصبى وسموه باسم أبيه زكريا. فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى يوحنا..) (لوقا صح١ / ٥٩ : ٦٠) وعن المسيح ورد (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن...) لوقا ص ٢ / ٢١.

فى ذلك مع أن الله تعالى قد حكم به، وبلغته رسله، وعملوا به ثم إنا نبين فوائده حتى يظهر كذبهم فى قولهم إنه لا فائدة فيه، فمنها ما يترتب عليه من ثواب الله تعالى فى الدار الآخرة، وأعظم بالسعادة الأبدية فائدة، ومنها أنه لا يتأتى مع بقاء الغلفة مبالغة فى النظافة ومع زوالها يتأتى ذلك، ومنها أنه ألذ فى الجماع وأسرع لمجيىء شهوته وقد تكسل الغرلة عن الإنزال. ووجهه: أن رأس الحشفة أنعم من الجلدة ومع الخشونة يبعد الإنزال، بل النعومة أصل فى هذا الباب، ومنها أنه أسرع فى تدافع الإنزال، وانزعاج الماء لعدم الغلوف[1] والغرلة تثبطه وتبعده[2] وتفتره، وإذا خرج فاترا قلت[3] اللذة، وبعد عن محل التخليق، فيبعد حصول الولد، الذى هو أسمى المقاصد فى النكاح استيفاء للنوع الانسانى الشريف، وتسببا لايجاد من يوحد الله تعالى ويعبده، ومنها أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان، وأيادى امتنان وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها ولا يبقى لها أثر فى الوجود إلا الختان، فإنه يبقى مخلدا فى الجسد إلى الممات. وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقى الإنسان على توجه الأمر الربانى عليه[4] وأنه حاز[5] شرف الإنابة والطاعة لديه، وكفى بهذه المنة شرفا للإنسان على مر الزمان، وإليه الإشارة بقوله فى التوراة (ليكون عهدى ميسما فى أجسادكم عهدا دائما على الأبد[6]. فهذه خمس فوائد جليلة عظيمة، جهلها الأغبياء وشقى بتركها السفهاء.

وثالثها: أنهم تركوا أحكام الله تعالى بالتوهم، وتابعوا الهوى والتحكم، وتأولوا من غير حاجة للتأويل ورفضوا لنص التنزيل، وذلك هو التحريف والتبديل.

---

(١) فى التيمورية (لعظم).

(٢) كلمة (تبعده) عن التيمورية.

(٣) فى التيمورية (انتفت).

(٤) كلمة (عليه) ساقطة من التيمورية.

(٥) كلمة (حاز) عن التيمورية.

(٦) ورد فى التكوين (هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر فتختتنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم..) تكوين ١٧- ٩: ١٢.

ورابعها. ما كفاهم رفع كتاب الله تعالى حتى فضلوا أهواءهم على شرع الله تعالى فقالوا: والأحسن أن تترك الأجساد كما خلقت: فما أعجبهم يتبعون وهم مبتدعون ويعظمون وهم يهزؤون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون.

وإذا وقفت على كتبهم التى فيها – نتائج – محافلهم[١] التى اجتمعوا فيها لتأسيس الأحكام وتلفيق النظام، رأيت[٢] عجبا عجيبا، ومذهبا غريبا، كيف اشتملت تلك المحافل على تيوس الأنعام بل حشرات الهوام. قد أعملوا أفكارهم[٣] الرديئة فاستنبطوا آراء غير مرضية فسموها أحكام الله تعالى على العباد، وهذا غاية الجهل والفساد، والتمرد والعناد والقدوم على الموت بغير زاد.

السؤال السادس والأربعون: النصارى تزعم[٤] أن مريم أم المسيح عليه السلام، تنزل على دار المطران بطليطلة فى يوم معروف فى السنة بكسوة تلبسها لهم، وهم جازمون بذلك ببلادهم، فيقال لهم: نزلت بإذن الآب أو بغير إذنه؟ فإن نزلت بإذنه فلم لم يرسل[٥] بعض الملائكة ووقر أم ولده، فصانها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبى منها.

وإن كان من غير إذنه فكيف اصطفى الآب لنفسه من يتصرف من غير إذنه ويعاشر الأجانب – وهو لا يعلم[٦].

السؤال السابع والأربعون: النصارى يصلون للشرق. ويتحرون مطلع الشمس قبلتهم حيث كانوا والمسيح - عليه السلام - طول مقامه يصلى لبيت المقدس[٧] وكذلك موسى - عليه السلام - ، وجميع النبيين - عليهم السلام - [٨]

---

(١) فى الأصل (فيها محالهم) والسياق عن التيمورية.
(٢) فى الأصل (فترى) والسياق عن التيمورية.
(٣) فى الأصل (قد محقوا فكرهم) والسياق عن التيمورية.
(٤) فى التيمورية (بزعمهم).
(٥) فى الأصل (فلم لا أرسل) والسياق عن التيمورية.
(٦) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٧) فى التيمورية (لقبلة المقدس).
(٨) الجملة الدعائية عن التيمورية.

واعتذروا عن هذه الزلة العظيمة والبدعة الشنيعة بأنها الجهة التى صلب إليها إلاههم.

ولو أن لهم عقلا لرفض[1] هذه الجهة فى العادة، فكيف فى العبادة، وكيف يجوز لهم أن يحدثوا فى دينهم ما لم يكن فيه، بناء على فعل[2] شر خلق الله تعالى اليهود، وهل هذا إلا من تلاعبهم بالدين، وانتظامهم[3] فى سلك المجانين.

السؤال الثامن والأربعون:

النصارى يبول أحدهم ويتغوط، ويقوم من فوره من غير استنجاء لصلاته[4]، وهو مما أحدثوه بعد المسيح - عليه السلام -، ولا يوجد فى شريعة من الشرائع إهمال الأدب مع الله تعالى، فى مناجاته والوقوف بين يديه، بل الشرايع تأمر بأن العبد لا يقوم بين يدى الله تعالى، إلا على أكمل أحواله، فيجمعون فى صلاتهم بين ملابسة أقبح القاذورات، ويستقبلون ما لم يشرع لهم من الجهات، ويتضرعون إلى رجل من بنى آدم قضوا عليه بالهوان والممات، ويسألونه[5] بالمسامير التى سمر بها على الخشبة أن يغفر لهم الزلات، وهذه صلاة لو تقرب بها إلى كانس الكنيف[6] لأشبعهم بالضرب العنيف، وأنف أن يكون هؤلاء من خدمه أو معدودين من حشمه.

السؤال التاسع والأربعون:

رهبان النصارى وقساوستهم[7]. يرون أن من أراد التوبة يعترف لهم

---

(١) كلمة (عقلا) عن التيمورية.

(٢) كلمة (فعل) ساقطة من التيمورية.

(٣) كلمة (انتظامهم) عن التيمورية.

(٤) فى التيمورية (لصلاته وهو متضمخ ببوله وخراه).

(٥) فى التيمورية (ويناودونه).

(٦) يطلق على الحظيرة من خشب أو شجر تتخذ للإبل والغنم، والمرحاض. المعجم الوجيز مادة «كنف».

(٧) فى الأصل (وأفسادهم) والكلمة عن التيمورية.

بمخازيه وذنوبه، وإلا فلا يقبل له توبة فإذا اعترف للبترك أو القس غفر له ذنبه كأنه ربه أو خالقه، ويبعثون العصاة على المجاهرة بالمعاصى، وكتمان المعصية أخف جناية من إظهارها[1] ويسلطون ولاة الأمور على أموال الناس. بالاطلاع على معاصيهم وجناياتهم وينشرون الفاحشة والفضيحة والعار فى الذرارى والأعقاب. ويبقى أهل ذلك البيت سبة على وجه الدهر وهذه مفاسد كبيرة لم تأمر بها شريعة، ولكنها من بدعهم الفظيعة، وهذامشهور بعكا وسائر مدن النصارى، وأى ذنب سكت عنه وخباه لا يغفره الله له.

السؤال الخمسون:

زاد النصارى فى صومهم الكبير[2] جمعة يصومونها لهرقل ملك بيت المقدس، بسبب أن الفرس لما استولوا على البيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس أعانهم اليهود على ذلك، وكانوا أشد فتكا فيهم من الفرس، فلما توجه هرقل للبيت المقدس تلقاه اليهود بالهدايا وسألوه الأمان، فكتب لهم أمانا على أنفسهم وأموالهم، فلما دخل البيت المقدس شكا إليه النصارى ما لقوا من اليهود، وسألوه قتلهم فاعتذر بالتأمين، فقالوا نحن نصوم عنك جمعة فى أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه، وندع أكل اللحم فى الصوم مادامت النصرانية، ونلعن من يخالف ذلك ونكتب بذلك إلى الآفاق غفرانا لذنبك، فأجابهم وقتل اليهود وفعلوا ما قالوا وهذا من التلاعب بالدين، موجبون ما لم يوجبه الله تعالى، ويحرمون من اللحم ما لم يحرمه الله، ويزيدون فى قربات الله ما لم يأذن به[3]. وهذا غاية اللعب بالرسائل الربانية والنواميس الإلهية. ثم إنهم

---

(١) وفى الحديث الشريف (كل أمتى معافى إلا المجاهرون) البخارى ك الأدب ٦٠ ومسلم ك الزهد ٥٢.

(٢) هو الصوم المقدس. وعدد أيامه ٥٥ هى عبارة عن الأربعين يوما التى صامها المسيح. مضافا إليها أسبوعان الأول قبل الأربعين ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم، والثانى أسبوع الآلام، يأتى بعد الأربعين وينتهى بأحد القيامة ويمتنع فى هذا الصوم عن أكل كل حيوان وما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ولا يعقد فى أثنائه سر زواج.

(٣) فى التيمورية (يأذن فيه).

التزموا ستين يوما، ولا نكاد نجد من نسأله عن الصوم الواجب منها، كم هو؟ فيعرفه. وكان القسيس حفص أفقه من نشأ فى النصرانية، وأزكاهم وأعرفهم، على أنه ليس فى القوم رجل رشيد. إلا أنه[1] كان فى ذمة المسلمين وتعلم من علومهم ما ميزه بين النصارى. ومع ذلك إذا أخذ يتحدث فى دينهم يتلجلج لسانه، وينعجم بيانه، لأجل قواعدهم الرديئة، وآرائهم الدنية[2]، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر[3].

وقد نص القسيس حفص فى كتابه، وقد سأله سائل عن صيامهم الواجب فقال: أول[4] من صام الأربعين يوما موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ[5] وصامها بعد ذلك إلياس النبى الذى رفعه الله إليه فى عصر بنى إسرائيل[6].. ثم بعد ذلك صامها المسيح[7]. وأما العلماء فكملوها ثلاثة وأربعين، وإنما هى عُشْر أيام السنة، كما قال بولس الحوارى فى بعض رسائله، كما تؤدون العشر من أموالكم، فأدوا العشر من أبدانكم[8]. فهذا هو الصيام المفروض، فأخذ يبين[9] أن الثلاثة والأربعين واجبة. بما يقتضى أنها ليست واجبة، لإخباره أن أحبارهم أوجبوا

---

(١) فى الأصل (إلا أن) والسياق عن التيمورية.

(٢) فى الأصل (الونيئة) والسياق عن التيمورية.

(٣) بالعودة إلى تمثال الأمثال – جمهرة الأمثال – مجمع الأمثال – المستقصى فى أمثال العرب – معجم الشواهد، لم أجد هذا المثل.

(٤) كلمة (أول) عن التيمورية.

(٥) ورد فى التوراة (وكان هناك – أى موسى – عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر..) خروج ٣٤/٢٨.

(٦) ورد فى سفر الملوك الأول (١٩/٨) فقام – أى الياس – وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب.

(٧) ورد فى متى (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فبعدما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا) صح ٤/١ : ٢.

(٨) الرسالة إلى العبرانيين ٧/١ : ٨.

(٩) فى الأصل (فأخذوا منهم) والسياق عن التيمورية.

الثلاثة من عند أنفسهم، مع أن عيسى وموسى وغيرهما من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين لم[1] يبينوها.

فان كانت واجبة فما بلغوا أحكام الله، واعتقاد ذلك فيهم كفر، وإن لم تكن واجبة[2] فلما أوجبها الجهال منكم، واعتمدوا على قول بولس الذى بينا أنه يهودى، قد سلّكم من الدين كما تُسَلّ الشعرة من العجين، فأفسد عليكم دينكم وأحكامه، فأحدث لكم القول بالثالوث وأبطل الختان، وحولكم عن قبلة الأنبياء - عليهم السلام - إلى الشرق، وأحل لكم المحرمات، وأوقعكم فى المعضلات بالخيالات والترهات، وهب أنه حوارى كما زعمتم أنه ادعاه، فلعله ارتد كما ذكرتم أن يهوذا من الحواريين ارتد. سلمنا أنه حوارى لم يرتد، فاتباع الحوارى[3] غيره من دون الإنجيل أولى، ولم يذكروا هذه الأيام الثلاثة، بل اتباع موسى والنبيين - صلوات الله عليهم - أولى، فإنه ليس نبيا ولا ينقل عن الله تعالى.

ثم قوله هى عُشْر أيام السنة، علمهم فيها بالحساب، كعلمهم بالحساب فى الواحد، جعلوه ثلاثة، وجعلوا الثلاثة واحد. وهو أظهر أنواع الحساب ومراتبه، بل عشر أيام السنة، ستة وثلاثون يوما وبعض يوم، لأن السنة الشمسية، ثلاث مائة يوم وستون يوما وخمسة أيام وربع يوم مجبور، فعشر ثلاثمائة ثلاثون، وعشر ستين ستة، وخمسة وربع عشرها بعض يوم، وفى سنة الكبيس، وهى فى كل أربع سنين سنة بسبب اجتماع الربع يكون ثلاثمائة وستة وستين يوما، يكون العشر ستة وثلاثين يوما، فأين الأربعون فضلا عن ثلاثة وأربعين. ومن غلط فى الثلاثة لا غرو ولا عجب أن يغلط فى عشر ثلاث مائة وخمسة وستين، ثم المنقول فى التواريخ أن الله تعالى إنما أوجب على بنى إسرائيل ثلاثين يوما شهر رمضان، وقد صرحت به[4] شريعتنا، المطهرة، ثم إنهم وجدوه يأتى فى شدة الحر أحيانا

---

(١) كلمة (أجمعين) عن التيمورية وكلمة (لم) ساقطة.

(٢) فى التيمورية (وإن بينوها لبيان لم تكن واجبة).

(٣) كلمة (الحوارى) ساقطة من التيمورية.

(٤) فى التيمورية (الذي جاءت به شريعتنا).

فشق ذلك عليهم، فآثروا أن يزيدوه عشرة ويحولونه إلى الشتاء فتجبر صعوبة الحر بزيادة العدد فصارت أربعين يوما من يومئذ، ثم زادوا لهرقل جمعة كما تقدم بيانه واتصلت الزيادة بزيادة بولس وغيره إلى ستين، ثم إن من يخلفهم يصومون الكل بنية واحدة، ولا يقصدون ما أوجبه الله بنية تخصه، وما ابتدعوه بنية تخصه. ثم نقول لهم: كيف تعتقدون أن موسى - عليه السلام - إذا صام أربعين يوما يلزم أن يكون الجميع واجبا، أو شيىء منها واجب فإن الأنبياء - عليهم السلام - كما يفعلون الواجبات يفعلون التطوعات، بل هم أولى الناس بها، فلم قلتم إنهم صاموا على وجه الوجوب، ولعل الله تعالى لم يوجب صوما[1] فى التوراة ألبتة، بل أمر به تطوعا، فالقضاء على ذلك الصوم بالوجوب جهل، حتى تنقلوا أن موسى - عليه السلام - قال صمته على سبيل الوجوب، أو قال احملوا أفعالى كلها على الوجوب، حتى أقول لكم هى غير واجبة، لكنهم لم ينقلوا شيئا من ذلك، فقد حكمتم بالجهل، ثم إنكم تفطرون من العصر[2]، ومن أين لكم أن الصوم لهذا الوقت يجزى، بل ظاهر النقل إن صح أن موسى عليه السلام، كان يصوم أربعين يوما، أنه يصوم اليوم[3] من أوله إلى آخره، فالاقتصار على خلاف ما نقلتموه[4]، إفساد للدين، وبالجملة فأصل النقل لم يثبت بالعدل عن العدل، والتفقه فيه[5] فى غاية الفساد، فهو فاسد مبنى على فاسد.

ثم العجب من اليهود والنصارى أنهم أجمعين[6] يدعون اتباع التوراة، وقد اقتسموا فى الصوم طرفى الإفراط والتفريط. فالنصارى يصومون ستين،

(١) كلمة (صوما) عن التيمورية.
(٢) كلمة (من العصر) ساقطة من التيمورية.
(٣) فى التيمورية (النهار).
(٤) فى الأصل (نقلوه) وكلمة (نقلتموه) عن التيمورية.
(٥) كلمة (فيه) عن التيمورية.
(٦) فى الأصل (أنهم يجتمعون ويدعون) والسياق عن التيمورية.

واليهود يوما واحد[١] من كل سنة، فليت شعرى أين التوراة من هاتين الفئتين، لقد تفرقت بهم السبل أيدى سبأ[٢]. والتزموا اتباع الهوى دينا ومذهبا.

السؤال الحادى والخمسون:

للنصارى عيد ميكائيل، ليس له أصل فى الشرع، بل ابتدعوه بسبب أنه كان فى الإسكندرية صنم يعمل له أهل الإسكندرية ومصر[٣] عيدا عظيما، ويذبحون الذبائح - فولى بطركة الإسكندرية الأكسيدورس[٤] - فرام ذلك الصنم. فلم يقدر من عوام النصارى فقال إن تعييدكم لصنم لا يضر ولا ينفع

---

(١) حصر صيام اليهود بيوم واحد هو ثمرة الفقة فى الحديث الشريف حيث إن الرسول ﷺ أتى المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشورا. فسألهم عنه فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه بنى إسرائيل من عدوهم فرعون. فقال أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر الناس بصيامه. أما صيام النصارى فإنه ينقسم إلى ما يلي:

(أ) صوم الأربعاء من كل أسبوع. وهو يوم المؤامرة التى انتهت بالقبض على عيسى.

(ب) يوم الجمعة لأن المسيح صلب فيه.

(جـ) صوم الميلاد وعدد أيامه ٤٣ تنتهى بعيد الميلاد.

(د) الصوم المقدس وعدد أيامه خمسة وخمسين هى عبارة عن الأربعين يوما التى صامها المسيح مضافا إليها أسبوعان.

الأول: قبل الأربعين ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعين المقدس.

الثانى: أسبوع الآلام ويأتى بعد الأربعين وينتهى بأحد القيامة ويمتنع فى هذا الصوم أكل كل حيوان وما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ولا يعقد فى أثنائه سر زواج.

(هـ) صيام الرسل وعدد أيامه يزيد وينتهى حسب الطوايف وتتراوح مدته بين ١٥، ١٩ يوما.

(و) صوم العذراء ومدته ١٥ يوما تبدأ من أول شهر مسرى.

ومفهوم الصوم عندهم الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار. ثم تناول طعام خال من الدسم.

(٢) يقال تفرقوا أيدى سبأ وأيادى سبأ أى مثل تفرق أولاد سبأ بن يشجب حين أرسل عليهم سيل العرم والأيدى كناية عن الأبناء والأسرة لأنهم فى القوة بمنزلة الأيدى (شرح الكافية جـ٢ صفحة ٨٥).

(٣) كلمة (مصر) عن التيمورية.

(٤) الجملة عن التيمورية.

جهل وإضلال(١) وكفر، فلو جعلتم العيد لميكائيل الملك، وذبحتم له هذه الذبائح لكان يشفع لكم عند الله تعالى، وذلك خير لكم من الصنم، فأجابوه، وكسر ذلك الصنم واتخذ منه صلبانا، وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل، واستمر ذلك إلى اليوم ولا أصل له فى الدين وذلك ضلال عظيم(٢).

السؤال الثانى والخمسون:

لهم عيد الصليب وعيد النور وغيرهما. لا أصل لهما فى شرعهم. وقد زادوها فى شرعهم وشعائرهم بجهلهم. وسبب عيد الصليب أن اليهود لعنهم الله اتخذوا المقبرة التى دفن بها الشبه مزبلة للأوساخ والأقذار. تحقيرا وإهانة للمصلوب. واستمر ذلك كذلك(٣) نحو ثلاث مائة سنة، فجاءت امرأة قسطنطين الملك الخبيث الملعون(٤) فأمرت بالكشف، وظهرت المقبرة وفيها ثلاثة صلبان، وهى صليب لكل من اللصين والشبه، فأشكل عليها صليب المسيح -عليه السلام- على رأيها وأرادت عرفانه. وكان ثم مريض به علة عظيمة. فوضعت عليه صليبا بعد صليب فلم يبرأ. فوضعت الثالث فبرأ لحينه. فقالت هذا صليب الرب فلفته بالذهب وبعثته إلى الملك(٥). ثم إن النصارى جعلوا ذلك عيدا، وعظموا الصليب غاية التعظيم، حتى صوروه فى كنايسهم، وطبعوه على أجسامهم وأثوابهم وقربانهم ولو أمكنهم أن لا يخلوا شيئا إلا فعلوه فيه - لفعلوا(٦) - ومنهم من يُصَلِّب على وجهه بأصبع واحدة وهم القبط، وبأصبعين وهم الروم،

---

(١) فى الأصل (ولا ينفع بل ضلال وكفر) والسياق عن التيمورية.
(٢) يحتفل النصارى بعيد ميخائيل مرتين. الأولى يوم التاسع عشر من شهر يونيو والثانية يوم واحد وعشرين من شهر نوفمبر.
(٣) كلمتى (استمر.. كذلك) عن التيمورية.
(٤) كلمتى (الخبيث الملعون) عن التيمورية.
(٥) فى التيمورية (فغلفته بالذهب وتبعته).
(٦) تطلب السياق جوابا للشرط.

وبالعشرة وهم الإفرنج وهو شيء لم يجدوه فى كتاب من الكتب، ولا فى شريعة من الشرائع بل ابتدعوه بآرائهم الفاسدة وعقولهم السقيمة، بل العاقل يهان غلامه أيسر[١] الإهانات، فيود لو نسيت تلك الإهانة، وعفيت[٢] آثارها تعظيما لقدره وقدر[٣] غلامه فكيف رضى بإهانة ربه على زعمه بتلك الإهانات العظيمة المتنوعة فلو كانوا عقلاء محوا آثارها وأخملوا شعارها وراغموا اليهود فى إخماد غيظهم، ومحو آثار صنيعهم[٤] بل صاروا لليهود على إظهار ذلك العدوان أعوانا، وجعلوا شعار هوان ربهم قربانا، فلو نزل[٥] التلاميذ اليوم لم يعرفوا شيئا مما عليه النصارى الآن، ولا وجدوهم فى سلك دين من الأديان، فإن تخيل[٦] لهم لعقلهم الفاسد أن الصليب ينبغى أن يعظم لكون الرب صعد إلى السماء فهو فاسد، وإن قاله كثير لأنه عندهم دفن بعد الصلب[٧] ثلاثة أيام وصعد من القبر إلى السماء[٨] فالقبور حينئذ أولى بالتعظيم، وإن كان ولابد من هذا الباب، ففى الإنجيل أن المسيح ـ عليه السلام ـ ركب الحمار عند دخوله المدينة، وبين يديه الصبيان ينادون: مبارك الآتى باسم الرب، فركب الحمار فى حال تعظيمه، والصليب في حالة إهانته فينبغى لهم أن يعظموا الحمير، ويضمخوها بالعبير[٩]، ولا يركبونها صيانة لمركوب المعبود عن ملابسة العبيد، وهى أفضل من الصليب، لأنها حيوان وهو جماد وأين آثار السعادة من آثار الإهانة والإنكار.

---

(١) فى الأصل (أشد) وكلمة (أيسر) عن التيمورية.
(٢) فى التيمورية (وخفيت).
(٣) كلمة (وقدر) عن التيمورية.
(٤) كلمة (صنيعهم) عن التيمورية.
(٥) فى التيمورية (ولم يزل).
(٦) فى الأصل (فانا يحل).
(٧) فى الأصل (بعد ذلك) وكلمة (الصلب) عن التيمورية.
(٨) كلمتى (إلى السماء) عن التيمورية.
(٩) كلمة (بالعبير) ساقطة من التيمورية.

السؤال الثالث والخمسون:

أكثر النصارى يسجد للتصاوير فى الكنايس[١]، وهو من كفرهم القبيح، وأى فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير، ولو أن السجود للصورتين لسجدت التلاميذ للمسيح - عليه السلام - فى حال حياته، فإن صورته أفضل مما يصورونه فى الكنايس، وليس فى كتبهم حرف من شرع التصوير، ولا من السجود للتصاوير، بل مملوءة بالتوحيد والتمجيد، وكفر مَنْ يعقل مثل هذا[٢]، فهم كفرة فجرة على كل كتاب أنزل وعند كل نبى أرسل.

السؤال الرابع والخمسون:

جوزت النصارى على البارى تعالى النزول والطلوع والحركة والسكون وهى من خواص الأجسام المحدثة، ولا يكون إلا فى المخلوقات المخترعة المدبرة، فيلزمهم أن إلههم جسم محدث، ومخلوق مدبر وهم لا يشعرون.

السؤال الخامس والخمسون:

أكلت النصارى لحوم الخنازير، وأحلوها بعد تحريمها فى زمن المسيح عليه السلام فى التوراة والإنجيل[٣]، فراغموا الكتب وخالفوا الرسل ففى التوراة، الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه[٤] وهو نص لا يحتمل التأويل.

---

(١) تصرح الكنيسة القبطية بالأيقونات والصور غير البارزة بينما الكنيسة الكاثوليكية تصرح بذلك وإن كان مجسما. تاريخ الأقباط ١ / ٩١ : ٩٢.

(٢) وردت نصوص عدة تصرح بتوحيد الله فى الإنجيل إلا أن النصارى أوَّلوا الوحدانية، ولهم طرق شتى فى محاولة الجمع بين الثلاثة والواحد، وجعل كل منهما يشمل الآخر. ويمكن الرجوع إلى الكتب الآتية لبيان تأويلهم، الله ثالوث وحدانيته ووحدانيته ثالوثه من ٤٠ - ٤٢، عقائد أساسية مدخل فى علم اللاهوت من ٢١ - ٣٤ - ٨٠ - ٨٩، الأمور المتيقنه عندنا القس كارل. سى من ١٤ - ١٩، ٥٦ - ٦٢، الإيمان بالمسيح لمتى المسكين ط دير الأنبا مقار من ٢٤ : ٤٥.

(٣) ورد تحريم الخنزير فى التوراة فى سفر اللاويين (والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم، من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا. إنها نجسة لكم..) لاويين ١١ / ٧ : ٨.

(٤) الراجح ما ذكر فى اللاويين ١١ / ٧ : ٩.

وفى إنجيل مرقص أن المسيح - عليه السلام - ، أتلف الخنزير وغرق منه فى البحر قطيعا كثيرا وقال لتلاميذه، لا تعطوا القدس الكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير[١] فقرنها بالكلاب، فمن أحلها فقد كفر بموسى والمسيح[٢] - عليهما السلام - .

ويروون عن بطرس أنه رأي فى المنام أن صحيفة نزلت من السماء فيها صور الحيوانات والخنازير وقيل له: كل[٣] منها ما أحببت. والشرائع لا تدون[٤] بالأحلام.

والرسل - عليهم السلام - لا يُكَذِّبُون بالمنام، مع أننا نمنع صحة هذا النقل عن بطرس فانه ليس عندهم نقل صحيح لعدم رواية الكتب عن العدول والضبط لحروفها وما فيها من معانيها.

السؤال السادس والخمسون:

التزام النصارى أن الراهب والراهبة لا يتزوجون[٥] وأن الزواج مناف لباب التقرب إلى الله تعالى، وأن ترك النكاح من جملة المناسك والقربات، ويعرضون الرجال والنساء للزنا والفساد فى بيوت العبادات، ويسدون باب الذرية الصالحة،

---

(١) (وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى فطلب إليه كل الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها. فأذن لهم يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت الخنازير. فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر وكان نحو ألفين فاختنق فى البحر) مرقس ٥/ ١١: ١٤.

(٢) كلمة (المسيح) ساقطة من التيمورية.

(٣) فى الأصل (قل).

(٤) فى التيمورية (لا ترفض).

(٥) الرهبنة من المبادىء التى وضعها بولس فى المسيحية. ففى رسالته إلى أهل كورنثوس قال لهم: (وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة) تسالونيكى ٨/ ٢٦ وذكر الشراح أن الزواج أفضل وأن الإجابة كانت لظروف الزمان والمكان حيث إن بولس رأى أن هؤلاء القوم يؤثرون العزوبة للحكماء وطلاب العلم فأجابهم بما يؤثرون. وهكذا يحل النصارى ويحرمون وفق العادات والتقاليد فالقسيس فى إفريقيا يتزوج ويعدد وفى أوروبا لا يتزوج.

ومن يعظم الله تعالى ويمجده ويقدسه، وهو أمر لا يجدون له عندهم أصلا إلا قول الإنجيل (من ترك زوجة أو بنين أو حقلا من أجلى فإنه يعطى للواحد ألفا[١]، فقد صرح بأن ترك الزوجة يثاب عليه. وهم على ضلال[٢] فيه من وجوه:

أحدها: أن الأولاد لا يجوز تركهم بغير كفالة، ومن نسب المسيح عليه السلام للجهل بذلك فقد كفر، وتعين أن يكون المراد من ترك زوجة لله تعالى إذا طلبت فراقه لعجزه أو لسبب آخر، وترك البنين – بمعنى[٣] – لا يشتغل بمحبته إياهم[٤] عن طاعة الله تعالى.

وثانيها: أنه سماها زوجة. وإنما تكون زوجة إذا عقد عليها وحازها. فهو أمر بالفراق إذا أمر الله تعالى به، لا أنه[٥] أمر بترك الزواج، كقوله تعالى فى القرآن ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فكما أن الزواج يكون لله تعالى يكون الفراق له.

وثالثها: أنه معارض بقول المسيح عليه السلام فى الإنجيل(من طلق زوجته باطلا فقد عرضها للزنا[٦] فقد نهى عن الطلاق بغير سبب يوجبه وأمر بدوام الزوجية عند عدم سبب الفراق.

ورابعها: الزواج مشتمل على قربات – منها إعفاف الزوجة وإعفاف الزوج والتسبب لعبد صالح يعظم الله تعالى، وإرغام الشيطان بصون الإنسان عن موارد

---

(١) ورد فى مرقص (فأجاب يسوع وقال الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتا أو إخوة أو أخوات أو أبا وأما أو امرأة أو أولادا أو حقولا لأجلى ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتا وإخوه وأخوات وأمهات وأولاد.) مرقص ١٠ / ٢٩ : ٣٠.

(٢) فى الأصل (هم على غلط فيه) والسياق عن التيمورية.

(٣) تطلبها السياق.

(٤) فى الأصل «أحياهم» وكلمة (إياهم) عن التيمورية.

(٥) فى الأصل (أنه) وهو متعارض من حيث المعنى.

(٦) ورد فى إنجيل متى أن الفريسيين أتو المسيح عليه السلام وسألوه عن الطلاق فقال لهم (إن من طلق امرأته إلاّ بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى..) راجع القصة بتمامها. متى صح ١٩- ٣ : ١١.

العصيان، وهذا القربان أفضل مما انقطع إليه الرهبان من الصلوات، ثم النكاح والتناسل سنة الأنبياء - عليهم السلام - ، وخواص الأولياء ودأب النجباء والأقوياء وفى كتبهم أن الله تعالى امتن على إبراهيم - عليه السلام - ، وزكريا - عليه السلام - بنعمة الأولاد[1].

وقد قال مرقص فى الرسالة الثانية عشرة. إن القس حقيق[2] بأن يكون غير ملزم فانه وكيل الله تعالى، غير حقود ولا مستبد برأيه، ولا مجاوز القصد فى الخمر ولا قرع[3] يده إلى الضرب، وأن يكون محبا للقربات والأعمال الصالحات، عفيفا بارا خيرا ضابطا لنفسه عن الشهوات غنيا بالعلم والتعليم وله زوجة واحدة وبنون صالحون[4]، وهذا نص فى حسن النكاح، والتسبب للعفاف، فمن خالفه فقد ضل عن سنة النبيين، وأحدث البدع القبيحة فى الدين، وما هى إلا نزعة[5] فلسفية. وخيالات سوداوية.

السؤال السابع والخمسون :

النصارى اليوم كلهم معترفون بأنهم عصاة جناة، رافضون لشرايعهم متبعون لطبايعهم وذلك أن مذهبهم الاستسلام وترك القتال والانتصار وعدم مدافعة الكفار وترك الأخذ بالثأر، لما فى الإنجيل أنه من لطمك على خدك فحول

---

(١) ورد فى خطاب الله لإبراهيم (فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا فسقط إبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الامم. فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لانى اجعلك أبا لجمهور من الأمم. وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما. .) تكوين (١٧ / ٢ : ٦).

(٢) فى الأصل (محقوق) وكلمة (حقيق) عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (ولا أسرع) (تسرع) عن التيمورية.

(٤) ورد فى الرسالة إلى العبرانيين (لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس فى ما لله لكى يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا. قادرا أن يترفق بالجهال والضالين إذ هو أيضا محاط بالضعف، ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضا لأجل نفسه) عبرانيين ٥ / ١ : ٤.

(٥) فى التيمورية (بدعة).

له الآخر.[١] وقد تقدم هذا الفصل مستوعبا وفيه: أحبوا مبغضيكم وصلوا على لاعنيكم، وكفى بهذا[٢].

ويقولون: لو أراد المسيح ـ عليه السلام ـ الحروب لم يستسلم[٣] وقد قال بولس فى الرسالة الحادية عشرة: اهرب من جميع الشهوات، واسع[٤] للرب والإيمان والود[٥] والتسليم وتنكب المنازعات[٦] فانها تورث القتال، وليس يحل لعبد أن يقاتل. هذا قول بولس[٧] ومع ذلك فهم اليوم أشد الناس قتالا وحرصا

---

(١) ورد فى متى (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك الرداء أيضا. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين، ومن سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده) متى صح ٥/٣٩: ٤٢.

(٢) ورد فى متى (سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. متى ٥/٤٣.

(٣) النصوص غير قطعية فى الاستسلام كما مر، وإنما تضافرت النصوص على الجواز، وعلى التسليم - جدلا - بما ذهبوا إليه، فان الواقع كان يملى على المسيح ـ عليه السلام ـ أن يستسلم، لان الأنبياء من أكمل الناس عقلا، والحرب تحتاج إلى توافر عوامل عدة منها:

(أ) أرض يقوم عليها المحاربون (حقيقية - أو حكما) لهم فيها استقلال تام أو سيطرة معينة.

(ب) قوة مادية تساندهم حين المعركة ويعتمدون عليها.

(جـ) قوة معنوية تثبت المحاربين حتى يؤثروا الاستشهاد على الحياة.

ومن يقرأ الأناجيل لا يجد شيئا من هذه العناصر موجودا، فلم تتحقق للمسيحية بقعة مستقلة فى حياة عيسى ـ عليه السلام ـ تسود فيها دعوته. وعن القوة المادية فان التعاليم الواردة عندهم تنكرها، فالزهد هو كل شىء فى حياة المسيح ونصوص دعوته، والقوة المعنوية منتفية بدليل أن احد تلاميذه باعه لليهود، كما أنه قد حكم عليهم بالشك فيه (كلكم تشكون فىَّ هذه الليلة) فانىّ للمسيح أن يحارب فكان السلام ضرورة.

(٤) فى الأصل (وابتغ) وكلمة (اسع) عن التيمورية.

(٥) في التيمورية (والرد).

(٦) فى التيمورية (واترك).

(٧) ورد فى الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس (وأما أنت يا انسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة. جاهد جهاد الإيمان الحسن وأمسك بالحياة الأبدية التى إليها دعيت أيضا واعترف الإعتراف الحسن أمام شهود كثيرين) تيموثاوس الأولى صح ٦/١١.

على سفك الدماء، واتباع الأهواء وهم موافقون على الفصلين، فهم حينئذ معترفون بكفرهم بالشرائع واتباع الطبائع.

السؤال الثامن والخمسون:

اتفقت النصارى على الحكم بغير ما أنزل الله تعالى واتباع الأهوية فى الأحكام، يحلون الحرام[١] ويحرمون الحلال[٢]، ويسفكون الدماء ويحبون الأموال والفروج بغير شرع، بل بمجرد اتباع الأهواء والوسواس السوداوى من غير شرع منقول. وذلك أنه ليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف[٣] لم ينقلوها عن المسيح - عليه السلام - . فهى أيضا فى نفسها باطلة. ولو أنها صحيحة فالصلوات وحدها تحتاج آلافا من المسائل فأين أحكام الله تعالى فى بقية العبادات والأنكحة والمعاملات والأقضية والجنايات والودائع والرهون والديون والأتلاف إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى فى التصرفات[٤].

وأقل مختصر عند المسلمين يحتوى على عشرة آلاف مسألة، ومع ذلك فهو قطرة فى بحر، فكيف خمسمائة مسألة، وأكثر رجوعهم إلى أحكام المسلمين مع أنها عندهم باطلة، وأى شيىء استحسنوه بعقولهم السقيمة حكموا به، فإن نازعهم أحد منهم حرموه ومنعوه من دخول الكنائس، وهذا غاية البعد من الشرائع واتباع الأهوية والضلال، ثم إنهم يحكمون بما لا يرضاه الصبيان - ولا طبيعة النسوان[٥] - كما يصنعون فى كرسى مملكتهم بعكا بالشام[٦].

---

(١) تحليل الخنزير والخمر.

(٢) تحريم الطلاق والتعدد والختان.

(٣) النيف هو العدد من واحد إلى ثلاثة والبضع من أربعة إلى تسعة (المصباح المنير مادة نيف).

(٤) يصرح النصارى بخلو كتبهم من هذا ويرون تركه إلى الزمان نظرا لتغايره. وهو ضرب من العجز فى التشريع ودليل التحريف لأن شريعة الله شأنها صلاح البشر فى الدنيا والآخرة بأصول محكمة.

(٥) الجملة ساقطة من التيمورية. (٦) فى التيمورية (بالشام بعكا).

إذا ادعى أحد على أحد قتل قريبه، دفعوا لكل واحد باسيلقا من السلاح، ويحلقون رأسَيْ الاثنين ويعطونهما قرنين محددين، ثم يخرجون عند باب المدينة، فمن صرع صاحبه بذلك الحديد جلس على صدره، وخسف عينيه بالقرن(١)، وسلمه لولى الأمر، ويعنون(٢) أنه الظالم بسبب أن المسيح قد نصره عليه، وهذا حكم المجانين والضعفة من المغفلين.

السؤال التاسع والخمسون:

قالت النصارى: إن يوحنا جلس بأفسيس من بلاد الروم، يكتب إنجيله، فنزل مطر فمحى بعض ما كتب فغضب يوحنا ورفع وجهه إلى السماء وقال: أما تستحى أن تمحى اسم ابن إلهك، فلم تمطر تلك القرية بعدها، قالوا وبينها وبين قسطنطينية ألف فرسخ.

وهذا شأن النصارى فيما يستشهدون به على أباطيلهم - يبعدون شاهدهم غاية البعد، فانظر هذه الرقاعة، كيف يغضب يوحنا على ربه، وينازعه فى تصرفه فى ملكه، وجرأتهم على يوحنا فى نسبته لهذه الجهالة مع ماله من المكانة.

السؤال الستون:

قالت النصارى: إن المسيح - عليه السلام - لم يتكلم فى المهد. ولم ينطق ببراءة أمه(٣) بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار، وتحكم بأنه ولد زنا(٤)، مع أنه عندهم قادر على كل شيىء - وخالق كل شيىء(٥) -

---

(١) فى التيمورية (بالعين).

(٢) فى الأصل (ويعين).

(٣) النطق ببراءة مريم من خصوصيات الإسلام. ولعل ذلك قد ورد فيما أوحى به إلى المسيح - عليه السلام - ولكنه ذهب مع النصوص التي ذهبت.

(٤) هذا ما صرح به الكتاب المعصوم من الخطأ قال تعالى فى حق اليهود. ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦].

(٥) الجملة ساقطة من التيمورية.

فيلزمهم أن ما لقيت والدة من ولدها شرا مما لقيت مريم - رضى الله عنها - من المسيح - عليه السلام -. وأنه جمع بين عقوق أمه وهتك سترها. وفضيحتها على رؤوس الأشهاد.

وأعان على التمادى على الباطل، اعتقادا وقولا مع قدرته على دفع جميع هذه المفاسد بغير كلفة، ثم ما اكتفى لوالدته بذلك، حتى ألزمها الصلاة والصوم ومشاق التكاليف وقضى عليها الموت، وجرعها غصص الموت[1]، وسلط على جسدها الفساد وهذا لم يصل إلى قبحه[2] ولد من الأولاد، وهو - صلوات الله عليه - منزه عن جميع ذلك وإنما يلزمهم هذا من مذهبهم السوء المشتمل على الكفر والفساد.

السؤال الحادى والستون :

مذهب النصارى أن الخير من الله والشر من الشيطان[3]. ووافقهم بعض اليهود. فيلزمهم أن يكون مراد الله تعالى أقل وقوعا، وأن مراد الشيطان أكثر وقوعا وأنفذ وأغلب، لكون أكثر العالم كفارا وضلالا، وشريرين اتفاقا، فيلزمهم

(١) فى التيمورية (القوت).

(٢) فى التيمورية (وهذا لم ينسب إلى أقبح ولد من الأولاد).

(٣) ورد فى كتاب الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكوينى. تحت عنوان: هل يعرف الله الشرور. كل علم إما علة للمعلول أو معلول له. وعلم الله ليس علة للشر. ولا معلولا له. فإذا ليس يتعلق بالشرور. وأيضا كل ما يعرف فهو يعرف بشبهه أو بمقابله وكل ما يعرف الله فإنه يعرفه بذاته.. والذات الإلهية ليست شبها للشر ولا الشر مقابلا لها. إذ ليس شيىء مضادا للذات الإلهية. كما قال اوغسطينوس فى كتاب مدينة الله (٢ / ١٢).

فاذن الله لا يعرف الشرور. وأيضا ما يعرف لا بنفسه بل بغيره فإنه يعرف معرفة ناقصة والشر لا يعرف من الله بنفسه وإلا لوجب أن يكون الشر فى الله ضرورة أن المعروف يحصل فى العارف. فإذا لو كان يعرف منه بغيره أى بالخير لكان يعرف منه معرفة ناقصة وهذا محال إذ ليس لله معرفة ناقصة فإذا ليس يتعلق علم الله بالشرور - الخلاصة اللاهوتية ص ١٩٦ - ١٩٧ / المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٨٨٧م.

ويلاحظ وصف العلم بالنقصان حيث معرفة الخير والعلم به دون معرفة الشرور والعلم بها.

أن يكون الشيطان أولى بالربوبية، وأحق بالعبودية، وديننا أن الخير والشر والنفع والضر كل بيد الله[1] وهو مسطور فى كتبهم ولكنهم لا يهتدون إليه سبيلا.

ففى التوراة: قال الله تعالى لموسى – عليه السلام – امض لفرعون وقل له: أرسل شعبى يعبدونى. وأنا أقسى قلبه فلا يرسلهم[2].

(وفيها) وقسى الله تعالى[3] قلب فرعون فلم يؤمن كما قال الرب[4].

وهو تصريح بأن الله تعالى يخلق القسوة والكفر فى القلوب كما يقول المسلمون.

(وفيها لما أخرج الصاع من رحل بنيامين. خرج إخوته. وقالوا من عند الله نزلت هذه الخطيئة. وهو فى التوراة كثير[5].

(وفى الإنجيل) إنى لم آت لأعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلنى[6]، كقوله تعالى فى القرآن الكريم، ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [التكوير: ٢٩]، ونصوص التوراة والإنجيل متظافرة وهم على ذلك بالكتابين كافرون ولكن لا يشعرون.

---

(١) قال تعالى: ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ [الحجر: ٢١].

(٢) ورد فى سفر الخروج (ثم قال الرب لموسى: ادخل إلى فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبى ليعبدونى.. ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما كما كلم الرب موسى) خروج ٩/ ١: ٨.

(٣) كلمة (تعالى) ساقطة من التيمورية.

(٤) وردت نصوص عدة تحكم بالقسوة على قلب فرعون والختم عليه من قبل الله. من هذه النصوص (ولكن أقسى قلب فرعون وأكثر آياتى وعجائبى فى أرض مصر. ولا يسمع لكما فرعون) خروج ٧/ ٣: ٤.

(٥) النص (فقال يهوذا ماذا نقول لسيدى. ماذا نتكلم وبماذا نتبرر. الله قد وجد إثم عبيدك) تكوين ٤٤/ ١٦.

(٦) النص فى يوحنا (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى. بل مشيئة الآب الذى أرسلنى) يوحنا: ٥/ ٣.

السؤال الثاني والستون:

يقول النصارى: إن قتل المسيح ـ عليه السلام ـ وما جرى عليه كان لأجل التطهير(١)، فنقول لتطهير من آمن به أو من كفر، فإن قالوا من كفر، فكيف يكون تطهير(٢) الخطايا بأقبح منها، من صلب الرب وإهانة الخالق الأكبر.

وإن قالوا من آمن، فكيف يكون فعل الكفار طهرا للأبرار بالإيمان(٣). وإنما يطهر الإنسان عمله الصالح، ثم الإيمان كاف فى التطهير وإلا فلا عبرة به، وأى فساد زال من العالم بقتله، وأى صلاح حصل، بل العالم على حاله، والناس على ما كانوا عليه من صالح وطالح ورفع وخفض وإبرام ونقض، بل المصيبة التى حصلت بإهانة الرب على زعمهم(٤) لم يحصل فى العالم قبلها مثلها، ولا يحصل بعدها مثلها، وكان فى غناء عن هذا التطهير.

السؤال الثالث والستون:

النصارى يقرؤون بعد الفطر بجمعتين. تسبيحة مشهورة عندهم وهى

---

(١) يرى المسيحيون أن آدم عصى ربه بأكله من الشجرة. وأن هذه المعصية ظلت سارية فى جميع ولده حتى أتى المسيح ـ عليه السلام ـ. فانتقم له منه وذلك بتقديمه لليهود ليصلبوه تكفيرا عن الخطيئة التى كانت فى أعناق ولد آدم. حتى صلب المخلص.

وهذا التصور يبعث فى النفس التساؤلات الآتية (ما حكم الأنبياء السابقين على المسيح كإبراهيم ـ عليه السلام ـ. وموسى وهارون. وهم أهل منزلة عندهم. كيف يؤخذ إنسان بجرم آخر. وأين العدل الإلهى. أليس العفو أولى. كيف يَعْمِدُ السيد إلى الانتقام من ولده لأن عبده عصى أمره).

وقد صرح القرآن الكريم بأن الله ألهم آدم التوبة قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

(٢) فى التيمورية (فكيف تظهر).

(٣) كلمة (بالإيمان) عن التيمورية.

(٤) من يقرأ وصف الصلب فى الإنجيل يعجب لما نزل بالرب – عيسى – حين الصلب: فقد ورد فى يوحنا (فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود. وكانوا يلطمونه) يوحنا ١٩/١ : ٣.

صلبوت ربنا يسوع المسيح بطل الموت. وانطفأت فتن الشيطان ودرست آثارها، وهل هؤلاء النصارى إلا هزءا للضاحكين، فأى موت بطل فى العالم، وأى فتنة انطفأت ودرست، فمازال اليهود والفرس والمجوس وعبدة الأوثان وأنواع الضلال من العالم[1]. بل ازدادت الضلالات وكثر الكفر والجهل والعناد بوجودهم بين أظهر العالم، ولم يظهر من ولد آدم – ما ظهر منهم[2] وما – شبيه فيما هم عليه من خلط الكفر بالجنون.

السؤال الرابع والستون:

يقرؤون يوم الأحد من الصوم التسبيحة المشهورة وهى، أن المسيح هو الذى أنقذ رعيته من الفتن، وغلب بصومه الموت والخطيئة، ويغفلون عن كون الناس يموتون إلى الآن. وأن المقابر تعمر وأن المنازل تخرب. والعصاة والطغاة أكثر من أن يحصون وهم أكثر العالم. ولكن شغل النصارى بالعناد[3] منعهم من الاطلاع على أحوال العالم وجرأهم[4] على الكذب.

السؤال الخامس والستون:

يقرؤون بعد كل قربان. ياربنا يسوع الذى ذهب بوجعه[5] – الموت الطاغى – وهم لا يشعرون أن الموت أول ما بدأ به عندهم. وبأمه وجميع أصحابه وجميع النصارى إلى أن تقوم الساعة، ولكنهم معذورون لعدم العقل، وليت شعرى كيف يذهب الوجع الموت وهو أول مقدماته، وإنما يذهب الشيىء بما ينافيه. ولكن أين من يعلم الملايم من المنافى.

---

(١) بهذا صرح القرآن الكريم. قال تعالى ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]. وقال تعالى ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨] وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

(٢) الجملة عن التيمورية.

(٣) كلمة (العناد) ساقطة من التيمورية.

(٤) فى الأصل (وجسرهم) والسياق عن التيمورية.

(٥) فى الأصل (غلب بوجعه) والسياق عن التيمورية.

السؤال السادس والستون:

يقرؤون فى ثانى جمعة من الفطر، إن فخرتنا إنما هى بالصليب الذى ذهب به سلطان الموت، وصيرنا إلى الأمل والنجاة، وينبغى لهم أن يمدحوا اليهود ويعظموهم لأنهم سبب فخرتهم. ولولا اليهود لم يكن فخرة ولاجلالة. فما كان فى ذلك الزمان يجسر على الصلب سواهم، وهذه مرابع الناس قد خلت من الموت، والآمال قد تكدرت من خوف الفوت، ولكن لما كان النصارى لا يموت منهم أحد، اعتقدوا أن الناس كلهم كذلك.

السؤال السابع والستون:

يقرؤون فى الصلاة الأولى التى يسمونها صلاة السحر وصلاة الفجر: تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلاهنا أيها الرب خروف الله ارحمنا أنت وحدك القدوس المتعال.

فسموه أولا الرب. ثم جعلوه خروف الله. وليت شعرى. ما مناسبة الخروف للربوبية حتى يسمى له العالم خروفا. ثم جعلوه وحده هو القدوس المتعالى، وهو هذا الخروف الذى لله تعالى، وإذا ثبت توحد الخروف بالقدس والتعالى، لا يكون صاحبه كذلك، فصاحبه أولى أن يكون الخروف.

السؤال الثامن والستون:

يقرؤون فى صلاة الساعة الأولى. المسيح الإله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الداعى الكل إلى الخلاص، فجمعوا فيه بين كونه إلاها وبين كونه طويل الروح، وطول الروح الصبر[١] على المؤلمات، وهو مناف للوصف بالألوهية، لأن الآلام والصبر عليها من خواص البشرية، ثم نصوص الإنجيل متظافرة بأنه عبد مربوب كما تقدم بيانه فى إثبات[٢] عبوديته ـ عليه السلام ـ.

---

(١) فى التيمورية (الطهر) مكان (الصبر).

(٢) فى التيمورية (اثنا عشر).

ثم كيف يخصصون المسيح - عليه السلام - بكونه المخلص من الذنوب[1] والخطايا، وأنه الطويل الروح، والآب أولى منه[2] بذلك. والروح القـــدس، فإعراضهم عن هذا إبطال للثالوث أو سوء أدب مع الآب[3]. والروح القدس.

ولا خلاف عندهم أن العبادة لأقنوم الكلمة وحدها كفر. فلما كفروا في أول النهار قبل أن يتعالى، وإنما هو دليل على أن نهارهم[4] مشؤوم عليهم، ثم دعاه - أي المسيح - الكل للخلاص، إن دعى مريدا لذلك فقد ثبت عجزه فلا يصلح[5] للألوهية أو غير مريد، فقد أراد كفرهم، وهو يهدم أصولهم بالقول بالتحسين والتقبيح. وأن الله تعالى أراد بالكل الخير. ولا يريد المسيح غير ذلك أبدا.

السؤال التاسع والستون:

يقرؤون في صلاة الساعة الثانية. والدة الإله السماوي، أنت هي الكرمة الحقانية والحاملة ثمرة الحياة، إليك نتضرع لترحمي نفوسنا يا والدة الإله السماوي، افتحي لنا أبواب رحمتك.

فنقول لهم: هذا من العقائد التي لابد منها في الدين أم لا؟ فإن قالوا: نعم، قلنا لهم: فإبراهيم وموسى وغيرهما - عليهم السلام -، ما كانوا يعتقدون أن لله والدة ولا ولد، ولو كانوا كذلك لوجد في التوراة وكتب الأنبياء - عليهم السلام -.

فانهم لا يقصرون في نصح الخلايق وإرشادهم إلى ما يجب من الايمان لكنهم لا يجدون في الكتب من هذا حرفا واحدا[6] فالأنبياء - عليهم السلام - حينئذ كفرة لجهلهم بهذه الحقائق[7] والعقايد.

---

(1) في الأصل (من الموت) والسياق عن التيمورية.
(2) في الأصل (أولى فيه) والسياق عن التيمورية.
(3) توجد كلمة (الإبن) بين الآب والروح القدس في الأصل.
(4) في الأصل (أنه نهار) والسياق عن التيمورية.
(5) في التيمورية (فلا يثبت حيث).
(6) كلمة (واحدا) عن التيمورية.
(7) كلمة (الحقائق) عن التيمورية.

وإن قالوا: إن هذا ليس من عقايد الأديان، ولا آذنت فيه الكتب الربانية، فقد اعترفوا بالكفر، بكونهم نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأذن فيه، ثم إن هذه الصلاة تقتضى عبادة مريم - رضى الله عنها - لتصريحهم بالتضرع لها، لترحم نفوسهم، وتفتح لهم أبواب الرحمة، ولا معنى للعبادة والربوبية إلا هذا، مع اعترافهم بأن جسد مريم - رضى الله عنها - لم يتحد به كلمة ولا غيرها، بل هى كسائر بنات[1] آدم - صلوات الله عليه -[2] فقد عبدوا الرجال، وأردفوا ذلك بعبادة ربات الحجال، وصار الثالوث رابوعا، واستورطهم الشيطان فكان بالوعا، وأضحَوْا حمير الضلالة بل جزوعا.

السؤال السبعون:

يقرؤون فى صلاة الساعة السادسة يا من سمرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التى تجرأ عليها آدم[3]، خرق العهد المكتوب فيه خطايانا، وخلصنا، يا من سمر على الصليب وبقى حتى لصق على الخشبة بدمه، قد أحببنا الموت لموتك، أسألك بالمسامير التى سمرت بها نجنا يالله[4].

فليت شعرى مَنْ علَّمهم الآدب مع إلههم، حتى يثنون عليه بصفات الكمال ونعوت الجلال، ويتقربون إليه بذكر أفضل الأحوال.

---

(١) فى التيمورية (كسائر بنى...).

(٢) ورد فى لوقا وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة. إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك. مباركة أنت فى النساء) لوقا صح ١- ٢٦ : ٢٨.

(٣) هكذا يرى النصارى أن الصلب كان تطهيرا للذنب وهم يستشهدون بهذه النصوص. (ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبدا. لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليُخْدَم بل ليَخْدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين) مرقس ١٠ / ٤٥ - وانظر يوحنا ٣ / ١٦ وفى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥ / ٣) (فإنى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب).

(٤) فى الأصل (نجنى بالله) والسياق عن التيمورية وهو متفق مع الاسلوب.

ثم المسيح عندهم أنه هو الله تعالى، وليت شعرى، كيف يخطىء آدم فيصلب الرب ليمحى خطيئة العبد، ومَنْ المطالب بهذه الخطيئة، حتى ألجأ الرب لهذه الرذيلة بل كان يكفى الرب أن يغفر ذنب عبده ولا حاجة إلى شيىء آخر، ثم إنهم يجمعون بين وصف الربوبية وبين ما يناقضها من القهر لها. بل أقبح - أنواع[1] القهر من أقبح الناس وهم اليهود، ولو اعترفوا لليهود بالربوبية، ودانوا لهم بالعبودية لكان أولى بهم فى هذه الحالة من المناجاة بآداب لو قوبل بها شيخ ضيعة لأوسعهم ضربا بالنعال وخلدهم فى النكال.

السؤال الحادى والسبعون:

يقرؤون فى صلاة الساعة التاسعة[2] يا من ذاق الموت من أجلنا فى الساعة التاسعة إليك ابتهالنا، يا من سلم نفسه إلى الآب لما علق على الصليب، لا تغفل عنا، يا مَنْ مِنْ أجلنا ولد من العذراء، واحتمل الموت، لا تخيب من خلقت بيدك، واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذى عاهدت عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ويقرؤون فى هذه الصلاة، لما رأت الوالدة الحمل والداعى ومخلص العالم على الصليب قالت وهى باكية، أما العالم ففرح بقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب عندما انظر إلى صلبوتك بعينى[3].

وهذه القراءة مع سخافتها فهى متناقضة، إذ كانوا قد تخلصوا بصلبه من الخطايا، أى شيىء يحوجهم إلى شفاعة أمه فيهم، وأى حاجة بهم إلى هذا التضرع والسؤال وقد بينا فيما تقدم، كذبهم فى دعواهم خلاص العالم. وأحواله لم يتغير منها شيىء، وما بالهم يسيئون الظن بربهم. ويسألوه أن لا ينقض عهده، وما ذلك إلا أنهم فيه رأوه - أى نقض العهد[4] - لما أن الابن صلب

---

(١) كلمة (أنواع) تطلبها السياق فاضيفت.

(٢) فى التيمورية (السابعة).

(٣) فى التيمورية (يا بنى).

(٤) جملة تطلبها السياق فاضيفت.

وعجز عن خلاصه[1] من اليهود. وكيف يليق أن يخاطب الرب تعالى بأن لا يكذب ولا ينقض عهده. وهل هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

السؤال الثاني والسبعون:

يقرؤون في صلاة المغرب. يا والدة الإله العذراء. اسع في خلاصنا وافرحي يا والدة الإله.

مبارك أنت في النساء، ومباركة ثمرة بطنك، لأنك ولدت لنا مخلصنا يا والدة الإله، مباركة لا تغفلي عن وسيلتنا[2] ونحن من المعاطيب، وفي هذه الصلاة، ياصانع المسيح يوحنا اذكر جماعتنا، ونجنا من المعاطب، فصارت آلهتهم ستة.

الآب. الابن. الروح القدس. ومريم. والمسيح -عليهما السلام-. ويوحنا.

ووجدوا هذا الباب بغير ثمن فاستكثروا منه وإن طال بهم الزمان صارت آلهتهم لا تعد ولا تحصى، وكيف يليق أن يجعلوا يوحنا صانع المسيح -عليه السلام-، ويصرحون بأن يوحنا إلهه[3]، والمسيح -عليه السلام- مصنوع له، وحينئذ قد صرحوا بعبودية المسيح -عليه السلام- وأنه من جملة المخلوقين لكن ليوحنا، فتفتخر اليهود حينئذ لأن الله تعالى خلقهم وكل من كان قبل خلق يوحنا، فإن يوحنا لم يخلقه، وهل هذه الصلوات لا تستحي منها الفضائح وتتعوذ منها القبايح.

السؤال الثالث والسبعون:

يقرؤون في صلاة النوم، الملائكة يمجدونك بتهليلات مثلثة، لأنك قبل الكل لم تزل أيها الآب وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة، ثالوث واحد، فما كفاهم ما كفروا به من التثليث حتى يشركوا معهم الملائكة والتوراة والإنجيل، والمزامير تكذبهم في دعواهم على الملائكة ذلك،

---

(١) جملة (الابن صلب) ساقطة من التيمورية (وبوجد بدلا منها) ما كان من الصلب.

(٢) في الأصل (عن وسائلنا) والسياق عن التيمورية.

(٣) في التيمورية (إله).

وتشهد بتوحيد الله تعالى، وتبرؤه عن الثانى فضلا عن الثالث. وقد بينا ذلك فيما تقدم بنصوص هذه الكتب.

ثم قولهم قبل الكل حدوث المسيح - عليه السلام - . لأنه لو كان فى زمان أبيه، لم يكن الله تعالى قبل الكل، وإذا تأخرعنه بالزمان ثبت عدمه فى زمان أبيه، والمسبوق بالعدم محدث، فالمسيح - عليه السلام - محدث ، لكن القوم لا يفهمون القديم من المحدث فلذلك وقعوا فى هذه الترهات.

وإذا كان المسيح - عليه السلام - محدثا بطلب ربوبيته وتعينت عبوديته. انتقض أصلهم ولم يزل منفوضا.

السؤال الرابع والسبعون:

يقرؤون فى صلاة نصف الليل وهى الثامنة من صلاتهم لا تاسع لها من الرتبات. تبارك الرب إله آبائنا وفوق المتعالى إلى الدهر. مبارك أنت فوق المسيح، وفوق المتعالى إلى الدهر، ويكررون هذه الفوقية فى هذه الصلاة دفعات، ونسوا أنهم قرأوا فى صلاة النوم أن المسيح نظيرك فى الابتداء وروح القدس مساويك فى الكرامة، فإن صدقوا فى الأولى كذبوا فى الثانية، وإن صدقوا فى الثانية كذبوا فى الأولى، فهم الكذبة الفجرة على كل تقدير.

فهذه ثمانى صلوات لهم، مشتملة[1] على البهت والكفر[2]. والفجر وسوء الأدب على الله تعالى، وعلى المسيح - عليه السلام - ، وهم فيها متضمخون بالعذرات، ملابسون للقاذورات، حتى إن العُبَّاد منهم إذا مات أحدهم يوجد على شعر مقعدته نجاسات وعذرات متحجرات كما تتفق على أذناب الأغنام، فلو أن فيهم رجلا رشيدا ناصحا أشار عليهم بترك هذه الصلوات والإعراض عن باب القربات – لكان خيرا لهم وأقوم[3]– فليس للقوم أهلية للعبادات، وليس

---

(١) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٢) يوجد بدلا من كلمة الكفر. الكذب.

(٣) الجملة تطلبها السياق لبيان جواب الشرط.

لهم آداب تصلح للمناجاة بين يدى رب الأرض والسموات، بل أشبه بالجمادات من الحيوانات.

السؤال الخامس والسبعون:

اختلفت مستندات النصارى فى كون المسيح - عليه السلام - ابنا. فننقلها كلها. ونبين بطلانها.

منهم من يقول إنما كان ابنا مسيحا، لأن الله مسحه بدهن وهو باطل، لأنه يلزم أن يكون داود وغيره ابنا ومسيحا لله تعالى، لقول داود - عليه السلام - فى المزامير «صبيا كنت فى غنم أبى فأخذنى ربى ومسحنى بدهن مسحته»[١].

وفى السفر الثالث من التوراة ويسمى سفر الكهنة «أن الخير الممسوح من أولاد هارون هو الذى يتولى القرابين ورش الدم على زوايا المذبح»[٢] وفى هذا السفر قال الله تعالى لموسى بن عمران: عمد آل هارون وبنيه وخذ اللباس ودهن المسحتين الذى تمسح به الأخيار، وخذ الجماعة كلها إلى باب فيه الأمر، وقدم هارون وألبسه لباس الكهنة، وكلله بأكليل من ذهب، وصب على رأسه من دهن المسحتين، وأمسحه وقدسه ففعل موسى - عليه السلام - ذلك[٣].

فالمسيح - عليه السلام - أسوة هذه الصفوة فلا مزيد له.

ومنهم من قال: بل لأنه سماه ابنه، وهو باطل لما فى التوراة أن الله تعالى قال

---

(١) ورد فى المزمور التاسع والثمانين (وجدت داود عبدي، بدهن قدسى مسحته، الذى تثبت يدى معه. أيضا ذراعى تشدده) ٨٩/ ٢٠.

(٢) ورد فى اللاويين (ثم قدم موسى بنى هارون وألبسهم أقمصة ونطقهم بمناطق وشد لهم قلانس كما أمر الرب موسي) صح ٨/١٣.

(٣) ورد فى الخروج فى الأمر الموجه إلى موسى (وتقدم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء وتأخذ الثياب وتلبس هارون القميص وجبة الرداء... وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة. وتنطقهم بمناطق هارون وبنيه وتشد لهم قلانس. فيكون لهم كهنوت فريضة أبدية. وتملأ يد هارون وأيدى بنيه) خروج صح ٢٩- ٤ : ١٠.

لموسى - عليه السلام - : ابنى بكرى إسرائيل[١]. والبكر أجل الأولاد، فيعقوب - عليه السلام - أولى بالبنوة.

ومنهم من قال: بل لأنه أحسن تربيته وتأديبه، وهو باطل. فإن مربيه امرأة[٢]، ولم تكن الملائكة تلازم بابه وحفظه وتعليمه. بل هو كسائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فى النشأة، لم يوجد فى حقه زيادة توجب البنوة.

ومنهم من قال: بل لأنه أطاع الله تعالى، فأعطاه ما لم يعط غيره. فاتخذه ابنا، قلنا: ففى التوراة (أن موسى - عليه السلام - عمر مائة وعشرين سنة)[٣] وإذا طرحنا عمر الصبى، بقى عمر المسيح - عليه السلام - خُمْس عمر موسى - عليه السلام - فأعماله أعظم. وحكيتم أن موسى عليه السلام ملك جانبا من الأرض كبيرا، وقاتل الجبابرة[٤]، وجاهد العمالقة[٥]، وأباد الفراعنة[٦]، وقتل عوجا

---

(١) ورد فى سفر الخروج، عندما أمر موسى أن يخاطب فرعون بخلاص بنى إسرائيل «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. إسرائيل ابنى البكر» خروج ٤ / ٢٢.

(٢) اتفقت الأناجيل على أن المسيح كان فى حضانة مريم - رضى الله عنها - وزوجها يوسف النجار مع القبض والبسط فى ذكر القصة. إلا أنه لم يرد نص يدل على تربية خاصة بالسيد المسيح فى صغره تربية غاير بها سائر الأنبياء والمرسلين. راجع متى. صح١، ٢ ومرقس: صح ١ ولوقا: صح ١، ٢.

(٣) ورد فى التثنية – (وكان موسى بن مائة وعشرين سنة حين مات. ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته) صح ٣٤ / ٧٨.

(٤) كانوا أشداء البأس معطلين (تكوين ٦ / ٤) خافهم بنو إسرائيل جدا حتى كان من جواسيسهم أنهم قالوا فيهم (إننا كنا فى عيونهم كالجراد) ومن أشهرهم عوج ملك باشان) تثنية ٣ / ١. وقد حاربهم موسى بأمر الرب. قاموس الكتاب المقدس ص٢٤٥.

(٥) شعب من أقدم سكان سوريا الجنوبية (عدد ٢٤ / ٢٠) وكانوا هناك عند بدء مجيىء العبرانيين من مصر. كما كانوا مصدر إزعاج لبنى إسرائيل فى البرية.. وكانت المعركة المهمة الأولى بين الطرفين فى غرب سيناء وقد غلبهم العبرانيون وتشتتوا (خروج ١٧ / ٨: ١٦) والتثنية (٢٥ / ١٧ : ١٩) قاموس الكتاب المقدس ٦٣٦ .

(٦) كلمة مصرية معناها (البيت الكبير) وهو لقب لملوك مصر والإبادة المصرح بها هنا قد يكون المراد بها طغاة ذلك الزمن وقد يكون الغرق فى البحر الأحمر إثر محاولة إدراك موسى حين الهجرة (قاموس الكتاب المقدس ٦٧٦).

مبارزة[١]، وواصل لله تعالى أربعين يوما وأربعين ليلة، لا يذوق طعاما[٢]، وابتلى بخلاف قومه وعنتهم فصبر، وتلقى أوامر ربه بصدر فسيح وباع رحب، فلم يهب جبارا وإن عظم قدره، ولا نكل عن عدو وإن تعاظم[٣] أمره، حتى فتح الشام[٤] ودوخ البلاد، ولمادنى حمامه وقيده من الأجل زمامه، تقدم إلى خادمه يوشع بن نون بفتح باقى بلدان الشام، وأفاض عليه من فاضل همته وصحيح عزمه ما قوى عزمه وأيد حزمه، فقاتل أربعة وعشرين ملكا وأبادهم[٥]، وهذه أعمال عظيمة لم يوجد مثلها للمسيح عليه السلام، أو وجد ما يعادلها. فليكن ـ موسى ـ عليه السلام ـ ابنا لله تعالى بل فى الإنجيل أن عيسى عليه السلام[٦] ـ منذ نشأته إلى ثلاثين سنة ما زال مشتغلا بتعلم التوراة. واقتباس العلم من أتباع موسى ـ عليه السلام ـ، ومنهم من قال: بل لحلول العلم الالهى، أو الكلام على خلاف بينهم فى مريم ـ رضى الله عنها ـ، فتجسد إنسانا فكان ابنا، وهذه مزية لم توجد لغيره.

قلنا: قد بينا فيما تقدم أن العلم والكلام معنيان، وأن المعانى يستحيل انتقالها ولو انتقلت لزم خلو ذات الله تعالى عنها، والكل محال فالقول بالبنوة محال.

---

(١) عوج ملك الأموريين فى باشان. امتد ملكه واتسع كان جبار القامة شديد البأس وكان له سرير من حديد ضخم الحجم وقد حفظه أهل ربة عمون (عمان) دخل بنو إسرائيل عليه فغلبوه وذبحوه فى أذرعى واحتلوا مملكته وأعطيت مملكته لنصف سبط منسى. (قاموس الكتاب المقدس ٦٤٦).

(٢) ورد فى الخروج (وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء) خروج ٣٤/ ٢٧: ٢٨.

(٣) فى الأصل (تفاقم) والسياق عن التيمورية.

(٤) لم يثبت تاريخيا فتح الشام على يد موسى ـ عليه السلام ـ. وإنما صرحت التوراة بذلك فى سفر العدد ومطلع سفر التثنية. والراجح أن ذلك تم على يد يوشع بن نون.

(٥) يمكن الوقوف على حروب يوشع فى سِفْره. من الإصحاح الأول حتى النهاية. والإصحاحات تعطى عددا أكثر من هذا.

(٦) الجمل المعترضة عن التيمورية.

السؤال السادس والسبعون:

فى إنجيل لوقا أن جبريل - عليه السلام - بشر مريم رضى الله عنها بأن ولدها المسيح ابن داود ويجلسه الرب تعالى على كرسى أبيه داود. ويملكه على بيت يعقوب[1] فجبريل - عليه السلام - يسميه ابن داود. والنصارى تقول كَلاَّ، بل هو رب داود، ولقد تباعد ما بينهم وبين جبريل - صلوات الله عليه -، وعادوه وخالفوه بالرد عليه، ومن كان عدوا لجبريل الأمين فلا شك أنه عدو لرب العالمين.

وكيف يليق بجبريل - صلوات الله عليه - أن يجهل[2] قدر المسيح ويقلل قدره، وينسبه إلى البشر وهو منسوب إلى خالق البشر، لا سيما وذلك فى معرض التبشير وهو محل التفخيم والتعظيم، ولو لم يكن فى الإنجيل إلا هذا الموضع، لكان قاطعا لحجج النصارى وكافيا فى إثبات عبودية المسيح - عليه السلام -.

السؤال السابع والسبعون:

يقول اليهود: حقيقة المعجزة لا تختلف[3] وهى فعل خارق يقترن به التحدى، وهذا قد وجد فى حق محمد بن عبد الله - ﷺ[4] - كما وجد فى حق موسى - عليه السلام -، فان كانت المعجزة لا تفيد النبوة يلزمهم أن لا يعتقدوا نبوة موسى - عليه السلام -، وإن أفادت يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ.

---

(١) ورد فى لوقا (فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية) لوقا ١/ ٣٠: ٣٣.

(٢) فى الأصل (أن يخمد) والكلمة عن التيمورية.

(٣) اللفظ المرادف للمعجزة عند اليهود هو كلمة عجيبة. ومراد بها حادثة تحدث بقوة إلهية تخرق مجرى الطبيعة العادى وتثبت إرسالية من كان سبب الحادثة أو من جرت على يديه، وهى فوق الطبيعة المألوفة ولكنها ليست ضدها، وهى تحدث بتوقيف نظم الطبيعة ولكنها لا تلغى تلك النظم... ولما كان الله هو القوة الوحيدة فوق الطبيعة المتسلطة عليها فهو الوحيد القادر على صنع العجايب (قاموس الكتاب المقدس. ص٦٠١).

(٤) الجملة عن التيمورية.

وإنما قلنا إنه – عليه السلام – جاء بالمعجزة[١] لأنه جاء بالقرآن فى زمن الفصحاء والبلغاء. وسأل من جميعهم أن ياتوا بمثله[٢] فأعجزهم[٣]. فسألهم سورة منه[٤] بحيث تصدق على سورة الكوثر[٥] فعجزوا.

فنادى بينهم على رؤوس الأشهاد بقوله: ﴿**لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٨].

فما اقتصر على تعجيزهم حتى أضاف إليهم – أكثر منهم[٦] وهم الجن، ومع ذلك التوبيخ الذى يأباه ذووا المروءات، ويثير الحميات لاسيما عند العرب العرباء، ذوى الأنفة والكبرياء.

ومع ذلك كله أظهروا العجز، وآثروا العدول إلى القتال وسلب النفوس مع الأموال، ومثل هذا لا يفعله الجمع العظيم من العقلاء إلا للمبالغة فى العجز، وقد اشتمل القرآن العظيم على مثل سورة الكوثر سبعة آلاف مرة، فيكون سبعة آلاف معجزة، وفيه من المعجزات وجوه كثيرة جدا. منها:

١– إخباره عن المغيبات والمستقبلات – وكان الأمر كما قال الله. كقوله تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾[٧] – وكان ذلك يوم بدر، وقوله ﴿**غُلِبَتِ**

---

(١) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٢) قال تعالى ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٨].

(٣) وردت بعض معارضات تدل على السخف. والخبل العقلى. وهى مذكورة فى بعض كتب علوم القرآن فلتنظر فى مكانها.

(٤) بنص القرآن ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس: ٣٨].

(٥) نصها ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾.

(٦) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٧) الجملة عن التيمورية والآية من سورة القمر. رقمها ٤٥.

الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾[1] وكان الأمر كذلك، وقوله تعالى: ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ** ﴾[2] وكان كذلك وهو كثير.

٢- ومنها إخباره عن أحوال القرون الماضية، ووجد كذلك[3] مع أنه عليه السلام لم يقرأ كتابا[4]. ولم يخالط ولم يرحل إلاَّ إلى الشام مرتين فى المتجر مع قومه[5]، ولم يلتمس هذا قط من أهل القصص ولا غيرهم.

٣- ومنها أنه لا يمل مع تطاول الأزمان، ونحن نجد أحسن قصيدة غزلاً[6] أو رسالة بديعة حسنا. يستحليها السمع ثم يملها ويسأمها وللقرآن الكريم ست مائة سنة يتلى ولا يزيده تطاول الأيام إلا جدة. ولا تجد الأسماع عنه نبوة[7].

---

(١) سورة الروم. آية ٢، ٣. عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كان الفرس ظاهرين على الروم. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على الفرس لأنهم أهل كتاب. وهم أقرب إلى دينهم. فلما نزلت (غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)... قالوا يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين. قال صدق. قالوا: هل لك إلى أن نقامرك؟ فبايعوه على أربعة قلائص إلى سبع سنين. فمضى السبع سنين ولم يكن شىء ففرح المشركون بذلك وشد على المسلمين. وذكر ذلك للنبى ﷺ فقال ما بضع سنين عندكم؟ قالوا: دون العشر. قال اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل. قال فما مضت السنتان حتي جاء الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك.. ونزل قوله الله تعالى.. «وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون» الدر المنثور ٥/١٦٢ : ١٦٣.

(٢) آية من سورة الفتح رقم ٢٧. وقد ذكرت كتب السيرة رؤيا رسول الله ﷺ فى زيارته للبيت الحرام فخرج فى السنة السادسة للهجرة ولكنه لم يمكن وعاد مُوَقِّعاً صلح الحديبية ثم تحققت الرؤيا فى السنة السابعة.

(٣) أوضح الدلالات آيات الخلق وقصص الأنبياء السابقين مع أممهم وعاقبة هذه الأمم. وتاريخ كثير من الصالحين.

(٤) قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

(٥) الأولى رافق فيها أبا طالب وجمعًا من قريش. والثانية قائدا لتجارة خديجة يرافقه ميسرة خادم السيدة خديجة رضى الله عنها برفقة تجار مكة.

(٦) فى الأصل (غرا) وكلمة (غزلا) عن التيمورية.

(٧) فى الأصل (نهوه) وكلمة (نبوة) عن التيمورية.

فهذه وجوه من الإعجاز للقرآن الكريم. وليس هذا موضع التوسع فيها ومن معجزاته ﷺ، انشقاق القمر[١]. وهو أعظم من انشقاق البحر لأن الماء فى كل حين يفترق من حيث الجملة.

وأجرى الماء من أصابعه[٢] وهو أعظم من إجراء الماء من الحجر. لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة.

وكلّمه الحصى[٣] والجمل[٤] والشجر[٥] والذراع[٦] ومعجزاته عليه

---

(١) انشقاق القمر ورد فى القرآن الكريم قال تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾.
وورد فى السنة عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين. فرقة فوق الجبل وفرقة دونه. فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا وفى رواية مجاهد. ونحن مع النبى ﷺ – البخارى فى تفسيره. وانظر الشفا ١ / ٥٥٤ تحقيق محمد أمين. وبين العلماء خلاف فى كون الانشقاق حقيقى أو مجازى وبين كونه فى الماضى أو المستقبل.

(٢) نبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ. وردت فيه روايات عدة فى الصحيح، والراجح أن هذه الكرامة قد تكررت مرات عدة، فقد وقعت بالزوراء عند السوق، وردت فى يوم الحديبية، وفى غزوة تبوك، وقد روى ذلك من الصحابة، أنس وجابر وابن مسعود. ويمكن الوقوف على تفصيل هذه الوقائع فى كتب السنة وفي الشفا ١ / ٥٥٠ – ٥٦٠.

(٣) تسبيح الحصا وردت فيه روايات عدة. تدل على تكرار الواقعة. فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها عن الرسول ﷺ أنه قال (لما استقبلنى جبريل عليه السلام بالرسالة جَعَلْتُ لا أمرٍ بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله) رواه البزار فى مسنده وعن جابر بن سمرة عنه ﷺ (إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ (صحيح مسلم) وعن أنس رضى الله عنه قال: أخذ النبى ﷺ كفا من حصى فسبحن فى يد رسول الله ﷺ حتى سمعن التسبيح. ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم أيدينا فما سبحن. ابن عساكر فى تاريخه. وانظر الشفا للقاضى عياض – ١ / ٥٨٨ – ٥٩١.

(٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال (دخل النبى ﷺ حائطا فجاء بعير فسجد له، رواه البزار بسند حسن. ويمكن الوقوف على كلام الجمل مع الرسول. فى قصة العضباء. وكلامها للنبى ﷺ. وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها فى الرعى. وتجنيب الوحوش عنها. راجع الشفا ص ١ / ٦٠١.

(٥) روى الدارمى والبيهقى والبزار عن ابن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فدنا منه أعرابى. فقال يا أعرابى أين تريد؟ قال: إلى أهلى. قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأن محمدا عبده ورسوله. قال: من يشهد على ما تقول؟ قال هذه الشجرة السمرة (أى ذات الشوك الكبيرة الحجم) وهى بشاطىء الوادى: فأقبلت =

السلام[1] كثيرة ليس هذا موضع استيعابها. إنما المقصود إيراد السؤال مع إجماع أوليائه وأعدائه على أنه كان من أصدق الناس[2] وأكرمهم[3] وأشجعهم[4] وأكثرهم أمانة ووفاء[5] وإعراضا عن الدنيا وترغيبا فى الآخرة لم يختلف فى هذه الصفات اثنان ممن خالطه من الكفار والمسلمين. وهذه صفات لا تجتمع إلا لنبى، فمن كفر به يلزمه أن يعتقد لا نبوة موسى[6] -عليه السلام- ولا غيره من الأنبياء.

= تخد الأرض. حتى قامت بين يديه. فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها.

(٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن يهودية. أهدت للنبى ﷺ بخيبر شاة مصلية سمّتها. فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم.. فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى أنها مسمومة فمات بشر بن البراء. وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت؟ قالت إن كنت نبيا لم يضرك ما صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك.. أخرجه الشيخان.

(١) فى التيمورية (ﷺ).

(٢) من الصفات التى نالها قبل الرسالة أنه كان عند قومه معروفا بأنه (الصادق الأمين) وأوضح الأدلة على ذلك شهادة الأعداء. ما ورد من حوار بين أبى سفيان والنجاشى فى شأن الرسول وسؤاله لأبى سفيان قائلا: هل جربتم عليه كذبا قط؟ قال: لا. قال ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله.. الخ.

(٣) عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان إن جبريل عليه السلام كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فاذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. صحيح مسلم ك الفضائل ٣٢٢.

(٤) ورد عن ابن عباس أنه قال. كنّا إذا حميت الحرب واشتد الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ (مسند أحمد ١/٢٠٧. وفى الحديث. أفررتم يوم حنين. قال لكن رسول الله ﷺ لم يفر. مسلم ك الجهاد ٧٦ والمسند ١/ ٢٠٧.

(٥) وليس أدل على ذلك من إلزامه عليا برد الأمانات إلى أهل مكة. مع أنهم الذين أخرجوه من بيته وبلده على مشقة من النفس إلا أن أمانته الزمته رد الودائع إلى أهلها وعن الوفاء فقد ورد مدحه للسيدة خديجة وثناؤه عليها بعد وفاتها حتى قالت السيدة عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين لما كنت اسمعه يذكرها ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها. متن صحيح مسلم ص ٢/ ٣٧٠ ط عيسى الحلبى.

(٦) كلمة (موسى) ساقطة من التيمورية.

(فائدة) لمعجزته عليه السلام مزايا لم تحصل لغيره منها :

١- أنه باق[1] على وجه الدهر، وغيره ذهب بذهاب نبى ذلك المعجزة .

٢- أنه واحد وهو القرآن وهو آلاف من المعجزات، وغيره واحده من كل وجه .

٣- أنه معجز شريف فى معنى لطيف وهو الفصاحة والبلاغة وأنواع سحر البيان مع الوصف العجيب والرونق الغريب، لأن أمته عليه السلام أشرف عقولا سرية . وأعظم أخلاقا رضية، وألطف نفوسا بشرية، فتحدى لها بالمعجز الشريف فى المعنى اللطيف، ولما كانت الأمم المتقدمة أكثف طبعا، وأصعب انقيادا وسمعا، جعل معجزهم فى الصور الكثيفة والآيات القاهرة العنيفة . فى نتق الجبال[2] وشق البحار[3] وبروز الحيوان من الصخرة[4] الصماء، ومقتضى الحكمة علاج كل مريض بما يناسبه، فالنسمة الشريفة بشراب الرمان . والجبلة الكثيفة بالحطب والنيران .

السؤال الثامن والسبعون :

نقول لليهود[5] إذا اعترفتم بصدور الخوارق وأنكرتموها وشهدت النقلة

---

(١) فى التيمورية (أنها باقية) وهى منافية السياق حيث اقتصر المؤلف على القرآن .

(٢) قال تعالى فى حق بنى إسرائيل ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾ [الأعراف : ١٧١] .

(٣) من المعجزات التى أكرم الله بها موسى فى طريقة إلى الشاطىء الشرقى (سيناء) قال تعالى ﴿ **فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ [الشعراء : ٦١ : ٦٣] .

(٤) جمهور المفسرين على أنها ناقة ثمود التى خرجت إليهم بغتة فعقروها من باب التحدى، فقضى عليهم قال تعالى ﴿ **إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر** ﴾ [القمر : ٢٧ : ٢٨] .

(٥) فى الأصل (يقول اليهود) وكذا التيمورية والتعديل لتطلب السياق ذلك .

بوجودها فى حق محمد بن عبد الله. وعيسى بن مريم - صلوات الله عليهما - [١] وطعنتم فيها بعد ذلك لزمكم[٢] ذلك فى معجزات موسى - عليه السلام - .

فكل شيء توردونه من احتمال السيميا أومعاونة الشياطين أو الطلسمات أو غير ذلك[٣] يلزمكم ذلك فى موسى - عليه السلام -، وكل ما تخيلتموه[٤] جوابا لكم فهو جوابنا.

السؤال التاسع والسبعون:

أسلم خيار اليهود وخيار علمائهم كعبد الله بن سلام[٥]. وكعب الأخبار[٦]، وأخبرونا بأن مقتضى التوراة ومقتضى دين اليهود صحة نبوة محمد ﷺ.

وأجمع اليهود قديما وحديثا على سيادة هؤلاء وعظم شأنهم فى العلم والدين وكثرة الاطلاع، وهم اليوم[٧] يسلمون ذلك، فتكون شهادتهم حجة

---

(١) فى التيمورية (عليه الصلاة والسلام).

(٢) فى الأصل (لربكم) والتصويب عن التيمورية.

(٣) جملة (أو غير ذلك) ساقطة من التيمورية.

(٤) فى التيمورية (وكل ما جعلتموه).

(٥) هو عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف عليه السلام كان من بنى قينقاع. واسمه حصين فسماه الرسول عبد الله. أسلم بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة على الراجح. ودارت بين الرسول واليهود مجادلة حكم فيها ابن سلام. فلما كذب اليهود سبوه ولعنوه. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأحقاف: ١٠]. ونزل أيضا ﴿**قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٤٣]. مات بالمدينة سنة ٤٣ للهجرة - راجع الإصابة فى تمييز الصحابة ٤ / ١٢٠.

(٦) هو كعب بن ماتع الحميرى المعروف بكعب الأحبار. الراجح أن إسلامه فى خلافة عمر ابن الخطاب. وقع ذكره فى عدة روايات فى الصحيح ومع ذلك جرّحه بعض علماء الرجال من أهل الحديث. إلا أن الجمهور على توثيقه مستشهدين برواية البخارى ومسلم له مات سنة ١٣٢هـ الإصابة ٥ / ٦٤٨ : ٦٥١.

(٧) الكلمة ساقطة من التيمورية.

على اليهود، لأنه لم يكن هناك ما يوجب عدولهم عن الحق لا سيما الأتقياء والسادة والنجباء مقبولة - أى شهادتهم[١]، فى كل شىء. فتقبل على اليهود فى كل شىء، ويتعين أنهم التزموا العناد[٢] والجحود. وتأخر إسلام كعب الأحبار إلى زمن عمر رضى الله عنه، فقال له ما سبب تأخر إسلامك؟

فقال له: إنا نجد فى التوراة أن محمدا يبعث من العرب، ثم يتوفى ويتولى بعده شيخ صالح ثم يموت ويتولى بعده صلد من حديد. فلما رأيت الأمر جميعه كذلك[٣]. أسلمت قال له عمر: واذفراه أو ذكرت هناك؟ أى أنا منتن لا أصلح أن أذكر فى التوراة تواضعا من عمر رضى الله عنه.

وكفى بعمر وشيعته دليلا على صحة نبوته - عليه السلام - ، فإن اتباع المبطلين لا تكون لهم الكرامات، ولا تخرق لهم العادات، وعمر رضى الله عنه ينادى سارية من المدينة، وسارية فى أرض فاريين[٤]: يا سارية الجبل. فسمعه سارية من هنالك. فالكرامة للاثنين فى السماع والاستماع رضى الله عنهم أجمعين[٥].

السؤال الثمانون:

نقول لليهود جمهوركم يعتذر عن الإسلام بتعذر النسخ لئلا يلزم منه

---

(١) الجملة تطلبها السياق للبيان.

(٢) فى الأصل (الغيار) والكلمة عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (لذلك) والكلمة عن التيمورية.

(٤) الكلمة ساقطة من التيمورية. والمراد بها أرض الشام.

(٥) هو سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر. ورد عن ابن عمر عن أبيه أنه كان على منبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة. فعرض له فى خطبته أن قال: يا سارية الجبل الجبل. من استرعى الذئب ظلم. فالتفت الناس بعضهم إلى بعض. فقال على. ليخرجن مما قال. فلما فرغ من صلاته قال علىّ: ما شىء سنح لك فى خطبتك؟ قال: وما هو؟ قال: قولك يا سارية. الجبل الجبل. من استرعى الذئب ظلم. قال وهل كان ذلك منى؟ قال: نعم قال: وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم. وأنهم يمرون بجبل. فان عدلوا إليه قاتلوا من وجد وقد ظفروا. وإن جاوزوا هلكوا. فخرج منى ما تزعم أنك سمعت. قال فجاء البشير بالفتح بعد شهر. فذكر أنه سمع فى ذلك اليوم فى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوت عمر. يا سارية الجبل الجبل قال فعدلنا إليه ففتح الله علينا. أسد الغابة لابن الأثير ٣٠٦ / ٢ ط الشعب.

الندم والبداء فى حق الله تعالى . وقد تقدم أن النسخ وقع عندكم فى تحريم السبت . وفى إسحاق - صلوات الله عليه - [١] وتحريم الأخت المباحة فى زمن آدم عليه السلام . وبقية الوجوه مذكورة قبل . وإذا كان النسخ واقعا عندكم انقطع العذر ولم يبق إلا العناد .

السؤال الحادى والثمانون :

نقول لليهود أنتم فى ضلالة قطعا . بيانه أن كتبكم التى تعتمدون عليها لا يمكن الاعتماد عليها لأن أجَلَّها التوراة . وهى غير متميزة لأنها مشتملة على التواريخ الكائنة بعد موسى - عليه السلام - والكائنة قبله وفى زمانه[٢] . ومشتملة على كلام كثير ليس لموسى - عليه السلام - والمتعين منها لموسى عليه السلام قليل . وإذا اختلطت التوراة بغيرها سقط الاحتجاج بها[٣]، فإن الحجة إنما هى فى قول صاحب الشرع لا فى غيره . فإذا اختلط بغيره سقطت الحجة من الجميع لعدم التعين فلا يقوم به الحجة .

السؤال الثانى والثمانون :

نقول : التوراة مبدلة قطعا لما تقدم بيانه مما اشتملت عليه من نسبة الأنبياء

---

(١) فى الأصل (وقد استحق صلوات . .) والتصويب عن التيمورية .

(٢) ما ورد من أحداث سبقت موسى - عليه السلام - . فالتسليم بها ممكن . لإمكان حملها على الوحى هكذا الأحداث الزمانية الواقعة فى حياته . أما ما لا يمكن التسليم به فهى الأمور التى تناولت عقد مقارنة بين موسى - عليه السلام - ومن أتى بعده من الأنبياء . مثل قول التوراة (ولم يَقُمْ بَعْدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه) التثنية ٣٤ / ١٠ .

بل إن كاتب هذه الأسفار قد تأخر فى زمن التدوين عن وفاة موسى بمدة من الزمان . بدليل أنه بعد ذكره قصة الوفاة والدفن بين أن القبر غير معروف حتى الآن وفى النص ورد (فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب . ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) التثنية ٣٤ / ٥ : ٦ .

(٣) من القواعد المتفق عليها : أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

- عليهم السلام -. وخاصة عباد الله إلى الفسوق والزنا وشرب الخمر[1] ومالا يصدر من أدنى السفلة. حتى إنهم يسمون هذه الحكايات النجاسات. مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء - عليهم السلام -. فيحصل الجزم بعدم صحة ما بأيديهم من التوراة.

السؤال الثالث والثمانون:

إن بختنصر قتل اليهود وحرق التوراة حتى لم توجد، وكانوا لا يرون حفظها مأمورا به وكانت مختصة بأولاد هارون من بنى إسرائيل كما تقدم نصه فى التوراة ثم بعد السنين الكثيرة المتطاولة، لفق عزرا[2] هذه التوراة التى بأيديهم من فصول جمعها لا يدرى هل أصاب أم أخطأ. ولا جرم وقعت فيها النجاسات وما لا يليق بالنبوات ومثل هذا لا يجوز الاعتماد عليه حتى نقطع بكونه عن الله، وأين القطع فى خبر واحد، فثبت أن التوراة لا يجوز الاعتماد عليها.

السؤال الرابع والثمانون:

عقلاء اليهود يعترفون بنبوة محمد ﷺ لما يجدونه عندهم فى التوراة[3] ويخصصون نبوته عليه - السلام - بالعرب. فنقول: إذا سلمتم نبوته والنبى من شأنه

---

(١) الفسق فى نسبتهم داود إلى قتل أوريا الحثى وزواجه من زوجته. وكذلك نسبة سليمان إلى عبادة الأوثان فى أخريات حياته. واتهامهم موسى - عليه السلام - بقتل هارون لأنه كان أفصح منه لسانا..

والزنا أوضح ما يكون فى فعل ابنتى لوط مع أبيهما ومجامعته لهما وحملهما منه.. الخ.
وشرب الخمر فى قصة نوح - عليه السلام -. وكذلك معظم الأنبياء بعد كل نصر أو حفل عام.

(٢) فى الأصل (لقنهم عزيرا) والسياق عن التيمورية.

(٣) وردت نصوص عدة تدل على بعثة الرسول ﷺ ذكر المؤلف كثيرا منها فى نهاية هذا الكتاب. كما أن كثيرا من الباحثين فى مقارنة الأديان قد جمع هذه البشائر. ويمكن الرجوع إلى كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندى من صفحة ٥٠٨ الى ٥٣١ - وكذلك كتاب. بشائر النبوة الخاتمة للدكتور رؤوف شلبى. وكتاب بشائر النبوة. لعباس إدريس محمد.

الصدق وحسن السيرة والسريرة فكيف قتل اليهود فى خيبر[١] وغيرها ودعاهم إلى دينه. فلو لم يكن رسولا إليهم لما دعاهم. فكل من اعترف بنبوته - عليه السلام - للعرب يلزمه تصديقه فى كل ما أخبر به وهو قد أخبر أنه قد بعث للناس كافة[٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال - عليه السلام - (بعثت للأحمر والأسود)[٣] فأخبر أنه - عليه السلام - مبعوث للجن والإنس[٤].

السؤال الخامس والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة: إن روح الله تعالى قبل خلقه كانت ترفرف على المياه[٥]، وهو كلام باطل من جهة أن قبل الخلق لم يكن ثَمَّ مياه[٦]، وكلامهم

---

(١) كان فتح خيبر بعد عودة الرسول ﷺ من صلح الحديبية بنحو شهرين وكانت آخر معقل لليهود وقد ظاهرت غطفان على رسول الله ﷺ كثيرا. ولذا فان الرسول ﷺ حال بين غطفان وبينهم. وبدأ بفتح بعض الحصون بنفسه حتى اجتمع أهل خيبر فى حصن الوطيح والسلالم حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل. (ابن هشام من ٣/٣٢٨ : ٣٣٧ ط الحلبى).

(٢) ورد فى الحديث الشريف (وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) مسلم ك المساجد ب ٣.

(٣) فتح البارى ١/٤٣٩.

(٤) فى الحديث (بعثت أنا إلى الإنس والجن) البيهقى ٢/٤٣٣ - إتحاف السادة المتقين ١٠/٤٨٨.

(٥) النص فى التكوين (فى البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه) تكوين صح ١/١: ٢ - وقدرجح بعض المشتغلين بمقارنة الأديان أن استعمال كلمة (روح) بدلا من كلمة (ريح) هو من تحريف النصارى. الذين أرادوا إثبات قدم الروح القدس، يقول هذا الباحث (ولما كانوا - أى النصارى - يؤمنون بالتوراة التى هى كتاب العقيدة والشريعة لبنى إسرائيل والمسيح لم ينسخها، ترجموا أول سفر التكوين هكذا (فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه).

وغرضهم من هذه الترجمة إثبات عقيدتهم فى (روح الله الذى هوروح القدس عندهم، وغرضهم هذا ما كنا لنعرفه لو لم نقرأ ترجمة اليهود نفسها التى تترجم (وريح الله) بدل (وروح الله). التوراة السامرية. ص١٣ نشر دار الانصار تحقيق د. أحمد حجازى السقا.

(٦) كلمة (ثم) ساقطة من التيمورية.

يقتضى قدم المياه. فلا تكون مخلوقة وهو خلاف إجماعهم، وخلاف المعقول والمنقول.

ثم لو سلمنا قدم المياه. فكلامهم يقتضى[1] أن الله تعالى له روح، هى جسم فإن الرفرفة إنما تكون فى الأجسام، والجسمية محال عليه تعالى، بأدلة العقول وبموافقتهم على ذلك.

ثم يقتضى قولهم إن روح الله تعالى تفارقه ويبق بلا روح ميتا وهو محال آخر، فاشتمل قولهم هذا على أنواع من المحال.

السؤال السادس والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة: إن الله تعالى حين أكمل خلق العالم. قال: تعالوا نخلق بشرا يشبهنا فخلق آدم[2]. فاعتقد كثير من اليهود لهذه المقالة التجسيم، وقال إن الله تعالى فى صورة آدم ـ عليه السلام ـ. وأنه شيخ أبيض اللحية والرأس جالس على كرسى، والملائكة قيام بين يديه والكتب تقرأ بحضرته فانظر هذه العبارة الركيكة وهذه العقول السخيفة[3] وجعلوا لله تعالى شركاء فى الخلق لا شريكا واحدا وأنه لا يستقل بخلق آدم لنقلهم عنه (تعالوا) وهى صيغة جمع. فيلزمهم أن هؤلاء كل منهم إله. إذ[4] لا ميزة لله تعالى عليهم. بل الجميع يتساوون فى الخلق ثم يلزمهم أنه لا يصلح واحد منهم للربوبية لعجزه عن الاستقلال. وهذا شر من قول النصارى بكثير. فإن النصارى جعلوا كل واحد مستقلا كاملا فأمكن أن يكون إلاها. وأما على قول اليهود فى هذه المقالة فلا. وهذا غلط عظيم وجرأة على الله تعالى.

---

(١) كلمة (يقتضى) عن التيمورية.

(٢) ورد فى التكوين (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.. فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه الله ذكرا وأنثى خلقهم) تكوين صح ١ / ٢٦ : ٢٧.

(٣) فى التيمورية (الحسيفة).

(٤) كلمة (إذ) عن التيمورية.

السؤال السابع والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة[١]: إن الله تعالى خلق الخلق فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع[٢] واعتقدوا لغلط أفهامهم أن الله تعالى يعتريه التعب والنصب[٣]، حتى نقل عن بعضهم فى غير التوراة أنه تعالى فى اليوم السابع: استلقى على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى، وفى هذا جهالات منها:

التجسيم، ومنها ضعف القدرة لطرآن التعب والنصب، ومنها أنه يلزمهم أن يكون إلاههم حادثا فإن محل الحوادث يجب أن يكون حادثا والتعب والنصب حوادث فأين هذا القول من قول المسلمين: إن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة. وإن إيجاده بأن يقول للشيىء كن فيكون[٤]. واعتقاد المسلمين أن صنعه للأشياء بلا علاج ومخالطة لها. وبلا مزاج

---

(١) كلمة (فى التوراة) عن التيمورية.

(٢) اقرأ تفصيل قصة الخلق فى الإصحاح الأول من سفر التكوين وأما عن استراحة الخالق فقدورد فى الإصحاح الثانى (فأكملت السموات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل. فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا) تكوين٢ / ١ : ٣.

(٣) ورد فى التواة أن الله تعالى فرغ من الخلق فى ستة أيام (وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل. فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه. لأن فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا) سفر التكوين صح ٢ / ٢ : ٣.

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

والأمر (كن) ليس مراد به الحقيقة لأنه أما أن يكون خطابا للموجود فيراد به التحويل دون الإيجاد وهو مناف القصد أو للمعدوم فيكون أمرا لغير الموجود وخطابه لا يتأتى. وإنما المراد أحد أمور:

الأمر الأول: أن المراد سرعة نفاذ قدرة الله فى تكوين الأشياء وأنه تعالى يخلق الأشياء لا بفكرة ومعاناة وتجربة. ونظيره قوله تعالى عند خلق السموات والأرض (قالتا أتينا طائعين).. جزء آية من فصلت١١.

الأمر الثانى: أنه علامة يفعلها الله تعالى للملائكة إذا سمعوها علموا أنه أحدث أمرا.

الأمر الثالث: أنه خاص بالموجودين الذين قيل لهم ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة: ومن جرى مجراهم.

الأمر الرابع: أنه أمر للأحياء بالموت وللموتى بالحياة.. مفاتيح الغيب ٢٨ / ٢ بيروت.

– وأن علمه محيط[١] بكل – شيىء صنعه ولا علة للصنعة. فهذا هو قول التوحيد والتمجيد اللائق بجلال الربوبية وتعظيم الله تعالى.

وأما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود. وهذه المواضع وشبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة، وأنها غير المنزلة من الله تعالى، وهذا يجزم به كل عاقل.

السؤال الثامن والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة: إن الله تعالى قال لآدم وحواء، إنكما فى اليوم الذى تأكلان فيه من الشجرة التى نهيتكما عنها تموتان موتا[٢].

وفى التوراة أنهما عاشا بعد ذلك ورزقا الأولاد بعد دهر طويل[٣]. وهو تناقض فاحش دال على تبديل التوراة وتغييرها.

السؤال التاسع والثمانون:

قالت اليهود إن الجنة لا أكل فيها ولا شرب. والتوراة تكذبهم فى عدة مواضع منها:

١ – أن آدم وحواء كانا يأكلان من كل شيىء فيها إلا شجرة واحدة وقد تقدم نقل عدة مواضع من ذلك فى أجوبتهم تدل على أن الجنة فيها الأكل والشرب والنكاح[٤].

---

(١) فى الأصل (وأن علة كل) والجملة عن التيمورية.

(٢) ورد فى التوراة (وأوصى الرب الاله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكلا أكلا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتا تموت) سفر التكوين ٢ / ١٦ : ١٧.

(٣) اقرأ الإصحاح الرابع والخامس من سفر التكوين وهو يتحدث عن زواج آدم وعن أولاده.

(٤) ورد فى التكوين (وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلاتأكل منها..) تكوين ٢ / ١٦ :١٧ وعن الزواج ورد (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب.. ثم عادت فولدت أخاه هابيل). تكوين ٤ / ١ : ٣.

السؤال التسعون :

قالت اليهود فى التوراة : إن نمرود لما بنى الصرح وشيده نزل البارى تعالى إلى الأرض حتى هدمه وحال[١] بين نمرود وبين ما أراده من ذلك[٢] . وهذا تجسيم وتعجيز وتسوية ومقاربة بين الله تعالى ونمرود . فإن هذا إنما يكون بين الانسانين المتقاربين أما الملك العظيم مع من هو دونه فإنه لا يتحرك بنفسه له . بل يبعث بعض أعوانه . وهاهنا جعلوا الله تعالى لايهد[٣] هذا الصرح إلا بأن يأتى بنفسه . وهذا كفر لم تصل له[٤] النصارى، وسخف كبير[٥] يقضى على توراتهم بالبعد عن الهداية واشتمالها على الضلالة، وأن الذى لفق فيها هذا من أهل الجهالة والغباوة[٦] .

السؤال الحادى والتسعون :

قالت اليهود فى التوراة : إن إبراهيم - عليه السلام - لما مرت به الملائكة لهلاك سدوم[٧] . وعامور[٨] مدائن لوط – عليه السلام – أضافهم وأطعمهم خبزا ولحما وسقاهم سمنا ولبنا[٩] ولما أتو عند لوط - عليه السلام -

---

(١) فى التيمورية (وحال بينه وبين) وهو معارض للسياق .

(٢) النص غير وارد فى التوراة البابلية .

(٣) فى الأصل (يبعْذ) وكلمة (يهد) عن التيمورية .

(٤) فى التيمورية كلمة (إليه) بدلا من (له) .

(٥) فى الأصل (كثير) وكلمة (كبير) عن التيمورية .

(٦) فى التيمورية (الجهل والعناد) .

(٧) إحدى مدن السهل الخمسة التى أحرقتها النار من السماء بسبب خطيئة أهلها العظيمة (تك ١٩ / ٢٤) وقد ورد ذكر سدوم للمرة الأولى فى التوراة فى الحديث عن حدود أرض كنعان، وكان أهلها مضرب المثل فى الخطيئة، تقع الآن تحت الماء فى جنوب البحر الميت . قاموس الكتاب المقدس ٤٦١ .

(٨) فى التوراة (عمورة) بلدة فى غور الأردن تدمرت بنار الخطيئة ويظن بأنها غمرت بمياه البحر الميت . جنوبى اللسان عند مصب وادى العسال .

(٩) تذكر التوراة أن الملائكة عندما مروا بإبراهيم - عليه السلام - طلب منهم قبول الطعام عنده فاستجابوا لطلبه (فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقا =

عشاهم[1] فطيرا وهذا جهل عظيم ونقل كاذب قطعا فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بل أجسامهم روحانية وغذاؤهم روحانى لا يعرفه اليهود. ثم العجب أنهم نسوا[2] أنهم يقولون: إن الناس فى الجنة مثل الملائكة لا يأكلون ولا يشربون[3] فشبهوهم بالملائكة فى عدم الأكل والشرب - ثم لم يلبثوا أن قضوا على الملائكة بالأكل والشرب[4] - وهو تهافت عظيم، وبهذا ونحوه يعلم أنه ليس بأيديهم من كتبهم إلا الرسوم.

السؤال الثانى والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة إن لوطا - عليه السلام - لما أمره الله تعالى بالخروج عن القرية الظالمة لم يسارع وتباطأ عن الامتثال حتى بقيت الملائكة تدفعه فى ظهره دفعا عنيفا[5] حتى أخرجوه كرها، وهذا يدل على تبديل التوراة، فإن خواص المؤمنين لا يشكون فى أوامر الله تعالى لا سيما مع وجود الملائكة المشاهدين

=سمينا. اعجنى واصنعى خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم. وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا..) تك ١٨/ ٦ : ٨.

(١) هكذا ذكرت التوراة أن لوطا عرض عليهما المبيت (فمالا إليه،ودخلا بيته. فصنع لهما ضيافة وخبز فطير فأكلا..) تك ١٩ : ٣.

(٢) فى الأصل (نسبوا) وكلمة (نسوا) عن التيمورية.

(٣) ورد فى الإنجيل (وجاء إليه - أى المسيح - قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة وسألوه قائلين يا معلم كتب الناموس إذ مات لأحد أخ وترك امرأة ولم تخلف أولادا أن يأخذ أخوه امرأته ويقيم نسلا لأخيه. فكان سبعة إخوة. أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسلا. فأخذها الثانى ومات ولم يترك هو أيضا نسلا وهكذا الثالث. فأخذها السبعة ولم يتركوا نسلا. وآخر الكل ماتت المرأة أيضا. ففى القيامة متى قاموا لمن منهم تكون زوجة. لأنها كانت زوجة للسبعة. فأجاب يسوع وقال لهم أليس لهذا تضلون إذا لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم متى قاموا من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة فى السموات) مرقس ١٢/ ١٨ : ٢٥.

(٤) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٥) ورد فى التوراة (ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة. ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة) تك ١٩ / ١٥ : ١٦.

بالحس، فكيف حال الأنبياء حينئذ، فكيف بخواص الأنبياء - عليهم السلام -، كلا والله، بل بواطنهم مملوءة إجلالاً وتعظيما، وهم المخصصون بدوام المراقبة لأوامر[1] الله تعالى. انقيادا وتسليما. وما هى بأول جراءة من اليهود على الأنبياء - عليهم السلام -.

السؤال الثالث والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة إن إبراهيم - عليه السلام - لما حضرته الوفاة ورَّث ماله ولده إسحاق[2] وحرم باقى أولاده، وهو من المواضع الدالة على تحريف التوراة، فإن حال القدوم على الله تعالى يجعل[3] إبراهيم - عليه السلام - فى غاية الأدب مع ربه وحسن المعاملة مع خلقه، لا سيما أولاده الذين أوجب الله تعالى عليه برَّهم. وحرم أذية قلوبهم فكيف تجعل إبراهيم – عليه السلام – وهو خليل الرحمن – هذا المؤثم[4] خاتمة عمله عند حضور أجله، وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله - عليه السلام -[5] نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة[6]. فنجزم بكذب ما حكاه اليهود.

السؤال الرابع والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة إن يعقوب - عليه السلام - احتال على أبيه إسحاق حتى أخذ دعوته المستجابة التى كان إسحاق - عليه السلام - يريدها للعيصى[7] لأنه كان يحبه أكثر بأن[8] لبس يعقوب - عليه السلام - حلة أخيه العيص وجعل

---

(١) فى الأصل (لو أرادت) والتصويب عن التيمورية.

(٢) ورد فى التكوين (وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له. وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم. فاعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه. شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حى) تكوين ٢٥ / ٥ : ٦.

(٣) فى الأصل (يكون) وهى غير متفقة مع السياق.

(٤) فى الأصل (المؤلم) والكلمة عن التيمورية.

(٥) فى التيمورية (ﷺ).

(٦) شرح السنة للبغوى ٨ / ٢٨٣.

(٧) الاسم الوارد فى التوراة (عيسوا).

(٨) فى الأصل (فإن).

في ذراعه وعنقه جلد ماعز فتمت[1] مكيدته على أبيه ودعا له[2] وإن إسحق - عليه السلام - أطلع على الحال تعجب وقال: ليت شعرى من هذا الذى ذهب بدعوتى، فجعلوا يعقوب - عليه السلام - كذابا، قولا وفعلا، ودلّس وعق أباه وأخاه، ثم العجب كيف يعتقدون صحة هذا مع أنه إذا سلم لهم وقوع مثل هذا، فما دعا إسحق - عليه السلام -[3] إلا للعيص، لأنه هو الذى اعتقده إسحق - عليه السلام - وأراده حالة الدعاء، فهذه الحيلة لا تفيد شيئا وكيف يدعو إسحاق - عليه السلام - للعيص فينصرف ليعقوب - عليه السلام - من غير قصد إسحاق عليه السلام. فجمعت اليهود فى هذا النقل بين سوء الأدب فى حق الأنبياء عليهم السلام وبين الجهل بالحقائق[4].

---

(١) فى الأصل (ما عرفت) والتصويب عن التيمورية.

(٢) ذكرت التوراة أن إسحاق طلب من ولده عيسوا أن يصيد له ويعد طعاما ويحضره بين يدى أبيه ليأكل منه فتكون له البركة. وكانت (رفقه) أم يعقوب سامعة للقول. فأوصت ولدها أن يقوم بحيلة ينال بها البركة ولكن الولد خشى اتضاح الأمر. فطمأنته أمه وأعدت له طعاما وألبست ولدها فى يديه جلد جدى المعز ليكون ذراعه أشعر كأخيه. فذهب بالطعام إلى والده مدعيا أنه عيسو «فقال له هل أنت ابنى عيسو. فقال أنا هو. فقال قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى. فقدم له فأكل وأحضر له خمرا فشرب فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلنى يا ابنى. فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه. وقال أنظر رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيدا لإخوتك وليسجد لك بنوا أمك. ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين». تك ٢٧ / ٢ : ٢٩.

(٣) الجملة الدعائية ساقطة من التيمورية.

(٤) أى أن المقصود هو عيسو دون يعقوب. وإذا كان يعقوب تحايل ظاهرا فإن النية منصرفة إلى عيسو. إلا أن التوراة قد صرحت بعد ذلك أن عيسو عاد ومعه ما طلب منه. وجلس بين يدى والده الذى أعلمه بالواقعة وبين له أن البركة قد انصرفت إلى يعقوب الذى تحايل عليه ولكنه بارك إسحاق بقوله (هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق. وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد. ولكن يكون حينما تجمع أنك تكسر نيره عن عنقك) تكوين ٢٧ / ٣٩ : ٤٠.

السؤال الخامس والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة: إن الله تعالى نزل إلى الجنة ومشى فيها[١] حين كلم[٢] آدم -عليه السلام-[٣] وأنه نزل إلى الأرض حين أنقذ بنى إسرائيل من سحرة فرعون[٤] ونزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق[٥]. ونزل إلى الأرض عندما كلم إبراهيم وبشره[٦] بالولد ونزل إلى الأرض حين قاتل[٧] النمرود وقومه ومنعهم من بناء الصرح[٨] وهذا جهل عظيم منهم والحامل لهم عليه أنهم يسمعون أن الله تعالى كلم هؤلاء[٩] الأنبياء -عليهم السلام-. فاعتقدوا أن هذا إنما يكون منه تعالى[١٠] بالحركات والتنقل فى الجهات، فاثبتوا ذلك فى توراتهم، وهذا يقتضى أن كتبهم ملفقة على حسب أهوائهم، لا على حسب ما أنزل الله تعالى إليهم.

---

(١) فى التيمورية (ومشى فظهر فيها).

(٢) فى الأصل (حكم) و(كلم) عن التيمورية.

(٣) ورد فى التكوين (وسمعا - أى آدم وحواء - صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة) تكوين ٣/٨.

(٤) ورد فى الخروج (وكان فى هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله. فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم.. فدفع الرب المصريين فى وسط البحر) خروج ١٤/ ٢٤ : ٢٧.

(٥) النص (قال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى: فقال ها أنذا) خروج ٣/٣.

(٦) ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام. وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملا. فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا. فسقط إبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلا: أما أنا فهو ذا عهدى معك...) تك ١٧/ ١ : ٤.

(٧) فى الأصل (وبلبل ألسن) والتصويب عن التيمورية.

(٨) لم يرد بيان واف لهذا النص فى الحالتين اللتين ورد ذكر النمرود فيهما فقد ورد فى سفر التكوين. صح ١٠/ ٨ : ٩ وكذلك فى ميخا ٤/٦ ولعل النص الأخير أقرب إلى القصة المذكورة.

(٩) فى الأصل (هذه) وكلمة (هؤلاء) عن التيمورية.

(١٠) كلمة (تعالى) من التيمورية.

السؤال السادس والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة: إن هارون - عليه السلام - وأخته مريم وقعا فى موسى - عليه السلام - وحسداه وأذياه، فنزل الله تعالى إلى قبة الزمان. ودعا هارون عليه السلام ومريم وتوعدهما وبرص مريم فصارت برصاء من ساعتها[1].

فنسبوا الأنبياء - صلوات الله عليهم - إلى الحسد ومراغمة مقدور الله تعالى ولا خلاف عندهم فى نبوة هارون[2] ومريم[3]. والأنبياء معصومون[4]، ونسبوا إلى الله تعالى الحلول فى قبة الزمان لقصد الانتصار، وأنه لا يحكم على أحد حتى يحضره عنده، ولذلك استحضرها بين يديه، وهذا من قبيح كذب اليهود على الله تعالى وعلى رسله، وأعظم الدلائل على تحريف ما بأيديهم.

السؤال السابع والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة: إن الله تعالى حين أراد قتل أنصار فرعون وجنوده،

---

(١) النص (وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها. لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية. فقالا هل كلم الرب موسى وحده. ألم يكلمنا نحن أيضا. فسمع الرب وأما الرجل موسى فكان حليما جدا. أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض. فقال الرب حالا لموسى وهارون مريم أخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع. فخرجوا هم الثلاثة فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما) عدد. صح ١٢ / ١ : ٥ وصح ١١ / ٢٥ وصح ١٦ / ١٩).

(٢) ذكر قاموس الكتاب المقدس أن موسى حينما اعتذر عن عدم إمكانه قيادة شعبه المضطهد فى مصر لثقل فمه ولسانه وعيه. أجابه الرب فى حوريب: أليس هارون اللاوى أخاك؟ أنا أعلم أنه هو يتكلم (خروج ٤ / ١٤).

(٣) النص (فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص) خروج ١٥ / ٢٠.

(٤) هذه وجهة نظر المسلمين وبها يدينون – وقد عرفت العصمة بأنها (حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بفعل مأمور به أوترك منهى عنه).

أما اليهود فقد نسبوا إلى الأنبياء كثيرا من المعاصى. ولا يرون العصمة لهم، بدليل: نسبة نوح إلى شرب الخمر، وزنا لوط بابنتيه. وإعطاء إبراهيم التركة لأحد ولديه وارتداد سليمان إلى عبادة الأوثان فى أخريات حياته وضم داود امرأة أوريا إلى نسائه وغير ذلك كثير.

قال لموسى ـ عليه السلام ـ : قل لبنى اسرائيل[١] يذبحون جملا ويضمخون من دمه على أبواب دورهم حتى إذا جُزْت الليلة فى أرض مصر ورأيتُ الدَم عَرَفْتُ أبوابَكم من أبواب المصريين لئلا أهلككم معهم[٢].

فنسبوا إلى الله تعالى أنه لا يعلم إلا ما يراه بأمارة، ولا يتحقق شيئا إلا بإشارة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، بل هو تعالى[٣] أحاط بكل شيىء علما، وأحصى كل شيىء عددا، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء[٤].

السؤال الثامن والتسعون :

قالت اليهود : إن الذى أمرنا بعبادة العجل واتخاذه هو هارون ـ عليه السلام ـ مع أن موسى ـ عليه السلام ـ استخلفه للإصلاح[٥] فأمر بالكفر الصراح[٦]

---

(١) فى التيمورية (مر بنى).

(٢) النص (فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحو الفصح. وخذوا باقة زوفا واغمسوها فى الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست. وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب. فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولاولادك إلى الأبد . . . فخر الشعب وسجدوا ومضى بنو إسرائيل وفعلوا كما أمر الرب موسى وهارون) خروج ١٢ / ٢١ – ٢٨.

(٣) كلمة (تعالى) عن التيمورية.

(٤) ورد فى القرآن الكريم ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ** ﴾ [يونس : ٦١].

(٥) فى التيمورية (للصلاح).

(٦) ورد فى سفر الخروج (فقال لهم – أى للاسرائيليين – هارون انزعوا أقراط الذهب الذى فى آذان نسائكم بنيكم وبناتكم وأتونى بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فاخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقالوا غدا عيد للرب. فبكروا فى الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامه. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب) خروج ٣٢ / ١ : ٦.

وكذبهم دانيال في نبوته. فقال إن الذى صنع العجل منحا السامرى، وكان آباؤه يعبدون البقر فاستتابه موسى ـ عليه السلام ـ ونفاه إلى الشام[١]، ولذلك كان أهل الشام أكثر سحرة من غيرهم. وهذا موافق للقرآن الكريم.

السؤال التاسع والتسعون:

قالت اليهود. إن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها، فبنوا له ذلك، لأن موسى ـ عليه السلام ـ قال يارب إن هذه الأمة القاسية لا تمضى إليك إلى الشام حتى تمضى معها كما وعدتها. فقال الله تعالى: اعملوا لى قبة فعملها[٢] موسى ـ عليه السلام ـ. وسماها قبة العهد. ونزل الله تعالى فى عرشه ونزل معهم فى داخل القبة ينزل بنزولهم ويرحل برحيلهم. هذا نص التوراة[٣].

ومما وقع فى التوراة من أمر هذه القبة، أن المال الذى جمعوه لإنفاقه على

---

(١) بالرجوع إلي قاموس الكتاب المقدس وفهرست الكتاب المقدس ونصوص نبوة دانيال لم أجد هذا النص.

(٢) فى الأصل (اعملوا أن القبة فعلها) والتصويب عن التيمورية.

(٣) وردت نصوص عدة تصرح بإقامة الرب وحلوله وسيره مع بنى إسرائيل من هذه النصوص ما يلى:

أ- ورد فى سفر الخروج أن الرب (كان يسير أمامهم - أى بنى إسرائيل مع موسى - نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضيء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا. ولم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب) خروج ١٣ / ٢١.

ب- أمر موسى ـ عليه السلام ـ أن يوضح لقومه ما يقدم على المذبح لأجل الكفارة ليتحقق (رائحة سرور وقود للرب محرقة دائمة من أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع أمام الرب حيث أجتمع بكم لأكلمكم هناك واجتمع هناك ببنى إسرائيل فيقدس بمجدى وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح وهرون وبنوه أقدسهم لكى يكهنوا لى وأسكن فى وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلاها. فيعلمون أنى أنا الرب إلههم) خروج ٢٩ / ٤٢ : ٤٦.

جـ- (وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه).. خروج ٣٣ / ٩ - ١١.

هذه القبة صرف على يد موسى - عليه السلام - فلما كملت ادعوا عليه أن قد نقصهم من المال ألف رطل وستمائة وخمسة وسبعون رطلا، وقالوا لموسى - عليه السلام - تشريفا له أين ذهب هذا، فسمعوا صوتا من السماء أن هذا العدد دخل في رؤوس الأعمدة - والتغشية فحينئذ كفوا عنه[١]. فانظر لجرأة هذه الطائفة على الله تعالى - [٢] ولم يقدروه. ولم يعاملوه بما يليق بجلاله فويل لهم مما كتب أيديهم وويل لهم مما يكسبون،[٣]. قالوا فيها: وكان موسى - عليه السلام - إذا أراد الرحيل قال انهض إلينا يارب لنكبت[٤] شانئك، قالوا فكان تعالى يظعن بظعنهم ويقيم بإقامتهم.[٥].

وقالوا إن الله تعالى أبى مرة السير معهم، وقال اظعنوا أنتم فإنى لا أظعن أنا، بل أبعث معكم ملكا يغفر ذنوبكم[٦].

فانظر استخفافهم بالله تعالى إلى هذه الغاية. تحويه القباب[٧] ويسير مع الركاب وهذه غاية الإسهاب فى السباب، ومما لا يليق[٨] برب الأرباب، بل هو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تحويه الجهات ولا يوصف بالحركات والسكنات ولا يشبهه شيء من المخلوقات[٩].

---

(١) لا يوجد نص بهذا الأسلوب أو معناه فى نسخة التوراة المطبوعة الآن.

(٢) هذه الجملة ساقطة من التيمورية.

(٣) اقتباس من النص القرآنى ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٨].

(٤) فى الأصل (لنلبث) والكلمة عن التيمورية.

(٥) ورد فى سفر الخروج (وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود السحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضيء لهم لكى يمشوا نهار وليلا ولم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب) خروج ١٣ / ٢١.

(٦) ورد فى سفر الخروج (وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التى حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكا..) خروج ٣٣ / ١ : ٣.

(٧) فى الأصل (العتات) وكلمة (قباب) عن التيمورية.

(٨) فى الأصل (فيها لا) والسياق عن التيمورية.

(٩) هذا اعتقاد المسلمين كما ورد فى القرآن ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ الشورى آية ١١.

السؤال المائة :

قالت اليهود : إن يعقوب - عليه السلام - عند منصرفه طالبا بلاده تصارع مع الملك فغلبه يعقوب - عليه السلام - وتألم وِرْكُ يعقوب - عليه السلام - وصار الملك في يده مقهورا حتى قال له : دعني وأباركك(١)، فترك اليهود أكل عرق الفخذ لذلك .

فجعلوا الملائكة والأنبياء - عليهم السلام - مثل الصبيان يتصارعون وأنهم في هيئة من يفزع(٢) قلبه وقالبه(٣) . وأعرض عن مراقبة هؤلاء واشتغل بهواه .

السؤال الحادى والمائة :

إن النصارى مصدقون التوراة، وهو كتابهم وعمدتهم في الأحكام . والإنجيل إنما جاء بالمواعظ، وقال لهم في الإنجيل : تزول السموات والأرض ولا يزول شيء من الناموس(٤) – يعني أحكام التوراة . ومع ذلك فهم مصرون على مخالفتها متمادون على معاندتها، نابذون لأحكامها مطرحون لأعلامها .

ففي التوراة أن الله حرم الميتة والدم والخنزير والنطيحة(٥) والمنخنقة

---

(١) النص (ثم قام – أى يعقوب – في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضه ببوق . أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له، فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له ما اسمك فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت) سفر التكوين صح ٣٢ / ٢٢ : ٢٨ .

(٢) في الأصل (حبة) وكلمة (هيئة) عن التيمورية .

(٣) في الأصل (وقل لبه) وكلمة (قالبه) عن التيمورية .

(٤) ورد في متى (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) متى ٥ / ١٧ : ١٩ .

(٥) من المحرمات الواردة في التوراة ما يلي : (كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون – إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف . الجمل لأنه يجتر لكنه لا=

والموقوذة[1] والقردة والشحوم غير المختلطة باللحم والأرنب والأسد والذئب والكلب والفرس والحمار والبغل[2] وكل دابة ليست مشقوقة الحافر[3]. ومن الطير البازى والعقاب وكل طير يبقى بمخلبه أكل.[4] ومن حيوان الماء كل حوت

= يشق ظلفا. فهو نجس لكم. والوبر – لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم، والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر. وهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا. وجثثها لا تلمسوا. إنها نجسة لكم) لاويين صح ٢١/٣ : ٨.

وكذلك ورد (وجميع البهائم التى لها ظلف ولكن لا تشقه شقا أو لا تجتر فهى نجسة لكم. كل من مسها يكون نجسا. وكل ما يمش على كفوفه من جميع الحيوانات الماشية على أربع فهو نجس لكم. كل من مس جثتها يكون نجسا إلى المساء. ومن حمل جثتها يغسل ثيابه ويكون نجسا إلى المساء. إنها نجسة لكم) لاويين ١١/ ٢٦ : ٢٨– وفى الشرح قيل: المراد جثث جميع موتى البهائم وقد وقع خلاف بين الفريسيين والصدوقيين فالفريسيون يرون النجاسة فى مس جثة الميتة فقط أما الحية فلا تنجس والصدوقيون يرون كل مس سببا للنجاسة حية كانت أم ميتة. راجع السنن القويم٢ /٦٩.

(١) (وإذا مات واحد من البهائم التى هى طعام لكم. فمن مس جثته يكون نجسا إلى المساء. ومن أكل من جثته يغسل ثيابه ويكون نجسا إلى المساء. ومن حمل جثته يغسل ثيابه ويكون نجسا إلى المساء) لاويين ١١/٣٩.

وفى الشرح قيل المراد البهائم الطاهرة التى لم تذبح بل ماتت فجأة وقد عدت ميتة الحيوان الطاهر كميتة الحيوان النجس فمسها ينجس والنجاسة قاصرة على مس اللحوم دون الجلد والعظم فهما طاهران عند الفريسيين عكس الصدوقيين. السنن القويم٢ / ٧٥.

(٢) ورد فى اللاويين (وكلم الرب موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل قائلا. كل شحم ثور أو كبش أو ماعز لا تأكلوا. وأما شحم الميتة وشحم المفترسة فيستعمل لكل عمل أكلا لا تأكلوه.. وكل دم لا تأكلوا فى جميع مساكنكم من الطير والبهائم) لاويين ٧ /٢٢ : ٢٧.

(٣) ورد فى المحرمات بالنسبة للحيوان (إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف. الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا. فهو نجس لكم. والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم). لاويين ١١ /٣ : ٨.

(٤) ورد فى اللاويين (وهذه تكرهونها من الطيور لا تؤكل. إنها مكروهة. النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق على أجناسه وكل غراب على أجناسه والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه. والبوم والغواص والكركى والبجع والقوق والرخم. واللقلق والببغا على أجناسه والهدهد والخفاش..) لاويين ١١ / ١٣ – ١٩.

ليس له سفانق(١). كذا وقع فى كتبهم بالنون، وهو تصحيف منهم، وإنما هى سفاسق. وهى الطريق عند العرب، ومنه سفاسق السيف لطريقه وفرنده. ذكره أبو عبيد فى الغريب المصنف(٢). وحرم حرث الثور مع الحمار(٣). وحمل الخيل على الحمير. والحمير على الخيل(٤) وطبخ الجدى فى لبن أمه(٥). وأخذ الطير من أعشاشها بفراخها(٦). وأكل الجرارة(٧) والملتصقة ربعتها(٨). وأكل الخبز المخمر فى الفصوح. ولا يقربا قربانا إلا بخبز فطير. وحرم شحوم البقر. وشحم الشاة(٩)

---

(١) فى الأصل (سفالق) والمحرمات من صيد البحر ما يلى (لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف فى البحار وفى الأنهار من كل دبيب فى المياه ومن كل نفس حية فى المياه فهو مكروه لكم) لاويين ١١/ ٩ : ١١.

(٢) قال الجوهرى فى الصحاح وسفاسق السيف طرائقه فارسى معرب. قال أبو عبيد هى التى يقال لها الفرند: الصحاح مادة سفق(٤ /١٤٩٧) والمادة ليست فى غريب الحديث لأبى عبيد وإنما الذى ذكر ورودها هو الزجاج وعبارة القرافى منقولة عنه.

(٣) ورد فى سفر التثنية (لا تحرث على ثور وحمار معا) ٢٢ / ١٠.

(٤) ورد فى اللاويين (فرائضى تحفظون لا تنز بهائمك جنسين وحقلك لا تزرع صنفين) صح ١٩ / ١٩.

(٥) ورد فى الخروج (أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك. لا تطبخ جديا بلبن أمه) خروج ٢٣ / ١٩ والتثنية ١٤ / ٢١.

(٦) ورد فى التثنية (إذا اتفق قدامك عش طائر فى الطريق فى شجرة ما أو على الأرض فيه فراخ أو بيض والأم حاضنة الفراخ أو البيض فلا تأخذ الأم مع الأولاد. أطلق الأم وخذ الأولاد لنفسك لكى يكون لك خير وتطيل الأيام) تثنية ٢٢ / ٦ : ٧.

(٧) فى التثنية (إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم، الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفا وهى نجسة لكم) تثنية ١٤ / ٧.

(٨) من المحرمات كل حيوان غير مشقوق الظلف (إلا هذه فلا تأكلوها، مما يجتر ومما يشق الظلف الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم، والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق الظلف فهونجس لكم، والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر..) اللاويين ١١/ ٤ :٧.

(٩) الراجح أن الحرمة فى هذا الميدان ثابتة بنص القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

ومنع قربان الحمام واليمام[١]. وهذه نصوص لا تقبل التأويل وعمل بها النبيون وأقروها، كذلك عيسى - عليه السلام -، فإن ادعوا نسخها طالبناهم بالدليل الناسخ، ولن يجدوه أبدا، بل تركوها بأهوائهم الفاسدة.

ولقد ذكر في بعض كتب الفقه[٢] لهم هذه المحرمات، ثم تأولوها بالوقاحة والجهل، فقالوا هذه أمثلة ضربت[٣] في التوراة، وفسرها[٤] المسيح في الإنجيل، فعنى بالميتة أن لا تميتوا الأحياء ولا تعموا[٥] الحق في الشهادة. وأراد بالدم أن لا يقتل أحد بدب[٦] وبالخنزير الزنا والكفر[٧]. وبالنطيحة أن لا يناطح ملك جبار فقيراً أو مسكينا[٨]. وبالموقوذة أن لا تزدرى بمن هو تحت ظلم غيرك[٩].

وبالمنخنقة أن لا تخنق أحدا لك قبله حق فتضغطه وبالقردة أن لا تحكى أحدا فتفعل[١٠] كفعلها وبالذئب والأرنب أن لا تأكل مع غيرك بالهجم.

---

(١) الوارد في سفر اللاويين (١/١٤) (٥/٧) وإنجيل لوقا (٢/٢٤) جواز القربان من الحمام و اليمام وأما النسخ فقد عجزت عن إثباته.

(٢) في الأصل ((عقايدهم) والسياق عن التيمورية.

(٣) كلمة (ضربت) عن التيمورية دون الأصل.

(٤) في الأصل (وأقرها) والسياق عن التيمورية.

(٥) في الأصل (ولا تعلموا) والسياق عن التيمورية.

(٦) ليس للنفس حرمة واردة في شريعة المسيح. بل إن الحدود نفسها لا وجود لها ولعل النصارى يأخذون العقوبة بما هووارد في التوراة دون سند لهم من الإنجيل أو يرون ذلك متروكا للحاكم بحكم المسئولية.

(٧) حرمة الخنزير ثابتة. والمسيح نفسه قد ألقى بقطيع كبير منها في البحر (مرقس ٥/١٢) والنص لا يحتاج إلى تأويل. أما أن الحرمة تنصرف إلى الزنا فلا دليل على ذلك وفي أناجيلهم أن المسيح عليه السلام قد أُتِيَ إليه بزانية يبتغي القوم رجمها. فقال المسيح للحاضرين: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر فانصرفوا ثم قال هو لها (وأما أنا فلا أدينك اذهبي ولا تخطىء (راجع القصة يوحنا ٨/٢: ١١).

(٨) كلمة (أو) عن التيمورية.

(٩) يلاحظ أن هذه التأويلات تتضمن ضربا من التكلف. وبقاء النص على ما هو عليه غير مستعص قبوله ولكن صراع النصارى مع اليهود جعلهم يحرفون ما لا رغبة لهم فيه.

(١٠) في التيمورية (تفعل).

والفارة. والأرنب. أن لا تفعل فعلها فعل قوم لوط فإن ذكورها يأتى بعضها بعضا لغلبة شهوتها[1]. وبالبازى ونحوه. أن لا تهرق دم أحد ولا تغلبه على متاعه. وبالدابة التى ليست مشقوقة الحافر، الكفرة عبدة الأوثان، يعبدونها أيام حياتهم. ولا يقسمون عمرهم مشاطرة، وبالحوت الذى ليس له سفانق الإنسان المتلون فى دينه، وبحرث الثور مع الحمار، الإنسان الكافر، وبالحمير على الخيل، زواج الكافر بالمؤمنة والمؤمن بالكافرة، وبالجدى فى لبن أمه أكل مال اليتيم ظلما، وبالمتلصقة الربعة. الإنسان الحسود الذى يوسوس الشرُ فى صدره وبالخبز المختمر التى ينفخ فيها الشيطان. ويهيج فيها الكبرياء وبالفطير[2]، أن يكون أنفسنا ضامن بغيركبر، وبالحمام واليمام المؤمنين الذين جعلوا أنفسهم قربانا لله تعالى، وأما أكل الخنزير والميتة وغيرها فما فيها مضرة ولا منفعة[3] من شاء أكلها ومن شاء تركها.

---

(١) صرح القرآن بهذا المسلك المشين من قوم لوط. وكان عليه السلام ينكر عليهم هذه الفعلة قائلا لهم ﴿ **أَتأتون الذُّكْرانَ من الْعالمين * وتذرون ما خلق لكُمْ ربُّكم منْ أَزْواجكم بل أَنتمْ قوْمٌ عادُون** ﴾ [الشعراء ١٦٥] ولعل البشرية لم تعرف هذا قبل لقوله (إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين).

(٢) فى التيمورية (وبالطين).

(٣) الخنزير من الحيوانات المحرمة في جميع الشرائع. ففي القرآن الكريم ورد فى قول الله تعالى: ﴿ **حرِمت عليكم الْميْتة والدَّم ولحم الْخنزيرِ وما أُهلَ لغيْرِ اللَّه به** ﴾ [المائدة: ٣].

وفى التوراة ورد تحريمه (والخنزير – أى من المحرمات – لأنه يشق ظلفا وتقسيمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. ومن لحمها لا تأكلوا..) لاويين ١١ / ٧: ٨ وقد ثبت أن المسيح عليه السلام ألقى بقطيع الخنازير فى البحر. لاختلاطها بالأرواح النجسة كما هوواضح فى إنجيل متى. صح ٨ / ٣٠: ٣١ ومرقس الإصحاح الخامس ١١: ١٤ – وقد أثبتت نتائج العلم والتجارب أن لحم الخنزير يحتوى المضار الآتية:

يحتوى على دودة اسمها (الترانجينا توجد داخل غشاء يشبه الكيس الصغير يحتوى على سائل به غذاء الدودة ويمكنها أن تعيش عشرين عاما دون أن يحدث لها شيء. فهى تقاوم الحرارة والمضادات المختلفة. فإذا تناول الإنسان لحما به هذه الدودة فإن عصارة المعدة تعمل على إذابة الغشاء المحيط بالدودة وتخرج وتنزل بالأمعاء إلى الجهاز اللمفاوى. ويتزاوج الذكر والأنثى فيموت الذكر بينما تضع الأنثى ١٥٠٠ بيضة وبعد ساعتين فقط يفقس البيض ويطلع ١٥٠٠ يرقة تنتشر فى جسم الإنسان عن طريق الدم ولليرقات خاصية الاختراق. وهى تفرز مادة تذيب العظام وتخرمها. هذا إذا كان بالقطعة دودة واحدة فكيف بخمسين أو أكثر.

=

فهذا مذهب النصارى إلا القليل، فما الذى حمل هولاء الجهال على تحريف كتاب الله تعالى وتغيير أحكامه، وحل نظامه بغير شرع منقول ولامدرك معقول، فكيف فهم هؤلاء الجاهلون ما لم يفهمه النبيون. لله[1] العجب، قد زادت عقولهم حتى فهموا ما لم يفهمه موسى بن عمران، مع أن الرسالة إليه – كلا والله – وهم لكتب الله تعالى يحرفون[2] وعلى الله تعالى[3] وعلى رسله متجرؤون – وسيعلم الذين ظلموا[4] أى منقلب ينقلبون. وإذا فتحوا هذا الباب من الهذيان فى التأويل بغير دليل. لم يبق على ما يحتجون[5] به على نبوة عيسى أو ألوهيته أو غير ذلك من مقاصدهم تعويل. لأن يحضهم[6] أن يبدى مثل هذه التأويلات الباطلة. ويهتف كما هتفوا بالأحاديث الفاسدة.

السؤال الثانى والمائة: أطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول

= كذلك توجد الدودة الشريطية وهى موجودة فى الأبقار واسمها تنياسوليوم فى الخنزير، وتنياساجنتك فى البقر وهى تسقط عن طريق شربة أوعلاج إذا كان مصدرها بقرى.

أما الدودة الشريطية للخنزير إذا أصابت إنسانا فانها لا تتعلق بمصصات فقط وإنما بصفين من الاشواك حول رأسها. وحتى لو عولج الإنسان فان الاشواك تعمل على تمزيق الغشاء الداخلى للأمعاء وتسبب نزيفا وقروحا داخل الأمعاء. مما يجعل براز المريض كله دما ومخاطا. وقد تؤدى إلى حدوث سرطانات كما أن هناك أمراضا تصيب الخنازير وقد تصيب من يأكلها مثل مرض الحمرة وحمى الخنزير والسل والديدان والحمى الفحمية وغير ذلك.

أما عن أضرار الميتة فقد ورد. أن الحيوان بعد أن يموت يكون متضمنا نسبة من السموم. لأن الدم لم ينزف والدم كله ميكروبات. وبقاؤه بالذبيحة ينشر كثيرا من الميكروبات نظرا لاختلاطه باللحم.

راجع التفاصيل بمجلة اللواء الإسلامى عدد (١٦٤) الخميس ٢١ جمادى الثانى ١٤٠٥ هـ – ١٤ مارس ١٩٨٥.

(١) فى التيمورية (فيا لله).

(٢) فى الأصل (عارفون).

(٣) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٤) فى الأصل (فسيعلمون) والسياق عن التيمورية.

(٥) فى الأصل (يجتمعون) والسياق عن التيمورية.

(٦) كلمة (يحضهم) عن التيمورية.

بماء المعمودية. وصفته أن الذى يريد أن يدخل فى دينهم أو يتوب منه تمنعه الأقسة من اللحم والخمر أياما. ثم يعلمونه - اعتقادهم ثم يجتمع القسيسون فيكلمون بعقيدة[١] إيمانهم. ثم يغطسونه فى ماء يغمره. واختلفوا هل يغمس واحدة أو اثنين أو ثلاثة. ثم يدعو له الأسقف بالبركة بعد خروجه من الماء. ويضع يده على رأسه. ومن لم يقبل هذه القاعدة كافر عندهم[٢].

وتأويل الغطسات مدة مكث المسيح - عليه السلام - فى قبره، ثلاثة أيام[٣]. والخروج من الماء هو الخروج من القبر، ومنهم من يقول: بل الغطسات الثلاث إشارة إلى التثليث، ولم يذكر التعميد فى التوراة، بل كتبوا فى الإنجيل أن يوحنا[٤] عمد المسيح - عليهما السلام -[٥] بوادى الأردن، فخرج منه روح القدس،

---

(١) الجملة عن التيمورية دون الأصل.

(٢) المعمودية: هى سر مقدس به يولد المسيحى ميلادا ثانيا بالماء والكلمة. وقد قال بطرس الرسول (ليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح فتقبلوا عطية الروح المقدس) أعمال الرسل ٢ / ٣٧. والعماد يكون بالماء. إذا قال السيد المسيح (إذا كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله..) يوحنا ٣ / ٥.

ويتم العماد بتغطيس المتعمد ثلاث دفعات فى الماء باسم الثالوث الأقدس. الآب والابن والروح القدس إذ قال السيد المسيح (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) متى ٨س٢ / ١٩.

ولا يجوز العماد بالرش إلا فى أحوال استثنائية كالمرض الشديد والإشراف على الموت. والعماد يمنح نعمة الميلاد الثانى - أى الميلاد الروحى - كما أنه يمنح نعمة التقديس والتبرير وغفران الخطايا الجدية وكذلك الخطايا الفعلية التى ارتكبها الشخص قبل العماد. وهو يمنح نعمة التبنى لله والوراثة فى السماء. والوحدة فى كنيسة المسيح.. ولا يصح إجراء العماد إلا بواسطة الكاهن وحده. لأن المسيح منح حق العماد للرسل. وهؤلاء منحوه للكهنة. ويلحق بهذا السر (المعمودية) سر المسحة أو الميرون المقدس. وهو سر ينال به المعتمد ختم موهبة الروح القدس والثبات فى الإيمان. وبدونه تكون المعمودية ناقصة وغير قانونية. لأنه كما أن السيد المسيح حل عليه روح القدس شبه حمامة على أثر عماده فى نهر الأردن. هكذا يجب مسح المعتمد بالميرون. وهو الزيت المقدس على أثر خروجه من المعمودية. لأن الميرون هو عوض عن الحمامة التى حلت على السيد بعد عماده) راجع الإنجيل والصليب - لعبد الأحد داود - الأمور المتيقنة عندنا - كارل سى تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب.

(٣) جملة (ثلاثة أيام) ساقطة من النيمورية.   (٤) فى التيمورية (نوحا)

(٥) الجملة الدعائية ساقطة من التيمورية.

كالحمامة على الماء[1] وزعمت النصارى أن المسيح عليه السلام قال للحواريين إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم. بالآب والابن والروح القدس[2]. فهذه المعمودية عندهم ظاهرة المستند، أسندوها للنبيين والحواريين. ومع ذلك فعليهم فيها استدراكات.

فنقول سلمنا جدلا صحة ما ذكرتموه من النقل، فلِمَ قلتم إنه إذا عمد يحيى ـ عليه السلام ـ والحواريون نعمد نحن. فلعله مخصوص بهم، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعا عاما، والمسلمون لم يعتمدوا على مثل ذلك[3]، حتى ورد عليهم قوله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** ﴾ [الحشر: ٧] وقوله ـ عليه السلام ـ[4]. خذوا عني مناسككم[5] ونحو ذلك.

فأين لكم مثله؟ ولن تجدوه أبدا، ولعلهم إنما اعتمدوا ذلك[6] لأن ماءهم مقدس ودعاءهم متقبل، ولستم مثلهم. فأضفتم مالهم لكم إليكم[7] شرعا بالتوهم من غير دليل. سلمنا عموم شرعيتها، فلم زدتم العدد، ووضع اليد على الرأس والنفخ في الوجه، ولم ينقل ذلك عمن تقدم، ولم تكفرون مخالفيها من غير دليل على تكفيره.

ثم نقول: ماء معموديتكم مقدس أم لا؟ فإن قلتم مقدس. فمن قدسه؟

---

(١) ورد في متى (حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَّ. فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه) متى صح ٣ / ١٣ : ١٦.

(٢) ورد في متى (فتقدم يسوع وكلمهم – أى التلاميذ – قائلا: دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس). متى ٢٨ / ١٨ : ١٩.

(٣) (على مثل) عن التيمورية.

(٤) في التيمورية (ﷺ).

(٥) فتح البارى ١ / ٢١٧، ١ / ٤٩٩.

(٦) في الأصل (إنما عمدا) والسياق عن التيمورية.

(٧) عن التيمورية.

فإن قلتم الله قدسه فما الدليل عليه؟ فلعله نجسه. فان قلتم نحن قدسناه، قلنا ومن أنتم حتى تقدسون المياه، وما الدليل على أهليتكم لذلك، فليت الفجل[١] يهضم نفسه، ولما خصصتم المعمودية بالماء؟ ولم لا يكون بالبول؟ فإنه ليس بنجس عندكم وهو والماء سواء، ثم إن قولكم: إن يحيى - عليه السلام - عمد المسيح - عليه السلام - ، فهل كان عيسى - عليه السلام - قبل ذلك مقدسا أم لا؟ فإن قالوا مقدسا فلا أثر لتعميده، وإن قالوا: لا. فكيف يعتقدون أن من ليس بمقدس إله أو ابن الإله. وأنتم تقولون: إن أرواح القدس مثل الحمامة البيضاء[٢]. وهل هذا كله إلا هذيان وضــرب من الخــذلان. وعلى هذا أكــثــر[٣] أحكام شريعتهم وأقواها مستندا فكيف بأضعفها.

السؤال الثالث والمائة:

وضعت النصارى لأنفسهم قوانين من غير دليل من التوراة والإنجيل ومن خالفهما سموه خارجا تارة، وكافرا أخرى، والخروج عن قوانينهم ذنوب. وينقسم إلا مالا يغفرونه[٤] وإلى ما يستقلون بغفرانه[٥]، فإذا غفروه له أدخلوه الكنيسة وقبلوا قربانه — وإذا لم يغفروا له أبعدوه عن كنائسهم، وطردوه وهولوا عليه. ولم يقبلوا قربانه[٦] — ولابد للمذنب المغفور له من كفارة بحسب ما يظهر لأقستهم ويوافق غرضهم، فتارة يقدم[٧] الكنيسة، وتارة لا يدخلها، بل يقف عندها متذللا، وربما بقى أعواما، وتارة يقدم[٨] مالا لملكهم أو لهم ولكنائسهم وأمثل لكل[٩] قسم بمثال.

---

(١) فى التيمورية (العجل).

(٢) ورد فى متى (وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه) صح ٣- ١٦.

(٣) فى الأصل (وهذا على أظهر) والسياق عن التيمورية.

(٤) فى التيمورية (مالا يعرفونه).

(٥) فى التيمورية (يعرفانه).

(٦) هذه الجمل ساقطة من التيمورية.

(٧) فى التيمورية (خدم).

(٨) فى التيمورية (يدفع).

(٩) فى الأصل (وأمثل لك كل) والسياق عن التيمورية.

فالعبث بالصبيان لا يغفرونه أبدا، وإن كان فاعل هذه الفاحشة أسقفا عزلوه وأبعدوه إبعادا شديدا. وإذا لم يكن أسقفا نكل نكالا شديدا، ويضرب الفاعل والمفعول مائة سوط، وينفيان النفى الدائم. ولا يعطيه أسقف توبة أبدا، ومن أعطاه توبة عزل، ولا يعطى هو أيضا توبة، وأغرموه خمسة أرطال ذهب للملك، وهذا قانونهم فى بلاد الإفرنجية وممالك النصرانية بتلك الجهة.

ومثال ما لا يغفرونه نكاح القرابات لتحريمه بنص التوراة بزعمهم فإن أصر الفاعل على ذلك لا يغفر له أبدا، وإن أقلع عنها حرم القربان خمس عشرة سنة، وكلفوه أعدادا من النقود والصلوات والعبادات[1] وربما زادوه خمسا، فكملوا له عشرين سنة بحسب سنه عندهم، وأما المرأة فلا تعط توبة إلا عند وفاتها.

وأما الذى يأتى البهيمة وله زوجة، لا يعطى التوبة إلا بعد ثلاثين سنة، وإن لم تكن له زوجة بعد خمس وعشرين سنة[2].

ومثال ما يغرمونه فيه الأموال، من تزوج بغير بركة القسيس[3] يغرم للملك مائة دينار ويضرب الزوجان مائة سوط، وقد حكموا على قاتل عبده بحرمان القربان عامين، وعلى قاتل العبد غير عبده بحرمان القربان وبخضوعه عند الكنيسة إلى وفاته، ومن اطلع على كتب فقههم رأى فيها غرائب من التحكمات، وعجائب من الموضوعات، لم ترد[4] بها النبوات بل جعلوا أنفسهم

---

(١) (الصلوات والعبادات) عن التيمورية.

(٢) يخالف النصارى اليهود فى هذا الحد. بل إن النصرانية لم تضع عقوبة على فاعلى الفاحشة. وعن اللواط ورد (لا تضاجع ذكرا مضاجعة امرأة إنه رجس ولا تجعل مع بهيمة مضجعك فتتنجس بها. ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها إنه فاحشة) اللاويين ١٨ / ٢٢ : ٢٣.
(وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا. إنهما يقتلان دمهما عليهما) لاويين ٢٠ / ١٣.

(٣) يشترط فى عقد الزواج فى المسيحية وكيل للطرفين وحضور الكاهن والشهود. ومهمة رجل الدين تتعلق بأخذه رأى الطرفين فى الرضى وبعدها تحل المخالطة الجسدية. ولا يجوز التقاء الرجل بالمرأة إلا إذا تم التكليل. وكذلك لا تترتب آثار للزوجية إلا بعد هذه المرحلة.

(٤) فى الأصل (تؤد).

شارعين. ونزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين، فإن الحكم والتحكم من خصائص الربوبية، وإنما الأنبياء - عليهم السلام - مبلغون - لأوامر الله[1].

وأعجب من هذا كله. استهزاؤهم بكتاب الله تعالى. فإن هذه الذنوب المتقدمة، جعل الله تعالى فى التوراة فى أكثرها القتل[2]. ولم يغير ذلك فى الإنجيل ولا فى غيره[3]، ومع ذلك نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تتلوا عليهم شياطين أنفسهم، فحقت عليهم لعنة الله تعالى وغضبه أبد الآبدين.

فإن ادعوا النسخ قلنا لهم: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين وكيف يأتون به. وفى الإنجيل قال المسيح - عليه السلام - : إنما جئت متما ولم آت لأنقض شريعة من قبلى[4].

ثم نقول: لما ذا شرعتم فى العابث[5] مائة سوط ولم تشرعوه فى ناكح

---

(١) الجملة ساقطة من التيمورية ويوجد مكانها (لا حاكمون).

(٢) فى الأصل فى أكثرها (العدل) وكلمة (القتل) عن التيمورية وهى متفقة مع الأحكام الواردة فى الشروح. والدليل على ذلك ما يلى:

١- بالنسبة للقصاص ورد (ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد الإنسان أخيه سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه. لأن الله على صورته عمل الإنسان) تكوين ٩/ ٥: ٦.

وكذلك ورد (من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا) خروج ٢١/١٢.

٢- بالنسبة للزنا (إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل. يقتل الاثنان. الرجل المضطجع مع المرأة) راجع التثنية ٢٢ /٢٢.

٣- اللواط (وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل ،البهيمة تميتونها) اللاويين ٢٠/ ١٥ (وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا. إنهما يقتلان دمهما عليهما) اللاويين ٢٠ - ١٣.

٤- بالنسبة للسرقة (من سرق إنسانا وباعه أو وجد فى يده يقتل قتلا) خروج ٢١ / ١٦.

(٣) لم يتضمن الإنجيل شيئا من قانون العقوبات. ويعتذر الشراح بأنها من خصوصيات الحاكم.

(٤) ورد فى متى (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل..) متى ٥ / ١٧: ١٩.

(٥) فى التيمورية (فى العازب).

قريبته، مع أن التوراة حكمت بقتلهما[١]، فينبغي أن تضربوهما، بل رفضتم كتاب الله وحكمتم بالجور، ثم جوزتم تسهيلكم الفواحش على أنفسكم وتصعيبها على غيركم، فجعلتم في الأسقف إذا عبث بصبي أن يبعد فقط، وغيره يبعد وينكل ويجلد، ولو عكستم لكان أشبه. فإن صدور الفاحشة من العظيم أقبح، ولذلك - قيل[٢] - حسنات الأبرار سيئات المقربين، بل راعيتم[٣] بعضكم بعضا لمجرد الرياسة، وتحاملتم على الضعفاء، بل عظم هؤلاء[٤] القسيسون أنفسهم، حتى جعلوا أنفهسم أعظم من الأنبياء، فحكموا في الشرائع وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام إن غفران أحدنا لكم غفران الله وحرمانه حرمان الله. وإن أعطينا القربان قَبِلَه الله وإن لم نعطه لم يَقْبله الله[٥] وليس للأنبياء - عليهم السلام - شيء من ذلك، بل الحكم كله لله عند كل نبي من الأنبياء - عليهم السلام - .

وقد انتهى بعضهم إلى أن جَزَم بأنه لعظم منصبه عند الله تعالى بالقسيسية لا يحرم عليه شيء من الفواحش. فعليهم لعنة الله أجمعين ولعنة اللاعنين. بل الحق ما قاله رب العالمين في كتابه المبين ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [المائدة: ١٨].

---

(١) راجع اللاويين صح ٢٠ - ١٣.

(٢) كلمة (قيل) تطلبها السياق.

(٣) في التيمورية (بل رأيتم).

(٤) في الأصل (بل عظموا القسيسين).

(٥) وردت نصوص عدة تصرح بقدرة رجال الدين المسيحي على المغفرة - وهي من وضعهم - من هذه النصوص ما يلي:

جاء في إنجيل يوحنا (من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت) يوحنا ٢٠ / ٢٣.

وفي متى قال المسيح لبطرس (وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات) متى ١٦ / ١٩ وقال لجميع التلاميذ (الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء) متى ١٨ / ١٨.

فى أعيادهم من حيث الجملة . قال قسيسهم حفص . الأعياد السبعة[١] التى أمر القانون بصيانتها أول يوم منها كان إذا بشر جبريل الملك - صلوات الله عليه - مريم - رضى الله عنها - بميلاد المسيح - عليه السلام -.

واليوم الثانى مولد المسيح - عليه السلام - والثالث ختانه إلى ثمانية[٢] أيام، والرابع يوم ظهوره للمنجمين وأهدوا إليه ذهبا ولبانا مرا وهو يوم النجم . والخامس : يوم الفصح إذ قام من القبر والسادس يوم غطته السحابة ورقى إلى السماء بمحضر الحواريين . والسابع : إذ نزل روح القدس على الحواريين وتكلموا بجميع الألسن .

وأما غير هذه من الأيام التى استشهد فيها الشهداء ويصومها الناس ويتصدقون فيها فواجب صومها، إما فى مدينة أو قرية، وهذه الأعياد عندهم يصومونها حتى إذا كان أحدهم فى موطن أو قرية لا يرتحل حتى يتمها، فقد التزموا ما ليس بلازم، وأوجبوا ما ليس بواجب، ولا يجدون لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ما يوجب شيئا من ذلك .

فإن قالوا هب أنه ليس فيها نقل إلا أنه اتفق فيها هذه الأمور العظيمة قلنا ومن أين لكم أن كل يوم اتفق فيه أمر عظيم يجعلونه عيدا، هذا بمجرد التحكم فى شرع الله تعالى . ولو أن هذا الباب صحيح لكان كل يوم ولد فيه نبى أو نصر فيه على أعدائه عيدا، ويلزمكم أن الأيام التى أقامها عيسى - عليه السلام - فى بنى إسرائيل وكانت له مشاهد ، وأحيى فيها الموتى فظهر له الظفر وأقام الحجة بل

---

(١) الأعياد الواردة عند اليهود سبعة . كان العبرانيون يقدمون فيها تقدمة خاصة للرب . ويتركون أشغالهم العادية . ونصت شريعة موسى على سبعة أعياد كبري ١ - السبت من كل أسبوع ٢ - اليوم الأول من كل شهر ٣ - السنة السابعة من كل سبع سنوات ٤ - سنة اليوبيل ٥ - أسبوع الفصح ٦ - عيد الخمسين (المعروف بعيد الأسابيع) ٧ - عيد المظال . وبعد السبى أضيف إليها عيدان (عيد الفوريم وعيد التجديد) .

(٢) فى الأصل إلى (ثلاثة) وكلمة (ثمانية) عن التيمورية .

أيامه كلها كانت لا تخلو عن بركة أو كرامة[١] فتعد تلك الأيام وتجعلونها كلها أعيادا، بل حكمتم وما أصبتم ولا أنصفتم، ثم إن عيسى ـ عليه السلام ـ كان عالما بهذه الأيام، وما كان يلتزم فيها ما تلتزمونه، فدل ذلك على أنكم أحدثتم فى دين الله تعالى ما ليس فيه، وهو جرأة عظيمة على الله تعالى، وعلى شرعه، وما مثالكم ومثالنا إلا مثل[٢] عبدين أمرهما سيدهما، فأما أحدهما فأطاع[٣] ولم يزد ولم ينقص، وأما الآخر فزاد ونقص، فقال السيد للأول ما صنعت؟ قال لم أزد على ما أمرت، ولا على ما فعلت لأنى خفتك، ولأنى عظمتك وأجبتك، فحملنى ذلك على الاتباع وترك الابتداع.

وقال الآخر: تركت بعض ما أمرتنى به، وفعلت بعض ما لم تأمرنى به، فزدت ونقصت فلا يمكنه أن يقول لأنى أحببتك ولا عظمتك، لعدم المناسبة، فلا شك أن العقلاء يحكمون بأن الأول مطيع دون الثانى، وأن الثانى مستوجب لنكال سيده، وهو مثالكم مع المسيح ـ عليه السلام ـ تدعون تعظيمه وتخالفونه فى أفعاله، وتزيدون عليه فى أحكامه وأقواله، فأنتم مستحقون لتوبيخه ونكاله.

السؤال الخامس والمائة:

فى قربانهم قال قسيسهم حفص فى كتاب الفقه لهم، إن الذى أردت معرفته من خبر القربان، فإن الأنبياء وبنى إسرائيل كانوا يقربون القربان على ما فى التوراة، العجول والجزر والخرفان، فأما ملك صادق فإنه أول من قرب القربان من الخبز والخمر، وكان قسيس الله فى البدء، وإليه أدى إبراهيم العشرات المفروضة[٤]، وقال داود ـ عليه السلام ـ فى الزبور: خبز ملك صادق إذ بشر

---

(١) فى الأصل (أو كرامة تعيد).

(٢) كلمة (مثل) عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (فاطلع) وكلمة (فأطاع) عن التيمورية.

(٤) ورد فى التكوين بالنسبة لمكى صادق (وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا، وكان كاهنا لله العلى) تكوين صح ١٤ / ١٨.

وبالنسبة لدفع إبراهيم العشر له ورد (فأعطاه – أى إبراهيم – عشرا من كل شىء) تكوين ١٤ / ٢٠.

بالمسيح سيدنا وأنزله منزلته. وجعله قسا فى الأبد، فقال الرب أقسم يمينا ليس بندم أنت أبدا قسيس فى خطة القسيسين ملك صادق، فأما الحواريون وأتباعهم فرضوا هذا القربان الذى قدسته الأساقفة والقسوس على المذبح من الخمر والخبز لأجل فعل ملك صادق[1].

وكما قال المسيح فى الإنجيل من أكل لحمى وشرب دمى كان فى وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء. فمن أكلنى يحيى بى[2]، فانظر هؤلاء، كيف ينقلون عن التوراة أن المشروع فى القربان الأنعام، وهم يغيرونه ويبدلونه بالخبز والخمر لأنه متبعون لهواهم، فاستغلوا[3]. الأنعام لغلوّ ثمنها. فعدلوا إلى الخبز والخمر لقلة ثمنهما[4]، ولما يجدونه فيه من اللذة فى الخمر.

ولا شك أن القوم ضموا إلى جهلهم البخل، ثم يحتجون لرفضهم التوراة وفعل النبيين بها إلى بعد عيسى - عليه السلام - بفعل القسيس ملك صدوق والحواريين، مع أن المسيح - عليه السلام - لم ينسخ شيئا من التوراة[5]، وملك صدوق ليس نبيا يجب اتباعه، ولو ادعو نبوته احتاجوا إلى دليل على نبوته، وأن شرعه شرع لهم، ولن يقدروا على ذلك أبدا. بل تركوا التوراة بمجرد الوهم والهواء.

---

(١) بالرجوع إلى فهرست الكتاب المقدس. والوقوف على المزامير لم أجد هذا النص.

(٢) ورد فى إنجيل يوحنا (فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه. فليس لكم حياة فيه - من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الآخير. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا أثبت فيه.. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا - من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلي الأبد) يوحنا ٦/ ٥٢ - ٥٨ مختصرا.

(٣) فى التيمورية (فاستقبلوا).

(٤) الخبز والخمر مردهما إلى العشاء الأخير حيث (أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا. هذا هو جسدى. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم) متى ٢٦/ ٢٦ : ٢٧.

(٥) النص الوارد فى متى (فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) متى ٥/ ١٧ : ١٨.

وأما قول عيسى - عليه السلام - من أكل لحمى وشرب دمى كان فى وكنت فيه. وأنا الخبز النازل من السماء[1]، فقد حمله النصارى على ظاهره، وكانوا على المسيح أشد من اليهود فإن اليهود قتلوه وتركوه. والنصارى يأكلون لحمه ويشربون دمه، ومعلوم أن هذا فى العداوة والنكاية أشد من نكاية اليهود[2].

وإنما ينبغى لهم أن يَسْعوا فى صحة النقل أولا: فإذا صح، حُمِل ما يليق بمنصبه وهو أنه - عليه السلام - عبر عن المعنى المعقول بمثال محسوس وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجساد وهو - عليه السلام - أتى بأنواع الهدايات، وتفاصيل الأحكام[3]، وأحيا ما أماته بنو إسرائيل من ذلك، فمن اتبعه اغتذت روحه وتوفرت قواها وحصلت لها مسراتها ونعماها، وأشبعها من المعارف ورباها، وأميت[4] شقاها وحييت سعادتها[5]، وليس المراد الخبز المحسوس ولا الدم المشاهد، لأن ذلك كفر اتفاقا، وما ذكرناه معنى جليل يناسب منصبه فيتعين أنه الحق، وذكرت هذا التأويل، ليعلموا أنا أولى الناس بعيسى - عليه السلام -[6]

---

(١) راجع عقيدة القربان.

(٢) السياق عن التيمورية. وقد ذهب الشراح إلى أن المراد بالمعنى هنا غير ما ظهر من كلام المسيح - عليه السلام - (لأنا لو أخذناه كذلك عند تلفظه به لوجب أن يؤكل لحمه وهو حى. وذلك مما ينفر منه كل عاقل سوى أدنى البرابرة. وكذلك شرب دمه فإن الدم محظور على اليهود مطلقا) تك ٩ / ٤ لاويين ٣ / ١٧، ٧ / ٢٦، ١٧ / ١).

وما صح عليه حينئذ يصح عليه الآن لأنه لم يأكل إنسان قط جسد المسيح المادى ولا يمكنه ذلك ولن يمكنه لأن ذلك الجسد صلب ودفن وأقيم وأصعد إلى السماء. وهو الآن عن يمين الله - الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ص٣ / ١٠٦.

(٣) فى الأصل (الحكم). وكلمة (الأحكام) عن التيمورية.

(٤) فى الأصل (وأمنت) وكلمة (أميت) عن التيمورية.

(٥) فى الأصل (وخيبة مسعاها) والسياق عن التيمورية.

(٦) اقتباس من الحديث الشريف الذى رواه أبو هريرة حين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات: ليس بينى وبينه نبى. البخارى جـ٤ / ٢٠٣ - مسلم ك الفضائل باب ٤٠ حديث رقم ١٤٣.

منهم فى جميع الأحوال، ولكلامه عليه السلام محامل أخرى حسنة، ولا يحتاج معها إلى إبطال التوراة التى صرح - عليه السلام - بأنه لا يبطل شيئا منها .

وأما الحواريون فلم يصح لكم النقل عنهم . ولو صح فليس لغير الأنبياء - عليهم السلام - أن ينسخوا التوراة بل لابد للنسخ من شرط معلوم عند أهل العلم بالله تعالى وبرسله وأحكامه ولم يحصل ها هنا، ولو سئلتم عن شروط النسخ لما عرفتموها[1] . بل أنتم تجاهرون باستحالة النسخ على الله تعالى، وقد بينا فيما تقدم صحته ووقوعه فى التوراة .

ومن العجب أن فى الإنجيل أن عيسى - عليه السلام - قال للمبروص الذى شفاه : امْض وأعرض نفسك على القسيسين وأنفذ قربانك الذى أمر به موسى - عليه السلام -[2] فى عهده، وهو نص على أن القربان عند عيسى - عليه السلام - هو ما شرع على لسان موسى[3] لا ما شرعتموه من الهذيان بل نقلتم عنه الزور . والبهتان فظهر أنهم تركوا التوراة لغير شىء بل للهواء والتحكم فى الشرع .

السؤال السادس والمائة :

النصارى تقدس دورهم بالملح : قال قسيسهم حفص، لأنا وجدنا أن إلياس الذى تلميذه اليسع مكث بمدينة أريحا، فشكا أهلها أن عينا يخرج منها ماء كثير لا ينتفع به لذلك، فأمر أن يؤتى بإناء جديد، فأدخل فيه الملح وقدس به ماء العين فعذبت، فلذلك صرنا نقدس بالملح، وهذا فاسد، لأن إلياس - عليه السلام -

---

(١) من شروط النَسْخ المتفق عليها . التماثل بين النصين فى القطعية أو الظنية ورودا ودلالة . ولابد من الاتحاد فى درجة الدلالة على الحكمين عبارة أو إشارة نصا أو ظاهرا . . ولابد من اتحاد الموضوع المحكوم فيه بالحكمين المتخالفين واتحاد الزمن الذى صدر الحكمان فيه . الخ .

(٢) ورد فى إنجيل مرقس أن المسيح « فأتى إليه أبرص يطلب إليه جاثيا وقائلا له : إن أردت تقدر أن تطهرنى . فتحنن يسوع ومد يده ولمسه و قال له أريد فاطهر . فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر . فانتهره وأرسله للوقت وقال له انظر لا تقل لأحد شيئا بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم) مرقس ١ / ٤٠ : ٤٤ متى ٨ / ٢ : ٥ .

(٣) هذه الجملة ساقطة من الأصل مأخوذة عن التيمورية .

فعل ذلك على وجه المعجزة والكرامة، لا أن يكون حكما شرعيا[1]. كما روى فى الإنجيل أن عيسى - عليه السلام - ، سأله أعمى أن يرد بصره، فأخذ قطعة طين فجعلها فى عينه فأبصر، فكان ينبغى أن تقدسوا بيوتكم بالطين. لأن عيسى أولى من إلياس - عليهما السلام - [2].

السؤال السابع والمائة:

النصارى تصلب على وجوهها، وقد تقدم اختلاف أحوالهم بالأصبع والإصبعين والعشرة وهو شنيع على المسيح - عليه السلام - وإظهار لشعائر الإهانة العظيمة الحاصلة لمن يزعمون أنه ربهم، وهذا لا يرتضيه الإنسان لغلامه فكيف لنبيه فكيف لربه.

قال قسيسهم وكبيرهم حفص، سبب تصليبنا أن الملك قسطنطين رأى فى السماء صورة صليب من ذهب وملكا يقول له إن كنت تريد غلبة أعدائك فاجعل هذه الصورة علامة قدامك فإنك غالب بها جميع أعدائك، وآمن وفعل ما قاله الملك فنصر[3] وهو الذى بحث عن صليب المسيح حتى وجده مدفونا

---

(١) ورد فى سفر الملوك الثانى بشأن نبع الماء ما يلى (وقال رجال المدينة - أى مدينة أريحا - لإليشع هو ذا موقع المدينة حسن كما يرى سيدى وأما المياه فردية والأرض مجدبة. فقال ايتونى بصحن جديد وضعوا فيه ملحا. فأتو به. فخرج إلى نبع الماء وطرح فيه الملح وقال هكذا قال الرب قد أبرأت هذه المياه. لا يكون فيها أيضا موت ولا جدب. فبرئت المياه إلى هذا اليوم حسب قول اليشع الذى نطق به) - الملوك الثانى ٢/١٩ : ٢٢.

(٢) ورد فى يوحنا (وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته. فسألة تلاميذه قائلين. يا معلم من أخطا هذا أم أبواه حتى ولد أعمى. أجاب يسوع لا هذا أخطا ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه، ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار، يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل، مادمت فى العالم فانا نور العالم، قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين عين الأعمى، وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام.. فمضى واغتسل وأتى بصيرا) يوحنا ٩/١ : ٧.

(٣) يذكر المؤرخون أن قسطنطين اعتنق النصرانية ولجأ إلى هذه الحيلة. لأن المسيحية كانت أوسع انتشارا فى الشرق منها فى الغرب. بحيث إن آسيا الصغرى غدت من المراكز الرئيسية للمسيحية فى القرن الرابع. هذا فى الوقت الذى كان قسطنطين قد انتصر على ماكتنيوس (الوثنى) فى موقعة جسر ملويان بايطاليا سنة ٣١٣م. وتتوارد قصة شهيرة حكاها أسقف قيصرية =

وعمل من المسامير التى كانت فيه لجاما لفرسه وزين جبينه بصليب من ذهب، فاستمر ذلك لنا علامة على النصر والظفر.

قلنا كلام حفص هذا يصدق ما حكيناه فيما تقدم من قسطنطين، فإن كذب ذلك أحدمنهم فليكذب أسقفه حفصا، على أن ما ذكرناه مشهور عندهم.

ثم نقول لهم من أين وثقتم بصدق قسطنطنين، ولعله كذب لإصلاح رعيته، وهو من سيئات من لا يتقيد بالشرعيات، وكثيرا ما نشاهد من الملوك مثله، سلمنا صدقه فلعل الذى خاطبه شيطان لا ملك قصد إضلالكم حتى تعتقدوا الصلبوتية التى هى أعظم بلية.

سلمنا أنه ملك، فلما زدتم[1] ذلك فى صلاتكم، وزدتم على ما علمكم عيسى -عليه السلام - [2] استظهارا عليه وتسفيها[3] فى فوات هذه المنقبة.

ثم الصلاة المصلب فيها، إن كانت أفضل لزم أن يكون صلاتهم أفضل من صلاة -عيسى عليه السلام - [4] أو ليست أفضل، فينبغى أن لا يفعل المفضول أو ما لا فضل فيه، فإن العبث فى العبادات قبيح، وهذا كله دليل على أن القوم لا غرض لهم فى اتباع رسل[5] الله تعالى. ولا فى الاقتداء برسله، بل الأهواء رمتهم[6] والشياطين قادتهم والنار منزلتهم. وإلى شر الأحوال عاقبتهم

=المعاصر ينسبها إلى قسطنطين نفسه. وخلاصتها أنه رأى أثناء زحفه على روما هالة من النور مضيئة فى السماء على شكل صليب. وتحتها عبارة «ستنتصر بفضل هذا» فلما نام رأى الإمبراطور فى منامه صورة السيد المسيح ومعه الصليب نفسه. وقد أتى ليناصره باتخاذ هذا الصليب شعارا والزحف على عدوه فورا. فكانت هذه الظاهرة وما تبعها من نصر حققه قسطنطين على خصمه من الدوافع الأساسية لاعترافه بالمسيحية واعتناقه لها فى أخريات حياته. وجعله الصليب شعارا. وإن رجح البعض عدم ذلك. بدليل قتله لزوجته ولأولاده. (أوروبا العصور الوسطى من ١ / ٣٠ : ٤١).

(١) فى التيمورية (جعلتم).
(٢) الجملة الدعائية ساقطة من التيمورية.
(٣) الكلمة ساقطة من التيمورية.
(٤) الجملة الدعائية ساقطة من التيمورية.
(٥) فى الأصل (رسائل).
(٦) فى الأصل (أمنهم) رمتهم عن التيمورية.

ولنقتصر على هذه الأسئلة فهذا مهيع[1] واسع، وضلال شاسع، كلماتهم الركيكة أكثر من الحصى وهفواتهم أكثر من أن تحصى، وأنا أستغفر الله العظيم من نقل كفرهم وسوء أدبهم. وما الباعث على هذا إلا ليعلم الناظر فى هذا الكتاب من المسلمين ما أنعم الله عليه من نعمة الإسلام. وأنه هو الدين المبين[2] للحق الجارى على نسق[3] التوحيد والصدق. كما قال الشاعر:

وبضدها تتميز الأشياء.

وقال غيره:

والضد يظهر حسنه الضد

وليفهم معنى قوله – عليه السلام – [4] جئتكم بها بيضاء نقية[5]. أى لا يشوبها ما يتوهم أنه نقص ولا مايناقضها. جامعة لمكارم الأخلاق ناهية عن لئامها وقد استبدلت عن هذه الركاكات فى العبارة بالفصاحة الفائقة، وعن هذه القبائح بالمنائح الرائقة، فهذا بياضها الناصع ونقاؤها الجامع وامتثالا لقوله تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾ [الحج: ٤٠]. ﴿**فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ**﴾ [محمد: ٣٥] ومن لا يقف من المسلمين على سخافة هذه الأديان يعتقد أن شبهتهم ربما تكون قوية. فإذا وقف على هذه القبائح علم أنهم فى أعظم ظلم الضلالات يهيمون، وأنهم فى دركات النار مرتهنون، فزاد لذلك[6] فى قلبه الإيمان، وعظم لله تعالى عليه الامتنان والله تعالى يجعلنا من حزبه المهديين وخاصته المرضيين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

* * *

---

(١) فى الأصل (مريع) والكلمة عن التيمورية.
(٢) فى الأصل (المتعين) والمبين عن التيمورية.
(٣) فى الأصل (لسان) والكلمة عن التيمورية.
(٤) فى التيمورية (ﷺ وشرف وكرم وعظم).
(٥) مسند أحمد ٣ / ٣٨٧.
(٦) فى الأصل (فى ذلك قلبه) والسياق عن التيمورية.



الباب الرابع

البشائر بالنبى محمد ﷺ من كتبهم

فيما يدل من[١] كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا - عليه السلام -[٢]. وأنهم بمخالفته كافرون، وبمعاندته من الله تعالى مبعدون، معارضة لاستدلالهم بكتابنا على صحة دينهم، بعد بيان بطلان توهمهم صحة ما اعتمدوا عليه، وقد نصت الأنبياء - عليهم السلام - من إبراهيم - عليه السلام - إلى المسيح - عليه السلام - على نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام -[٣]. ورسالته، وأنه أفضل النبيين والمرسلين، ونصوا على اسمه ونعته وحليته وأرضه وبلده وجميل سيرته وصلاح أمته وسعادة ملته وأنه من ولد إسماعيل - عليه السلام -، وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة، فمن لم يعتقد وقوع هذا كله لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلهم - صلى الله عليهم أجمعين -، فلا جرم نحن المؤمنون حقا بجميعهم الشاكرون لصنيعهم، وغيرنا هم الكافرون بجملتهم والمكذبون لأخبارهم، وأنا أذكر من البشائر الدالة على ذلك خمسين بشارة.

البشارة الأولى:

فى السفر الأول من التوراة فى الفصل العاشر، قال الله تعالى لإبراهيم - عليه السلام -. فى هذا العام يولد لك ولد اسمه إسحق، فقال إبراهيم - عليه السلام -: يا ليت إسماعيل هذا يحيى بين يديك يمجدك، فقال الله تعالى قد استجبت لك فى إسماعيل وإنى أباركه وأنميه وأعظمه جدا جدا بما قد استجبت فيه، وأصيره أمة كثيرة، وأعطيه شعبا جليلا، وسيلد اثنى عشر عظيما[٤].

---

(١) فى التيمورية (يذكر). (٢) فى التيمورية ﷺ. (٣) فى التيمورية ﷺ.

(٤) ورد فى التكوين (وقال الله لإبراهيم ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها فتكون أمما، وملوك شعوب منها يكونون.. وقال إبراهيم لله. ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده. وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة) تك ١٧ / ١٥ : ٢٠.

واتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قبل إسماعيل - عليه السلام - إلا نبينا صلوات الله عليه، فإن الأنبياء إنما كانوا يكونون من ذرية إسحق[1] عليه السلام.

ولما ظهرت بركته ونمت أمته، كان الشعب الجليل الذى أعطيه إسماعيل - عليه السلام - فملأت منه المشارق والمغارب، ودوخت الجبابرة بالقواضب، وعلى[2] توالى الأيام لا يبلى جديدها ولا يقصم عودها، فتحققت البشارة الربانية لإسماعيل - عليه السلام - . وظهرت أمنية الخليل - عليه السلام - بالإحسان والإكرام.

البشارة الثانية:

قالت التوراة، لما حضرت إسرائيل الوفاة بمصر عند يوسف - عليه السلام - دعا أولاده - صلوات الله عليهم أجمعين -[3] بين يديه فباركهم واحدا واحدا، ودعا لهم، ولما انتهت النوبة إلى يهوذا قال فيه: لا يعدم سبط يهوذا ملك مسلط وأفخاذه بنو إسرائيل حتى يأتى الذى له الكل[4] ولم يأت من بعد للكل إلا محمد[5] رسول الله ﷺ، فيكون هو المراد صونا لكلام يعقوب - عليه السلام - عن الخلل.

البشارة الثالثة:

قالت التوراة فى السفر الخامس. قال موسى - عليه السلام - لبنى إسرائيل لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين فسيقيم لكم الرب نبيا من إخوانكم مثلى فأطيعوا

---

(١) فى التيمورية (إسماعيل) وهو خلاف الصواب.

(٢) حرف الجر من التيمورية.

(٣) كلمة (أجمعين) عن التيمورية.

(٤) ورد فى التكوين (يهوذا إياك يحمد إخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك يهوذا جرو أسد. من فريسة صعدت يا ابنى. جثا وربض كأسد وكلبوة من ينهضه لا يزول قضيب من يهوذا أو مشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب) تكوين ٤٩ / ٨: ١٠.

(٥) فى التيمورية (ولم يأت من بعد الكل) وكلاهما صحيح من حيث المعنى وكلمة (محمد) عن التيمورية.

ذلك النبى[1] وهذا الموعود به ليس هارون - عليه السلام - لقول التوراة، إنه مات قبل موسى - عليه السلام -[2]، فما أقيم لهم، بل كان القائم موسى - عليه السلام - ولأن نبوته أقيمت قبل هذا الخطاب، ولا يوشع بن نون - عليه السلام -[3] لأنه أقيم نبيا قبل هذا الخطاب[4] ولأنهما - صلوات الله عليهما - من بنى إسرائيل وموسى - عليه السلام - قال: من إخوتكم ولم يقل من أنفسهم، فتعين أن يكون من ولد اسماعيل أخى إسحاق أبى إسرائيل فإنهما أخوان، وأولاد أحدهما إخوة الآخرين، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ. فيكون هو الموعود به.

وأما عيسى - عليه السلام - فعند النصارى رب، وعند اليهود كآحاد الناس وليس الموعود به إجماعا.

البشارة الرابعة:

قالت اليهود فى هذا السفر: قال الله تعالى لموسى: إنى سأقيم لبنى إسرائيل

---

(١) ورد فى سفر التثنية (متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ولا من يعرف عرافة ولاعائف ولا متفائل ولا ساحر. ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعه ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب.. يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون) التثنية صح ١٨ / ٩ : ١٥.

(٢) ورد فى التوراة أمْرُ الرب لموسى عليه السلام (خذ هارون والعازار ابنه واصعد بهما إلى جبل هور. واخلع عن هارون ثيابه وألبس العازار ابنه إياها فيضم هارون ويموت هناك.. فمات هارون هناك على رأس الجبل. ثم انحدر موسى والعازار عن الجبل. فلما رأى كل الجماعة أن هارون قد مات بكى جميع بيت إسرائيل على هارون ثلاثين يوما) العدد صح ٢٠ / ٢٥ : ٢٩.

(٣) (بن نون) ساقطة من التيمورية.

(٤) نبوة يوشع لا دليل عليها في الإسلام، وقد ذهب المفسرون إلى أن يوشع هو وصي موسى - عليه السلام - وفتاه المذكور فى قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾ [الكهف: ٦٠]. أما التوراة فقد صرحت بنبوته حيث ورد فى سفر التثنية (ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى) تثنية ٣٤ / ٩ (وكان بعد موت موسى عبد الرب. أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا: موسى عبدى قد مات. فالآن قم اعبر هذا الأردن) يشوع صح ١ / ١ : ٢.

نبيا من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فيه، ويقول لهم ما آمره به[١] والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه[٢].

ولم يخرج من إخوة بنى إسرائيل من أولاد إسماعيل غير سيد المرسلين، ولم يأت برسالة مستأنفة غيره، لا من بنى إسرائيل ولا من غيرهم، والله تعالى يقول لهم: ما آمره به يجعله أمرا مستأنفا، ولأنه قال مثلك، ولم يخرج مثله فى الجلالة والرسالة العظيمة المبتكرة[٣] إلا سيد المرسلين صلوات الله عليه، فيكون هو الموعود به.

البشارة الخامسة:

قالت التوراة فى الفصل التاسع من السفر الأول: إن الملك ظهر لهاجر وقد فارقت سارة فقال يا هاجر من أين أقبلت وإلى أين تريدين، فلما شرحت له الحال قال ارجعى فإنى سأكثر ذريتك ورزقك حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسميه إسماعيل لأن الله تعالى قد سمع مذلتك[٤] وخضوعك، وولدك تكون يده فوق الجميع، وآمر الكل[٥] ويكون مسكنه على تخوم[٦]

---

(١) فى التيمورية (ما آمرهم به) وكلاهما صواب.

(٢) فى التيمورية (من شبهه) والنص (يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون.. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه) تثنية ١٨ / ١٥ : ١٩.

(٣) المراد بالابتكار إحياء ما درس من الشريعة السابقة. حيث إن البعثة كانت على حين فترة من الرسل، حتى لم يبق على دين التوحيد إلا أفراد يعدون على أصابع اليد الواحدة، والتعاليم السابقة قد اندرست، وتعاليم المسيح - عليه السلام - قد خالطها ما صرح به القرآن من التثنية والتعدد والحلول والأبوة والبنوة الخ فكانت هذه الدعوة بمثابة الأمر الجديد بالنسبة لعصرها.

(٤) فى الأصل (بذلك) والكلمة عن التيمورية.

(٥) فى التيمورية (ويد الكل به).

(٦) الكلمة ساقطة من التيمورية.

جميع إخوته[١] ولم يأت من ذريتها من يده على جميع الخلق وآمر الكل إلا سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

البشارة السادسة:

في التوراة في السفر الأول قال الله تعالى لإبراهيم - عليه السلام - إني جاعل ابنك إسماعيل أبا[٢] لأمة عظيمة لأنه من ذرعك[٣]. ولم يكن أمة عظيمة مضافة إلى إسماعيل دون إسحاق إلا أمة محمد - عليه الصلاة والسلام -[٤] فيكون الموعود به.

البشارة السابعة:

قالت التوراة في السفر الخامس. أقبل الله من سينا وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران. معه ربوات الأطهار عن يمينه[٥].

فسينا هو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى - عليه السلام - وساعير هو جبل الخليل بالشام وكان المسيح - عليه السلام - يتعبد فيه ويناجي ربه، وفاران جبل بني هاشم الذي كان محمد - عليه الصلاة والسلام -[٦] يتحنث فيه ويتعبد.

فإقبال الله تعالى من سينا[٧] إقبال رسالته، وتجليه من ساعير وظهور فضله

---

(١) ورد في التكوين (فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين.. وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وأنه يكون إنسان وحشيا يده على كل واحد. ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن) تكوين ١٦ / ٧: ١٣.

(٢) كلمة (أب) عن التيمورية.

(٣) ورد في التكوين (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة) تك ١٧ / ٢٠.

(٤) في التيمورية (ﷺ).

(٥) ورد في التثنية (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم) صح ٣٣ / ٢.

(٦) في التيمورية (ﷺ).

(٧) (من سينا) ساقطة من التيمورية.

بإرسال عيسى ـ عليه السلام ـ بإحياء ما فى التوراة، وظهوره من جبال فاران، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب[١] ولذلك عندهم أن اسماعيل وهاجر كانا ببرية فاران وهما كانا بمكة، فظهوره تعالى منها ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية، وخصص موسى ـ عليه السلام ـ نبينا ـ عليه السلام ـ[٢] بما لم يذكره لغيره، وهو ربوات الأطهار عن يمينه وهم أصحابه رضوان[٣] الله عليهم أجمعين وهذا نص ظاهر يقوى جميع ما تقدم، ويزيده بيانا[٤] وتعين المراد به بحيث يصير كالشمس، فهذه سبع بشائر فى التوراة.

البشارة الثامنة:

فى إنجيل يوحنا قال يسوع المسيح ـ عليه السلام ـ فى الفصل الخامس عشر: إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى[٥] هو يعلمكم كل شىء[٦].

والفارقليط عند النصارى الحمّاد وقيل الحامد[٧] وجمهورهم أنه المخلص

---

(١) ورد فى قاموس الكتاب المقدس حول مدلول هذه الكلمة ما يلى (فاران برية واقعة إلى جنوب يهوذا (صم٢٥ / ١ – ٢٥ وشرق برية بئر سبع وشور (تك٢١ / ١٤) بين جبل سيناء وكنعان (عدد ١٠ / ١٢، ١٢ / ١٦) وبطعة فاران أو ايله (إيلات اليوم) على البحر... وجمع هذه المعلومات تشير إلى السهل المرتفع او الأرض الجبلية (تثنية ٢٣ / ٢) راجع قاموس الكتاب المقدس ٦٦٧ – دون أن يصرح الكاتب بذكر مكة. وأما إقامة اسماعيل فى فاران فدلالتها قطعية. وقد ورد فى التوراة ما يشير إلى ذلك (ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينموا رامى قوس. وسكن فى برية فاران) تكوين ٢١ / ١٧ : ٢١.

(٢) فى التيمورية (ﷺ).

(٣) فى التيمورية (صلوات).

(٤) فى الأصل (ومزيد بيانه) والسياق عن التيمورية.

(٥) فى التيمورية (يرسله إلى كل شيىء).

(٦) ورد فى يوحنا (وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيىء ويذكركم بكل ما قلته لكم) يوحنا ١٤ / ٢٦.

(٧) فى التيمورية (وقيل الحامدين).

ونبينا ﷺ مخلص الناس من الكفر، وهو المعلم لكل شيء[1]. ولذلك قال يهودى لبعض الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. فقال أجل. لقد نهانا أن يستقبل أحدنا القبلة ببول أو غائط[2] وسمّا المسيح – عليه السلام – روح الحق، وهو غاية المدح.

البشارة التاسعة:

فى الإنجيل قال المسيح - عليه السلام - إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم فارقليطا آخر يثبت معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه[3]. والذى يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لا ذاته ورسالة نبينا - عليه أفضل الصلاة[4] والسلام - باقية على مر الأيام والدهور. ومستمرة إلى يوم البعث والنشور فيكون هو الموعود به صونا لقول المسيح - عليه السلام - عن الخلل.

قال النصارى إن الفارقليط[5] الموعود به ألسن نارية تنزل من السماء على التلاميذ فيفعلون الآيات والعجائب وهو غير صحيح، إما لأنه لم يثبت نزول هذه الألسن، ولا مجال لتصديق المسيح عليه السلام[6] على أمر لم يثبت، أو لأن سير التلاميذ تشهد بأنهم عذبوا وأهينوا بأنواع الهوان، فكذب قولهم: إن ألسن النار تؤيدهم على[7] أعدائهم.

---

(١) فى الأصل (لكل نبى) وهو غير صحيح المعنى والسياق عن التيمورية.

(٢) عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال بعض المشركين وهم يستهزؤون. إنى لأرى صاحبكم يعلمكم حتى الخراءة قال سلمان أجل أمرنا أن لا نستقبل القبلة و لا نستنجى بأيماننا ولا نكتفى بدون ثلاثة أحجار ليس فيها رجيع ولا عظم. صحيح مسلم ك الطهارة – مسند أحمد ٥/٤٣٧.

(٣) ورد فى يوحنا (إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم) صح ١٤/١٥: ١٨.

(٤) (أفضل الصلاة) عن التيمورية. (٥) الكلمة ساقطة من التيمورية.

(٦) الجملة الاعتراضية ساقطة من التيمورية.

(٧) فى الأصل (ترد عنهم) والتصويب عن التيمورية.

ثم قول المسيح ـ عليه السلام ـ أنه روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه يشير إلى أنه – عليه السلام – بعث بالتوحيد فى زمن غلب فيه الجهل وعبادة الأوثان وبيوت النيران، والقول بالثالوث وهو غاية المنافاة والبعد عما جاءت به، ولذلك قالوا ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [ص: ٥].

وأما التلاميذ فلم يتحدثوا إلا مع اليهود، وكانوا يوحدون غير أنهم بدلوا الشريعة وبعضهم عبد النجوم والأصنام، لكن التوحيد كان معلوما شائعا على وجه الأرض، بخلاف زمانه – عليه السلام – فتعين أن يكون هو الموعود به[١].

ثم التلاميذ جماعة فى وقت واحد، والمسيح ـ عليه السلام ـ يشير لواحد عظيم منفرد، فقولهم فى التلاميذ هذيان بل الخطاب مع التلاميذ أنفسهم.

البشارة العاشرة:

فى إنجيل يوحنا قال المسيح ـ عليه السلام ـ: من يحبنى يحفظ على كلمتى وأبى يحبه، وإليه يأتى، وعليه يتحد المنزل، كلمتكم بهذه لأنى[٢] عندكم غير مقيم[٣] والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شيىء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم[٤].

فحمل المسيح ـ عليه السلام ـ أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم كما هى سنة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

---

(١) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٢) فى الأصل (إلا أنى) والسياق عن التيمورية.

(٣) شبه الجملة (غير مقيم) ساقطة من التيمورية.

(٤) وقع فى الكلام تقديم وتأخير. ورد فى إنجيل يوحنا (إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد.. الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى. والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى.. وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيىء ويذكركم بكل ما قلته لكم) يوحنا صح ١٤/١٥: ٢٤.

والذى جاء بعده يعلم كل شيىء عنه هو نبينا - عليه الصلاة والسلام - [(١)] كما تقدم بيانه، وسماه روح القدس كما سماه روح الله الحق، وهو غاية التعظيم، والمدح - له والتأكيد فى اتباعه صلوات الله[(٢)] - عليهم أجمعين.

البشارة الحادية عشرة:

فى إنجيل يوحنا. قال المسيح - عليه السلام - : إذا جاء الفارقليط الذى أبى يرسله روح الحق[(٣)] الذى من أبى هو يشهد لى، قلت لكم هذا حتى إذا جاء[(٤)] تؤمنون به و لا تشكون فيه ووصف له بأنه يشهد له ويصدقه، يكذب النصارى فى قولهم: إن الفارقليط هو ألسن نارية فإن تلك الألسن آية مقومة لا يصدر عنها قول المسيح - عليه السلام - إشارة إلى نصرته على اليهود فى تكذيبهم له، وأنه به شيطان، وأنه من زنى بأمه. سيأتى بعدى من يشهد لى، فتظهر[(٥)] براءتى وصدقى، وكذب اليهود فيما رمونى[(٦)] به، وكذلك كان، صرح القرآن الكريم بأن أمه صديقة[(٧)]، وأنها حملت بالقدرة الربانية[(٨)] من غير بشر وأنه جاء بالبينات لليهود[(٩)]. فقال ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ**

---

(١) الجملة ساقطة فى الأصل مأخوذة عن التيمورية.

(٢) الجملة ساقطة فى الأصل مأخوذة عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (أرسله روح الذى) والسياق عن التيمورية.

(٤) فى الأصل (إذا كان) وكلمة (جاء) عن التيمورية.

(٥) فى الأصل (فينظر) وكلمة (تظهر) عن التيمورية.

(٦) فى التيمورية (رموه).

(٧) بهذا صرح القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ..** ﴾ [المائدة: ٧٥].

(٨) بهذا صرح القرآن في رد الملاك على مريم ﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: ٤٧].

(٩) قال تعالى في حق المسيح ﴿ **وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ٤٩].

أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]. وهذا تنصيص فى غاية الظهور على نبوة سيد المرسلين وعلو شأنه ﷺ[١].

البشارة الثانية عشرة:

فى إنجيل يوحنا، قال المسيح - عليه السلام -: إن خيرا لكم أن أنطلق لأنى إن لم أذهب لم يأت الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يوبخ العالم على الخطية وإن لى كلاما كبيرا أريد قوله. ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق، ذلك الذى يرشدكم إلى جميع الحق. لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للآب[٢].

ففى هذه البشارة عدة مقاصد منها:

١- أنه - عليه السلام - أخبر أن الآتى أفضل منه لقوله: إن خيرا لكم أن أنطلق ليأتى الفارقليط.

٢- معنى قوله إذا انطلقت أرسلته إليكم[٣] إما لأن المصطفى عليه موقوف على ذهاب - المسيح عليه السلام - ، فالمسيح - عليه السلام - تحقق إرساله بذهابه أو على حذف مضاف أى أرسله[٤] أبى.

٣- إن الآتى يوبخ العالم على الخطية. وقد وبخ - عليه السلام - [٥] اليهود والنصارى والمجوس والعرب، فانه وجد الجميع ضالين[٦].

---

(١) الجملة الدعائية عن التيمورية.

(٢) فى الأصل (الأدب) وكلمة (الآب) عن التيمورية. ورد فى يوحنا (لكنى أقول لكم. الحق أنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إذ ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة.. إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به. ويخبركم بأمور آتية..) يوحنا صح ١٦/ ٧: ١٣.

(٣) كلمة (إليكم) عن التيمورية.

(٤) فى التيمورية (يرسله).

(٥) فى الأصل (وقد ذبح عليه السلام) والتصويب عن التيمورية.

(٦) فى الأصل (ظالمين) والتصويب عن التيمورية.

٤ - أنه أخبر أن الآتى يرشد إلى جميع الحق، ويقول ما لم يقله المسيح - عليه السلام - لأنه جعل الحوالة عليه ولأنه لم يأت[١] بجميع الآداب[٢] الربانية وكل الأخلاق المرضية وتحصيل جميع مصالح الدنيا والآخرة على ما تقدم بيانه فى آخر أجوبة الرسالة وأول هذا الكتاب إلا رسول الله ﷺ وهذا فى غاية التكذيب للنصارى فى قولهم إنه ألسن نارية.

٥ - الشهادة لنبينا - عليه الصلاة والسلام - أنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يتكلم بما يوحى إليه. ولذلك قال الكتاب العزيز ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣ - ٤] ولم يأت من هذه صفاته ولا يأتى[٣] إلا نبينا صلوات الله عليه وسلامه فيكون هو الموعود به جزما.

البشارة الثالثة عشرة:

فى إنجيل يوحنا. قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح - عليه السلام -: يا سيدى آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل. وأنتم تقولون[٤] إنه أورشليم، فقال المسيح - عليه السلام -، يا هذه متى؟ فانه سيأتى ساعة لا فى هذ[٥] الجبل ولا فى أورشليم يسجدون للآب[٦] وهذا من المسيح - عليه السلام -[٧] إشارة إلى تغيير البيت المقدس[٨] بالكعبة الحرام. فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة. وصار السجود لله - تعالى فيها[٩] لا فى أورشليم ولا فى غيره.

---

(١) فى الاصل (ولذلك كان) والتصويب عن التيمورية.
(٢) فى التيمورية (بجميع الأعمال). (٣) (لا يأتى) ساقطة من التيمورية.
(٤) فى الأصل (وهم يقولون) والسياق من التيمورية.
(٥) كلمة (هذه) ساقطة من التيمورية.
(٦) ورد فى يوحنا (قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبى آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه، قال لها يسوع يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب) يوحنا ٤ / ١٩ : ٢١.
(٧) جملة (عليه السلام) من التيمورية.
(٨) فى التيمورية (القدس الشريف).
(٩) الجملة ساقطة من التيمورية.

البشارة الرابعة عشرة:

فى الإنجيل قال المسيح - عليه السلام - لمن حضره: الحق أقول لكم إنه سيأتى قوم[١] من المشرق إلى المغرب فيكون معهم إبراهيم وإسحق ويعقوب - عليهم الصلاة[٢] والسلام - ويخرج بنوا الملكوت إلى الظلمة البرانية[٣] خارجا هناك يكون البكاء وصرير الأسنان[٤].

فأشار المسيح - عليه السلام - إلى هذه الأمة، فإن دعوة عيسى - عليه السلام - كانت خاصة بأولاد يعقوب - عليه السلام -[٥] وهو بنو إسرائيل أولاد الأنبياء، ولذلك سماهم بنى الملكوت، ودعوة نبينا - عليه السلام -[٦] عامة لأهل الأرض، فآمن به أهل المشرق والمغرب، وكان منهم العلماء والنجباء والصالحون والصديقون والأولياء. فكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وكفر اليهود والنصارى وهم بنو يعقوب - عليه السلام - فكانوا فى ظلمات الجهالات ودركات العقوبات. فلقد نصحهم المسيح - عليه السلام - غاية النصيحة. وبالغ فى إرشادهم غاية المبالغة.

البشارة الخامسة عشرة:

فى إنجيل متى: سأل أحد التلاميذ المسيح - عليه السلام - فقالوا يا معلم لماذا تقول الكتب إن إليا يأتى؟ فقال عليه السلام: إن إلياء يأتى ويعلمكم كل شيىء وأقول لكم. إن إلياء قد جاء[٧] فلم تعرفوه بل فعلوا به الذى أرادوا[٨].

---

(١) كلمة (قوم) ساقطة من التيمورية.

(٢) كلمة (الصلاة) من التيمورية.

(٣) فى الأصل (الترابية) وكلمة (البرانية) عن التيمورية.

(٤) فى الأصل (الإنسان) وكلمة (الأسنان) عن التيمورية والنص ورد فى متى ٨/١٢، لوقا ١٣/٢٢.

(٥) التماسا من قول الله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩] وقوله فى الإنجيل «اذهبى يا امرأة فانى لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) متى ١٠/٦.

(٦) فى التيمورية (ﷺ).

(٧) فى التيمورية (جاءكم).

(٨) جملة (الذى أرادوا) من التيمورية. راجع: مرقس صح ١٧/٩: ١٤.

وفسر النصارى إلياء بأنه النبى وفيه ثلاثة مقاصد :

أحدها : أنهم أخبروه أن الكتب تقتضى ورود نبى آخر عن عيسى - عليه السلام - فصدقهم على ذلك

ثانيها : أنه - عليه السلام - [١] صرح بتكذيب النصارى واليهود فى أنه ليس ابنا وسما نفسه - عليه السلام - إليا . وأنهم فعلوا معه ما أرادوا ولم يتبعوه .

ثالثها : أنه أخبر أنه سيأتى نبى يعلمهم كل شيىء ولم يوجد ذلك إلا فى نبينا - عليه السلام - فيكون هو الموعود به .

ومنها كذب[٢] النصارى فى دعوى نزول ألسن نارية لتصريحه بأنه نبى .

البشارة السادسة عشرة :

فى إنجيل يوحنا أن أركون العالم سيأتى وليس لى شيىء[٣] . والأركون بلغتهم هو المعظم[٤] والأراكنة العظماء . يريد - عليه السلام - أن ملك الفارقليط، إذا أتى لم يبق على وجه الأرض لنبى من الأنبياء لا هو ولا غيره آثار دعوة[٥] بل قوم ضلال ينسون السنة[٦] .

البشارة السابعة عشرة :

فى الإنجيل قال يحيى بن زكريا - عليهما السلام - لأصحابه : إن الذى يأتى من بعدى هو أقوى منى، وأنا لا أستحق أن أجلس مقعداً خلفه[٧] - وهو نبينا -

---

(١) فى التيمورية (عليه الصلاة والسلام) .

(٢) فى التيمورية (تكذيب) .

(٣) النص غير وارد فى الإنجيل . وكلمة أركون تطلق على المدن (تكوين ١٠ / ١٠) أو اسم قبيلة (عز٤ / ٩) .

(٤) فى الأصل (العظيم) .

(٥) كلمة (دعوة) عن التيمورية .

(٦) فى التيمورية (ينسبون إليه البشارة) .

(٧) ورد فى متى منسوبا إلى زكريا (أنا أعمدكم بماء للتوبة . ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار) متى ٣ / ١١ .

ﷺ ـ لا يحيى عليه السلام[١] ـ ابن خالة عيسى ـ عليه السلام ـ وكان فى زمنه لا بعده، فلم يبق غير نبينا ـ عليه السلام .

البشارة الثامنة عشرة:

فى إنجيل متى قال المسيح ـ عليه السلام ـ: ألم تقرؤوا أن الحجر الذى أرذله البناؤون صار رأس الزاوية من عند الله كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا ومن أجل ذلك أقول لكم، إن ملكوت الله سيُؤْخذ منكم ويُدْفع إلى أمة أخرى، لتأكل ثمرتها ومن سقط عليه[٢] هذا الحجر سيتشدخ[٣] وكل من سقط عليه يمحقه. فليت شعرى من هى هذه الأمة التى دفع لها ملكوت الله تعالى بعد نزعه من النصارى؟.

أتراهم اليهود؟ فهم نحن قطعا، ومن ذلك الحجر الذى من عداه شدخه، ومن عانده قتله، إلا محمد ﷺ وأمته، وهو الذى أريد بالحجر الذى صار أفضل البشر بكونه رأس الزاوية المشار إليها.

ومن المحال أن يقال: إنه عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه على زعم النصارى رب، وعندهم وعند اليهود أنه[٤] لم يقدر على الانتصار، ولا ظهرت له صورة الاقتدار على أحد من الأشرار.

فهذه إحدى عشرة بشارة من الإنجيل، وتقدم سبعة فى التوراة، وهذه بقية التحريف والتبديل سلمت من أيدى الأعادى، وإلا فكان الأمر أشهر. والحق أظهر كما قال الله تعالى «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»[٥] ولذلك أخبر من أسلم من أحبار اليهود والنصارى، وإنما يد العدوان أزالت بشائر الإيمان.

---

(١) الجملة عن التيمورية.
(٢) فى الأصل (على).
(٣) فى الأصل (يتشدخ) وقد ورد فى متى (قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب. الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا) متى صح ٢١/٤٢.
(٤) كلمة (أنه) عن التيمورية.
(٥) لفظ الجلالة ساقط من التيمورية. والآية من سورة الأنعام رقم (٢٠).

البشارة التاسعة عشرة :

في المزامير قال داود - عليه السلام - : ليفرح بالخالق[1] ممن اصطفى الله تعالى، واصطفى له[2] أمته، وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه[3]. يشير - صلوات الله عليه - إلى هذه الأمة، ورفع أصواتهم بالآذان[4] فإنه لم يكن لغيرها من الأمم والسيوف العربية ذوات شفرتين. والعجمية لها شفرة واحدة، وانتقم الله تعالى بهم من جملة[5] الأمم – لأن دعوته ﷺ عامة. وغيرهم لم ينتقم الله تعالى بهم إلا من[6] أمة واحدة كموسى - عليه السلام - ولم يقاتل إلا جبابرة الشام[7].

---

(١) في الأصل (الخاليق). (٢) كلمة (اصطفى) عن التيمورية.

(٣) ورد في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة (ليبتهج الأتقياء بمجد. ليرنموا على مضاجعهم تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم، ليصنعوا نقمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد. ليجروا بها الحكم المكتوب كرامة هذا الجميع أتقيائه. (مزامير من ٥-٩).

(٤) في الأصل (بالآذانات) وكلمة (الآذان) من التيمورية.

(٥) كلمة (جملة) عن التيمورية. (٦) الجملة من التيمورية دون الأصل.

(٧) يصرح القرآن الكريم بأن بني إسرائيل لم يقاتلوا مع موسى - عليه السلام - محتجين بأن أهل الشام قوم جبابرة لا قبل لهم بهم. وقد حمّلوا موسى - عليه السلام - أمانة الفتح لهذه البلدان. قال تعالى بشأن دعوة موسى لقومه ﴿ **يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [المائدة ٢٠ – ٢٦].

وقد صرحت التوراة بأن موسى - عليه السلام - قد خاض حروبا عدة مع العماليق وبعض المدن التي حددت له وقد أباد بعضها وسلب ونهب بعضها – راجع التثنية صح ١٣ / ١ –٢٤ والإصحاح الثالث عشر والعشرين.

البشارة العشرون:

قال داود – عليه السلام – فى مزمور له: إن ربنا عظيم محمود جدا. وفى قرية إلهنا[١] قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا[٢]. فنص ـ عليه السلام ـ على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله تعالى. وأخبر أن كلمته تعم أهل الأرض – وكان ذلك[٣] – أى المشار إليه.

البشارة الحادية والعشرون:

قال داود ـ عليه السلام ـ[٤] فى مزاميره: سيكون من يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، تخر[٥] أهل الجزائر بين يديه ويجلس أعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتدين[٦] له الأمم بالطاعة والانقياد، وتخلص المضطر[٧] البائس ممن هو أقوى منه، وينتقذ الضعيف الذى لا ناصر له، ويرأف بالمساكين[٨] والضعفاء، ونصلى عليه ونبارك فى كل حين[٩].

---

(١) فى الأصل (الاهيا) والتصويب من التيمورية.

(٢) التوراة الآن لم تبق على اسم الرسول (محمد) ﷺ بأى صورة وإنما بقيت صفات تدل عليه. ولعل النص ضمن نسخ أولى بادت أو سترت لهدف دينى دون إمكانية الوقوف عليها الآن. والنص المذكور معنا الآن غير وارد بها.

(٣) تطلبها السياق فأضفتها.

(٤) جملة (عليه السلام) غير واردة بالأصل.

(٥) فى التيمورية (نحو) بدلا من تخر.

(٦) فى الأصل (تذعن) وكلمة تدين عن التيمورية وهى أبلغ فى التعبير.

(٧) فى الأصل (المضطهد) وكلمة (المضطر) عن التيمورية.

(٨) فى التيمورية (بالمسلمين).

(٩) أقرب النصوص إلى هذا ما ورد فى المزمور الثانى والسبعين – (يشرق فى أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض. أمامه تجثوا أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له. لأنه ينجى الفقير المستغيث والمسكين لا معين له، يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء).. مزمور (٧٢/٧: ١٣).

وهذه صفات محمد - عليه الصلاة والسلام -[١]. ولم توجد لغيره، خرت الملوك[٢] بين يدى أصحابه. ودانت لطاعته له الأمم، وصلى عليه مع طول الأيام.

البشارة الثانية والعشرون:

قال داود - عليه السلام -: لترتاح البوادى وقراها[٣] ولتصير أرض قيدار مروجا، ولتسبح سكان الكهوف، ويهتفون من قلل الجبال بمحامد الرب ويذيعون تسابيحه فى الجزائر[٤] ولم يظهر دين بالبوادى[٥]. سوى دين الإسلام، وقيدار اسم ولد اسماعيل جد رسول الله ﷺ، فهو تنصيص على أن الحق يكون فى غاية البهجة فى جزيرة العرب، ولم يكن ذلك إلا محمد - عليه السلام -[٦] ولا سكن[٧] الكهوف ولا قلل الجبال سوى العرب، فهذا تنصيص على صفة أمته - عليه الصلاة والسلام.

البشارة الثالثة والعشرون:

قال داود - عليه السلام - فى المزامير: أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك، سلنى أعطيك شعوب ميراثك وسلطانك، إلى أقصى الأرض ترعاهم بقضيب من حديد. ومثل آنية الفخار تسحقهم[٨].

---

(١) فى التيمورية (ﷺ). (٢) فى الأصل (الملائكة) والملوك عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (وقواها) وقراها عن التيمورية.

(٤) النص فى أشعيا دون المزمور (أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر..) أشعيا ٤٢ / ١٠ : ١٢.

(٥) كلمة (دين) ساقطة من التيمورية. (٦) فى التيمورية (ﷺ).

(٧) فى الأصل (يسكن) وكلمة (سكن) عن التيمورية.

(٨) النص (إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزف تكسرهم) المزمور الثانى ٧ : ٩.

ومحمد - عليه السلام -(١) هو الذى ورث، وبلغ سلطانه أقطار الأرض، وحاط الأمم وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداود ولا لأحد من بعده، فيكون هو المبشر به، وسمى ابنا على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابنا، كما قال فى التوراة فى إسرائيل - عليه السلام - ابنى بكرى(٢).

البشارة الرابعة والعشرون:

قال داود - عليه السلام - فى المزامير: إلهى مَنْ الرجل الذى ذكرته، والإنسان الذى كرمته(٣) وألبَسْتَه الكرامات والمجد. وملَّكْته على خلقك(٤).

ومن هذا الذى جعل أميرا ملكا من قبل الله - تعالى على جميع الخلق فى جميع الأرض. ولم يوجد ذلك إلا بمحمد - عليه السلام -(٥) فيكون هو المبشر به.

البشارة الخامسة والعشرون:

قال أشعيا - عليه السلام -: قيل لى: قم ناظرا. فانظر ماذا ترى، فقلت: أرى راكبين منقلبين أحدهما على حمار، والآخر على جمل. يقول أحدهما لصاحبه: تسقط بابل وأصنامها للمبحر(٦).

فراكب الحمار المسيح - عليه السلام - وراكب الجمل محمد - عليه السلام -

---

(١) فى التيمورية ﷺ.

(٢) هكذا أمر موسى عليه السلام أن يقول لفرعون (فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. إسرائيل ابنى البكر) الخروج صح ٤ / ٢٢.

(٣) فى الأصل (أمرته) وهى غير متفقة مع السياق.

(٤) ورد فى المزمور الثامن (فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده. وتنقصه قليلا عن الملائكة. وبمجد وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شىء تحت قدميه) مزمور ٨ / ٤ : ٦.

(٥) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٦) (لأنه هكذا قال لى السيد: اذهب أقم الحارس. ليخبر بما يرى فرأى ركابا أزواج فرسان ركاب حمير. ركاب جمال. فاصغى إصغاءً شديدا.. وهو ذا ركاب من الرجال. أزواج من الفرسان. فأجاب وقال سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض) أشعيا إصحاح ٢١ - ٦ : ٩.

فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح - عليه السلام - بركوب الحمار، فإن المسيح - عليه السلام - كان كثير السياحة على رجليه، وأما فى الإنجيل فإنه[1] دخل المدينة راكبا الحمار. والصغار حوله يقولون مبارك الآتى[2] باسم الرب. ومحمد - عليه السلام - [3] أسقط أصنام بابل وغيرها.

البشارة السادسة والعشرون :

فى شرف مكة والبيت الحرام، قال أشعياء - عليه السلام - فى نبوته : ارفعى إلى ما حولك[4] بصرك فستبتهجين[5]، وتفرحين من أجل أن الله بعث إليك ذخائر البحرين وتحج إليك عساكر الأمم حتى يعم بك قطر الإبل المؤبلة[6]، ويضيق أرضك عن القطرات التى تجمع إليك، وتساق إليك كباش أهل مدين ويأتيك أهل سبأ. ويسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال عارب[7] يريد سدنة الكعبة.. وهم أولاد عارب[8] من إسماعيل، وهذه الصفات كلها لم تحصل إلا لمكة، حملت إليها ذخائر البحرين. وحج إليها الأمم على اختلاف أصنافهم، وسيق إليها الإبل والغنم هدايا وضحايا، وهذا التعظيم لها، إنما حصل بمحمد - عليه السلام - فيكون دينه حقا وهو المطلوب[9].

---

(١) الأصل (وإنما فى الإنجيل أنه) والسياق عن التيمورية.

(٢) كلمة (الآتى) ساقطة من التيمورية والنص فى لوقا ١٩ / ٣٨.

(٣) فى التيمورية ﷺ سقطت على يد أصحابه زمن الخلافة العمرية (البداية والنهاية. بداية جـ ٧).

(٤) فى الأصل (حواك) وكلمة (حولك) عن التيمورية.

(٥) فى الأصل (مبتجين) والكلمة عن التيمورية.

(٦) فى الأصل (المؤلية).

(٧) فى الأصل (مآرب) وهى معارضة المعنى وكلمة (عارب) عن التيمورية.

(٨) فى الأصل (أولاد مارية) وهى معارضة المعنى وكلمة (عارب) عن التيمورية.

(٩) ورد فى أشعيا (ارفعى عينيك حواليك وانظرى. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتى بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدى. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم. تغطيك كثرة الجمال. بكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا. تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى) أشعيا ٦٠ - ٤ : ٧.

البشارة السابعة والعشرون:

قال أشعيا - عليه السلام - في نبوته: أيتها المتعللة في الهموم[١] التي لم تحصل حظوة[٢] - إني جاعل حجرك بلوراً[٣] وموثق أثاثك بالحجر الأسمانجوتي ومزين حيطانك باللازورد. ومزخرف خدودك بالأحجار النفيسة[٤]. وأعم أبناءك بالسلام[٥] وأزينك بالصلاح والبر، وأبعد عنك الأذى والمكاره، وأجعلك آمنة، ومن ابتعث إليّ فإليك قصده، وفيك حوله. وتصيرين ملجأ لقاصديك وسكانك[٦].

ولم توجد هذه الصفات إلا - لهذه الملة[٧] - لأن المهدي من بني العباس[٨] والملوك قبله وبعده تأنقوا في بناء البيت[٩] والمسجد الحرام بالأحجار النفيسة، والذهب والأصباغ واللازورد وحملت تيجان الملوك وذخايرهم فَحلِّيَتْ بها الكعبة، حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصر، وليس على وجه الأرض كذلك غيرها[١٠].

---

(١) في الأصل (المتعلقة في الغيوم). والسياق عن التيمورية وهو مناسب لما بعده.
(٢) الجملة عن التيمورية ساقطة من الأصل.
(٣) في الأصل (جاعل فخرك بكورا) وهو مغاير ما بعده.
(٤) في الأصل (النفسية) وكلمة (نفيسة) عن التيمورية.
(٥) في الأصل (السلم) وكلمة (السلام) عن التيمورية.
(٦) بالبحث عن كافة المفردات الواردة بأعلى النص في فهرست الكتاب المقدس وقاموس الكتاب المقدس لم أقف على هذا النص.
(٧) الجملة عن التيمورية دون الأصل.
(٨) أحد أمراء بني العباس تولى الخلافة بعد وفاة أبيه المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة للهجرة. أخذ أبوه البيعة له حال حياته وجددها قبل وفاته بيوم. وتولاها بعده حتى توفي سنة ١٥١هـ (البداية والنهاية) الجزء العاشر من ١٢٩ - ١٥٦.
(٩) كلمة (البيت) عن التيمورية.
(١٠) مرت الكعبة بعدة أدوار في البناء. ذكرها الأزرقي واتفق عليها جمهور المؤرخين. وقد بلغت جملتها عشر مرات هي على التوالي:
(أ) بناء الملائكة لها. أو وضع الأساس من قبل الرحمن مع طواف الملائكة حوله.
(ب) بناء آدم وقيل إنه وجدها فطاف حولها بالأمر الإلهي وقد قابلته الملائكة وهنأته بقولها (بَرَّحَجَّك) وأخبره جبريل بأن الملائكة كانت تطوف بالبيت قبل أن يخلقه الله أربعين عاما. =

ولا يمكن صرف هذا لبيت المقدس[1] لأنه لم يكن متغلغلا[2] فى الهموم من الكفر وعصيان الرب وعبادة الأصنام وأنواع الفجور والبهتان على الله تعالى – سواه – ولم يكن أمنا لمن قصده إلا مكة[3] فإنها محال الأمن فى الجاهلية والإسلام. وتعظيمها من خصائص الإسلام. فيكون منها الإسلام حقا. وهو المطلوب.

= جـ – بناية شيث وقد ذكر ذلك السهيلى فى الروض الأنف ص١ / ٢٢١ .

د – بناية إبراهيم وابنه اسماعيل وكانت عبارة عن رفع القواعد بعد أن بينها الله له. قال تعالى: ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ [الحج: ٢٦] .

هـ – بناية العمالقة – وقد ذكره الأزرقى فى تاريخ مكة وانفرد به عن سواه.

و – بناية جرهم. هذا ما ذكره الأرزقى فى كتابه الاعلام وقد ذكر ابن هشام أن القوم أتوا إليها وأقاموا بها مدة من الزمن ثم تركوها بعد حرب بينهم وبين بنى بكر وغبشان والتى هزموا فيها فخرجوا وقد دفنوا الغزالين وحجر الركن السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١١٤ .

ز – بناية قريش وذلك لرغبتها فى رفع السقف وقد تخوفوا الأمر حتى أتت إليهم أخشاب سفينة فى البحر وأرسل الله إليهم طيرا انقض على الحية التى كانت تعلوا الكعبة فاختطفها فقالت قريش إنا لنرجوا أن يكون الله قد رضى ما أردنا. فتواصوا أن لا يدخلوا فى البناء شيئا من الحرام ولا مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس..) ابن هشام ١ / ١٩٢ – ١٩٤، الروض الأنف١ / ٢٢١ .

ح – بناية الزبير. وكان ذلك بسبب شرارة طارت من أبى قبيس فأصابت الكعبة وحرقتها حيث بناها وأعاد إليها ما أخذته قريش من الأصل معتمدا على حديث رسول الله ﷺ المروى عن السيدة عائشة فى قوله (ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أزرع..) الحديث. الروض الأنف١ / ١٢١ .

ط – بناية الحجاج. وكان ذلك فى عهد عبد الملك بن مروان. حيث أمر الحجاج ببناء الكعبة وردها إلى ما كانت عليه قبل بناء ابن الزبير لها.

ى – بناء السلطان مراد بن السلطان أحمد من آل عثمان سنة ١٠٣٩هـ وكان ذلك بسبب تشقق فى الجدار الشامى وسقوط مطر ملأ الكعبة فأراد هدمها وبناءها طوبة بالذهب وأخرى بالفضة فمنعه العلماء فبناها بالحجارة وجعل لها نطاقا من النحاس الأصفر.

(١) فى التيمورية (إلى البيت المقدس).

(٢) فى الأصل (لم يكن يتعلق) والسياق عن التيمورية.

(٣) بهذا صرح القرآن الكريم ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ [آل عمران: ٩٦ –٩٧] وقوله تعالى فى وصف البيت ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج: ٢٥] وقوله تعالى ممتنا على قريش ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش: ٤] .

البشارة الثامنة والعشرون:

قال أشعيا - عليه السلام - مخاطبا للناس عن محمد - عليه السلام - فى نبواته: افهمى أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمى. وأنا فى الرحم وجعل لسانى كالسيف الصارم، وأنا فى البطن، وخاصنى بظل يمينه، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته وخزننى لسره[1] - وقال لى أنت عبدى فصرفى عدلى حق قدام الرب، وأعمالى بين يدى الهى، فصرت محمدا عبد الرب، وبالهى حولى وقوتى[2].

وهذا الفعل العظيم فيه إشارات عظيمة قوية جدا. منها:

١- أنه خاطب جميع الأمم فتكون رسالته عامة، فلم يوجد ذلك إلا لمحمد عليه السلام[3].

٢- أن الله تعالى أهاب به من بعيد. إشارة إلى أنه لم يبعثه من بنى إسرائيل الذين عادوا[4] الأنبياء - عليهم السلام - منهم وهذه صفته - عليه السلام - .

٣- الإشارة إلى عظيم فصاحة لسانه حتى عاد كالسيف، ولم يؤت جوامع الكلم إلا هو - عليه السلام - [5].

٤- الإشارة إلى أنه - عليه السلام - [6] خير الرسل وأعظمها كلها شأنا بقوله. جعلنى كالسهم المختار من كنانته.

٥- الإشارة إلى أن شريعته أعظم الشرائع، حازت من المصالح ما لم تحزه

---

(١) فى الأصل (لمسره) والسياق عن التيمورية.

(٢) النصف الأول من النص وارد فى أشعيا (اسمعى لى أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد. الرب من البطن دعانى. من أحشاء أمى ذكر اسمى. وجعل فمى كسيف حاد. فى ظل يده خبأنى. وجعلنى سهما مبريا. فى كنانته أخفانى..) شعيا ٤٩ / ١ : ٢.

(٣) فى التيمورية (ﷺ).

(٤) فى الأصل (الذى علات) والسياق عن التيمورية.

(٥) فى التيمورية (ﷺ).

(٦) فى التيمورية (ﷺ).

شريعة[1] لقوله – وخزني لسره. أي كمال الحكمة الالهية إنما ظهرت في شريعته، وقد تقدم بيان هذا آخر الباب الأول.

٦– أن أشعيا ـ عليه السلام ـ صرح باسم محمد ولم يحجم[2]. وأعرب عنه ولم يعجم – فلا حاجة بعد هذا الاتضاح إلى مترجم.

فهذه ست إشارات عظيمة من نبي عظيم[3]. اتفق أهل الكتاب على صدقه وتعظيمه ونبوته.

البشارة التاسعة والعشرون:

قال أشعيا –عليه السلام– في نبواته في حق هاجر أم العرب. سبحي أيتها النذور[4] الرقوب واغبطي بالجهل. لقد زاد ولد الفارغة المجفوة – على ولد المشغولة المحظية[5] – وقال لها الرب أوسعي مواضع خيامك. ومدي مضاربك وطولي أطنابك، واستوثقي من أوتادك، فانك ستنبسطين وتنتشرين في الأرض يمينا وشمالا، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة[6] البنيان[7]، وهذا بيان عظيم وتصريح جليل، فإن سارة أم إسحاق ـ عليه السلام ـ[8]. والدة بني إسرائيل وكانت حرة[9] وهاجر أم اسماعيل، أمه[10] مجفوة محقورة، فبشرها الله تعالى

---

(١) في الأصل (شريعته) والسياق عن التيمورية.

(٢) في الأصل (عجم) والسياق عن التيمورية.

(٣) كلمة (نبي) ساقطة من التيمورية.

(٤) في الأصل (الترفد) والنذور من التيمورية.

(٥) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٦) في التيمورية (القرى المظلمة).

(٧) ورد في سفر أشعيا (ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب. أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكي. أطيلي أطنابك وشددي أوتادك. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة..) أشعيا ٥٤ /١ : ٣ .

(٨) جملة (عليه السلام) ساقطة من التيمورية.

(٩) في الأصل (والدة إسرائيل حرة) والسياق عن التيمورية.

(١٠) في الأصل (وأنها) والسياق عن التيمورية.

أن ذريتها تكون أعظم من ذرية سارة، وتملك مشارق الأرض ومغاربها، وتستولى ذريتها على جميع الأمم. ولم يتفق ذلك لبنى إسماعيل قط إلا فى الأمة المحمدية. فتكون هى[١] الموعود بها وهذا نص لا يحتمل التأويل.

البشارة الثلاثون:

قال أشعياء - عليه السلام - نبوته منبها على محمد - عليه السلام -[٢] عبدى الذى يرضى نفسى أعطيه كلامى. فيظهر فى الأمم عدلى. ويوصيهم بالوصايا ولا يضحك ولا يصخب[٣]. يفتح[٤] العيون العور، ويسمع[٥] الآذان الصم ويحيى القلوب الميتة، وما أعطيه لا أعطيه غيره، أحمد. يحمد الله تعالى حمدا جديدا. يأتى من أفضل الأرض. فتفرح به البرية وسكانها، ويوحدون الله تعالى على كل طرف[٦] ويعظمونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقضيب الضعيف، بل يقوى[٧] الصديقين والمتواضعين، وهو نور الله تعالى الذى لا يطفى، أثر سلطانه على كتفه[٨].

وهذا كلام عظيم مشتمل على علامات قوية جدا ومنها:

١- الإشارة إلى كونه أفضل الرسل. لقوله عبدى الذى يرضى نفسى، وهذه صيغة حصر - كقوله تعالى ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾. أى لا يرزقكم غيره[٩].

---

(١) فى الأصل (بنى) والسياق عن التيمورية.
(٢) فى التيمورية (ﷺ).
(٣) (ولا يصخب) ساقطة من التيمورية.
(٤) فى الأصل (ولا يفتح).
(٥) فى الأصل (ويسمع) والسياق عن التيمورية.
(٦) فى التيمورية (على كل شرف).
(٧) فى الأصل (بل هوى) والسياق عن التيمورية.
(٨) ورد فى أشعياء (هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم ولا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته) أشعياء صح ٤٢ / ١:٤.
(٩) فى الأصل (كقولك الله خشية هو الذى يرزقنى) والسياق عن التيمورية والآية رقم ٢١ من سورة الملك.

٢- الإشارة إلى عموم رسالته بكتاب من عند الله تعالى إلى جميع الثقلين بقوله: أعطيه كلامي فيظهر في الأمم عدلي ويوصيهم بالوصايا، وهذا لم يكن قط إلا لمحمد - عليه السلام -[١].

٣- أن الله تعالى ينشر هديه. وييسر على الأمم إجابته وتصديقه، لقوله يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الميتة. وهي صيغة عموم وشمول في جميع الخلائق، ولم يتفق ذلك إلا لمحمد - عليه السلام -[٢].

٤- أن شريعته أفضل الشرائع وكتابه أفضل الكتب. وأمته أفضل الأمم لقوله وما أعطيه له لا أعطيه لغيره[٣].

٥- التصريح باسمه (أحمد). كما صرح باسمه (محمد) قبل هذا. ولم تكن هذه الأسماء لغيره - عليه السلام - .

٦- أن مكة أشرف الأرض. لقوله يأتي من أفضل الأرض وقد تعين أنه أحمد فتكون أفضل الأرض مكة[٤].

٧- أنه يفرح به البراري والقفار وسكانها. وهذه الصفة لم تكن لغير العرب - ولم يهد العرب وينشر[٥] فيهم ذكر الله تعالى إلا محمد - عليه السلام - فيكون هو المقصود.

٨- أن هذه الرسالة[٦] تقتضي عبادة الله تعالى على كل رابية وشرف، وهو من خصائص هذه الأمة. فان الأمم قبلها لا يصلون إلا في البيع والكنائس وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة صلت وأذنت وسبحت وهللت فتكون هذه الأمة هي الموعود به.

---

(١) في التيمورية (ﷺ).
(٢) في التيمورية (ﷺ).
(٣) في التيمورية (وما أعطيه له إلا لا أعطيه لغيره).
(٤) في التيمورية (فيكون أفضل الإمكة).
(٥) الجملة ساقطة من التيمورية. ونحن نسلم بالديانة الوثنية للعرب قبل الإسلام.
(٦) في التيمورية (أن هذه العبادة).

٩- أن دينه يدوم إلى يوم القيامة لقوله: وهو نور الله الذى لا يطفى.

١٠- أن بكتفه علامة نبوته. لقوله: أثر سلطانه على كتفه. ولم يكن على كتف أحد علامة نبوته إلا محمد -عليه السلام-[١] فهو المبشر به، وهذه عشر علامات من أشعياء -عليه السلام-، لا يحتاج معها فى الرد على أهل الكتاب إلى غيرها ومن أنصف منها لا يجد محيدا عنها.

البشارة الحادية والثلاثون:

قال أشعياء -عليه السلام-: لتفرح البادية العطشا ولتبتهج البرارى[٢] والفلوات ولتزهوا، فإنها ستعطى بأحمد محاسن[٣] لبنان حتى تصير كالدساكر[٤]. والرياض. وسيرون جلال الله[٥]. تعالى إلهُنَا[٦].

فصرح -عليه السلام- باسمه، وأن مكة يصير براريها[٧] محجوجا إليها من الأقطار، حتى يكثر فيها العمران، فقد صرح باسمه واسم أرضه، فما يسع أهل الكتاب إلا الإيمان بذلك، وكيف لا يؤمنون بأشعياء -عليه السلام- ويكذبون أخباره ويردون أقواله.

البشارة الثانية والثلاثون:

قال أشعياء -عليه السلام- فى نبوته، قال إبراهيم -خليل الله- الذى قويته ودعوته من أقاصى الأرض، لا يخاف ولا يرهب فأنا معك ويدى مهدت لك،

---

(١) فى التيمورية (ﷺ).

(٢) فى التيمورية (البوادى).

(٣) فى الأصل (مجلى) والسياق عن التيمورية.

(٤) فى الأصل (تصير كالدعاء. كبر) والسياق عن التيمورية.

(٥) فى التيمورية (وسيرثون).

(٦) ورد فى سفر أشعيا (تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس يزهر إزهارا ويبتهج ابتهاجا ويرنم يدفع إليه مجد لبنان..) أشعيا ٣٥ - ١:٢.

(٧) فى التيمورية (يصير ترابها).

جعلتك مثل الجرجر الحديد، يدق ما يأتى عليه دقا، ويسحقه سحقا، حتى يجعله هشيما يلوى به هوج[١] الرياح: وأنت تبتهج وترتاح ويكون محمدا[٢].

فصرح - عليه السلام - باسمه ونصره فى الحروب[٣] وبسط مملكته بالتمهيد والإعانة. ولا يكاد أشعياء - عليه السلام - يهمل ذكر اسمه. كأنه عليه ضربة لازب. وحتم واجب وإذا كانت الأنبياء والأصفياء يصرحون باسمه. وجميع صفاته. انقطعت أعذار أهل الكتاب.

البشارة الثالثة والثلاثون:

قال أشعياء - عليه السلام - فى نبوته معلنا باسمه - عليه السلام -: إنى جعلت اسمك محمدا يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد[٤].

البشارة الرابعة والثلاثون:

قال أشيعاء - عليه السلام - فى نبوته[٥] منبها على مكة. سرى واهتزى أيتها العاقر التى لم تلد وانطقى بالتسبيح وافرحى إذ لم تحبلى. فان أهلك يكونون أكثر من[٦] أهلى[٧]. يعنى بأهله أهل بيت المقدس، وبالعاقر مكة، لأنها لم تلد

---

(١) فى التيمورية (هودج).

(٢) ورد فى أشعياء (الذى أخترته نسل إبراهيم خليلى. الذى أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته. وقلت لك أنت عبدى. اخترتك ولم أرفضك. لا تخف لأنى معك. لا تلتفت لأنى إلهك. قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى. إنه سيخزى ويخجل جميع المغتاظين. عليك. يكون كلا شيء مخاصموك ويبيدون. تفتش على منازعيك ولا تجدهم).. أشعياء ٤١/٨: ١٢.

(٣) فى الأصل (باكروب وكلمة الحروب) عن التيمورية.

(٤) لا يوجد اسم (محمد) مصرحا به فى التوراة الموجودة الآن. وقد دلت الشواهد الأخرى على ذلك. وفيها من القوة ما يعضد حجة المتكلم.

(٥) كلمة (نبوته) ساقطة من التيمورية.

(٦) فى التيمورية (ليكونون من الترجح).

(٧) ورد فى أشعياء (ترنّمى أيتها العاقر التي لم تلد أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب. أوسعى مكان خيمتك..) أشعيا ٥٤/ ١: ٢.

قبل نبينا - عليه السلام - نبيا، وأهلها أكثر لأن المراد أهل الحق من الجميع دون أهل الضلال. فيخرج النصارى كلهم واليهود، ولم يبق إلا من كان على حقيقة التوراة، وهم قليلون جدا بالنسبة إلى المسلمين، بل الأمم المحققة كلها أقل من المسلمين، لقوله - عليه السلام -[١]: إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة[٢].

البشارة الخامسة والثلاثون:

قال أشعياء - عليه السلام - فى نبوته: ولد لنا غلام يكون عجبا وسيراد. والشامة على كتفه أركون السلم، إله جبار، سلطانه السلام، وهو ابن عالم يجلسه على كرسى داود، والأركون هو العظيم بلغة الإنجيل. فنص على أخفى علاماته، وهى الشامة خاتم النبوة الذى بين كتفيه. وإن كان بالنبى إسرائيل من الملك والنبوة – أقل من ذلك[٣] ويسير على كرسى داود بدلا منهم–[٤].

البشارة السادسة والثلاثون:

قال أشعياء - عليه السلام - فى نبوته. حاكيا على الله تعالى أشكر حبيبى وابنى أحمد. فصرح باسمه عليه السلام[٥] وسماه ابنا –[٦] على اصطلاح لسان

---

(١) فى التيمورية (ﷺ).

(٢) البخارى كتاب الرقاق ٤٥، الإيمان ٣ والأنبياء ٧ ومسند أحمد ٣ / ٣٣.

(٣) تطلب السياق إضافة ذلك.

(٤) هذه الجمل ساقطة من الأصل مأخوذة عن التيمورية. والنص كما ورد (لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا) أشعياء ٩ / ٦: ٧.

(٥) فى التيمورية (ﷺ).

(٦) الجملة ساقطة من التيمورية والنص غير وارد فى التوراة الموجودة الآن، وقد صرحت التوراة باطلاق كلمة الابن على المحبوب أو المصطفى كما هو وارد فى إطلاقه على آدم. لوقا ٣ / ٣٨ وإطلاقه على الملائكة (أيوب ١ / ٦، ٢ / ١، ٣٨ / ٧ مز ٢٩ / ١، ٨٩ / ٦ وكذلك شعب إسرائيل خروج ١٤ / ٢٢ – التثنية ١٤ / ١ / ، ٣٢ / ٥، أشعيا ٤٣ / ٦، هوشع ١ / ١٠.

اليونان . وأمر أشعياء - عليه السلام -[1] بشكره هو وقومه وسماه ابنا وحبيبا . وهذا غاية التكريم والتعظيم بما يجب له وأنه سيكون .

البشارة السابعة والثلاثون :

قال أشعياء - عليه السلام - في نبوته : إنا سمعنا في أطراف الجبال صوت محمد[2] فصرح باسمه عليه السلام، ومكانه تصريحا لا يحتمل التأويل .

البشارة الثامنة والثلاثون :

قال أشعياء - عليه السلام - في نبوته : لتستحين تمجدني حيوانات البر من بنات آوى حتى الأنعام . لأني أجريت الماء في اليد، ولتشرب منه أمتي المصطفاة التي اصطفيتها[3] فكنى عن العرب والحجاز بالبراري وبنات آوى والأنعام . وسمى الهدى ماء لأنه يزيل عطش الضلالة . وأخبر أنه تعالى اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأمم .

البشارة التاسعة والثلاثون :

قال أشعياء - عليه السلام - في نبوته منبها على شرف مكة قومي وازهري مصابيحك، فقد دنا وقتك، وكرامة الله تعالى طالعة عليك، فقد حلل الأرض الظلام[4] وغطا على الأمم كلها الضباب، والرب يشرق عليك إشراقا، ويظهر

---

(١) الجملة الدعائية ساقطة من التيمورية وكلمة (ابنا) من التيمورية .

(٢) هذه البشارة غير واردة في التيمورية .

(٣) لم أجد هذه البشارة ويغني عنها ما ورد في أشعيا (وحي من جهة بلاد العرب . في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه فإنهم من أمام السيوف قد هربوا من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدود ومن أمام شدة الحرب . فانه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفني كل مجد قيدار) أشعيا ٢١ / ١٣ : ١٦ .

(٤) في الأصل (الكلام) والسياق عن التيمورية .

عليك كرامته فتصير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، سيأتون ويحجون إليك من البلدان البعيدة، ويتربى بنوك وبناتك[١] على السرر والأرائك[٢]. وليس على وجه الأرض مكان لم يكن له وقت، وقد قرب وقته وهو يحج إليه الناس من أقطار الأرض إلا مكة، فان البيت المقدس ما زال معظما[٣] محجوجا. ولم يعظم مكة وجعل الحجيج إليها من أقطار الأرض إلا محمد ﷺ فتكون نبوته حقا وهو المطلوب.

البشارة الأربعون:

قال هو شاع وهو أحد الاثنى عشر. بنو إسرائيل واليهود قد عتوا بالكذب والخيانة حتى نزلت أمة الله. الأمة المقدسة المؤمنة. فصرح بان بنى إسرائيل واليهود على الكذب والضلال حتى تأتى الأمة المقدسة[٤] ولم يأت بعد بنى إسرائيل أمة غيرنا. فان النصارى داخلون فى بنى إسرائيل. فيكون نحن الأمة المقدسة المذكورة وهو المطلوب.

البشارة الحادية والأربعون:

قال ميخا النبى - عليه السلام - منبها على البيت الحرام، إنه يكون فى آخر الأيام بيت الرب مبنى على قلل الجبال وفى أرفع رؤوس العوالى. يأتيه جميع الأمم

---

(١) كلمة (بناتك) ساقطة من التيمورية.

(٢) النص (قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى. فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك. ارفعى عينيك حواليك وانظرى قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك يأتى بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدى) أشعياء ٦٠/ ١ : ٤.

(٣) فى الأصل (تعظيما) والسياق عن التيمورية.

(٤) بالكشف عن كلمة (كذب - خون - أمة - قدس - آمن) لم أجد نصا يتفق مع هذا المعنى المذكور ولعله مما سقط أو حرف فى الطبعات الأخيرة للتوراة.

يقولون تعالوا نطلع إلى جبل الرب[1] وهذه صفة البيت الحرام وجبل عرفة. ولم يشرعه لجميع الأمم إلا محمد - عليه السلام - . فيكون دينه حقا وهو المطلوب.

البشارة الثانية والأربعون:

قال النبي حبقوق - عليه السلام - في نبوته: إن الله تعالى جاء من الشمس، والقدوس من جبل فاران، ولقد أضاءت السماء من بهاء محمد - عليه السلام - [2] وامتلأت الأرض من حمده، شاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزه[3] تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح على الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة. وتزعزعت ستور أهل مدين، ثم قال زجرك في الأنهار واحتدام صوتك في البحار يا محمد ادنو لقد رأتك الجبال فارتاعت. وتعرف المهادى بغير أود لك أو رعب، وسار العساكر في بريق سهامك، ولمعان نيرانك[4] تدوخ الأرض غضبا وتدوس الأمم زجرا[5]. فمن رام صرف هذا الكلام رام ستر النهار

---

(١) ورد في سفر ميخا ما يلي (ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب. وتسير أمم كثيرة. ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين شعوب كثيرين. ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككا. ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد. بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم. لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم الهه ونحن نسلك باسم الرب الهنا إلى الدهر والأبد) ميخا. صح ٤ / ١ : ٥.

(٢) في التيمورية (ﷺ) (٣) في التيمورية (بعده).

(٤) في الأصل (تبارك) و (نيرانك) عن التيمورية.

(٥) النص (الله جاء من تيماء والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له يده شعاع. وهناك استتار قدرته.......... وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية. وخسفت أكام القدم. مسالك الأزل له........ هل على الأنهار حمي يارب هل على الأنهار غضبك وعلى البحر سخطك حتى إنك ركبت خيلك. مركبات الخلاص. عريت قوسك تعرية. سباعيات سهام كلمتك (سلاه) شققت الأرض أنهارا. أبصرتك ففزعت الجبال. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها رفعت يديها إلى العلاء. الشمس والقمر وقفا في بر وجهما. لنور سهامك الطائرة. للمعان برق مجدك.. ثقبت بسهامه رأس قبائله..) حبقوق صح ٣ / ٣ : ١٤ بتصرف.

وحبس الأنهار فإنه سمى محمدا - عليه السلام - مرتين، ووصفه لمقابلة أهل الأرض وأنه من جبل فاران.

وفى التوراة: إن إسماعيل - عليه السلام - وأمه كانا فى برية فاران[١] ولم يخرج من الحجاز غير محمد - عليه السلام - ووصفه بالجهاد برا وبحرا. وتدويخ جميع الأمم وهذا لم يكن إلاّ له ﷺ[٢].

البشارة الثالثة والأربعون:

قال حزقيال – النبى عليه السلام فى نبوته[٣] – إن كرمة أخرجت ثمارها وأغصانها. فأشتت على أغصان الأكبار والسادات – وارتقت وبسقت أغصانها[٤] – فلم تلبث تلك الكرامة – أن قلعت[٥] – بالسخط والرمى بها على الأرض. فأحرقت السماء[٦] ثمارها. وتفرقت قواها. ويبست عصا غرسها. وأتت عليها النار وأكلتها. فعند ذلك غرس غرسا فى البدو، وفى الأرض المهملة المعطلة العطشى. وخرجت من أغصانه نار فأكلت تلك. حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب ينهض[٧].

---

(١) ورد فى التكوين (ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق. فقبح الكلام جدا فى عينى إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمه لأنه نسلك.. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن البرية. وكان ينمو رامى قوس. وسكن فى برية فاران) تك ٢١ / ٩ : ٢١.

(٢) فى الأصل عليه السلام. (٣) الجملة ساقطة من التيمورية.

(٤) فى الأصل (وارتعت وبسقت أفنانها). (٥) ساقطة من التيمورية.

(٦) فى الأصل (التماءم) وكلمة (السماء) عن التيمورية.

(٧) ورد فى حزقيال (أمك ككرمة مثلك غرست على المياه. كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه. وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلطين وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء وظهرت فى ارتفاعها بكثرة زراجينها. لكنها اقتلعت بغيظ. وطرحت على الأرض وقد يبست ريح شرقية ثمرها. قصفت ويبست فروعها القوية أكلتها النار. والآن غرست فى القفر فى أرض يابسة عطشانة. وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها وليس لها الآن فرع قوى لقضيب تسلط) حزقيال (١٩ / ١٠ : ١٤).

فالغرس الأول يريد به شرع بنى إسرائيل وملكهم، والغرس الثانى يكون بعد السخط عليهم فى البادية وهى أرض الحجاز، وهذا تصريح منه بأنا نحن الغرس الموجود لله تعالى على وجه الأرض، وأن من عدانا سخوط عليه.

البشارة الرابعة والأربعون:

قال حزقيال - عليه السلام - فى نبوته يتهدد اليهود بنا: إن الله مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيا، وينزل عليهم كتابا، ومملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجالى بنى قيدار – فى جماعات الشعوب، معهم ملائكة[١] – على خيل بيض متسلحين، فيحيطون بكم وتكون غايتكم إلى النار[٢].

وقيدار هو ابن إسماعيل - عليه السلام - جد العرب، ولم يخرج من بنى إسماعيل من له الحرب والغلبة لبنى إسرائيل ومن معهم – نبى سوى[٣] نحن بالضرورة.

البشارة الخامسة والأربعون:

قال دانيال - عليه السلام - فى نبوته مخاطبا لمحمد - عليه السلام -[٤] سينزع فى إغراقا[٥] يرتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء[٦].

البشارة السادسة والأربعون:

فى نبوة دانيال - عليه السلام - لما سأله بختنصر عن تأويل رؤياه التى نسيها. قال له: رأيت أيها الملك صنما عظيما قائما بين يديك. رأسه من ذهب وساعداه

(١) الجملة ساقطة من التيمورية.
(٢) فى التيمورية (ويكذبون غايتكم).
(٣) عن التيمورية دون الأصل.
(٤) فى التيمورية (ﷺ).
(٥) فى التيمورية (فى فيك).
(٦) ليس للنص ذكر فى النسخة البابلية الآن.

من فضة. وبطنه وفخداه من النحاس. وساقاه من حديد. ورجلاه من خزف ورأيت حجرا لم تقطعه يد إنسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشا. وعاد رفاقا. ثم نسفته الرياح فذهب. وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملأ الأرض كلها قال صدقت. فما تأويله؟

قال له أنت الرأس الذهب. ويقوم بعدك ولداك. وهما دونك فهما فضة وبعدها مملكة دونهما تشبه النحاس. والمملكة الرابعة فى غاية القوة. فهى الساقان الحديد. والرجلان الخزف مملكة ضعيفة والحجر الذى صدع الصنم. نبى يقيمه الله إله السماء والأرض. من قبيلة شريفة قوية. فتدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلىء منه الأرض ومن أمته ويدوم سلطان ذلك النبى إلى انقضاء الدنيا ولم يوجد بعد دانيال إلى يومنا من فعل له هذا إلا محمد - عليه السلام - [١].

---

(١) ورد فى سفر دانيال وهو يخاطب بختنصر (أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم هذا التمثال العظيم البهى جدا وقف قبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضها من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلها. هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك. أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا... فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء وكالحديد الذى يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء. وبما رأيت القدمين والأصابع من خزف الفخار والبعض من حديد. فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين. وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويا والبعض قسما. وربما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فانهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ومُلْكُها لا يترك لشعب آخر وتَسْحق وُتفْنِى كلّ هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب...) دانيال ٢ / ٣: ٤٥ .

البشارة السابعة والأربعون:

قال دانيال - عليه السلام - في نبوته: رأيت في نومي كأن الرياح الأربع قد هاجت. وتموج بها البحر واعتلج اعتلاجا تصور منه أربع حيوانات عظام مختلفة الصور. الأول مثل الأسد. وله أجنحة نسر. والثاني مثل الدب وفي فمه ثلاثة أضلاع. وسمعت قائلا يقول: قم فكل من اللحم واستكثر منه. والثالث مثل النمر في جنبيه أربعة أجنحة وله أربعة رؤوس وقد أعطي قوة. والرابع عظيم قوي جدا وله أسنان من حديد عظام. فهو يأكل ويدق برجليه ما بقي ورأيته مخالفا لتلك الحيوانات وكانت له عشرة قرون فلم يلبث أن نبت له قرن صغير من بين تلك القرون ثم صار لذلك القرن عيون. ثم عظم القرن الصغير حتى صار أكبر من سائر القرون. فسمعته يتكلم كلاما عجيبا. فكان ينازع القديسين ويقاومهم. قال دانيال: فقال لي الرب تعالى: الحيوان الرابع مملكة رابعة في آخر الممالك وهي أفضلها وأجلها تستولي على جميع الممالك وتدوسها وتدقها وتأكلها رغدا[1].

فقد عهد دانيال - عليه السلام - بأن أمتنا أفضل الأمم، وأنها دائمة إلى الأبد، وقال المفسرون لكتب دانيال. إن الحيوان الأول. دولة أهل بابل، والثاني

---

(١) ورد في سفر دانيال (كنت أرى في رؤياي ليلا وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير. وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخالف ذاك. الأول كالأسد وله جناحا نسر... وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب فارتفع على جنب واحد وفي فمه ثلاث أضلع بين أسنانه فقالوا له هكذا. قم كل لحما كثيرا وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رؤس وأعطي سلطانا. بعد هذا كنت أرى في رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل قوي وشديد جدا وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقي برجليه. وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله. وله عشرة قرون. كنت متأملا بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه. وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن وفم متكلم بعظائم..... ومنظره أشد من رفقائه. وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم حتى جاء القديم الأيام وأعطي الدين لقديس العليّ. وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة فقال هكذا أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها) راجع دانيال الإصحاح السابع للوقوف على التفاصيل.

أهل الملتين. والثالث دولة الفرس والرابع دولة العرب، وهو تصديق قول التوراة لإبراهيم عليه السلام. إنى أبارك إسماعيل ولدك، وأعظمه جدا جدا[١].

ومن تولى الله تعظيمه كيف لا يكون عظيما، قلت وأرى العشرة قرون هى أصحابه عليه السلام العشرة، ثم حصل بسببهم ومن بينهم وبالنقل عنهم وعن بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والتابعين وعلماء الأمة – شيء غير قليل[٢] – كثروا وعظموا واشتغلوا بالعلوم وناظروا أهل الملك وعظمت بصائرهم واشتهرت تصانيفهم. فيها من كل عجيب وعلم بديع غريب حتى ملأت خزائن المدائن من تصانيفها وعمت سائر أنواع العلوم بتأليفها. فلم يبق علم لغيرها من القرون السالفة، حتى حققته بعد سقمه، ولم تترك ما يحتاج إليه من العلوم التى لم تكن حتى أخرجته بعد عدمه، ولا شك أن مجموع الأمة أفضل من واحد من العشرة، وإن كان كل واحد من العشرة خيرا من كل واحد ممن بعده إلى قيام الساعة. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: لو أنفق أحدكم ملأ الأرض ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصفه[٣] فلم يجعل الفضل إلا بين[٤] الواحد منا والواحد منهم، أما الجمع فلم يتعرض له[٥].

البشارة الثامنة والأربعون:

قال دانيال - عليه السلام - : سألت الله تعالى وتضرعت إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد عليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء عليهم السلام، أو ينقل ذلك فى غيرهم، فظهر لى الملك فى صورة شاب

---

(١) ورد فى سفر التكوين (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة) تكوين (١٧ / ٢٠).

(٢) تطلبها السياق لفقدان الفاعل فى جملة (ثم حصل بسببهم)

(٣) مسند أحمد ٦ / ٦.

(٤) فى الأصل (الابعين).

(٥) توجد جملة (وتفرقت إليه) فى الأصل دون التيمورية واسقطتها لعدم استقامة المعنى.

حسن الوجه فقال السلام عليك يا دانيال: إن الله يقول لك إن بنى إسرائيل أغضبونى وتمردوا على، وعبدوا من دونى آلهة أخرى، فصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر قتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم. وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثرتهم، فلا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى[١] من العذراء البتول، فأختم عليهم[٢] بعد ذلك باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة، حتى أبعث - نبيا من بنى إسماعيل[٣] الذى بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكى يبشرونها، فأُوحى إلى ذلك النبى وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها، أسرى به إلى، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى تعلوا ذريته وأسلم عليه، وأوحى إليه، ثم أرده إلى عبادى بالسرور والعطية، حفاظا لما استودع، صادعا بما أمر يدعو إلى توحيدى وعبادتى ويخبرهم بما رأى من آياته فيكذبونه ويؤذونه[٤].

---

(١) فى الأصل (بسحتى) والتصويب عن التيمورية.

(٢) فى الأصل (فاختم عند ذلك) والتصويب عن التيمورية.

(٣) فى الأصل (نبى بنى إسرائيل) والتصويب عن التيمورية.

(٤) سفر دانيال يشتمل على اثنى عشر إصحاحا. بقراءتها تبين أن أقرب الشواهد إلى هذا النص ما يلى (فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلوات والتضرعات بالصوم والمسح والرماد. وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت أيها الرب الإله العظيم... يا سيد حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أرشليم جبل قدسك إذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا... وبينما أنا أتكلم... إذا بالرجل جبرائيل... قال دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم. فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر.. سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين. فأعلم وأفهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيسى سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها) دانيال ٩/٣: ٢٢.

ثم سرد دانيال - صلوات الله عليه - قصته - عليه السلام - حرفا حرفا مما أملاه عليه الملك حتى وصل إلى آخر أيام أمته عند نفخ الصور. وانقضاء الدنيا.

ودلائل نبوته - عليه السلام - كثيرة موجودة فى أيدى اليهود، والنصارى يقرؤنها ويكتمونها ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨].

البشارة التاسعة والأربعون:

قال يوحنا فى كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفراكسيس: إياكم أن تؤمنوا[١] بكل روح، لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله عن غيرها. واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدا نبيا فهو من عند الله تعالى، وكل روح لا تؤمن بأن اليسوع المسيح جاء وكان جسداً نبيا فليست من عند الله، بل المسيح الكذاب الذى سمعتم به وهو الآن فى العالم[٢].

فشهد يوحنا أن محمدا بن عبد الله من عند الله تعالى. لأنه آمن بالمسيح وصدقه، وقال إنه كان جسدا نبيا، وأن اعتقادنا هو الاعتقاد الحق فى عيسى ابن مريم، وأن اعتقاد النصارى[٣] واليهود فيه باطل. واليهود[٤] الآن تنتظر مسيح الهدى يأتى غير مسيح الضلالة الذى أنذر به الأنبياء قومها وقد تعداهم السعد وهم لا يشعرون.

البشارة الخمسون:

قال آرميا - عليه السلام - فى نبوته: حاكيا عن الله تعالى «إنى مهيج عليكم

---

(١) فى الأصل (تؤمنوا تلك روح).

(٢) ورد فى رسالة يوحنا الأولى (لم أكتب إليكم لانكم لستم تعلمون الحق بل لانكم تعلمونه وأن كل كذب ليس من الحق. من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح. هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن) رسالة يوحنا الأولى ١ / ٢١ : ٢٢ والمراد بالآب أبوة التربية كما سبق بيانه.

(٣) كلمة (النصارى) ساقطة من التيمورية.

(٤) فى التيمورية (والمسيح) وهى معارضة السياق والمعنى.

يا بنى إسرائيل من البعد أمة عزيزة – أمة قوية. أمة لا تفهمون بلسانها. وكلها مجرب الحروب[١].

وهو تصريح بهذه الأمة وبعدُها كونها ليست من بنى إسرائيل. وعزها اعتمادها على الحق. وقدَمها. إنذار الأنبياء بها قديما. ولسانها عربى لا يفهمه بنو إسرائيل. وتجربة العرب للحروب والغزوات والقفار والمهالك مشهورة قديما وحديثا لا تجارى. ولا تسابقها فيها أمة من الأمم – وهو جبروتها وصلابة قلوبها على المشاق[٢].

البشارة الحادية والخمسون:

قال أشعياء ـ عليه السلام ـ فى نبوته: أنا الرب لا إله غيرى أنا الذى لا تخفى عليه خافية، بل أخبر العباد بما لم يكن[٣] قبل أن يكون. وأكشف لهم الحادث والغيوب، وأتم مشيئتى كلها، إنى سادعوا طايرا من البدو والبعد شاسع[٤] فهذا الطائر هو محمد ﷺ لأنه من البدو الشاسع عن إقليم بنى إسرائيل وسماه طائرا لطيران ملكه وهديه فى الآفاق. والحمل على الطائر الحقيقى لا يبقى فى هذا الكلام العظيم فايدة. فتعين حمله على معنى نفيس لائق بهذا السياق العظيم. ولم يقع فى العالم ما يليق بهذا الخبر سوى محمد ﷺ[٥].

---

(١) لم أجد هذه البشارة فى آرميا وأقرب النصوص إلى ما ذكر. ما ورد فى أشعياء (ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب ...) أشعياء ٢ / ٢.

(٢) هذه الجملة ساقطة من التيمورية.

(٣) فى التيمورية (بل أخبر العالم).

(٤) بالكشف عن مادة (أنا الرب – خفى – خبر – عبد – كون – كشف – حدث – غيب – شيىء – دعا – طير – بدو – بعد – لم أجد هذا النص أو ما يقاربه ولعله مما حذف بعد.

(٥) فى الأصل (عليه السلام) وإلى هذا الحد تنتهى النسخة المخطوطة والموجودة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب تحت رقم ١٧٩ عقائد تيمورية. وتمام الصحيفة عن النسخة المصورة والموجودة بالدار. وكذلك النسخة المطبوعة بهامش الفارق بين المخلوق والخالق.

ولنقتصر على هذه الخمسين[1] بشارة خشية الإطالة وفي واحدة منها الكفاية لمن أنصف وقصد الحق، فكيف بخمسين.

فإن قالوا كيف تتمسكون بهذه الكتب وهي غير صحيحة عندكم. قلنا نبوة نبينا - عليه السلام - ثابتة بالمعجزات غنية عن هذه الكتب. وإنما نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته -عليه السلام - إلزاما لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها وهي مثل جميع كتبهم في الصحة، فان كان يحسن الإشكال بها تم مقصودنا، وإن كانت لا يحسن بها الاستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب لأن جميعه مثلها، وكيف يسع أهل الكتاب أن يعتقدوا صحة هذه الكتب، ولا يقبلوا ما فيها من الدلالة على محمد - عليه السلام - والتي تصل[2] حد القطع من كثرتها، وأنها عميت منهم البصائر، وطمثت السرائر، فلا يجد الحق من قلوبهم محلا، ولا سماع التذكر أهلا والله تعالى هو المحمود بما يليق بجلاله. الذي جعلنا مخصوصين بدينه القويم وصراطه المستقيم[3] وهو حسبنا ونعم الوكيل. وعلى خير خلقه أفضل الصلوات والتسليم والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) الصواب: إحدى وخمسين.

(٢) تطلبها السياق وفي الأصل (المواصل فهل حد القطع).

(٣) قال تعالى في وصف الإسلام ﴿وَأَنَّ هذا صراطي مستقيما فاتَّبعوه ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيله ذلكم وصَّاكم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

«فك الرموز المتعلقة بكتب السنة»

الرمـــــــز	بيـــــــانه
خ	صحيح البخارى
م	صحيح مسلم
د	سنن أبو داود
ت	الترمذى
ن	النسائى
جه	ابن ماجه
طأ	موطأ مالك
حم	مسند أحمد
ك	المستدرك
مى	الدارمى
هق	سنن البيهقى

«بيان رموز الكتاب المقدس الواردة بالهامش»

العهد القديم

الرمز	بيانه
تك	تكوين
خر	خروج
لا	لاويين
عد	عدد
تث	تثنية
يش	يشوع
قض	قضاة
را	رعوث
١صم	صموئيل الأول
٢صم	صموئيل الثانى
١ مل	ملوك الأول
٢ مل	ملوك الثانى
١ أى	الأيام الأول
٢ أى	الأيام الثانى
عز	عزرا
نح	نحميا
أس	أستير
أى	أيوب
مز	مزامير
أم	أمثال

العهد القديم

الرمز	بيانه
جا	جامعة
نش	نشيد الانشاد
أش	أشعيا
أر	أرميا
مرا	مراثى
حز	حزقيال
دا	دانيال
هو	هوشع
يؤ	يوئيل
عا	عاموس
عو	عوبديا
يو	يونان
مى	ميخا
نا	ناحوم
حب	حبقوق
صف	صفنيا
حج	حجى
زك	زكريا
مل	ملاخى

«بيان رموز الكتاب المقدس الواردة بالهامش»

العهد الجديد

الرمز	بيانه
مت	متى
مر	مرقس
لو	لوقا
يو	يوحنا
أع	أعمال
رو	رومية
١ كو	كورنثوس الأولى
٢كو	كورنثوس الثانية
غل	غلاطية
أف	أفسس
فى	فيلبى
كو	كولوسى
١ تس	تسالونيكى الأولى
٢ تس	تسالونيكى الثانية

العهد القديم

الرمز	بيانه
١ تى	تيموثاوس الأولى
٢ تى	الثانية
تى	تيطس
فيل	فليمون
عب	عبرانيين
جا	جامعة
يع	يعقوب
١ بط	بطرس الأولى
٢ بط	بطرس الثانية
١ يو	يوحنا الأولى
٢ يو	يوحنا الثانية
٣ يو	يوحنا الثالثة
يه	يهوذا
رؤ	رؤيا يوُحنا اللاهوتى

قائمة المراجع

اسم المرجع	المؤلف
القرآن الكريم	
الكتاب المقدس	
أحكام أهل الذمة فى الإسلام	ابن القيم
أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين	د/ توفيق حسن فرج
أحكام الذميين والمستأمنين	د/ عبد الكريم زيدان
أحكام القرآن	للجصاص
أحكام القرآن	لابن العربى
أحكام القرآن	
أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ	الكيا الهراس
أصول الدعوة الإسلامية	أبو القاسم هبة الله بن سلام
إظهار الحق	عبد الكريم زيدان
أوروبا العصور الوسطى	رحمة الله الهندى
الأحكام السلطانية للماوردى	د/ سعيد عاشور
الأحوال الشخصية لغير المسلمين	أبو الحسن الماوردى
الأحوال الشخصية لغير المسلمين	د/ توفيق حسن فرج
الاستشهاد فى المسيحية	د/ لاشين الغاياتى
الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد	الأنبا يوآنس
والأوهام	الإمام القرطبى
الأم	محمد بن إدريس الشافعى
الإيمان بالمسيح	الأب متى المسكين
بين الإسلام والمسيحية	تحقيق ا.د/ محمد شامة
البحر المحيط	أبو حيان الأندلسى
البناية شرح الهداية	شرح الكرمانى

اسم المرجع	المؤلف
تاريخ الحروب الصليبة فى الشرق والغرب	محمد فريد أبو حديد
تاريخ الطبرى	محمد بن جرير الطبرى
تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب	محمد فريد أبو حديد
تحفة الجليل فى تفسير الأناجيل	لجنة من المؤلفين
تفسير المراغى	أحمد مصطفى المراغى
تفسير المنار	رشد رضا
التشريع الإسلامى لغير المسلمين	عبد الله مصطفى المراغى
التعزير فى الشريعة الإسلامية	د/ عبد العزيز عامر
التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام	الشيخ محمد الغزالى
جامع البيان عن تأويل القرآن	أبو جعفر الطبرى
جريمة القذف والسب العلنى فى الشريعة الإسلامية	د/ عبد القادر النووى
جمع الجوامع	السيوطى
الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد القرطبى
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة	السيوطى
الخلاص بين الوحى والمفاهيم البشرية	عوض سمعان
دائرة معارف البستانى	المعلم بطرس البستانى
دائرة معارف القرن العشرين	فريد وجدى
دستور كنائسى راعوى	سيد اندراوس
الدر المنثور فى التفسير بالمأثور	السيوطى
الدعوة إلى الإسلام	توماس آرنولد
الرسائل النبوية	د/ على يوسف السبكى
روح المعانى	محمود الألوسى

اسم المرجع	المؤلف
الروض الأنف	للسهيلى
زاد المعاد	ابن القيم
سبل السلام	للصنعانى
سنن أبى داود	أبو داود السجستانى
سنن الترمذى	محمد بن عيسى الترمذى
سماحة الإسلام	أحمد الحوفى
سنن الدار قطنى	على بن عمر الدارقطنى
سيرة ابن هشام	لابن هشام
السنن الكبرى	البيهقى
السنن القويم فى تفسير العهد القديم	د/ وليم ادى
السيرة النبوية لابن كثير	الحافظ بن كثير
شريعة الحرب عند اليهود	د/ حسن ظاظا
الصحاح فى اللغة والعلوم	العلامة الجوهرى
الصليب المقدس	متى المسكين
عقائد أساسية مدخل فى علوم اللاهوت	د/ دونالد ديمارى
العلاقات الخاصة بين المسلمين وغيرهم	د/ بدران أبو العنين
العلاقات الدولية فى الاسلام	الإمام محمد أبو زهرة
فتح البارى	ابن حجر العسقلانى
فتح القدير	ابن الهمام الحنفى
فى ظلال القرآن	سيد قطب
قاموس الكتاب المقدس	
قرارات مجلس الكنائس العالمى السابع	
قرارات المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى	

اسم المرجع	المؤلف
قصة الحضارة	ول ديورانت
قصة الديانات	سليمان مظهر
قوانين ابن العسال « تشريع يهودى »	ابن العسال
قيامة المسيح والأدلة على صدقها	عوض سمعان
القراءون والربانيون	د/ رياض فرج
القول اليقين فى الصلاة عن المنتقلين	سمعان سليدس
الكامل فى التاريخ	ابن الأثير
الكنز الجليل	د/ وليم إدى
لسان العرب	ابن منظور
الله ثالوث وحدانيته ووحدانيته ثالوثه	عوض سمعان
متن مسلم	مسلم بن الحجاج
مجلس الكنائس العالمى رقم ٧ من واقع قراراته	
مجمع الزوائد للطبرانى	الإمام الطبرانى
محاسن التأويل	محمد جمال الدين القاسمى
مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل
مع المسيح فى الأناجيل الأربعة	موريس بوكاى
مفاتيح الغيب	الفخر الرازى
مكاتيب الرسول	على بن حسين على
مناهل العرفان فى علوم القرآن	محمد عبد العظيم الزرقانى
موسوعة سماحة الإسلام	الصادق عرجون
مبدأ السلام فى الرسالات السماوية	د/ بكر زكى عوض
المجتمع فى ميزان الكنيسة	فاضل سيد آروس

اسم المرجع	المؤلف
المجمع الفاتيكانى الثانى	
المجتمع اليهودى	زكى شنوده
المحاربة الروحية	تيوفان الناسك
المختصر فى تاريخ البشر	ابن كثير
المسيح	زكى شنوده
المسيحية والمجتمع فى ضوء تعاليم العهد الجديد	د/ موريس تاوضروس
المفردات فى غريب القرآن	الراغب الأصفهانى
الملل والنحل	للشهرستانى
نشأت الطوائف فى المسيحية	المطران اسحق مسعد
الوجيز فى الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين	د/ أحمد حلمى
اليهودية العالمية	د/ رياض بارونى
اليهود فى تاريخ الحضارة الأولى	د/ غوستاف لوبون

* * *

كتب للمؤلف

أولا : فى مجال التحقيق :

١ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافى .

٢ - المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل للمسعودى .

٣ - الإنجيل والصليب، لعبد الأحد داود .

ثانيا : فى مجال التأليف :

١ - دعوة الرسل بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم

٢ - عقائد وتيارات فكرية - بالاشتراك مع آخرين .

٣ - التبشير والاستشراق بين النظرية والتطبيق .

٤ - مباحث فى الثقافة الإسلامية .

٥ - السلام فى الإسلام .

٦ - المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الرسلامية .

٧ - الحج والعمرة : آداب وأحكام .

٨ - المدخل إلى علم مقارنة الأديان .

٩ - السلام فى اليهودية والنصرانية والإسلام دراسة مقارنة .

١٠ - آيات الله فى السماء وصلتها بالدعوة إلى الله .

ثالثا : فى مجال البحوث المنشورة والمحكمة :

١ - علم مقارنة الأديان بين المؤيدين والمعارضين .

٢ - اتجاهات نقد الكتاب المقدس عند علماء المسلمين .

٣ - التيارات الفكرية وأثرها على الشباب.

٤ - عصمة الأنبياء كما يصورها الكتاب المقدس.

٥ - أثر القرآن فى الدراسات النقدية للكتاب المقدس.

٦ - الصراع الدينى على الجزيرة العربية قبل الإسلام.

٧ - التفسير العلمى بين المؤيدين والمعارضين.

٨ - توطين العمالة فى المملكة العربية السعودية.

٩ - منهج الإسلام فى الحد من الجريمة (القواعد العامة).

١٠ - العمالة الوافدة فى شبه الجزيرة العربية (البعد الأمنى).

١١ - أخلاقيات العمل فى الإسلام.

١٢ - الإنسانية فى الإسلام.

١٣ - التجديد فى الخطاب الدينى والفكر الإسلامى بين الثوابت والمتغيرات.

١٤ - المواجهة العلمية للشبهات القديمة والحديثة.

١٥ - التراث الإسلامى بين التقدير والتقديس.

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثانى

الجواب عن أسئلة عبثوا بها ضد المسلمين

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

أسئلة موجهة إلى اليهود والنصارى

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــــوع **الصفحة**

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الباب الرابع
البشائر بالنبى محمد ﷺ من كتبهم

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

«والحمد لله رب العالمين»

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٥٠٥٦

الترقيم الدولي I.S.B.N 977 – 224 – 463 – 2